

أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلد الثاني

محاورة بارمنيدس
محاورة بوليتيكوس
محاورة السفسطائي
محاورة جورجياس
محاورة كارمايديس
محاورة ليسيس
محاورة لاخيس

نقلها إلى العربيّة
شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

بَيروت ١٩٩٤
إصدار: الأهليّة للنشر والتوزيع
بَيروت - الحَمراء، بناية الدُورادو
ص.ب.: ١١٣٥٤٣٣ - هاتِف: ٥٤١٥٧

المحتويات



محاورة بارمنيدس
في علم المنطق ومشكلة الوحدة

أفكار المحاورة الرئيسيّة

أ - يبدأ انتيفون، أخو اديامنتوس وكلوكون من أمهما بإعادة ذكر المحاورة التي كانت قد دارت بين سقراط، زينون، بارمنيدس، وأرسطو.

ب - يسأل سقراط زينون إذا أكّد أن الوجود متعدّد أو واحد، وإذا كان متعدّداً، فهل يجب أن يكون متشابهاً وغير متشابه، وهل هذا مستحيل أوْ لا، وما هي عواقبه؟

ج - بحث في المثل البدهيّة للأجسام المرئية وهل هي وحدة أو كثرة، ومن ثم في المثل التي تدرك بالعقل وهل هي وحدة أو كثرة كذلك، وهل هي متشابهة أم لا. ولنسأل إذا جعلنا مُثُلاً مطلقة للعادل والجميل والخيّر وما شابه، فهل للنار والماء، مَثَلاً، مُثُلٌ؟، وهل للأشياء الأدنى مرتبة مُثُلٌ كذلك؟ كالشَّعْر، الوحل، والأوساخ أو أي شيء آخر سافلٍ تافه. وهل يمكن للمُثُل أن تكون أفكاراً فقط، وليس لها أي وجود مناسب إلاّ في عقولنا؟ إذ لا يمكن لكل مثال أن يبقى واحداً في تلك الحالة، وأن لا يختبر هذا التكاثر المحدود. أو هل المُثُل هي نماذج ثابتة في الطبيعة، وما الأشياء الأخرى إلاّ شبهها ومماثلات لها؟ أو هل يمكن أن يشبه الفرد المثال، أو أن لا يشبه المثال الصورة؟ ولنبحث في الأفكار المعاكسة لكل ما طرحناه.

د - ما هي الجواهر المطلقة وأين توجد؟ وهل المعرفة المطلقة تطابق الحقيقة المطلقة؟ وهل يطابق كلُّ نوع من المعرفة المطلقة كلَّ نوع من الوجود المطلق؟ أمّا عدم امتلاكنا نحن كأشخاص لمعرفة المثل، فذلك ليس لأن لدينا حصة في المعرفة المطلقة. وهذه المعرفة المطلقة، لا نعتقد أن يمتلكها أحدٌ سوى الله.

وبعدُ، دعنا نتأمّل ملياً العواقب التي تنجم عن ال ـ أن شيئاً ما يكون، وكذلك العواقب التي تحدث من أنه لا يكون.

هـ ـ إذا وُجِد الواحد فلا بداية له ولا نهاية وهو غير محدود، ولذلك فهو عديم الشكل، وليس بشكل مستقيم ولا دائري، وليس بمكان، ولا يمكنه أن يكون لا في الآخرين ولا في نفسه، وهو ليس يتحرك ولا ساكن، وليس في شيء، ولا يأتي إلى الوجود، بل هو موجود على الدوام، وهو ليس في الحالة عينها، وليس له مكان، وليس الشيء نفسه مع ذاته، ولا غيراً من ذاته أو من الغير، وهو ليس مغايراً لنفسه، ولن يصير الشيء نفسه مع أي شيء، وهو ليس كمثله شيء، ولا يشبه نفسه أو يشبه الغير، وليس له صفة ولا يوصف أبداً، وهو ليس متساوياً بنفسه ولا بالآخر، وليس له أجزاء، ولا مُحدث، ولا قديم، ولا يحدّه زمن، وليس له زمن، ولا يشترك في الزمن ماضياً حاضراً أو مستقبلاً.

و ـ إذا الواحد يكون، فهل يشترك في الوجود؟ وما هو الفرق بين الوجود والواحد؟ وما معنى الوجود لوجود الوحدة، ووحدة الوجود المتّحد، ومعنى الكل والجزء؟ أمّا الغير فليس الشيء ذاته، لا مع الواحد ولا مع الوجود. ما هي الأعداد التي تنتج عن تكلمنا عن الوجود والغير، أو عن الواحد والغير؟، إذا الواحد يكون، يجب بالضرورة أن يكون العدد أيضاً، وينبغي أن يكون هناك كثرة، وكثرة غير محدّدة للوجود، ويلزم أن يُقسَّم إلى الأكبر والأصغر، وأن تكون قسمته لا نهاية لها. وما يكون التام في الواحد؟. ودعنا نسأل عن اللاّواحد كذلك، وعن الغير وعلاقته بالواحد: هل سيلامس الواحد نفسه والغير إذن، وإذا فعل فماذا ستكون النتائج؟ ما هي علاقة الكبر والصغر بالواحد؟ وعندما يأتي الواحد بالإضافة لكل جزء من كون عملية الصيرورة مستمرّة فماذا نستنتج؟ وهل ينطبق مِثل ما هو للوجود على ما هو للصيرورة؟ إن افتراض الوجود هو ما نسميّه صيرورة، والتخلي عنه هو ما نسميّه دماراً. وما هي اللحظة وعلاقتها بالواحد؟ ثم دعنا نفترض أخيراً عكس ما قلناه عن الواحد والوجود، فماذا ستكون العواقب.

ز ـ إذا الواحد يكون، ماذا سيحدث للآخرين؟ دعنا نتأمّل ذلك ملياً. وكذلك ماذا ستكون صفات الغير من الواحد. مثلاً، ما هي علاقة الغير بالواحد، وما هي علاقة الواحد بالجزء والكل، وكذلك الكسور الأقلّ كثرة بالنسبة له.

ح ـ لنفترض إذا الواحد يكون، ما إذا يكون ضد الكل أو لاَ يكون كذلك عن الغير على حد سواء؟ ثم ما هي صفات الغير؟ بعد كلّ الذي شرحناه نؤكّد أنّ الواحد يكون.

ط ـ مرّة ثانية، دعنا نتأمل ملياً إذا الواحد لا يكون، فماذا ستكون العاقبة؟ وما هو الفرق بين الجملتين (إذا الواحد لا يكون) و(إذا الواحد لا يكون فلا يكون)؟ وإذا قيل (إذا الواحد لا يكون) فنحن نقول إنّ ما (لا يكون) هو غيرٌ من الغير كله. وإذا قال إنسان (الواحد) فهو يقول شيئاً ما معروفاً، وثانياً، شيئاً ما يكون غيراً من كل الأشياء الأخرى. الواحد له شبه بنفسه فقط ولا يشبه غيره وهو لا يتساوى بغيره، والغير لا يساويه. ما هي علاقة الواحد بالحركة والسكون وعواقب كل منهما وتغيير الواحد إلى غير نفسه، وكذلك اللاواحد.

ي ـ دعنا نسأل ماذا سيحدث فيما يختصّ بالواحد، إذا الواحد لا يكون. هل معنى ذلك أنه لا يشترك في الوجود، ولذلك فهو لا يفنى ولا يصير، ولذلك لا يتغيّر ولا يتحرّك، ولا يقف لأن لا مكان له، والذي يتحرّك يجب أن يكون دائماً في نفس البقعة الواحدة، أو اذا الواحد لا يكون لا يستطيع أيّ شيء أن يكون أو أن يكون هذا الشيء، أو أن يُنسب إلى، أو يكون العلامة المميّزة لهذا أو ذلك أو الغير، أو أن يكون ماضياً، أو حاضراً، أو مستقبلاً. ولا تتمكّن المعرفة، أو الرأي، أو التصوّر، أو التعبير، أو الإسم، أو أيّ شيء آخر يكون أن يمتلك أية علاقة معه.

ك ـ دعنا نقرّر إذا الواحد لا يكون، فماذا سيحلّ بالغير؟ سيكون الغير غيراً من بعضه عندئذ لأن الخيار الوحيد الباقي هو أنه غيرٌ من لا شيء، وهو غيرٌ من

بعضه بعضاً كونه جمعاً وليس فرداً، وهو لا يمكن أن يكون مفرداً، بما أنّه ليس هناك وحدة. إنّ كل شذرة منه هي غير محدودة في العدد، وحتى إذا أخذ شخص ذلك الذي يظهر أنه أصغر كسر، فهذا، الذي يتراءى واحداً يفنى في الكثرة بلحظة، كما في حلم، ويصبح كبيراً جدّاً من كونه الأصغر، مقارنةً بالكسور التي جُزّىء إليها. وسيكون الغير في هكذا ذرات غيراً من بعضه بعضاً. إذا الغير يكون والواحد لا يكون، فسيُعلن العدد منها والرقم المفرد والمزدوج.

ل ـ ما هي علاقة الذرات بالوحدة وبالوجود، وهكذا ينبغي أن تكون هذه الذرات شبيهة وغير شبيهة بنفسها وببعضها بعضاً، وتكون شبيهة ومختلفة من بعضها بعضاً، وهي منفصلة في اتصالها بنفسها، ولها كل نوع من أنواع الحركة، وكل نوع من أنواع السكون. ولها كل نوع للحركة، وكل نوع للسكون، وهي صائرة وكونها مدمَّرة وفي غير هاتين الحالتين، وما شابه ذلك. ويمكن أن تكون الأشياء متعدّدة إذا الواحد لا يكون والمتعدّد يكون.

م ـ دعنا نعود إلى البداية ونسأل مرّة ثانية، إذا الواحد لا يكون وغير الواحد يكون، فماذا سيتبع؟ لن يكون الغير واحداً عندئذ، ولن يكون متعدّداً. وإذا الواحد لا يكون فالغير لا يكون، ولا يمكن أن يُتصوَّر أنّه يكون، لا واحداً ولا عدَّة، ولا كشبيه أو غير شبيه، ولا كذات الشيء أو مختلفاً، ولا في اتصال أو إنفصال، ولا في أيّةٍ من تلك الحالات التي عددناها كما تظهر لتكون. فالغير لا يكون ولا يظهر ليكون أيّاً من هذه إذا الواحد لا يكون. يمكننا الآن بعد كل الذي قلناه أن نختصر المحاورة بكلمة ونقول بصدق، إذا الواحد لا يكون، فلا شيء يكون.

شوقي داود تمراز ينطا، ١٩٩٣/١/١

محاورة بارمنيدس

في علم المنطق ومشكلة الوحدة

أشخاص المحاورة

سيفالوس	سقراط
اديامنتوس	زينون
أنتيفون	بارمنيدس
بيثودوروس	ارسطاطاليس

[يعيد سيفالوس ذكر محاورة يُعتَقد أنَّ أنتيفون قد رواها بحضوره وأنتيفون أخي اديامنتوس وكلوكون من أمهما، رواها إلى أشخاص محدَّدين من كلازومينيا].

سيفالوس: قد أتينا من بيتنا في كلازومينيا إلى أثينا، وقابلنا اديامنتوس وكلوكون في الساحة العامة. قال اديامنتوس: أهلاً وسهلاً، يا سيفالوس، وقد أمسكني بيده؛ هل من شيء نستطيع فعله لك في أثينا؟

سيفالوس: نعم؛ لذلك أنا هنا؛ إنّني أرغب أن أسألك معروفاً.

اديامنتوس: ماذا يمكن أن يكون ذلك؟

سيفالوس: أريدك أن تخبرني عن إسم أخيك من أمك، الذي نسيتُه. لقد كان مجرَّد طفل عندما أتيت أخيراً من هناك، من كلازومينيا، لكن ذلك كان منذ زمن طويل. كان إسم أبيه، بيريلامبس، إذا ما زلتُ أتذكّر جيداً؟

سيفالوس: نعم، وإسم أخونا، أنتيفون، لكن لِمَ تسأل؟

اديامنتوس: دعني أقدِّم بعض رجال بلادي، إنهم محبّو الفلسفة، وقد سمعوا أنّ أنتيفون كان على علاقة وثيقة مع بيثودوروس، صديق زينون، وهو ما زال قادر على ترديد المحاورة التي جرت بين سقراط، زينون، وبارمنيدس لسنين خلت، والتي قد تلاها له غالباً بيثودوروس.

سيفالوس: حقيقي تماماً.

اديامنتوس: وهل نقدر أن نسمعها؟

سيفالوس: لا شيء أسهل من ذلك؛ فهو عندما كان شاباً قام بدرس تلك القطعة بعناية؛ لكنَّ أفكاره اتّجهت إلى ناحية أخرى في الوقت الحاضر. فهو قد كرَّس وقته للاهتمام بالخيل. لكن، إذا كان هذا ما تريد، دعنا نذهب ونبحث عنه. إنه يسكن في ميلايط، وهي قريبة جداً من هنا، ولقد تركَنا منذ برهة فقط ليذهب إلى البيت.

[ذهبنا بناءً على ذلك، لنبحث عنه؛ وجدناه في البيت، وكان منهمكاً في العمل بإعطائه الحدّادَ لجاماً كي يصلحه. عندما انتهى من عمله والحدّاد، أخبره أخوه الغرض من زيارتنا. وعندما رآني حيّاني كأحد معارفه إذ تذكّرني من زيارتي السابقة له، وسألناه بعد ذلك أن يعيد لنا ترديد المحاورة. لم يكن على استعداد بادىء ذي بدء، وتذمّر من الإزعاج، لكنه قَبِلَ بذلك بعد وقت طويل. بدأ يخبرنا أن بيثودوروس قد وصف له مظهر بارمنيدس وزينون. لقد أتينا إلى أثينا، كما قال، إلى الباناثينيون الكبير. كان عمر الأول خمسة وستين عاماً، أثناء زيارته، وقد جلّله الشيب تماماً، لكنه محبوب جداً. وكان زينون في الأربعين تقريباً، طويلاً ووسيماً يلفت النّظر؛ وقد أشيع أنّ بيرميندس كان يحبّه في أيّام شبابه. قال إنه سكن مع بيثودوروس في السيراميكوس، خارج السور، في حين أن سقراط، أتى ليراهم، ومعه آخرون، وكان رجلاً جدّ شابّ آنئذ. لقد أرادوا أن يسمعوا تآليف زينون، التي

وصلت إلى أثينا للمرّة الأولى بمناسبة زيارتهم. لقد قرأها لهم زينون بنفسه في غياب بارمنيدس، وكان قد إنتهى من قراءَتها تقريباً عندما دخل بيثودوروس، ومعه بارمنيدس وأرسطو الذي كان واحداً من الثلاثين فيما بعد، وسمع القليل المتبقي من الحديث. وكان بيثودوروس قد سمع زينون يردّدها من قبلُ. عندما انتهى السرد، إلتمس سقراط إعادة قراءَة الأطروحة الأولى من المحاورة الأولى إذا أمكن. وبعدَ أن أتمَّ هذا، قال سقراط: ما هو معناك، يا زينون؟ هل تؤكّد أنّه اذا كان الوجود متعدّداً، يجب أن يكون متشابهاً وغير متشابه على حدّ سواء، وإن كان مستحيلاً، لأنّه لا يمكن أن يكون المتشابه غير متشابه، ولا غير المتشابه متشابهاً ـ أهذا موقفك؟].

زينون: هكذا تماماً.

سقراط: وإذا كان غير المتشابه لا يستطيع أن يكون متشابهاً أو المتشابه غير متشابه، لا يمكن للوجود إذن، وطبقاً لك، أن يكون متعدّداً؛ لأنّ هذا يقتضي استحالة. هل لديك أي غرض آخر في كل الذي تقول، عدا أن دحض وجود المتعدّد؟ أوَ لا يقصد كل قسم من بحثك أن يعطي برهاناً منفصلاً عن هذا، من أن هناك وجوداً في الكل كالبراهين العدّة للأوجود المتعدِّد كما ألّفت محاوراتك؟ أهذا هو معناك، أو أنني أسأت فهمك؟

زينون: لقد فهمت قصدي العام بالضبط.

سقراط: إنّني أرى، يا بارمنيدس، أنَّ زينون لا يحبّ أن يكون واحداً معك في الصداقة فقط، بل الثاني لنفسك في تأليفه أيضاً. إنه يضع ما تقول بطريقة أخرى، وسيبذل قصارى جهده ليجعلنا نعتقد أنه يخبرنا شيئاً جديداً، لأنك تقول في قصائدك (الكل يكون واحداً) وتورد براهين ممتازة عن هذا. وتقول انه لا يكون متعدداً من الناحية الأخرى، وتقدِّم دليلاً غامراً لصالح هذا القول. أنت تثبت الوحدة، هو ينكر الكثرة. وهكذا أنت تخدع العالم

بإيهامهم أنّك تقول أشياء مختلفة في حين أنك تقول الشيء عينه. إن هذا أسلوب فنيٌّ يتعدّى مجال أكثريتنا.

زينون: نعم، يا سقراط، لكن مع أنك حادٌّ ككلب الصيد الإسبرطي في تعقب الأثر، فإنك لم تدرك تماماً الباعث الحقيقي للتأليف، الذي ليس عملاً غاضباً كما تتخيّل. لأن ما تتكلم عنه كان حادثاً، ولم يوجد هناك إدعاء لغرض عظيم، أو لأي قصد خطير لخداع العالم. الحقيقة، أن ذلك التأليف الخاص بي قُصِدَ منه أن يحمي محاورات بارمنيدس ضد أولئك الساخرين منه، ويُنشد أن يظهر النتائج العديدة المضحكة والمتناقضة التي يفترضونها أن تتبع مع تأكيد الواحد. جوابي موجّهٌ إلى متعصّبي الكثرة، الذين أردُّ هجومهم وبردٌ مفحم عليهم أن فرضيتهم لتعدديّة الوجود، إذا توبعت، تظهر لتبقى أكثر إضحاكاً من فرضية وحدة الوجود. لقد قادتني غيرتي لسيّدي كي أكتب الكتاب في أيام شبابي، غير أن شخصاً ما سرق النسخة. ولهذا السبب لم يكُن لديَّ خيار ما إذا سيُنشر أو لا. إن باعث القصد من الكتابة، على أيّة حال، لم يكن طموح رجل مسن، بل مشاكسة رجل شابٍّ، لا يظهر أنك ترى هذا، يا سقراط؛ مع أن فكرتك في النواحي الأخرى، كما قلت، هي فكرة عادلة يقيناً.

سقراط: أفهم ذلك، وأقبل تفسيرك تماماً. لكن أخبرني، يا زينون، ألا تعتقد أنّ هناك مثالاً للتشابه منفصلاً وموجوداً بنفسه بالإضافة إلى ذلك، ومثالاً مضاداً هو جوهر اللاّتشابه، وأنه يشارك في هذين المثالين الإثنين أنت وأنا وكل الأشياء الأخرى التي تستخدم هذا المصطلح التعددي. الأشياء التي تشارك في التشابه تصبح متشابهة في تلك الدرجة والطريقة؛ وبقدر ما تشارك في اللاّتشابه تصبح غير متشابهة في تلك الدرجة؛ أو ثانية هي متشابهة وغير متشابهة في الدرجة التي تشترك في كليهما؟ حتى لو اشتركت كل الأشياء

في كلا النقيضين، وكانت متشابهة وغير متشابهة إلى أنفسها بسبب هذه المشاركة، فأينَ هو العجب؟ وبعدُ إذا استطاع شخص أن يبرهن المتشابه المطلق ليصبح غير متشابهٍ، أو ليصبح اللاّمتشابه المطلق، متشابهاً، سيكون ذلك مدهشاً حقاً، في رأيي. غير أنه لا يوجد شيء إستثنائي، يا زينون، في تبيين أن الأشياء التي تشترك في المتشابه واللاّمتشابه تختبر كليهما فقط. ولا، مرّة ثانية، إذا وُجِدَ شخص ليُري أن الكل يكون واحداً لمشاركته في الوحدة، وفي الوقت عينه متعدّداً لمشاركته في التكاثر، سيكون ذلك مدهشاً. لكن إذا أراني أن الواحد المطلق كان متعدداً، أو الكثرة المطلقة واحداً، سأكون مذهولاً حقاً. وهكذا أقول عن كل الباقي: سأكون مُفاجأً لأسمع أن الطبائع أو المثل امتلكت أنفسها تلك النوعيّات المتضادة، لكن ليس إذا أراد شخص أن يبرهن لي أنني كنت متعدّداً وواحداً أيضاً. عندما أراد أن يبيِّن لي أنني كنت كثرة سيقول إنّ لديَّ جانبين شمالاً ويميناً، وجانباً أمامياً وخلفياً، ونصفاً فوقياً وتحتياً، لأنني لا أستطيع تكذيب مشاركتي في الكثرة. وعندما يريد، على الجانب الآخر، أن يبرهن أنني أكون واحداً سيقول إننا نحن المجتمعين هنا سبعة، وإنّي واحدٌ وأشارك في الوحدة. لقد برهن مثاله لحدوث الشيء في الشاهدين كليهما. هكذا ثانية، إذا شرع شخص ليعرض أن أشياء كالأخشاب، الأحجار، وما شابه، كونها كثرة هي واحدة أيضاً، سنقول إنه يبرهن أن شيئاً ما هو واحد أو كثرة في الحال، لكن ليس أن الوحدة تكون كثرة، أو الكثرة واحداً؛ وأنه لا ينطق تناقضاً بل حقيقة بَدَهِيّة. إذا ما ابتدأ واحد ما، مع ذلك، يضع المثل جانباً في شواهد كالتي ذكرت لتوّي الآن ـ المتشابه، اللاّمتشابه، الواحد، الكثرة، السكون، الحركة، وكل المثل المتشابهة ـ وليُري بعد ذلك أن تلك تفسح مجالاً للمزج مع والافتراق عن بعضها بعضاً، سأكون مندهشاً كثيراً جداً. يُظهر هذا الجزء

من المحاورة أنك قد عالجته، يا زينون، في نهج ذي نفسية جيدة، لكنني سأكون مذهولاً ببعد أكثر، كما كنت قائلاً، إذا ما وَجَد شخص ما في المثل انفسها التي تُدرك بالعقل نفس المُعْضِلة والتعقيد التي قد أبنت أنها موجودة في الأجسام المرئية.

[بينما كان سقراط يتكلم، فكّر بيثودوروس أنّ بارمنيدس وزينون لم يكونا مسرورين تماماً في الخطوات المتتالية للمحاورة، لكنهما بقيا معطيين الاهتمام الأقرب لها، وتطلعا في بعضهما بعضاً غالباً، وابتسما وكأنهما يحدوهما الإعجاب به. عندما انتهى من كلامه، أوضح بارمنيدس شعورهما بالكلمات الآتية]:

يا سقراط، إنني أنظر بإعجاب لميل عقلك نحو الفلسفة. أخبرني الآن، أكان هذا تمييزك الخاص بين المثل في أنفسها والأشياء التي تشترك فيها؟ وهل تعتقد أن هناك مثالاً للمتشابه بعيداً من المتشابه الذي نمتلك، وعن الواحد والكثرة والأشياء الأخرى التي ذكرها زينون؟

سقراط: أعتقد أنّ هناك مثلاً كهذه.

بارمنيدس: وهل تجعل أيضاً مُثلاً مطلقة للعادل والجميل والخيِّر، ولكل تلك الطبقة؟

سقراط: نعم، سأفعل.

بارمنيدس: وهل ستجعل مثالاً للإنسان بعيداً منّا ومن كل المخلوقات الإنسانيّة الأخرى، أو مثالاً للنار والماء؟

سقراط: إنّني لم أبت في الأمر غالباً، يا بارمنيدس، سواء إذا وجب أن أضمّنها أوْ لاَ.

بارمنيدس: وهل ستشعر أنك غير مقرِّرٍ الأمر بالتساوي، يا سقراط، بشأن الأشياء التي يثيرُ ذكرُها الضّحك؟ ـ أعني هكذا أشياء كالشعر، الوحل، الأوساخ، أو أي شيء آخر يكون سافلاً وتافهاً؛ أهل هذا صعب لتقرّر ما إذا يكون لكلٍ

من هذه الأشياء مثالٌ متميّز عن الأجسام الحقيقية التي نتّصل بها، أوّلاً؟

سقراط: لا بالتأكيد، إن الأشياء المرئيّة كتلك هي هكذا كما تظهر لنا وأخشى أن يكون هناك شيء منافٍ للعقل والمنطق في افتراض اي مثال لها بالرغم من أنه يحصل لديَّ اضطراب في وقت ما، وأفكر بأنّه ما مِن شيء بدون مثال. لكنني عندما أكون قد اتّخذتُ هذا الموقف مرّة ثانية، أُوَلّي هارباً، لأنني أخاف من السقوط في حفرةٍ لا قرار لها من الأفكار السخيفة، وَأهْلَكَ؛ وهكذا أعود إلى المُثل التي تكلّمت عنها لتوّي، وأشغل نفسي بها.

بارمنيدس: نعم، يا سقراط، ذلك لأنك لم تزل فتيّاً؛ سيأتي الوقت، اذا لم أكن مخطئاً، عندما ستتملّك الفلسفة منك، ولن تستخف بأحقر الأشياء آنئذ؛ إنّك ميّال في سنك لتعتبر آراء الرجال كثيراً جداً. غير أنني أحبّ أن أعرف إن كنت تعني أنّ هناك مُثُلاً محدّدة تشترك فيها كل الأشياء الأخرى، والتي تشتقّ أسماءَها منها؛ وأن المتشابهات، كمثال، تصبح متشابهة، لأنها تشترك في التشابه؛ وتصبح الأشياء الكبيرة كبيرة، لأنها تشترك في الكبر، وتصبح الأشياء العادلة والجميلة عادلة وجميلة، لأنها تشترك في العدل والجمال؟

سقراط: نعم، إن ذلك هو ما أعنيه، بالتأكيد.

بارمنيدس: يشترك كل فرد إذن، إمّا في كل المثال وإلاّ ففي جزء من المثال. أيوجد أي شكل آخر للاشتراك؟

سقراط: لا يمكن وجوده.

بارمنيدس: هل تفكّر إذن أن كل المثال يكون واحداً، ومع ذلك، كونه واحداً، فهو في كل واحد من الكثرة؟

سقراط: وما الاعتراض هنا؟

بارمنيدس: ستكون النتيجة أن الواحد والشيء نفسه سيوجدان ككل في الوقت

عينه في أفراد كثيرين منفصلين، وسيكونان لذلك في حالة إنفصال من نفسيهما.

سقراط: كلا، بل يمكن للمثال أن يشبه اليوم الذي يكون واحداً والشيء ذاته في أماكن عدة حالاً، ومستمراً بنفسه مع ذلك. يمكن لكل مثال أن يكون واحداً والشيء ذاته في الكل في الوقت عينه.

بارمنيدس: أحبّ طريقتك، يا سقراط، بجعل الواحد في عدة أماكن حالاً. تعني إذا ما نشرت شراعاً وغطّيت رجالاً عدّة، سيكون هناك واحد بكامله مشتملاً على كثرة ـ أليس ذلك معناك؟

سقراط: أظنُّ هذا.

بارمنيدس: وهل ستقول إن الشراع بكامله يشمل كل رجل أو جزءاً منه فقط، والأجزاء المختلفة رجالاً مختلفين؟

سقراط: الآخر.

بارمنيدس: ستكون المثل نفسها إذن، يا سقراط، قابلة للقسمة، وستحوز الأشياء التي تشترك فيها جزءاً منها فقط، وليس المثال موجوداً في كل منها بكامله؟

سقراط: يبدو أن ذلك يتبع.

بارمنيدس: هل ستحبّ أن تقول آنئذ، يا سقراط، إن المثال الواحد يكون قابلاً للقسمة حقاً ويبقى واحداً مع ذلك؟

سقراط: لا، بالتأكيد.

بارمنيدس: إفترض أنك تقسّم الضخامة المطلقة، وأن من الأشياء الكبيرة الكثيرة يكون كل واحد كبيراً بموجب قِسمٍ من الضخامة أقل من الضخامة المطلقة ـ أذلك ممكن تصديقه؟

سقراط: لا.

بارمنيدس: أو سيكون كل شيء مساوياً، إذا امتلك قسماً صغيراً ما للمساواة

أقل من المساواة المطلقة، لشيء ما آخر بموجب ذلك القسم فقط؟

سقراط: مستحيل.

بارمنيدس: أو افترض أن واحداً منّا لديه قسماً من الصِغَر؛ فما هذا إلاَّ جزء للصِّغَر، وسيكون الصغير بالمطلق أكبر لذلك؛ بينما ذلك الذي يكون مضافاً إليه الجزء المجرّد للصغير سيكون أصغر وليس أكبر من ذي قبل.

سقراط: يستطيع ذلك أن يكون بالكاد، وبحق.

بارمنيدس: بأيّة طريقة، يا سقراط، ستشترك كل الأشياء في المُثُل، إذا كانت غير قادرة أن تشترك فيها لا كأجزاء أو بالكامل؟

سقراط: حقاً، لقد سألت سؤالاً لا يمكن الإجابة عليه بسهولة.

بارمنيدس: حسناً، وماذا تقول عن سؤال آخر؟

سقراط: أيُّ سؤال.

بارمنيدس: أتصوّر أنّ السبب في افتراضك مثالاً واحداً لكل نوع هو كما يلي: ـ عندما يظهر لك عدد من الأشياء أنها كبيرة، تبيَّن لك هناك بدون شك أنها واحدة والمثال عينه (أوالطبيعة) مرئيٌ فيها جميعاً. من هنا تتصوّر الضخامة كواحدة.

سقراط: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: لكن الآن، إذا سمحت لعقلك في أسلوب مماثل أن يحتوي هذه الضخامة الحقيقية وتلك الأشياء الأخرى الكبيرة في غرض واحد، فلن تُنشأ ضخامة واحدة أكثر، كونها محتاجة أن تعلّل لشبيه الضخامة في كل هذه الأشياء؟

سقراط: ستظهر هكذا.

بارمنيدس: يحضرنا حينئذ مثال آخر للضخامة زيادة على الضخامة المطلقة والأفراد الذين يشاركون بها؛ وآخر حينئذ، زيادة على تلك، نظراً إلى أنها ستكون

كلها كبيرة، وستُترك هكذا بدون أي مثال فردي في كل حالة، بل بعدد من المثل غير محدَّد.

سقراط: لكن ألا يمكن للمُثُل أن تكون أفكاراً فقط، وليس لديها أي وجود مناسب إلا في عقولنا، يا بارمنيدس، لأنه يمكن لكل مثال أن يبقى واحداً في تلك الحالة، وأن لا يختبر هذا التكاثر اللاّمحدود.

بارمنيدس: أخبرني، إذن، أيمكن لكل فكرة أن تمتلك طبيعتها الخاصة المحدَّدة، وأن تكون فكرة للا شيء مع هذا؟

سقراط: مستحيل.

بارمنيدس: يجب أن تكون الفكرة لشيء ما؟

سقراط: نعم.

بارمنيدس: لشيء ما يكون أو لا يكون؟

سقراط: لشيء ما يكون.

بارمنيدس: ألا يجب أن تكون لشيء ما فرد، تدركه الفكرة كملحق بالكلّ، كونه ذا شكل واحدٍ وطبيعة؟

سقراط: نعم.

بارمنيدس: وهذا الشيء ال « ما »، المُدرَك كواحد وذاتٍ في الكل، ألن يكون مثالاً؟

سقراط: لا يوجد أيّ مهرب من ذلك، مرّة ثانية.

بارمنيدس: إذا قلت إذن، إنّ كل شيء آخر يجب أن يشترك في المثل ألا يجب أن تقول أن كل شيء مصنوع من الأفكار، وإن كل شيء يفكّر، أو إنها أفكار لكن بدون فكر؟

سقراط: إنّ هذا التصوُّر، يا بارمنيدس، ليس منطقياً أكثر من السابق. إن المُثُل في رأيي تكون، نماذج ثابتة في الطبيعة، وما الأشياء الأخرى إلا شبهها ومماثلات

لها - ما عُني باشتراك الأشياء الأخرى في المثل، هو استيعاب لها بحق.

بارمنيدس: لكن إذا كان الفرد يشبه المثال، أيمكنُ ألاّ يكون المثال شبيه الصورة، بقدر ما قد كانت هذه مَصُوغَةً في تشابه للمثال؟ إن ذلك الذي يكون شبيهاً، لا يمكن تصورّه كشيء آخر سوى شبيه الشبيه.

سقراط: مستحيل.

بارمنيدس: وعندما يكون اثنان متشابهَيْن، ألا يجب أن يشتركا في المثال عينه؟

سقراط: يجب ذلك.

بارمنيدس: أو لن يكون ذلك هو المثال نفسه، بالمشاركة التي تكون الأشياء فيها متشابهةً

سقراط: بالتأكيد.

بارمنيدس: لا يمكن للمثال أن يكون شبيهاً بالفرد إذن، أو الفرد شبيهاً بالمثال؛ لأنهما إذا كانا شبيهين، سيبرز مثال ما أبعد للشبيه دائماً، إذا كان مشابهاً المثال ذلك الذي يشارك فيه؟

سقراط: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: يجب التخلّي عن النظرية التي تقول، إن الأشياء الأخرى تشارك في المثل بالتشابه، واستنباط صيغة أُخرى ما للمشاركة.

سقراط: يظهر هكذا.

بارمنيدس: هل ترى إذن، يا سقراط، ما أصعب خلق هذا التمييز للمثل (أو الأنواع) الموجودة بأنفسها؟

سقراط: نعم، حقاً.

بارمنيدس: ودعني أقول علاوة على ذلك، بما أنك فهمت جزءاً صغيراً من الصعوبة التي نحن بصددها، وهي إذا جعلت كل شيء مثالاً فرداً، مبعداً عن الأشياء الأخرى.

سقراط: أيّة صعوبة؟

بارمنيدس: يوجد العديد منها، لكن أعظمها هي هذه: إذا حاور خصمٌ أن تلك المثل: كونها كما نقول أنها يجب أن تكون، فلا بدّ أن تبقى غير معروفة، لا يستطيع أحد أن يبرهن له أنه على خطأ، ما لم يكن الرجل الذي ينفي وجودها ذا مقدرة عظيمة وخبرة طبيعية، وعازماً على أن يتّبع إيضاحاً طويلاً وشاقّاً؛ سيبقى غير قانع، ويصر على أنها لا يمكن معرفتها.

سقراط: ماذا تعني، يا بارمنيدس؟

بارمنيدس: أعتقد في المقام الأول، يا سقراط، أنك ستعترف، أو سيعترف أي شخص ممن يؤكّد وجود الجواهر المطلقة أنها لا تستطيع أن توجد فينا.

سقراط: لا، لأنها لن تكون آنئذ مطلقات بعد الآن.

بارمنيدس: حقاً، ولهذا عندما تكون المثل ما هي في نسبتها لبعضها بعضاً يُحدَّد جوهرها بعلاقتها فيما بينها، وليس لديها أي شيء تفعله مع المتشابهات، أو مهما كانت تسمى، التي هي في مجالنا، والتي نتلقى منها هذا أو ذاك الإسم عندما نشترك فيها. وتكون الأشياء التي في نطاق مجالنا وتمتلك الأسماء عينها معها، وتكون هي أيضاً ذات صلة ببعضها بعضاً فقط، وليس بالمثل التي تمتلك الأشياء عينها معها، بل تنتسب إلى أنفسها وليس إليها.

سقراط: ماذا تعني؟

بارمنيدس: يمكنني أن أشرح معناي بهذه الطريقة: أفترض رجلاً أنه سيّد أو عبد ـ ليس هو عبد بوضوح بالمثال المجرّد للسيد، أو سيد بالمثال المجرّد للعبد. فإن النسبة هي واحدة لرجل إلى رجل. يجب أن يُحدَّد المثال للسيادة في المجرّد بالنسبة إلى المثال للعبودية في المجرّد والعكس بالعكس. لكن الأشياء المألوفة لنا ليست مخوّلة لتفعل فوق المثل، ولا المثل لتفعل فوق الأشياء المألوفة؛ لكن، كما قد قلت، المُثل تنتمي إلى وتبقى في نسبة لبعضها بعضاً، كما تفعل الأشياء أيضاً في عالمنا المألوف. هل تفقه معناي؟

سقراط: نعم، أفقه معناك تماماً.

بارمنيدس: أو لن تتطابق المعرفة ـ أعني المعرفة المطلقة ـ مع الحقيقة المطلقة؟

سقراط: بالتأكيد.

بارمنيدس: وسيتتطابق كل نوع من انواع المعرفة المطلقة مع كل نوع من انواع الوجود المطلق؟

سقراط: نعم.

بارمنيدس: لكن المعرفة التي نمتلك، ستتطابق مع المعرفة التي نمتلك وسيكون كل نوع من المعرفة التي نمتلك، معرفة لكل نوع للوجود الذي نحوز؟

سقراط: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن المثل أنفسها، كما تعترف، لا نمتلكها، ولا نستطيع حيازتها؟

سقراط: لا، لا نستطيع.

بارمنيدس: وتكون الطبائع الكليّة أو الأنواع معروفة كُلٌّ على انفراد بالمثال المطلق للمعرفة.

سقراط: نعم.

بارمنيدس: ولم نحز نحن على مثال المعرفة؟

سقراط: لا.

بارمنيدس: لا تكون واحدة من المثل معروفة إذن، لنا على الأقل، لأننا لا نمتلك حصة في المعرفة المطلقة؟

سقراط: إفترض أن لا.

بارمنيدس: ليست طبيعة الجمال في نفسه إذن، والخيِّر في نفسه، وكل المثل الأخرى التي نفترض أنها توجد بالكليّة، لا ليست معروفة لنا؟

سقراط: يظهر هكذا.

بارمنيدس: لاحظ أن هناك عاقبة غريبة باقية.

سقراط: ما هي؟

بارمنيدس: هل ستقول، أو لا تقول، أن المعرفة المطلقة، إذا وجد هكذا شيء، يجب أن تكون معرفة دقيقة أقصى من معرفتنا لحد بعيد؛ وينطبق الشيء ذاته على الجمال وعلى البقيّة الباقية.

سقراط: نعم.

بارمنيدس: ولا يكون أحدٌ أكثر احتمالاً من الله ليمتلك هذه المعرفة الأكثر دقّة، إذا استطاعت الأشياء الأخرى أن تشارك فيها على الإطلاق؟

سقراط: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن هل سيكون الله قادراً على معرفة الأشياء الإنسانية أيضاً، بما أنه يمتلك هذه المعرفة الحقيقية؟

سقراط: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لأننا قد اعترفنا، يا سقراط، أن المثل ليست شرعيّة في نسبتها إلى الأشياء الإنسانيّة؛ ولا الأشياء الإنسانيّة في نسبتها لها. إن النسب لكل منها محدَّدة طبقاً لمجالاتها الخاصة بها.

سقراط: نعم، لقد سُلِّم بذلك.

بارمنيدس: وإذا امتلك الله هذه السلطة التامة والمعرفة الكاملة، فسلطته لا تقدر أن تحكمنا، ولا معرفته تعرفنا أو تعرف أي شيء إنساني؛ تماماً كسلطتنا، فهي لا تمتد إلى الآلهة ولا معرفتنا تعرف أيّ شيء إلهي. وهكذا هم بتعادل عقلاني كونهم آلهة، لا يكونون أسيادنا، ولا يعرفون أشياء الرجال.

سقراط: مع ذلك، فإن تجريد الله من المعرفة شيء فظيع بالتأكيد.

بارمنيدس: تلك، يا سقراط، هي صعوبات قليلة وقليلة جداً وقعنا فيها إذا كانت المثل حقيقية وإذا صمَّمنا أن كل واحدة منها لتكون وحدة مطلقة. إن من يسمع ما يمكن قوله ضدَّها سينكر وجودها بشكل تام. وإذا وُجِدَتْ، سيقول

إنها يجب أن تكون غير معروفة إلى الإنسان بالضرورة؛ وسيبدو أن يكون لديه مبرّر لدعم قوله، وكما علّقنا لتوّنا، سيكون من الصعب جداً أن نقنعه. يجب أن يكون الإنسان موهوباً بطاقة فائقة جداً قبل استطاعته تعلُّمَ أنَّ كل شيء له نوع وله جوهر كلّي؛ وسيبقى الشيء الأكثر روعة هو أن من يكتشف كل تلك الأشياء بنفسه، وقد تحرّاها بشكل دقيق يقدر أن يعلّمها للآخرين.

سقراط: أتّفق معك، يا بارمنيدس، وما تقول هو ما أفكّر به تماماً.

بارمنيدس: ومع ذلك، يا سقراط، إذا ألغى الإنسان مُثُل الأشياء وأنكر أن كل شيء فرد له مثاله النهائي الذي يكون واحداً وذاته على الدوام، مركزاً انتباهه على تلك الصعوبات وما شابهها، فلن يكون لديه أي شيء يمكن لعقله أن يرتكز عليه؛ وسيدمّر طاقة التعقل هكذا تماماً. ويبدو أنك قد لاحظت ذلك بشكل خاص.

سقراط: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: لكن، ماذا سيحل بالفلسفة حينئذ؟ إلى أين ستتّجه، إذا كانت المثل غير معروفة؟

سقراط: إنني لا أرى طريقي في الوقت الحاضر بالتأكيد.

بارمنيدس: نعم، وأعتقد أن هذا ينشأ، يا سقراط، من محاولتك معرفةَ الجميل، العادل، الخيّر، والمُثل بشكل عام، بدون تدريب كافٍ مسبق. إنني لاحظت عجزك، عندما سمعتك تتكلم مع صديقك أرسطو هناك، أوّل أمس. إن الدافع الذي يحملك نحو الفلسفة نبيل وإلهي بالتأكيد؛ لكن هناك من يسمّيه السّوَقَة ثرثرة يُتصوَّر أنه غير ذي نفع غالباً. وما دمت فتيّاً فدرّب نفسك على ذلك، وإلا أفلتت من يديك.

سقراط: وما هي طبيعة هذا التمرين، يا بارمنيدس، الذي ستنصح به؟

بارمنيدس: أنه ذلك الذي سمعت زينون يمارسه. إنني أمنحك الثقة في الوقت عينه، لقولك له أنّك لم تهتم لتفحص الحيرة بشأن الأشياء المرئيّة، أو أن تتأمّل السؤال في تلك الطريقة؛ بل فعلت ذلك بشأن أهداف الفكر فقط، ولما يمكن أن يسمى مُثلاً.

سقراط: لماذا، نعم، يظهر إليّ أنه لا صعوبة هناك في أن تبيّن بهذه الطريقة أنَّ الأشياء المرئيّة متشابهة وغير متشابهة ويمكن أن تختبر أي شيء.

بارمنيدس: حقيقي تماماً، لكنني أعتقد أنك إذا رغبت في تمارين أكثر دقّة فعليك أن تذهب خطوة أبعد، وأن لا تعتبر العواقب التي تنجم من فرضية ما إذا الشيء يكون، بل تلك التي تنجم من فرضية أنه لا يكون.

سقراط: ماذا تعني؟

بارمنيدس: أعني، كمثال، في فرضيّة زينون عن الكثرة بالتحديد، عليك أن تستفسر ليس ما ستكون العواقب للكثرة فقط، في نسبتها إلى أنفسها وإلى الواحد: وإلى الواحد في نسبتها إلى نفسها وإلى الكثرة، على فرضية الوجود للكثرة، بل ماذا ستكون العواقب إلى الواحد والكثرة في علاقتها بنفسها وببعضها بعضاً، على الفرضية المضادة. أو مرّة ثانية، إذا كان التشابه أو لم يكن، ماذا ستكون العواقب في كل من الحالتين إلى مواضيع الفرضية وإلى الأشياء الأخرى فيما يختص بأنفسها وببعضها بعضاً، وهكذا عن اللاّمتشابه. ويصح الشيء نفسه عن الحركة والسكون، الكون والفساد، وحتى عن الوجود واللاّوجود. بكلمة، كلما تفترض أي شيء ليكون أو لا يكون، أو ليكون غير طبيعيّ بأيّة طريقة، يجب أن تنظر إلى العواقب فيما يختص بالشيء نفسه أو إلى اي شيء آخر تختاره: الى كل منه بمفرده، الى اكثر من واحد، إلى الكل. عليك أن تعتبر بالدور آنئذ، الأشياء الأخرى فيما يختص بأنفسها وبالموضوع الذي اخترت بحثه، مفترضاً أولاً أن هذا الموضوع (يكون)

وآنئذ أنه (لا يكون). إذا ما امتلكت تدريباً كهذا تام فهو الذي يستطيع أن يهدي وحده إلى رؤيا مقنعة للحقيقة.

سقراط: إن ذلك العمل الذي تتكلم عنه، يا بارمنيدس، هو عمل ضخم، ولا أفهمك تماماً. فهل ستأخذ فرضية ما وتتأكّد من خطواتك؟ سأفهم بشكل أفضل حينئذٍ.

بارمنيدس: إن تلك مهمة شاقة وخطيرة، يا سقراط، لتفرضها على رجل في سنّي.

سقراط: هل أنت لها إذن، يا زينون؟

زينون: أجاب بابتسامة: ـ دعنا نقدم تضرعنا إلى بارمنيدس نفسه، المحق تماماً في القول إنك مدرك بصعوبة لمدى العمل الشاق الذي تفرضه عليه. وإذا كان هناك كثرة منّا فلن أسأله، إذ لا أحد يستطيع التكلم في تلك المواضيع بجودة أمام حضور جماهيري كبير، خاصة وهو متقدم في السن. أن أكثرية الناس غير مدركة أن هذا التقدم الدائري خلال كل الأشياء هو الطريق الوحيد الذي يتمكن العقل فيه أن يحرز الحقيقة والحكمة. ولذلك، يا بارمنيدس، إنني أنضمُّ إلى تضرع سقراط، لأتمكن من سماع العملية مرّة ثانية والتي لم أسمعها منذ وقت طويل.

عندما تكلم زينون، قال بيثودوروس، في تطابق لتقرير أنتيفون عنه، إنه نفسه وأرسطو والصحابة جميعاً رجوا بارمنيدس أن يعطي مثالاً عن العملية.

قال بارمنيدس: إنني لا أستطيع الرفض؛ وأشعر مع ذلك أنني شبيه بأيبيكوس، الذي وقع في الحب رغم إرادته في سنه، مقارناً نفسه بحصانِ سباقٍ مسن، الذي كان على وشك أن يتبارى في سباق عربات، بدا مرتعشاً من الخوف في خوض سباق عرف نتيجته جيداً ـ كان هذا التشبيه تشبيهاً بنفسه. وإنني أرتجف إرتعاداً أيضاً عندما أتذكّر أيّ محيط من الكلام عليَّ أن أخوض خلاله في زمن حياتي. لكنني يجب أن أطلق لك العنان، كما

يقول زينون أنه ينبغي عليّ، وكنّا منفردين. فمن أين سأبدأ؟ وماذا سيكون افتراضنا الأول، إذا كنت لأحاول هذه الهواية المرهقة؟ هل سأبدأ بنفسي وأختار فرضيتي الخاصة للواحد، وأعتبر النتائج التي تلي من فرضية أحدهما لوجود أو للاوجود الواحد؟

زينون: بكل تأكيد.

بارمنيدس: ومن سيجيبني؟ هل سأقترح الشاب الأفتى؟ فهو لن يخلق صعوبات وهو أكثر من يقول ما يفكر به على الأرجح؛ وستمنحني أجوبته الوقت كي أتنفّس.

ارسطو: إنني الواحد الذي تعنيه، يا بارمنيدس، لأنني الشاب الأفتى وفي خدمتك، إسأل، وسأجيب.

تقدَّم بارمنيدس قائلاً: إذا الواحد يكون، ألا يستطيع أن يكون الواحد كثرة؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا يقدر الواحد أن يمتلك أجزاء إذن، ولا يستطيع أن يكون الشيء كله؟

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لأن كل جزء هو جزءٌ من الكل، أليس كذلك؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وما هو الكل؟ أليس الذي يحتاج الى جزء هو الكل؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: سيكون الواحد في كلا الحالتين إذن، مصنوعاً من الواحد؛ كونه الكل، وله أجزاء أيضاً؟

ارسطو: لتكن متأكداً.

بارمنيدس: وسيكون الواحد كثرة في كلا الحالتين. وليس واحداً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن يجب أن يكون الواحد واحداً وليس كثرة بالتأكيد؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: إذا بقي الواحد واحداً، فلن يكون الكل، ولن يمتلك أجزاء؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لكن إذا لم يمتلك أجزاء، فلن يمتلك بداية، وسطاً، ولا نهاية؛ لأن تلك ستكون أجزاء منه طبعاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: غير أن البداية والنهاية هما إذن، حدّاً كلّ شيء؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إنّ الواحد إذن، ليس له بداية ولا نهاية، وهو غير محدود؟

ارسطو: نعم، غير محدود.

بارمنيدس: ولذلك فهو عديم الشكل؛ لأنه لا يستطيع أن يشارك في المستدير أو المستقيم.

ارسطو: لكن لماذا؟

بارمنيدس: لماذا، إنّ الشكل الدائري هو ذلك الذي تكون كل نقاطه القصوى متساوية البعد من المركز؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: والخط المستقيم هو ذلك الذي يعترض المركز فيه مرأى الأطراف؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: سيمتلك الواحد أجزاءَ إذن وسيكون كثرة، إذا شارك في الشكل الدائري أو المستقيم؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن بما أنه لا يمتلك أجزاء، سيكون لا مستقيماً ولا دائرياً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إضافة إلى ذلك، كونه ذا طبيعة كهذه، لا يمكن أن يكون في أي مكان، لأنه لا يستطيع أن يكون لاا في الآخرين ولا في نفسه؟

ارسطو: كيف ذلك؟

بارمنيدس: لأنه إذا كان في الآخر، سيكون مطوّقاً بذلك الذي كان، وسيلامسه في أماكن عدة وأجزاءٍ عدّة؛ غير أن ذلك الذي يكون واحداً ولا يتجزأ، ولا يشترك في الطبيعة الدائريَّة، لا يمكن ملامسته في جميع الأنحاء من أماكن عدّة.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن إذا كان داخل نفسه، على اليد الأخرى، فذلك الذي كان محتوىً فيه سيكون نفسه بالمجرَّد. ذلك لتقول، إذا ما استطاع أن يكون داخل نفسه، لأن لا شيء يقدر أن يكون في أي شيء يحتويه.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لكن يجب أن يكون المحتوي إذن، غيراً من المحتوى؟ لأن الشيء عينه كلّه لا يستطيع أن يفعلهما ويقاسيهما معاً في الحال. إذن، فالواحد ليس واحداً بعد اليوم، بل إثنين؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يقدر الواحد أن يكون في أي مكان إذن، لا في نفسه ولا في الآخر؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: إعتبر ما هو أبعد، سواء الذي يكون من طبيعة كهذه يمكنه أن يحوز إمّا السكون أو الحركة.

ارسطو: لِمَ لا.

بارمنيدس: لماذا؟ لأن الواحد، إذا ما تحرّك، سيكون إمّا متحركاً في مكان أو متغيّراً في الطبيعة، لأن هذين هما نوعا الحركة فقط.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: والواحد، عندما يتغيّر وينقطع أن يكون نفسه، لا يستطيع أن يكون واحداً بعد اليوم.

ارسطو: لا يمكنه.

بارمنيدس: لا يمكنه أن يختبر لذلك نوع الحركة التي تكون تغييراً للطبيعة؟

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: أيمكن لحركة الواحد أن تكون في مكان إذن؟

ارسطو: لربما.

بارمنيدس: لكن إذا تحرك الواحد في مكان، ألا يجب أن يتحرك إمّا دائرياً ودائرياً في المكان عينه، أو من مكان إلى آخر؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: وذلك الذي يدور حول محوره يجب أن يرتكز فوق مركز؛ ويجب أن يمتلك أجزاء هي مختلفة عن المركز ويدور حولها. لكن الذي لا مركز له ولا أجزاء لا يمكن أن يكون محمولاً دائرياً فوق مركزٍ بالاحتمال؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لكن لربما تكمن حركة الواحد في تغيير المكان؟

ارسطو: لربما هكذا، إذا تحرّك مطلقاً.

بارمنيدس: أوَلَمْ نبيّن مسبقاً أنه لا يمكنه أن يكون في أي شيء؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: يكون إتيانه إلى الوجود إذن، أكثر استحالة، أليس كذلك؟

ارسطو: إنني لا أرى لماذا.

بارمنيدس: لماذا، لأن أي شيء يأتي إلى الوجود في آخر يجب أن يمتلك أجزاء، ويمكن لجزء واحد حينئذ أن يكون في الداخل، بينما يبقى الآخر في الخارج. لكن الذي لا أجزاء له لا يمكن أن يكون لا بكامله في الداخل ولا بكامله في الخارج متحداً بدون أيّ شيء وفي الوقت عينه.

ارسطو: لا بكل تأكيد.

بارمنيدس: ولذلك فإن أي شيء يأتي إلى الوجود في الآخر يجب أن يمتلك أجزاء، وحينئذٍ يمكن أن يكون جزء واحد في الداخل بينما يبقى الآخر خارجاً. لكن الذي لا أجزاء له لا يستطيع أن يكون متحداً أبداً وفي الوقت عينه لا داخلاً كلية بأي شيء ولا كليّة بدون أي شيء.

ارسطو: يبدو هذا صدقاً.

بارمنيدس: أوَليست هناك استحالةٌ أكبر في ذلك الذي ليس له أجزاء، وليس كاملاً، أن يأتي إلى الوجود في كل مكان بما أنه لا يقدر أن يأتي إلى الوجود إمّا كجزءٍ أو كشيءٍ كامل؟

ارسطو: يبين هكذا.

بارمنيدس: لا يغيِّر الواحد مكاناً بدورانه في البقعة عينها إذن، ولا بالذهاب في مكان ما والإتيان إلى الوجود في شيء ما؛ ولا ثانية، بالتغيير في نفسه؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: يكون الواحد غير متحرك في هذا الخصوص إذن بأي نوع من أنواع الحركة؟

ارسطو: غير متحرك.

بارمنيدس: لكن كما نؤكّد، لا يمكن للواحد أن يكون في أي شيء؟

ارسطو: نعم، قلنا ذلك.

بارمنيدس: لا يكون أبداً في الحالة عينها إذن؟

ارسطو: لِمَ لا.

بارمنيدس: لأنه إذا كان في الحالة عينها سيكون لشيء ما.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وقلنا إنه لا يستطيع أن يكون في نفسه، ولا يمكنه أن يكون في الآخر؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يكون الواحد في المكان عينه إذن؟

ارسطو: سيبدو أن لا.

بارمنيدس: لكن ذلك الذي لا يكون أبداً في المكان عينه لا يكون هادئاً أو ساكناً أبداً؟

ارسطو: أبداً.

بارمنيدس: لا يكون الواحد، كما يبدو إذن، في سكون أو في حركة معاً؟

ارسطو: يظهر هكذا بالتأكيد.

بارمنيدس: لا لن يكون الشيء عينه منع نفسه أو الآخر؛ ولا ثانية، غيراً من نفسه أو الآخر.

ارسطو: كيف يكون ذلك؟

بارمنيدس: إذا كان غيراً من نفسه سيكون غيراً من الواحد، ولن يكون واحداً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وإذا كان الشيء عينه مع الغير، سيكون ذلك الغير،وليس نفسه؛ لن يمتلك طبيعة الواحد، هكذا على هذه الفَرضية أيضاً، بل سيكون غيراً من الواحد؟

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: لن يكون الشيء نفسه مع الغير إذن، أو غيراً من نفسه؟

ارسطو: لن يكون.

بارمنيدس: لا ولن يكون غيراً من الغير، في حين يبقى واحداً، إذ ليس الواحد بل الغير فقط، يستطيع أن يكون غيراً من الغير، ولا شيء آخر.
ارسطو: حقاً.
بارمنيدس: لن يكون غيراً إذن نظراً لكونه واحداً.
ارسطو: لا بالتأكيد.
بارمنيدس: لكن إذا لم يكن نظراً لكونه واحداً، ليس بالنظر لنفسه؛ وإذا لم يكن بالنظر لنفسه، لن يكون نفسه غيراً؛ وغير كونه الغير على الإطلاق، لن يكون غيراً من أي شيء؟
ارسطو: صحيح.
بارمنيدس: لا لن يكون الواحد الشيء عينه مع نفسه.
ارسطو: كيف لا؟
بارمنيدس: إن طبيعة الواحد ليست طبيعة الشيء ذاته بالتأكيد؟
ارسطو: لِمَ لا؟
بارمنيدس: ليس عندما يصبح أيٌّ شيءٍ الشيءَ عينه مع أي شيء أنه يصبح واحداً.
ارسطو: ماذا عن ذلك؟
بارمنيدس: أي الشيء الذي سيصير الشيء نفسه مع أي شيء، سيصبح كثرة وليس واحداً بالضرورة.
ارسطو: حقاً.
بارمنيدس: لكن إذا لم يكن هناك أي فرق بين الواحد والشيء نفسه، سيصير واحداً دائماً، عندما يصبح الشيء نفسه. وعندما يصير واحداً، فالشيء نفسه؟
ارسطو: بالتأكيد.
بارمنيدس: ولذلك، إذا كان الواحد الشيء عينه مع نفسه، لن يكون واحداً مع

نفسه، وسيكون لذلك واحداً وليس واحداً أيضاً. إن ذلك مستحيل بالتأكيد لا يستطيع أن يكون الواحد غيراً من الغير لذلك، ولا الشيء عينه مع نفسه.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: وعلى هذا النحو لا يقدر الواحد أن يكون الشيء عينه ولا غيراً، لا بالنسبة إلى نفسه ولا إلى الغير؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لا لن يكون الواحد شبيهاً بأي شيء، أو غير شبيه بنفسه أو الغير.

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لأن الشبه يكون عين الشيء للصفات.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وقد أُظهر الشيء عينه ليكون ذا طبيعة متميزة من الواحد.

ارسطو: قد أُظهِرَ ذلك.

بارمنيدس: لكن إذا كان لدى الواحد أية صفة غيراً من ذلك كونه واحداً، فسيكون متكلِّفاً في طريقة كهذه ليكون أكثر من واحد. وهذا شيء مستحيل.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يستطيع الواحد إذن أن يكون متكلفاً هكذا أبداً ليكون الشيء نفسه مع الغير أو مع نفسه كليهما؟

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: لا يستطيع إذن أن يكون شبيهاً بالغير أو شبيهاً بنفسه.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا يستطيع أن يكون موصوفاً هكذا ليكون آخر، لأنه سيكون موصوفاً حينئذ بطريقة كهذه ليكون أكثر من واحد.

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: إن الذي يكون موصوفاً بتغاير عن نفسه أو الآخر، سيكون غير شبيه بنفسه أو الآخر، لأن عينْ الشبه للصفة يكونْ تشابهاً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: غير أن الواحد، كما يظهر، إذا لم يكن موصوفاً أبداً بطريقة أخرى، لا يكون أبداً غير شبيه بنفسه أو بالآخر.

ارسطو: أبداً.

بارمنيدس: لن يكون الواحد إذن شبيهاً أو غير شبيه بنفسه أو بالآخر أبداً؟

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: ثانية، كونه من هذه الطبيعة، لا يمكن أن يكون متساوياً أو غير متساوٍ لا بنفسه ولا بالآخر.

ارسطو: كيف يكون ذلك ؟

بارمنيدس: لماذا، لأن الواحد يجب أن يكون من نفس مقاييس ما يساويه.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وإذا كان أكثر أو أقل من الأشياء المكافئة سيمتلك الواحد مقاييس أكثر الأقل، أقل من الأكثر.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وهكذا عن الأشياء التي لا تكون متكافئة معه، سيمتلك الواحد مقاييس أكثر من ذلك الذي يكون أقل وأقل من ذلك الذي يكون أكثر.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن كيف يستطيع ذلك الذي لا يشترك في الشبه أن يمتلك المقاييس عينها، أو يمتلك أي شيء آخر على النحو عينه؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: وعدم امتلاكه للمقاييس عينها، لا يستطيع الواحد أن يكون متساوياً مع نفسه أو مع الآخر؟

ارسطو: يبدو ذلك.

بارمنيدس: لكن مرة ثانية، سواء امتلك مقاييس أقل أو أكثر، سيمتلك أجزاءً بقدر ما يمتلك مقاييس. وهكذا لن يكون الواحد بعد اليوم واحداً مرة ثانية بل سيكون له أجزاء كثيرة بقدر ما له مقاييس.

ارسطو: إنه يمتلك.

بارمنيدس: لن يشارك في مقياس واحد إذن، ولا في مقاييس عدة، ولا في قلّة، ولا في الشيء عينه على الإطلاق؛ ولا يكون أكثر أو أقل من نفسه، أو الآخر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: حسناً، وهل نفترض أن الواحد يستطيع أن يكون أكبر سناً أو أفتى من أي شيء، أو من العمر عينه معه؟

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لماذا، لأن ذلك الذي يكون من العمر عينه مع نفسه أو الآخر، يجب أن يشترك في المساواة أو التشابه في الوقت عينه؛ وقلنا إن الواحد لم يشترك لا في المساواة ولا في التشابه؟

ارسطو: قلنا هكذا.

بارمنيدس: وقلنا أيضاً إنّه لا يشترك في اللاّمساواة، أو في اللاتشابه.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: كيف يقدر الواحد إذن، كونه من هذه الطبيعة، أن يكون إما أكبر سناً أو أفتى من أي شيء، أو يمتلك العمر عينه معه؟

ارسطو: ليس في أيّة طريقة.

بارمنيدس: لا يمكن للواحد أن يكون أكبر سناً أو أفتى إذن، أو بالعمر نفسه، لا مع نفسه ولا مع الآخر؟

ارسطو: لا بجلاء

بارمنيدس: لا يمكن للواحد إذن، كونه من هذه الطبيعة، أن يكون في الزمن مطلقاً؛ إذ ألا يجب أن يكون الذي في الزمن أن يكون أكبر سناً من نفسه دائماً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: والأكبر سناً إذن، يجب أن يكون دائماً أكبر سناً من شيء ما أفتى؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إذن، ذلك الذي يصبح أكبر سناً من نفسه، يصبح أيضاً أفتى من نفسه في الوقت عينه، إذا كان ليمتلك شيئاً ما ليصبح أكبر سناً منه.

ارسطو: ماذا تعني؟

بارمنيدس: أعني هذا: ـ لا يحتاج الشيء ليصير مختلفاً عن شيء آخر مختلف عنه قبلاً. هو (يكون) مختلفاً، وإذا اختلافه قد يصبح، فقد أصبح مختلفاً؛ إذا اختلافه سيكون، سيكون مختلفاً. لكن عن ذلك الذي يكون مصبحاً مختلفاً، لا يمكن أنه قد كان، أو أنه على وشك أن يكون، أو مع ذلك يكون، مختلفاً ـ يكون الاختلاف واحداً فقط الذي هو مصبحاً.

ارسطو: لا مناص من ذلك.

بارمنيدس: الأكبر سناً يكون بالتأكيد، متبايناً بالنسبة إلى الأفتى، وليس إلى شيء آخر.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إذن فإن ذلك الذي يصبح أكبر سناً من نفسه يجب أن يصبح أفتى من نفسه أيضاً، في الوقت عينه؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكنها حقيقة مرّة ثانية، وهي أنه لا يستطيع أن يصبح لوقت أطول أو

لوقت أقصر من نفسه، بل يجب أن يصبح، ويكون، وقد يصبح، ويكون على وشك ليكون في الوقت عينه مع نفسه.

ارسطو: لا مناص مَن ذلك مرّة ثانية.

بارمنيدس: يجب أن تكون الأشياء التي هي في الزمن إذن، وتشترك فيه، أفترض أنها يجب أن تكون في كل حالة، في العمر عينه مع انفسها. ويجب أن تصبح أيضاً وحالاً أكبر سناً وأفتى من انفسها؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكن الواحد لم يشترك في تلك الصفات؟

ارسطو: ليس على الإطلاق.

بارمنيدس: لا يشترك في الزمن إذن، ولا يكون في أي وقت؟

ارسطو: هكذا تبيّن المحاورة.

بارمنيدس: حسناً، لكن ألا تظهر العبارات (كان) و(قد يصبح) و(كان مصبحاً) إشتراكاً في وقت مضى؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: أوَلا تفيد العبارات (سيكون)، (سيصبح)، (ولسوف يصبح) إشتراكاً في وقت مستقبلي؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وتدل (يكون)، أو (يصبح) على إشتراك في وقت حاضر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وإذا كان الواحد كليّاً بدون اشتراك في الزمن، فلا هو قد يصبح أبداً، وأنه كان مصبحاً، أو كان في أي زمن، أو أنه يصبح الآن، أو يكون مصبحاً أو يكون، أو سيصبح، أو قد يصبح، أو سيكون من الآن فصاعداً.

ارسطو: الأكثر حقيقة.

بارمنيدس: لكن أهل توجد أيّة أَشكالٍ لمشاركة الوجود غيراً من تلك؟

ارسطو: لا يوجد أيّاً منها.

بارمنيدس: لا يستطيع الواحد إذن المشاركة في الوجود بالاحتمال؟

ارسطو: ذلك هو الاستنتاج.

بارمنيدس: لا يكون الواحد على الإطلاق إذن؟

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: لا يوجد الواحد في طريقة كهذه إذن ليكون واحداً؛ لأنه إذا كان ويشارك في الوجود، سيكون من قبل. لكن إذا كنّا لنثق في المحاورة، لا يكون الواحد ولا هو بواحد.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن ذلك الذي لا يكون لا يفسح في المجال للصفة المميّزة أو النسبة؟

ارسطو: لا بالطبع.

بارمنيدس: لا إسم له إذن، ولا تعبير، ولا قوة إدراك، ولا رأي، ولا معرفة؟

ارسطو: لا بجلاء.

بارمنيدس: لا يكون الواحد مسميً إذن، ولا معبَّراً عنه، ولا مُعطى رأياً، ولا معروفاً، ولا يفعل أي شيء يدركه.

ارسطو: يجب أن نستنتج ذلك.

بارمنيدس: لكن أيمكن أن يكون كل هذا-حقيقياً عن الواحد؟

ارسطو: لا أعتقد.

بارمنيدس: إفترض الآن، أننا سنعود مرّة أخرى للفرضية الأصليّة؛ دعنا نرى إذا ظهر أي منحى جديد للسؤال، بعد مزيد من إعادة النظر.

ارسطو: سأكون سعيداً جداً لأفعل هذا.

بارمنيدس: قلنا إنه يجب علينا أن نستخلص معاً كل النتائج التي تلي، مهما كانت، إذا الواحد يكون؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: سنبدأ من البداية إذن: ـ إذا الواحد يكون، أيستطيع الواحد أن يكون، ولا يشترك في الوجود؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: سيمتلك الواحد وجوداً إذن، لكن وجوده لن يكون ذاته مع الواحد؛ لأنه إذا كان الشيء عينه، فلن يكون وجوداً للواحد؛ ولا الواحد قد شارك في الوجود، لأن قضيّة أن الواحد يكون ينبغي أنها قد كانت مماثلة مع قضية أن الواحد يكون واحدا. لكن ليست فرضيتنا « إذا كان الواحد واحداً، ماذا سيلي »، بل إذا « الواحد يكون » ـ ألست محقاً؟

ارسطو: محق تماماً.

بارمنيدس: نعني، ان الوجود ليس له المدلول عينه كالواحد؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: وعندما نضعهما معاً بعد وقت قليل، ونقول « الواحد يكون »، فذلك مساوٍ للقول « يشترك في الوجود »؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: دعنا نسأل مرّة ثانية آنئذ، « إذا الواحد يكون ماذا سيتبع »؟ ألا تدل هذه الفرضية ضمناً أن الواحد يكون من طبيعة كتلك التي كأنها تمتلك أجزاء؟

ارسطو: كيف هذا؟

بارمنيدس: في هذه الطريقة: ـ إذا أُعلن الوجود أو البقاء لوجود الوحدة، ووحدة الوجود المتّحد، والوحدة لا تكون الشيء عينه كالوجود أو البقاء بل تخص للشيء المتحد عينه الذي قد افترضنا صحته ـ ألا يجب أن تكون، (وحدة الوجود) كاملة، التي تكون الوحدة والوجود أجزاؤها؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وهل يكون كل من هذين الإثنين ـ الواحد والوجود ـ ليدعى جزءاً بكل بساطة، أو يجب أن تكون الكلمة (جزءاً) لها صلة بالكلمة (الكل)؟

ارسطو: الآخر.

بارمنيدس: إن ذلك الذي يكون واحداً هو كلٌّ وله جزء إذن؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: مرّة ثانية، عن أجزاء الواحد الموجود، ـ أعني الكائن والواحد ـ هل يخفق كلٌّ منهما في الدلالة على الآخر؟ هل يحتاج الواحد إلى الموجود، أو الموجود إلى الواحد؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: هكذا، إن كل الأجزاء تمتلك بالدور أيضاً الواحد والكائن كلاهما، وهي مصنوعة من جزأين على أقل تقدير. ويستمر المبدأ ذاته إلى الأبد، ويمتلك كل جزء مهما كان هذين الجزئين لأن الكائن يتطلب واحداً على الدوام، والواحد كائناً. هكذا فإن الواحد يكون مختفياً دائماً، ومصبحاً إثنين.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وهكذا يجب أن يكون الواحد غير محدود في الكثرة؟

ارسطو: بجلاء.

بارمنيدس: دعنا نسلك اتجاهاً آخر.

ارسطو: أي اتجاه؟

بارمنيدس: نحن نقول إنّ الواحد يشترك في الوجود ولذلك فهو يكون؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وإذا امتلك الواحد وجوداً، في هذه الطريقة، فلقد أصبح متعدداً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن دعنا الآن نجرّد الواحد الذي كما نقول أنه يشترك في الوجود، ونحاول أن نتصوَّره بعيداً من ذلك الذي، كما نقول أنه يشارك فيه، فهل سيكون هذا الواحد المجرَّد واحداً فقط أو متعدداً؟

ارسطو: أعتقد أنه سيكون واحداً.

بارمنيدس: دعنا نرى. ألا يجب أن يكون الوجود واحداً غيراً من الواحد؟ لأن الواحد ليس معتبراً كائناً بل كواحد اشترك في الوجود فقط ؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا كان الوجود والواحد شيئين مختلفين، ليس لأنْ الواحد يكون واحداً ذلك أنه غيرٌ من الواحد؛ ولا بسبب أن الوجود يكون وجوداً ذلك أنه غيرٌ من الواحد؛ لكنهما يختلفان عن بعضهما البعض نظراً للاختلاف والفرق.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: هكذا فإن الغير ليس الشيء ذاته ـ إما مع الواحد أو مع الوجود.

ارسطو: لا بالتأكيد.

بارمنيدس: ولذلك سواء أخذنا الوجود والغير، أو الوجود والواحد، أو الواحد والغير، فإننا نأخذ شيئين إثنين في كل حالة، يمكن أن يسمى كلاهما بحق.

ارسطو: كيف ذلك؟

بارمنيدس: بهذه الطريقة ـ يمكنك أن تتكلم عن الوجود؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وعن الواحد أيضاً.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لقد تكلمنا عنهما كليهما الآن إذن؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: حسناً، وعندما أتكلم عن الوجود وعن الواحد، أتكلم عنهما كليهما؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وإذا تكلمت عن الوجود والغير، أو عن الواحد والغير، ألا أكون متكلماً عنهما في أية حالة كهذه؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: أوَلا يجب أن يكون ذلك الذي يدعى كليهما، إثنين أيضاً؟

ارسطو: بدون شك.

بارمنيدس: وعن شيئين إثنين كيف لا يستطيع أن يكون منهما واحد بأي إحتمال؟

ارسطو: لا يستطيع.

بارمنيدس: إذا كانا زوجين من الأفراد معاً إثنين، يجب أن يكونا واحداً كلٌ على إنفراد؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: وإذا كان كل منهما واحداً، فبإضافة واحد إلى أي زوج إذن، يصبح الكل ثلاثة؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وتكون الثلاثة مفردة، والإثنان مزدوجين؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وإذا وُجِد إثنان يجب أن تكون هناك مرّتان، وإذا وجد ثلاثة يجب أن يكون هناك ثلاث مرّات. ذلك إذا خُلق الواحد مرتين إثنتين، والواحد ثلاث مرّات ثلاثة؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: هناك إثنان، ومرّتان إثنان، ويجب لذلك أن يوجد مرّتان إثنان إثنين؛ ويوجد ثلاثة، ويوجد ثلاث مرّات، ويجب أن يوجد لذلك ثلاث مرّات ثلاثة؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: إذا وجد ثلاثة وثلاث مرّات، هناك ثلاث مرات ثلاثة؛ وإذا وجد إثنان وثلاث مرّات، فهناك ثلاث مرات إثنين؟

ارسطو: بدون شك.

بارمنيدس: لقد كان لدينا المزدوج هنا إذن، مأخوذاً أوقاتاً مزدَوَجاً، والمفرد مأخوذاً أوقاتاً مفرَدَاً، والمزدوج مأخوذاً أوقاتاً مفرداً، والمفرد مأخوذاً أوقاتاً مزدوجاً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وإذا كان هذا كذلك، أيبقى أي رقم ليس له بقاء بالضرورة؟

ارسطو: لا، مهما كان.

بارمنيدس: إذا الواحد يكون إذن، يجب أن يكون العدد أيضاً؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: لكن إذا وجد العدد، يجب أن يكون هناك كثرة، وكثرة غير محدودة للوجود؛ لأن العدد غير محدود في الكثرة، ويشترك في الوجود أيضاً؛ ألستُ محقاً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وإذا شاركت كل الأعداد في الوجود، فسيشارك فيه كل جزء من أجزاء العدد؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: يكون الوجود موزَّعاً إذن فوق الكثرة الكاملة للأشياء، ولا شيء الذي يكون، مهما يكن كبيراً أو صغيراً، هو خالٍ منه؟ وحقاً، إن هذا الافتراض مضحك بحد ذاته، إذ كيف يمكن أن يكون ذلك الذي يجرَّد من الوجود؟

ارسطو: ليس في أيّة طريقة.

بارمنيدس: وإنه يكون مقسماً إلى الأكبر والأصغر، وإلى الوجود من كل الأحجام، ومحطّماً أكثر من كل الأشياء. إن قسمته لا نهاية لها.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إنه يمتلك العدد الأكثر من الأجزاء إذن؟

ارسطو: نعم، العدد الأكبر.

بارمنيدس: أيوجد أي من تلك الأجزاء التي تكون جزءاً من الوجود، وليست جزءاً مع ذلك؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لكن إذا كان الواحد هو على الإطلاق، يجب أن يكون، طالما بقي كما يكون، شيئاً واحداً ما، ولا يقدر أن يكون لا شيء؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يتصل الواحد إذن بكل جزء فرد من الوجود، ولا يفشل في أي شيء، سواء كان كبيراً أو صغيراً، أو مهما كان حجمه؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن فكّر ملياً: ـ أيستطيع الواحد، أن يكون في مجموعِهِ، في عدة أماكن في الوقت عينه؟

ارسطو: لا؛ إنني أرى استحالة في ذلك.

بارمنيدس: وإذا لم يكن في مجموعِهِ، فإنه يكون مقسماً إذن؛ لأنه لا يتمكن أن يكون حاضراً مع كل أجزاء الوجود ما لم ينقسم؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وسيكون الذي له أجزاء بقدر ما تكون تلك الأجزاء؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لقد كنا مخطئين في القول لتوّنا إذن إن الوجود كان موزّعاً في العدد

الأكبر من الأجزاء، لأنه لا يكون موزّعاً إلى أكثر أجزاء من الواحد، بل إلى العدد ذاته. الواحد ليس محتاجاً للوجود أبداً، أو الوجود إلى الواحد، لكن كونهما اثنين فهما متساويان وشاملان.

ارسطو: إن ذلك حقيقي بكل تأكيد.

بارمنيدس: بما أن الواحد قد فُضّ إلى أجزاء بالوجود إذن، فهو متعدد ولا نهائي؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يكون الواحد الذي يمتلك وجوداً متعدّداً فقط إذن، بل يجب أن يكون الواحد عينه، موزّعاً بالوجود. يجب أن يكون متعدداً أيضاً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: بالإضافة إلى ذلك، ولأنّ الأجزاء هي أجزاء للكل، سيكون الواحد محدوداً، كمجموعة؛ إذ أليست الأجزاء محتواة بالكل؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: ويكون ذلك الذي يحتوي حداً؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: إذا امتلك الواحد وجوداً فهو واحدٌ ومتعددٌ إذن، تام وأجزاء، له حدود وغير محدود في العدد مع ذلك؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: ولأنّه يمتلك حدوداً، يمتلك أطرافاً أيضاً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وإذا كان تامّاً، فله بداية ووسط ونهاية. إذ كيف يقدر أي شيء أن يكون تامّاً بدون تلك الثلاثة؟ وإذا كان أي منها محتاجاً لأيّ شيء، أيكون ذلك تامّاً بعد الآن؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: سيكون لدى الواحد إذن، كما يظهر، بداية ووسط ونهاية؟
ارسطو: سيكون.
بارمنيدس: لكن سيكون الوسط، مرّة ثانية، متساوي البعد على الطرفين؛ أو لن يكون في الوسط؟
ارسطو: نعم.
بارمنيدس: سيشارك الواحد في الشكل إذن، إمّا في الشّكل المسطّح أو الكرويّ أو في اتحادهما.
أرسطو: حقاً.
بارمنيدس: وإذا كانت هذه هي الحالة، سيكون في نفسه وفي الآخر كليهما أيضاً.
ارسطو: كيف؟
بارمنيدس: كل جزء يكون في الكلّ، ولا شيء خارج الكلّ.
ارسطو: حقاً.
بارمنيدس: وكلّ الأجزاء يحتويها الكُلّ؟
ارسطو: نعم.
بارمنيدس: ويكون الواحد كل أجزائه، وليس أكثر ولا أقل من الكل؟
ارسطو: لا.
بارمنيدس: ويكون الواحد هو التام؟
ارسطو: طبعاً.
بارمنيدس: لكن إذا كانت كلُّ الأجزاء في الكلّ، وكان الواحد هو كلّها وهو التامّ، وكانت كلّها محتواة بالتامّ، سيكون الواحد محتوىً بالواحد؛ وهكذا سيكون الواحد في نفسه.
ارسطو: إن ذلك لحق.
بارمنيدس: لكن إذن، مرّة ثانية، لا يكون التامّ في الأجزاء ـ ولا في الأجزاء كلّها، ولا في واحد منها. لأنه إذا كان في الكلّ، فيجب أن يكون في الواحد.

لأنه إذا وجد واحد ليس فيه، لا يمكنه أن يكون في جميع الأجزاء، لأنّ الجزء الذي يفتقر له هو واحد من الكلّ، وإذا لم يكن التامّ في هذا، كيف يمكنه أن يكون فيها كلها؟

ارسطو: لا يستطيع.

بارمنيدس: ولا يستطيع التام أن يكون في بعض الأجزاء؛ لأنه إذا كان التامّ في بعض الأجزاء، سيكون الأكثر في الأقلّ، وهذا مستحيل.

ارسطو: نعم، مستحيل.

بارمنيدس: لكن إذا لم يكن التامّ في الواحد، ولا في أكثر من واحد، ولا في كلّ الأجزاء، يجب أن يكون في شيء آخر ما، أو ينقطع عن أن يكون في مكان ما على الإطلاق؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا لم يكن في أيّ مكان، سيكون لا شيء؛ لكنّ كونه تاماً، وليس كونه في نفسه، يجب أن يكون في ثانٍ.

ارسطو: حقيقيّ تماماً.

بارمنيدس: يكون الواحد، معتبراً كتامٍّ، في ثانٍ، لكن معتبراً ككونه كل أجزائه، يكون في نفسه. يجب أن يكون الواحد لذلك نفسه في نفسه وفي ثانٍ أيضاً.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: كون الواحد إذن، بهذه الطبيعة، هو بالضرورة في سكون وفي حركة كليهما.

ارسطو: كيف؟

بارمنيدس: يكون الواحد في سكون بما أنه في نفسه؛ لأنّ كونه في واحد، وغير خارج من هذا فهو في نفس الشيء، أي في نفسه.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وذلك الذي يكون في نفس الشيء أبداً، يجب أن يكون في السكون أبداً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: حسناً، أو ليس ذلك الذي يكون في ثان أبداً، على العكس، فهو ليس في ذات الشيء؛ وإذا لم يكن في ذات الشيء، فليس في سكون، وإذا لم يكن في سكون، ففي حركة؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إذن، كون الواحد نفسه في نفسه وفي آخر على الدوام، يجب أن يكون في سكون وفي حركة معاً دائماً؟

ارسطو: على ما يبدو.

بارمنيدس: أبعد من ذلك، يجب أن يكون الشيء عينه مع نفسه، وغيراً من نفسه. والشيء عينه مع الآخرين أيضاً، وغيراً من الآخرين. ويتبع هذا من الصفات السابقة.

ارسطو: كيف ذلك.

بارمنيدس: إنّ كل شيء، في صلته بكل شيء آخر هو إمّا الشيء عينه أو غير؛ أو إذا لم يكن الشيء نفسه ولا الآخر، ففي صلة الجزء بالكلّ إذن، أو الكل بالجزء.

ارسطو: على ما يبدو.

بارمنيدس: وهل يكون الواحد جزءاً من نفسه؟

ارسطو: لا، بالتأكيد.

بارمنيدس: بما أنّه ليس جزءاً في صلته بنفسه لا يستطيع أن يكون متّصلاً بنفسه ككلٍّ للجزء؟

ارسطو: لا يستطيع.

بارمنيدس: لكن أيكون الواحد غيراً من الواحد؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولذلك ليس غيراً من نفسه؟

ارسطو: لا، بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا لم يكن غيراً إذن ولا تامّاً، ولا جزءاً في علاقته بنفسه، ألا يجب أن يكون الشيء عينه مع نفسه؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن إذن، مرّة ثانية، إنّ الشيء الذي يكون في مكان آخر من (نفسه)، إذا بقيت هذه الـ(نفسه) في المكان عينه مع نفسه، يجب أن يكون غيراً من (نفسه)، لأنه سيكون في مكان آخر؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: قد أُظهِر الواحد إذن ليكون في نفسه وفي الآخر حالاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: هكذا، سيكون الواحد اذن، كما يبدو، غيراً من نفسه.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: حسناً، إذن، إذا كان أيّ شيء غيراً من أي شيء، ألن يكون غيراً من ذلك الذي يكون غيراً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: أو لن تكون كلّ الأشياء التي ليست واحدة، غيراً من الواحد، والواحد غيراً من التي ليست واحدة؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: سيكون الواحد غيراً من الآخرين إذن؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن، اعتبر: ألاَ يكون الشيء المطلق عينه، وغير المطلق، مضادَّين بعضهما لبعض؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: هل سيكون الشيء عينه في الغير أبداً إذن، أو الغير في الشيء عينه؟

ارسطو: لن يكونا.

بارمنيدس: ما دام الغير لا يكون في الشيء عينه أبداً، إذن لا يوجد شيء ما يكون فيه الغير خلال أيّة مدة من الزمن، إذ خلال تلك المدة من الزمن، مهما تكن قليلة، سيكون الغير في الشيء عينه. أليس ذلك صحيحاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لن يكون الغير في اللاواحد أبداً إذن، ولا في الواحد؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: ليس بسبب المغايرة يكون الواحد غيراً من اللاّواحد، أو اللاّواحد غيراً من الواحد؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا بسبب أنفسهما سيكونان غيراً من بعضهما بعضاً، إذا كانا غير مشترَكين في الغير.

ارسطو: كيف يمكنهما أن يكونا؟

بارمنيدس: لكن إذا لم يكونا غيراً، إمّا بسبب أنفسهما أو بسبب الغير، ألن يفرّا جملة كونهما غيراً من بعضهما بعضاً؟

ارسطو: سيفعلان.

بارمنيدس: مرّة ثانية، لا يستطيع الواحد أن يشارك فيّ الواحد؛ وإلاّ فلم يكن لا واحداً، بل قد كان واحداً بطريقة ما.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: ولا يمكن للاّواحد أن يكون عدداً؛ لأنه بامتلاكه رقماً، لم يكن لا واحداً على الإطلاق؟

ارسطو: لم يكن عدداً.

بارمنيدس: مرّة ثانية، ألا يكون اللاّواحد جزءاً من الواحد؛ أو بالأحرى، ألن يشترك في الواحد، في تلك الحالة؟

ارسطو: سيفعل.

بارمنيدس: إذا كان الواحد واللاّواحد مميّزين إذن، في كل وجهة نظر، لا يكون الواحد آنئذ جزءاً أو متمّماً للاّواحد، ولا يكون اللاّواحد جزءاً أو متمّماً للواحد؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لكنّنا قلنا إنّ الأشياء التي ليست أجزاء ولا متمّمة لبعضها بعضاً ولا غيراً من بعضها بعضاً، ستكون الشيء عينه مع بعضها بعضاً. قلنا هكذا.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: هل ستقول إنّ الواحد إذن، كونه في هذه الصلة إلى اللاّواحد، هو الشيء عينه معه؟

ارسطو: دعنا نقول هذا.

بارمنيدس: إنّه يكون الشيء عينه مع نفسه ومع الغير إذن، وغيراً من نفسه ومن الآخرين أيضاً؟

ارسطو: يظهر ذلك أنّه الاستنتاج.

بارمنيدس: وهل سيكون شبيهاً وغير شبيه بنفسه وبالغير على حدّ سواء أيضاً؟

ارسطو: لربّما.

بارمنيدس: بما أنّ الواحد كان مبيّناً ليكون غيراً من الغير، سيكون الغير أيضاً غيراً من الواحد؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ويكون الواحد غيراً من الغير في الدرجة عينها التي يكون فيها الغير غيراً منه، لا أكثر ولا أقلّ؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وإذا لم يكن لا أكثر ولا أقلّ، ففي درجة مشابهة إذن؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: نظراً للصفة التي يكون الواحد بها غيراً من الغير والغير في أسلوب مماثل غيراً منه، سيكون الواحد متكلّفاً شبه الغير والغير شبه الواحد.

ارسطو: ماذا تعني؟

بارمنيدس: يمكنني أن آخذ كشرحٍ حالة الأسماء: أنت تعطي إسماً لشيء؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ويمكنك أن تقول الإسم مرّة أو غالباً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وعندما تقوله مرّة، فأنت تذكر ذلك الذي يكون الإسم. وعندما تقوله أكثر من مرّة فانك عندها تذكر شيئاً آخر أوْ يجب أن يكون الشيء عينه الذي تتكلّمه على الدوام، سواء نطقت الإسم مرّة أو أكثر من مرّة؟

ارسطو: إنه الشيء عينه طبعاً.

بارمنيدس: أو ليس الـ(غير) إسماً معطى لشيء ؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: كلّما استعملت كلمة(غير) إذن، سواء مرّة أو غَالباً، فأنت تسمّي ذلك الذي يكون الإسم، ولا تعطي الإسم لأيِّ غير؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: عندما تقول إذن إنّ الآخرين غيرٌ من الواحد، والواحد غيرٌ من الآخرين، ففي تكرارنا لكلمة (غير) نتكلم نحن عن تلك الطبيعة التي يطبق الإسم عليها، ولا شيء آخر؟

ارسطو: حقيقيّ تماماً.

بارمنيدس: إنّ الواحد الذي يكون غيراً من الغير إذن، والغير الذي يكون غيراً من الواحد، سيكون بقدر ما تكون كلمة (غير) منطبقة عليهما معاً سيكون في الحالة عينها؛ لأنّ الذي يكون في الحالة عينها يكون متشابهاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: إذن، بمقتضى الصّفة التي يكون الواحد بها غيراً من الغير، سيكون كل شيء شبيهاً بكلّ شيء، لأنّ كلّ شيء هو غير من كل شيء.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يكون الشبيه إذن مضادّاً لغير الشبيه؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: والغير إلى الشيء ذاته؟

ارسطو: حقاً، مرّة ثانية.

بارمنيدس: ولقد أُظهر الواحد أيضاً ليكون الشيء عينه مع الغير؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وليكون الشيء عينه مع الغير هو مضاد لكونه غيراً من الغير؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وفي ذلك كان غيراً. لقد أظهر أنه كان متشابهاً.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ولكن في ذلك أنه كان الشيء عينه سيكون غير متشابه بموجب الصفة المضادّة لذلك الذي جعله شبيهاً. وهذه كانت صفة الغير.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: سيجعله ذات الشيء غير متشابه إذن؛ وإلاّ فلن يكون مضادّاً للغير.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: سيكون الواحد إذن متشابهاً وغير متشابه معاً؛ متشابهاً بقدر ما يكون غيراً، وغير متشابه بقدر ما يكون الشيء عينه.

ارسطو: نعم، يمكن استعمال تلك المحاورة.

بارمنيدس: هناك محاورة أخرى.

ارسطو: ما هي.

بارمنيدس: بقدر ما يكون موصوفاً في الطريقة نفسها فلن يكون يكون موصوفاً بطريقة أخرى. وكونه غير موصوف بطريقة أخرى لا يكون غير متشابه، وكونه غير متشابه يكون متشابهاً. لكنه بقدر ما هو موصوف بالغير فهو بطريقة أخرى، وكونه موصوفاً بطريقة أخرى، يكون غير متشابه.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لأنّ الواحد يكون الشيء عينه مع الغير وغيراً من الغير إذن، سيكون، على كلٍّ من هاتين الأرضيتين، أو عليهما معاً، متشابهاً وغير متشابه بنفسه؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وكونه في الطريقة عينها غيراً من نفسه والشيء عينه مع نفسه، سيكون على كل من هاتين الأرضيتين، أو عليهما معاً، شبيهاً وغير شبيه بنفسه.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: مرّة ثانية، إلى أي مدىً يمكن للواحد أن يلامس أو لا يلامس نفسه والآخرين؟ تأمّل.

ارسطو: إنني لمتأمّل.

بارمنيدس: لقد أُظهر الواحد ليكون في نفسه الذي كان تامّاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وفي الأشياء الأخرى أيضاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: سيلامس الأشياء الأخرى بقدر ما يكون في الأشياء الأخرى. لكن بقدر ما يكون في نفسه سيكون ممنوعاً من ملامستها، وسيلامس نفسه فقط.

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: يكون الاستنتاج إذن أنّه سيلامسهما معاً.

ارسطو: سيلامس.

بارمنيدس: لكن ماذا ستقول لوجهة نظر جديدة؟ ألا يجب أن يكون الذي يلامس الآخر بالقرب من الذي يلامِسُ، ويشغل المكان بجوار الذي يكون فيه نفسه؟

ارسطو: يجب عليه.

بارمنيدس: وسيُحتاج أنّ الواحد يجب أن يكون إثنين، وأن يكون في مكانين حالاً، ولن يحدث هذا أبداً ما دام هو واحداً.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لا يكون محتملاً للواحد أن يلامس نفسه من أن يكون واحداً بعد الآن؟

ارسطو: ليس بعد الآن.

بارمنيدس: ولا أن يلامس الآخرين.

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: السبب هو، أنه مهما كان ليلامس الغير يجب أن يكون في انفصال عن، وقريباً من ذلك الذي سيلامس، ولا يمكن لشيء ثالث أن يكون بينهما.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: شيئان إثنان، إذن، على الأقلّ هما ضروريان ليجعلا الملامسة محتملة؟

ارسطو: إنهما لكذلك.

بارمنيدس: وإذا أضيف ثالث إلى الإثنين في نظام مناسب، سيكون رقم المدة ثلاثاً والملامستان إثنتين؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ويضع كل أجلٍ إضافي ملامسة إضافية، لذلك يتبع أنّ الملامستين هما أقل بواحد في الرقم من المدة؛ الأجلين الأولين تعدّيا رقم الملامستين بواحد، وتجاوز الرقم الإجمالي للمدّة الرقم الإجمالي للملامستين بواحد في أسلوب مماثل؛ ولكل واحد أضيف إلى رقم المدة فيما بعد، قد أضيفت ملامسة واحدة إلى الملامستين.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: مهما كان الرّقم المقام للأشياء، سيكون رقم الملامسة واحداً أقلّ دائماً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن إذا كان هناك واحد فقط، لا اثنين، فلن يكون هناك أيّ تماسّ؟

ارسطو: كيف يمكن وجود ذلك؟

بارمنيدس: ألا تقول إنّ الآخرين، كونهم غيراً من الواحد، ليسوا واحداً وليس لديهم جزء في الواحد؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: ليس لديهم أيّ عدد إذن، إذا لم يكن لديهم واحد فيهم؟

ارسطو: لا، طبعاً.

بارمنيدس: لا يكون الغير واحداً ولا اثنين إذن، ولا يُدعون باسم أيّ عدد؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: يكون الواحد واحداً إذن فقط، والإثنان لا يوجدان؟

ارسطو: لا، بوضوح.

بارمنيدس: لكلّ تلك الأسباب يلامس الواحد ولا يلامس نفسه والغير؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: أبعد من ذلك ـ أيكون الواحد مساوياً أو غير مساوٍ لنفسه وللغير؟

ارسطو: ماذا تعني؟

بارمنيدس: إذا كان الواحد أكثر أو أقلّ من الآخرين، أو الآخرون أكثر أو أقلّ من الواحد، فلن يكونوا أكثر أو أقلّ من بعضهم بعضاً بموجب كونهم الواحد والآخرين؛ لكن إذا امتلكوا المساواة، بالإضافة لكونهم ما هم عليه، سيكونون متساوين مع بعضهم بعضاً، أو إذا امتلك الواحد صغراً والآخرين كبراً، أو إذا امتلك الواحد كبراً والآخرون صغراً ـ أيّ نوع امتلك كِبَراً سيكون أكبر، وأيٌّ امتلك صِغَراً سيكون أصغر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يوجد مثالان كالكبر والصغر هكذا إذن؛ لأنّهما إذا لم يكونا، فلن يستطيعا أن يكونا مضادّين لبعضهما بعضاً ويكونا حاضرين في ذلك الذي يكون.

ارسطو: كيف سيستطيعان؟

بارمنيدس: إذا ما كان الصّغر موجوداً في الواحد إذن سيكون حاضراً، إمّا في الكلّ أو في جزء من الكلّ؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إفترض الأول؛ سيكون إمّا متساوياً أو متساوياً في الامتداد مع الواحد ككلّ، أو أنّه سيحتوي الواحد.

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: إذا كان متساوياً في الامتداد مع الواحد سيكون متساوياً مع الواحد، أو إذا كان محتوياً الواحد سيكون أكبر من الواحد؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: لكن أيقدر الصِغَرُ أن يكون مساوياً لأيٍّ شيء، أو أكبر من أيِّ شيء، وأن يمتلك مهام الكبر والمساواة وليس مهامّه الخاصة؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا يستطيع الصّغر أنْ يكون في الواحد ككل إذن، لكن إذا كان على الإطلاق، ففي جزء فقط؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وليس في كلّ الجزء بالتأكيد، لأنّ صعوبة الكلّ ستعود حينها من جديد؛ سيكون مساوياً بـ ، أو أكبر من أيّ جزء يكون فيه.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لن يكون الصّغر حاضراً في أيّ شيء أبداً إذن، سواء في الكل أو الجزء؛ ولكن يكون هناك أيّ صغير بل صِغرٌ حقيقي.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا ولن يكون الكبر في الواحد، لأنه إذا كان الكبر في أيٍّ شيء سيكون هناك شيء ما غيرٌ أكبر وبجانب الكبر نفسه، وبالتحديد، ذلك الذي يكون الكبر فيه، وهذا أيضاً عندما لا يكون الصغير عينه هناك، الذي يجب أن يتجاوز الواحد، إذا كان كبيراً؛ إنّ هذا مستحيل، على أيّة حال، مع ملاحظة أنّ الصغر يكون غائباً بالكمال.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: علاوة على ذلك، إنّ الكبر المطلق هو أكبر من الصّغر المطلق، وإن الصغر هو أصغر من الكبر المطلق فقط.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: ليست الأشياء الأخرى أكبر أو أصغر من الواحد إذن، إذا لم تمتلك لا الكبر ولا الصغر؛ وليس لدى الكبر أو الصغر أية قوة للتجاوز أو أن يكون

متجاوزاً بالنسبة إلى الواحد، بل بالنسبة إلى بعضهما بعضاً فقط؛ ولن يكون الواحد أكبر أو أصغر منهما أو من الآخرين، إذا لم يمتلك الكبر ولا الصغر.

ارسطو: لا، على ما يبدو.

بارمنيدس: إذا. لم يكن الواحد أكبر أو أصغر من الآخرين إذن، لا يستطيع أن يتجاوز أو يكون متجاوَزاً بهم؟

ارسطو: لا، بالتأكيد.

بارمنيدس: وذلك الذي لا يتجاوز ولا يكون متجاوَزاً، يجب أن يكون على تساوٍ؛ وكونه على تساوٍ، يجب أن يكون متساوياً.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: وسيكون حقيقياً علاقة الواحد بنفسه أيضاً، بما أنّه لا يمتلك كبراً ولا صغراً في نفسه، فلن يتجاوز، أو يكون متجاوَزاً، بنفسه، بل سيكون على تساوٍ مع، ومتساوياً بنفسه.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: سيكون الواحد متساوياً مع نفسه ومع الآخرين إذن؟

ارسطو: يبدو هكذا.

بارمنيدس: وسيكون الواحد مع ذلك، كون نفسه في نفسه، سيكون محاطاً وبدون نفسه أيضاً؛ وكإحتوائه لنفسه، سيكون أكبر من نفسه؛ وكمحتوىً في نفسه، سيكون أقلّ؛ وسيكون هكذا أكثر وأقلّ من نفسه.

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: لا يمكن أن يكون الآن ذلك الشيء الذي ليس متضمَّناً في الواحد وفي الآخرين بالاحتمال؟

ارسطو: لا طبعاً.

بارمنيدس: لكنّ ذلك الذي يكون يجب أن يكون دائماً في مكان ما بالتأكيد؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكن ذلك الذي يكون في أيّ شيء سيكون أقلّ، وذلك الذي يكون فيه سيكون أكبر؛ لا يستطيع الشيء الواحد أن يكون في الآخر في أيّة طريقة أخرى.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وبما أنّه لا يوجد أيّ شيء غيرٌ أو بجانب الواحد والغير، ويجب أن تكون في شيء ما، ألا يجب أن تكون في بعضها بعضاً، الواحد في الغير والغير في الواحد، إذا هي لتكون في أيّ مكان؟ أليس ذلك واضحاً؟

ارسطو: إنّ ذلك لواضح.

بارمنيدس: لكن بقدر ما يكون الواحد في الغير، سيكون الغير أكثر من الواحد لأنه يحتوي الواحد، الذي سيكون أقلّ من الغير لأنه محتوىً به؛ وبقدر ما يكون الغير في الواحد، سيكون الواحد أكثر من الغير على القاعدة عينها، والغير أقلّ من الواحد.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: سيكون الواحد متساوياً إذن، إلى وأكثر وأقل من نفسه والغير؟

ارسطو: يتراءى هكذا.

بارمنيدس: وإذا كان أكثر وأقلّ ومتساوياً، سيكون ذا قياسات أو تقسيمات وأقل وأكثر من نفسه والآخرين؛ وإذا كان ذا قياسات، فذو أجزاء أيضاً؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: وإذا كان ذا قياسات متساوية وأكثر وأقل أو تقسيمات، سيكون أكثر أو أقلّ في العدد من نفسه والآخرين؛ وكذلك أيضاً متساوياً في العدد لنفسه وللآخرين؟

ارسطو: كيف يكون ذلك؟

بارمنيدس: سيكون ذا قياسات أكثر من تلك الأشياء التي يتخطاها، وبأجزاء متعددة

كالقياسات؛ وهكذا مع ذلك الذي يكون متساوياً معه، وذلك من الذي يكون أقلّ.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وكونه أكثر وأقلّ من نفسه، ومساوياً لنفسه، سيكون ذا قياسات متساوية مع نفسه، وذا قياسات أكثر وأقلّ من نفسه؛ وإذا كان ذا قياسات، فحينئذ يكون ذا أجزاء أيضاً؟

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: وكونه ذا أجزاء متساوية مع نفسه، سيكون مساوياً لنفسه عدديّاً؛ وكونه من أكثر أجزاء، أكثر، وكونه من أقل، أقلّ من نفسه؟

ارسطو: على ما يبدو.

بارمنيدس: وسيثبت الشّيء ذاته في علاقته بالأشياء الأخرى؛ بقدر ما يكون هو أكثر منها، سيكون أكثر منها في العدد؛ وبقدر ما هو أصغر، سيكون أقل في العدد؛ وبقدر ما هو متساوٍ في الحجم إلى الأشياء الأخرى، سيكون متساوياً معها في العدد.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: كما سيظهر، سيكون الواحد مرّة ثانية إذن، في عدد متساوٍ إلى، وأكثر، وأقلّ من نفسه ومن كل الأشياء الأخرى.

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: هل يشترك الواحد في الزمن أيضاً؟ وهل يفعل ويصبح أكبر سنّاً وأفتى من نفسه والآخرين، ومرّة ثانية، ليس أفتى ولا أكبر سنّاً من نفسه والآخرين، بالنظر إلى اشتراكه في الوقت؟

ارسطو: كيف تعني؟

بارمنيدس: إذا كان واحداً، يجب أن يكون الوجود مُسنَداً له؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكن ليكون (ELVAI) فهو اشتراك للوجود في الزمن الحاضر فقط، أو أنّه قد كان فهو اشتراك للوجود في الزمن الماضي، أو ليكن محدثاً فهو اشتراك للوجود في الزمن المستقبل؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: الواحد إذن، بما أنّه يشارك في الوجود، يشترك في الزمن؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: أليس الزمن متحركاً إلى الأمام على الدوام؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: يكون الواحد إذن صائراً أكبر سنّاً من نفسه على الدوام، بما أنه يتحرك إلى الأمام في الزمن؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وهل تتذكّر أنّ إلأكبر يصبح أكبر سنّاً من ذلك الذي يصبح أفتى؟

ارسطو: إنّني أتذكّر.

بارمنيدس: بما أنّ الواحد يصبح أكبر سنّاً من نفسه إذن، فإنّه يصبح أفتى في الوقت عينه؟

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: هكذا يصبح الواحد إذن، أكبر سناً لِمَا هو أفتى من نفسه؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وأنّه أكبر سناً (ألا يكون؟) عندما يصل في الصيرورة إلى نقطة الزمن الرئيسيّة بين (كان) و(سيكون)، التي هي (الآن): لأنّه لا يستطيع أن يتخطّى الحاضر بذهابه من الماضي إلى المستقبل؟

ارسطو: لا، لا يستطيع.

بارمنيدس: وعندما يصل إلى الحاضر يتوقّف عن أن يصبح أكبر سنّاً، ولا يصبح بعد اليوم بل (يكون) أكبر سنّاً؛ لأنّه إذا استمرّ فلن يُلحقَ بالحاضر أبداً.

لأنّ طبيعة الذي يستمر، هو أن يلامس الحاضر والمستقبل كليهما، مطلقاً الحاضر وقابضاً على المستقبل، بينما هو في عملية الصيرورة بينهما.

ارسطو: حقاً.

بيارمنيدس: غير أن ذلك الذي يكون صائراً لا يستطيع أن يتخطّى الحاضر؛ فعندما يصل الحاضر ينقطع أن يصبح، ويكون حينئذ، مهما يمكن أن يحدث، يكون صائراً.

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: وهكذا عندما يصل الواحد إلى الحاضر في صيرورة كِبَرِ سنّه، ينقطع ليصبح أكبر سنّاً و(يكون) هكذا.

ارسطو: بالضبط.

بارمنيدس: ويكون أكبر سنّاً من ذلك الذي قد كان صائراً أكبر سنّاً؛ وكان صائراً أكبر من نفسه.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وذلك الذي يكون أكبر سنّاً، يكون أكبر سنّاً من الذي هو أفتى؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يكون الواحد أفتى من نفسه إذن، عندما، في صيرورته أكبر سناً، يصل إلى الحاضر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن الحاضر يكون حاضراً مع الواحد على الدوام خلال كل وجوده لأنّه كما يكون؛ فإنّه الآن على الدوام؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يكون الواحد إذن ويصبح أكبر سنّاً وأفتى من نفسه في الوقت عينه؟

ارسطو: بحقّ.

بارمنيدس: أوَ يكون أو يصبح لزمن أطول من نفسه أو لزمن متساوٍ مع نفسه؟
ارسطو: لزمن متساوٍ.
بارمنيدس: لكنّه إذا أصبح أو كان لزمن متساوٍ مع نفسه، فهو في السنّ عينها مع نفسه؟
ارسطو: طبعاً.
بارمنيدس: وذلك الذي يكون في السنّ عينها، ليس أكبر ولا أصغر؟
ارسطو: لا.
بارمنيدس: الواحد إذن، صائراً أو موجوداً في الزمن عينه مع نفسه، لا يكون ولا يصبح أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً من نفسه؟
ارسطو: عليَّ أن أقول لا.
بارمنيدس: وما هي نِسَبُهُ إلى الأشياء الأخرى؟ أيكون هو أو يصير أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً منها؟
ارسطو: لا أقدر أن أخبرك.
بارمنيدس: تقدر أن تخبرني على الأقلّ أن الغير من الواحد هو أكثر من الواحد ـ غير الراغب في أنّه قد كان واحداً، لكنّ الآخرين لديهم كثرة، وهم أكثر من واحد؟
ارسطو: نعم، إنّ لديهم كثرة.
بارمنيدس: وتعني الكثرة ضمناً رقماً أوسع من واحد؟
ارسطو: طبعاً.
بارمنيدس: وهل سنقول أنّ الأقلّ أو الأكثر هو الأول ليأتي أو قد يأتي إلى الوجود؟
ارسطو: الأقلّ.
بارمنيدس: يكون الأقلّ الأوّل إذن؟ وهذا هو الواحد؟
ارسطو: نعم.

بارمنيدس: إنّ الواحد هو الأول الذي يأتي إلى الوجود من بين كلّ الأشياء التي تمتلك عدداً؛ لكنّ كل الأشياء الأخرى لها رقم أيضاً، كونها جمعاً وليست مفردة.

ارسطو: إنها تمتلك.

بارمنيدس: وبما أنه يأتي إلى الوجود أولاً يجب افتراضه أنّه قد أتى الوجود سابقاً الآخرين، والآخرين لاحقاً؛ وتكون الأشياء التي تأتي إلى الوجود لاحقاً، أصغر سنّاً من تلك التي تتقدمها؟ وهكذا ستكون الأشياء الأخرى أفتى من الواحد، والواحد أكبر سنّاً من الأشياء الأخرى؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: ماذا ستقول لسؤال آخر؟ أيقدر الواحد بإتيانه إلى الوجود أن يضادّ طبيعته الخاصة، أو أنّ ذلك مستحيل؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: ولقد أُبيّن الواحد مع ذلك ليمتلك أجزاء بالتأكيد؛ وإذا امتلك أجزاء فبداية، ووسطاً ونهاية؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وتأتي البداية إلى الوجود للواحد نفسه ولكلّ الأشياء الأخرى قبل الكلّ؛ وبعدُ البداية، ثم تلي الأشياء الأخرى، حتّى تصل إلى النهاية؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وسنؤكد أنّ كلّ الأشياء الأخرى لتكون أجزاء للكلّ وللواحد؟

ارسطو: نعم؛ إنّ ذلك ما ستقوله.

بارمنيدس: لكنّ النهاية تأتي أخيراً، ويكون الواحد من طبيعة كهذه كي يأتي إلى الوجود مع الآخرين؛ وبما أنّ الواحد لا يستطيع أن يأتي إلى الوجود إلاّ في تطابق مع طبيعته الخاصة، فستحتاج طبيعته الخاصة أن تأتي إلى الوجود بعد الآخرين، في الوقت عينه مع النهاية.

ارسطو: على ما يبدو.

بارمنيدس: يكون الواحد إذن أصغر سنّاً من الآخرين، والآخرون أكبر من الواحد.

ارسطو: على ما يبدو، مرّة ثانية.

بارمنيدس: حسناً، أوَ لاَ يجب أن تكون البداية، كونها جزءاً، أو أيّ جزءٍ آخر للواحد أو لأيّ شيء، ألاَ يجب إذا كانت جزءاً وليس أجواء، أن تكون واحداً أيضاً بالضرورة؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وسيأتي الواحد إلى الوجود بالإضافة لكل جزء - بالإضافة للجزء الأوّل عندما يأتي إلى الوجود، وبالإضافة للجزء الثاني ومع كل الأجزاء الباقية - ولن يكون في عوزٍ لأي جزء، الذي يكون مضافاً لأيّ جزء آخر إلى أن يصل للجزء الآخير، ويصبح واحداً متكاملاً؛ لن يكون في عوزٍ لا للوسط، ولا للأوّل، ولا للجزء الأخير، ولا لأيٍّ واحد منها، ما دامت عملية الصيرورة مستمرة؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يكون الواحد إذن في العمر عينه مع كل الآخرين، وهكذا إذا لم يناقض الواحد ذاته طبيعته الخاصة، فلن يكون لا سابقاً ولا متأخّراً بالمقارنة مع الآخرين، بل متزامناً؛ وسيكون الواحد طبقاً لهذه المحاورة لا أكبر سناً ولا أصغر سناً من الآخرين، ولا الآخرون من الواحد: لكن الواحد سيكون طبقاً للمحاورة السابقة أكبر سناً وأصغر سناً من الآخرين، والآخرون من الواحد.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يكون الواحد (قد أصبح) إثر هذا النّمط إذن. لكن على سبيل مثال فيما يختص بصيرورته فهي أكبر سنّاً وأصغر سنّاً من الآخرين، والآخرون من الواحد، ومع ذلك ليس أكبر سنّاً ولا أصغر، فماذا سنقول؟ هل سنقول، أن مثل ما هو للوجود هكذا للصيرورة أيضاً، أو بطريقة أخرى؟

ارسطو: لا أقدر أن أجيب.

بارمنيدس: لكنّني أستطيع أن أجازف وأقول حتى إذا كان شيئاً واحد أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً من الآخر، فلن يقدر أن يصبح أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً في درجة أكبر ممّا كان بادىء ذي بدء، لأن المتساوين مضافين إلى اللامتساوين، سواء إلى عصور الزمن أو لأيّ شيء آخر، فهي تُخلّف الفرق بينها الشيء عينه كما كان في بادىء الأمر.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: ذلك الذي يكون إذن، لا يستطيع أن يصبح أكبراً سنّاً أو أصغر سنّاً من ذلك الذي يكون، بما أن فرق العمر هو نفسه على الدوام؛ فالواحد يكون وقد أصبح أكبر سنّاً والآخر أصغر سنّاً؛ لكنّهما لا يمسيان هكذا بعد اليوم.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: والواحد الذي يكون لذلك لا يصبح لا أكبر سنّاً ولا أصغر سنّاً من الآخرين الذين يكونون.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لكن إعتبر إذا أمكن أن لا يصبح أكبر سنّاً وأصغر سنّاً في طريقة أخرى.

ارسطو: في أيّة طريقة؟

بارمنيدس: كما أنّ الواحد قد بُرهِنَ ليكون أكبر سنّاً من الآخرين والأخرون من الواحد.

ارسطو: وماذا عن ذلك؟

بارمنيدس: إذا كان الواحد أكبر سنّاً من الآخرين، فلقد أتى إلى الوجود في زمن أطول من زمن الآخرين.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكن اعتبر مرّة ثانية، إذا أضفنا زمناً متساوياً لزمن أكثر وأقلّ، هل سيختلف الزمن الأكثر من الأقلّ بنسبة متساوية أو بنسبة أصغر من السابق؟

ارسطو: بنسبة أصغر.

بارمنيدس: لن يكون الفرق فيما بعد بين سنّ الواحد وسن الآخرين هكذا كبيراً كما كان أوّل الأمر، لكن إذا أضيف زمن متساوٍ لكليهما سيختلفان في العمر أقلّ وأقلّ؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وذلك الذي يختلف في العمر عن آخر ما أقلّ من السابق، سيصبح، من كونه أكبر سنّاً، سيصبح أصغر سنّاً فيما يختصّ بذلك الآخر من الذي كان أصغر سنّاً.

ارسطو: نعم، سيصبح أصغر سنّاً.

بارمنيدس: وإذا أصبح الواحد أفتى سيصبح الآخرون الآنفي الذكر أكبر سنّاً ممّا كانوا سابقاً فيما يختص بالواحد.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إن ذلك الذي قد أصبح أفتى إذن، يصبح أكبر سنّاً نسبة لذلك الذي قد أصبح وكان أكبر سنّاً سابقاً؛ إنّه لا يكون أكبر سنّاً أبداً حقّاً، بل يكون صيرورياً على الدوام، لأنّ الواحد يكبر على جانب الشباب دائماً والأكبر سناً على جانب الكِبَر. ويكون الكبير في السن أفتى من الأفتى في عملية الصيرورة بنمطٍ مماثل؛ لأنهما، كما أنّهما يذهبان في اتجاهين متضادّين، يصبحان مضادّين لبعضهما بعضاً في طريقة ما: الأصغر سناً أكبر سنّاً من الأكبر سنّاً، والأكبر سنّاً أصغر سنّاً من الأصغر سنّاً. لا يستطيعان، على كل حال، أن يكونا قد أصبحا؛ لأنهما إذا كانا قد أصبحا؛ لأنّهما يكونان مصبحين على الدوام أكبر سنّاً وأصغر سنّاً من بعضهما بعضاً. سيصبح

الواحد أصغر سناً من الآخرين لأنه قد أُدرِكَ ليكون أكبر سنّاً وسابقاً، ويصبح الآخرون أكبر سنّاً من الواحد لأنّهم أتوا إلى الوجود متأخّرين. ويكون الآخرون في نفس ما يتعلق بالواحد بالطريقة ذاتها، لأنّهم قد أدركوا ليكونوا أكبر سنّاً وسابقين الواحد.

ارسطو: إنها تظهر هكذا، على الأقل.

بارمنيدس: لأنّ عندئذ، كما لا يصبح الشيء الواحد أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً من الآخرين، فهي تختلف في ذلك من بعضها بعضاً بعدد متساوٍ على الدوام، فلا يستطيع الواحد أن يصبح أكبر سناً وأصغر سنّاً من الآخرين، ولا الآخرون من الواحد؛ لأنّه بسبب ذلك، فذلك الذي أتى إلى الوجود باكراً وذلك الذي أتى إلى الوجود لاحقاً، يجب أن تختلف من بعضها بعضاً بنسب متباينة بشكل متواصل - يجب أن يصبح الآخرون بسبب هذا أكبر سنّاً وأصغر سنّاً من الواحد، والواحد من الآخرين.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكلّ تلك الأسباب إذن، الواحد يكون ويصبح أكبر سنّاً وأصغر سنّاً من نفسه والآخرين، ولا يكون ولا يصبح أكبر سنّاً ولا أصغر سنّاً من نفسه أو الآخرين.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن بما أنّ الواحد يشترك في الزمن، ويشاطر في صيرورة الأكبر سنّاً والأصغر سنّاً، ألا يجب أن يشترك في الماضي والحاضر، والمستقبل أيضاً؟

ارسطو: يجب طبعاً.

بارمنيدس: الواحد كان إذن وسيكون، وكان صائراً ويكون صائراً وسيصبح؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: ويوجد وكان وسيكون شيئاً ما الذي يكون في علاقة معه ويخصه؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وبما أنّ لدينا في هذه اللحظة رأياً ومعرفة وإدراكاً عن الواحد، يوجد رأي ومعرفة وإدراك عنه؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: يوجد إسم وتعبير له إذن، وهو مسمّى ومعبَّر، وكلّ شيء يختص بالأشياء الأخرى من هذا النوع يختصّ بالواحد.

ارسطو: إنّ تلك لحقيقة، بالتأكيد.

بارمنيدس: دعنا نعتبر، مرة ثانية مع ذلك وللمرّة الثالثة: إذا كان الواحد واحداً وكثرة، كما وصفنا، ولا يكون واحداً ولا كثرة، ويشترك في الزمن، ألا يجب أن يشترك في الوجود من حين إلى آخر، وبقدر ما يكون هو واحداً، وأن لا يشترك في الوجود، وبقدر ما لا يكون هو واحداً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن أيقدر أن يشترك في الوجود عندما لا يكون مشاركاً في الوجود أو أن لا يشارك في الوجود عندَ مشاركته في الوجود؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: الواحد يشترك ولا يشترك في الوجود إذن في أوقات مختلفة لأنّ هذا هو الطريق الوحيد فقط الذي يستطيع أن يشارك ولا يشارك في الشّيء عينه.

ارسطو: صدقاً.

بارمنيدس: أوَلاَ يوجد وقت أيضاً فيه يُعتبر الوجود أمراً مفروغاً منه ويتخلّى عن الوجود ـ لأنّه كيف يمكنه أن يمتلك ولا يمتلك الشيء نفسه ما لم يتسّلم ويتخلّى عن في وقتٍ ما أيضاً؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: ويكون افتراض الوجود هو ما تسمّيه صيرورة؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: والتخلّي عن الوجود ما ستسمّيه دماراً؟

ارسطو: إنّني أعترف بذلك.

بارمنيدس: يصير الواحد إذن، كما سيظهر، ويكون مدمَّراً بالإعطاء والتخلي عن الوجود؟

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: وكونه واحداً وكثرة وفي عملية صيرورة ووجودٍ مدمَّر. فعندما يصير واحداً ينقطع عن أن يكون كثرة، وعندما يصير كثرة، ينقطع عن أن يكون واحداً؟

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: وكما أنه يصير واحداً وكثرة، ألا يجب أن يختبر الإنفصال والتجميع بشكل لا مناص منه؟

ارسطو: طبعاً، بشكل لا مناص منه.

بارمنيدس: وحينما يصبح شبيهاً وغير شبيه يجب أن يكون متشابهاً ومتبايناً.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وعندما يصبح أكثر أو أقلّ أو متساوياً يجب أن يكثر أو يقل أو يكون متساوياً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وهو يسكن عند كينونته في الحركة، ويغيِّر إلى الحركة عند كينونته في السكون، ولا يستطيع أن يكون في أيِّ وقت على الإطلاق بالتأكيد؟

ارسطو: كيف يكون ذلك؟

بارمنيدس: إنّ ذلك الشيء الذي يكون سابقاً في السكون، سيكون في الحركة

بعدئذ، أو يكون في الحركة سابقاً وفي السكون بعدئذ، بدون اختبار تغيير، فذلك مستحيل.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: ولا يمكن أن يكون هناك زمن بالتأكيد للشّيء الذي لا يقدر أن يكون لا في حركة ولا في سكون كليهما حالاً؟

ارسطو. لا يمكن.

بارمنيدس: لكن لا يمكنه أن يتغيّر بدون تغيير؟

ارسطو: حقا.

بارمنيدس: أي متى إذن؛ لأنه لا يستطيع أن يتغيّر، لا عندما يكون ساكناً، أو متحركاً، أو عندما يكون في الزمن؟

ارسطو: لا يستطيع.

بارمنيدس: وهل يوجد هذا الشيء الغريب حقاً الذي يكون في وقت التغيير؟

ارسطو: أيّ شيء؟

بارمنيدس: اللحظة. لأنّ اللحظة تبدو وأنّها تدلّ ضمناً على شيء ما خارج الذي يأخذ التغيير مكانه إلى كل من الحالتين؛ لأنّ التغيير لا يكون من حالة السكون كتلك، ولا من حالة الحركة كهذه؛ بل توجد هذه الطبيعة الغريبة التي نسمّيها اللحظة ممتدة بين الحركة والسكون، ليست كائنة في أيّ وقت؛ وتتبدل إلى هذا وخارج هذا ما هو في الحركة إلى السكون، وما هو في السكون إلى الحركة.

ارسطو: يظهر هكذا.

بارمنيدس: والواحد آنئذ، بما أنّه في حركة وفي سكون أيضاً، سيتغيّر إلى كليهما، لأنّه يتمكن أن يكون فيهما معاً بهذه الطريقة فقط. يتبدل في تبدله بلحظة، وعند تبدله لن يكون في أيّ وقت، ولن يكون حينئذ لا في الحركة ولا في السكون عليهما.

ارسطو: لن يكون.

بارمنيدس: وسيكون في الحالة عينها فيها يختص بالتبدلات الأخرى، عندما يمّر من الوجود إلى انقطاع الوجود، أو من اللاوجود إلى الصيرورة ـ عندما يمر بين حالات محدَّدة للحركة والسكون، ولا كان ولا يكون، لا يصير مدمَّراً.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: ولا يكون الواحد لا واحداً ولا كثرة، على القاعدة عينها، في الإنتقال من الواحد إلى الكثرة ومن الكثرة إلى الواحد، ولا يكون منفصلاً ولا مجتمعاً؛ وفي الإنتقال من الشبيه إلى اللاّشبيه، ومن اللاّشبيه إلى الشبيه، إنه لا يكون شبيهاً ولا غير شبيه، لا في حالة التشابه أو التباين؛ وفي المرور من الصِّغَرِ إلى الكِبَرِ والمتساوي، ورجوعاً مرة ثانية، لن يكون لا صغيراً ولا كبيراً ولا متساوياً، لا في حالة الزيادة، أو النقصان، أو المساواة.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: كلّ تلك إذن، هي صفات الواحد، إذا امتلك الواحد وجوداً.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: لكن إذا الواحد يكون، ماذا سيحدث للآخرين ألا يجب اعتبار ذلك؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: دعنا نُري إذن، إذا الواحد يكون، ماذا ستكون صفات الغير من صفات الواحد.

ارسطو: دعنا نفعل ذلك.

بارمنيدس: بقدر ما هم غيرٌ من الواحد، فالآخرون ليسوا الواحد؛ لأنّهم إذا كانوا لن يستطيعوا أن يكونوا غيراً من الواحد.

ارسطو: حقيقيّ تماماً.

بارمنيدس: ولا يكون الآخرون جملة بدون الواحد، لكنّهم يشتركون في الواحد بطريقة محددة.

ارسطو: في أيّة طريقة؟

بارمنيدس: لأنّ الغير هي غيرّ من الواحد بقدر ما لها أجزاء؛ لأنها إذا لم يكن لديها أجزاء ستكون واحداً بكلّ بساطة.

ارسطو: صحيح.

بارمنيدس: وكما نؤكّد، فالأجزاء لها صلة بالكلّ؟

ارسطو: نقول هكذا.

بارمنيدس: ويجب أن يكون الكلّ واجداً بالضّرورة مُنشأً من العدَّة؛ وستكون الأجزاء أجزاء للواحد، لأن كلاً من الأجزاء ليس جزءاً من آلعدَّة، بل من الكامل.

ارسطو: ماذا تعني؟

بارمنيدس: إذا كان أيّ شيء جزءاً من العدَّة، كون نفسه واحداً منها، سيكون جزءاً من نفسه بالتأكيد، الذي هو مستحيل، وإذا كان للكلّ، سيكون جزءاً من كلّ واحد من الأجزاء الأخرى؛ لأنّه إذا لم يكن جزءاً من واحد ما، سيكون جزءاً من كل الآخرين إلاّ هذا الواحد، وهكذا لن يكون جزءاً من كل واحد؛ وإذا لم يكن جزءاً من كل واحد، فلن يكون جزءاً لأيّ واحد من العًدة؛ وغير كونه جزءاً لأيّ واحد، لا يستطيع أن يكون جزءاً أو أيَّ شيء آخر من كل تلك الأشياء للأشيء الذي يكون أيّ شيء.

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: لا يكون الجزء جزءاً من العدَّة إذن، ولا من الكلّ، بل يكون بشكل مفرد محدَّد، ذلك الذي نسمّيه تاماً، كونه وحدة واحدة كاملة مصوغة خارجاً من الكلّ ـ سيكون الجزء جزءاً من هذا ـ

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا كان لدى الآخرين أجزاء إذن، فسيشتركون في الكلّ وفي الواحد.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يجب أن يكون الآخرون إذن، إلاّ الواحد، كلاًّ واحداً تامّاً، له أجزاء.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وتَثبُتُ المحاورة ذاتُها عن كل جزء، لأنّ الجزء يجب أن يشترك في الواحد؛ ولأنّ كُلاًّ من الأجزاء يكون جزءاً، فهذا يعني، كما أفترض، أنّه واحد منفصل عن الباقي ومستقلّ؛ وإلاّ فلن يكون كُلاًّ.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكنّ على ما يبدو، كي يشترك الجزء في الواحد، يجب أن يكون غيراً من الواحد لأنّه إذا لم يكن، فلن يكون قد اشترك فحسب، بل قد كان واحداً؛ حيث أنّنا يمكن أن نعتبره أمراً مفروغاً منه أنّ الواحد نفسه يستطيع أن يكون واحداً فقط.

ارسطو: يمكننا ذلك.

بارمنيدس: على الجانب الآخر، إنّه لمن الضروري أن يشترك الكلّ والجزء في الواحد؛ لأنّ الكلّ سيكون كلاًّ واحداً، للذي سيكون الأجزاء أجزاءً، وسيكون كل جزء جزءاً واحداً للكلّ للذي يكون جزءاً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: أوَليست الأشياء التي تشترك في الواحد، هي غَيْراً منه؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: والأشياء التي هي غيرٌ من الواحد ستكون عِدَّة؛ لأنّه إذا كانت الأشياء التي هي غيرٌ من الواحد ليست واحدة ولا أكثر من واحد، فلن تكون أيَّ شيء.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكنّنا مبصرون أنّ الأشياء التي تشترك في الواحد كجزء، وفي الواحد ككل، هي أكثر من واحد. ألا يجب أن تكون تلك الأشياء التي تشترك في الواحد بالتحديد غير محدودة في العدد؟

ارسطو: كيف هذا؟

بارمنيدس: دعنا ننظر إلى المسألة هكذا: ـ ألا تكون حقيقة أنّها في اشتراكها في الواحد ليست واحدة، ولا تشترك في الواحد في الوقت عينه عندما تكون مشاركة فيه بالتحديد؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: إنّها تفعل هكذا كجمهرة، لا يكون الواحد حاضراً فيها؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: وإذا كنّا لنطرح منها الكسور الأصغر في الفكرة بالتحديد، ألا يجب أن تكون تلك الكسور الأقلّ كثرة وليست واحداً، إذا لم تشارك في الواحد؟

ارسطو: يجب أن تكون ذلك.

بارمنيدس: وإذا أمعنّا النظر في الجانب الآخر من طبيعتها وفي أنفسها، معتبرة ببساطة، ألن تكون محدودة في العدد، بقدر ما نقدر أن نراها؟

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: ومع ذلك، عندَما يصبح كلٌّ جزء متعددٍ جزءاً، سيكون لدى الأجزاء حدٌّ فيما يتعلق بالكل وببعضها بعضاً، وللكلّ فيما يتعلق بالأجزاء؟

ارسطو: هكذا تماماً.

بارمنيدس: فالنتيجة إلى الغير من الواحد هي أن إتحاد أنفسها والواحد يظهر ليخلق عنصراً جديداً فيها، هو الذي يعطيها تحديداً في علاقتها ببعضها بعضاً؛ مع أنّها لا تمتلك حدّاً في طبيعتها الخاصة.

ارسطو: إن ذلك لواضح.

بارمنيدس: يكون الغير غير محدّد إذن إلاّ الواحد، ككلّ وكأجزاء لكليهما، ويشارك في الحد.

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: إنّها شبيهة وغير شبيهة بواحدها الآخر وبأنفسها أيضاً؟

بارمنيدس: كيف يكون ذلك؟

بارمنيدس: بقدر ما تكون محدَّدة في طبيعتهاالخاصّة، فإنها تتأثّر كلُّها في الطريقة عينها.

ارسطو: حقّاً.

بارمنيدس: وبقدر ما تشارك كلها في الحدّ، فإنّها تتأثّر كلّها في الطريقة عينها.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: لكن بقدر ما تكون حالها محدَّدة وغير محدَّدة، فإنّها تتأثر في طريقة معاكسة.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وإنّ المتضادات هي أكثر الأشياء اللاّمتشابهة.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: ستكون شبيهة بنفسها وببعضها بعضاً إذن، مُعتبرة فيما يتعلق بواحد من كلا صفاتها؛ وفي الأكثر تضاداً والأكثر لا شبهاً، مُعتَبرة بخصوصهما معاً.

ارسطو: يظهر ذلك أنه حقيقي.

بارمنيدس: إنّ الغير إذن شبيهة وغير شبيهة بأنفسها وببعضها بضعاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وهي الشيء عينه ومختلفة من بعضها بعضاً أيضاً، وفي حركة وفي

سكون، وتختبر كل نوع من الصّفة المضادّة، كما يمكن أن يُبرهن عنها بدون صعوبة، بما أنّها قد أُبينت أنّها اختبرت الصفات المذكورة أنفاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إفترض الآن، أن نترك المناقشة الأبعد لهذه المسائل كأنّها جليّة، لكنْ إعتبر مرّة ثانية، على فرضيات أنّ الواحد يكون، سواء يكون هذا ضِدّ الكل أو لا يكون عن الغير كذلك حقيقيّاً على حدٍّ سواء.

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: دعنا نبدأ مرّة ثانية ونسأل، إذا الواحد يكون، فماذا يجب أن تكون صفات الآخر؟

ارسطو: دعنا نسأل هذا السؤال.

بارمنيدس: ألا يجب أن يكون الآخر مميّزاً عن الواحد، والواحد عن الآخر؟

ارسطو: لماذا هكذا؟

بارمنيدس: لماذا، لأنه لا يوجد شيء آخر بجانبهما، يكون مميّزاً عنهما معاً؛ لأن عبارة (الواحد والآخر) تتضمّن كلّ الأشياء.

ارسطو: نعم، كلّ الأشياء.

بارمنيدس: لا نقدر أن نفترض إذن أنّه يوجد أيّ شيء خلافاً منها في الذي يمكن أن يُوجِدَ الواحد والآخر كليهما.

ارسطو: لا يوجد أي شيء.

بارمنيدس: لا يكون الواحد والآخر في الوقت عينه إذن؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إنّهما منفصلان عن بعضهما بعضاً إذن؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ولا يمكننا أن نقول بالتأكيد أنّ الذي هو واحد بالحقيقة له أجزاء؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لن يكون الواحد في الآخر إذن ككلّ، ولا كجزء، إذا سيكون منفصلاً عن الآخر وليس له أجزاء؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا توجد أيّة طريقة إذن يستطيع الآخر فيها أن يشترك في الواحد، إذا لم يشترك لا في الكل ولا في الجزء.

ارسطو: يظهر أن لا.

بارمنيدس: لا توجد أية طريقة إذن يكون فيها الآخر واحداً، أو أنّ لديه في نفسه أيّة وحدة؟

ارسطو: لا توجد.

بارمنيدس: وليس الآخر كثرة؛ لأنّه إذا كان كثرة، سيكون كلّ جزء منه جزءاً من الكلّ؛ لكن بما أنّ الآخر غير مشتركٍ الآن في الواحد بأيّة طريقة، فليس واحداً ولا كثرة، لا كلاً ولا جزءاً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إذا كان الآخر مجرّداً من الواحد بالكامل إذن، فلا يكون ولا يشمل إثنين أو ثلاثاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يكون الآخر شبيهاً ولا لا شبيهاً بالواحد إذن، ولا يكون شبهاً وغير شبهٍ فيه؛ لأنّه إذاكان شبهاً وغير شبه، أو أن فيه شبهاً وغير شبه، سيكون لديه طبيعتان اثنتان مضادتان لبعضهما بعضاً.

ارسطو: إنّ ذلك لواضح.

بارمنيدس: لكنّ ذلك الذي لا يشترك في أيّ شيء فلقد كان مثبتاً بنا أنّ اشتراكه في شيئين اثنين كان مستحيلاً.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا يكون الآخر شبيهاً ولا غير شبيه ولا كليهما، لأنّه إذا كان شبيهاً أو غير شبيه سيشترك في واحدة من تينك الطبيعتين الاثنتين، التي ستكون شيئاً واحداً. وإذا كانا كلاهما سيشتركان في المضادات، الذي سيكون شيئين اثنين، وقد أُظهر هذا أنه مستحيل.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لذلك فالآخر لا يكون الشيء عينه ولا غيراً، لا في حركة ولا في سكون. لا في حالة صيرورة ولا كونه مدمَّراً، لا أكثر، لا أقلّ ولا متساوياً، ولن يختبر أيّ شيء آخر من هذا النوع؛ لأنّه إذا كان قادراً على اختبار أيّة صفة كهذه، فسيشترك في الواحد والإثنين والثلاثة، وفي المفرد والمزدوج. وكما قد برهنَّا فإنه لا يشترك في هذه الأشياء مدركين أنّه مجرَّدٌ من الواحد بالكامل في كل طريقة.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: لذلك فالواحد يكون، الواحد يكون كل الأشياء، ولا شيء على الإطلاق أيضاً، فيما يتعلق بنفسه وبالأشياء الأخرى معاً.

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: حسناً، أوَلاَ يجب علينا أنْ نعتبر تالياً ماذا ستكون العاقبة إذا الواحد لا يكون؟

ارسطو: نعم؛ يجب ذلك.

بارمنيدس: ما معنى الفرضيَّة، (إذا الواحد لا يكون؟). أهناك أيّ فرق بين هذه الفرضيَّة والفرضيَّة، (إذا الواحد لا يكون فلا يكون)؟

ارسطو: يوجد فرق، بدون ريب.

بارمنيدس: أيوجد فرق فقط، أو بشكل أدقّ أليست الفرضيتان ـ إذا الواحد لا يكون، وإذا الواحد لا يكون فلا يكون، متضادتين كليَّة؟

ارسطو: إنّهما متضاداتان كليَّة.

بارمنيدس: وافترض شخصاً أنّه يقول: (إذا لا تكون الضخامة)، (إذا لا يكون الصغر)، أو أي شيء من ذلك النوع، ألا يعني، عندما يستعمل تعبيراً ، أن (ما لا يكون) هو غير من غير الأشياء؟

ارسطو: لتكن متأكداً.

بارمنيدس: وهكذا عندما يقول (إذا الواحد لا يكون)، فهو يعني بوضوح أنّ ما (لا يكون) هو غير من الغير كله؛ نعرف نحن ما يعني، أليس كذلك؟

ارسطو: نعم، إنّنا نفعل.

بارمنيدس: عندما يقول (واحداً) فهو يقول شيئاً ما يكون معروفاً؛ وثانياً شيئاً ما يكون غيراً من كل الأشياء الأخرى؛ إنّها لا تعني أيّ فرق سواء هو يعني عن وجودٍ واحدٍ أو عن لا وجود، لأنّ ذلك الذي قيل (لن يكون) فإنّه معروفاً ليكون شيئاً ما والشيء عينه كلّه، وإنّه مميّز من الأشياء الأخرى.

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: سأبدأ وأسأل مرّة ثانية إذن: إذا الواحد لا يكون، فما هي العواقب؟ توجد معرفة به، كما سيظهر في المقام الأوّل، أولن يكون معنى الكلمات بالتحديد، (إذا الواحد لا يكون)، لن تكون معروفة تلك الكلمات.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يختلف الآخر عنه، ثانية، أو أنّه لا يمكن أن يكون موصوفاً كمختلفٍ عن الآخر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يخصّه الاختلاف كما تخصّه المعرفة إذن؛ لأنّ في التكلم عن الواحد كمختلفٍ عن الآخر، فنحن لا نتكلم عن فارق في الآخر، بل في الواحد.

ارسطو: هكذا بجلاء.

بارمنيدس: إضافة إلى ذلك، الواحد الذي لا يشترك فيما يتعلق بـ (ذلك) و(هذا)

و(أولئك) وما شابه، ويكون صفة لـ (بعض) ولـ (هذا)؛ لأنّه لم يكن قد تُكلِّم عن الواحد، أو عن الآخر من الواحد، ولا يُستطاع أنه قد كان أو قد تُكلِّم عن أيّة صفة أو علاقة عن الواحد الذي لا يكونُ، ولا يمكن أنّه قد قيل ليكون أيّ شيء، إذا لم يشارك في (بعض)، أو في العلاقات الأخرى التي ذُكرت لتوّها الآن.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يمكن أن يُنسب الوجود إلى الواحد إذن، بما أنّه لا يكون؛ لكن يمكن للواحد الذي لا يكون أو أن يشترك في عدة أشياء بالأحرى، إذا هو ولا شيء آخر لا يكون؛ ونحن لا نستطيع أن نؤكّد أيّ شيءٍ عنه، إذن، على كل حال، لا الواحد ولا الواحد الذي لا يكون يكونَ مفترضاً أن لا يكون، وكنا متكلمين عن شيء ما لطبيعة مختلفة. لكن مفترضين أنّ الواحد الذي لا يكون ولا شيء آخر لا يكون، يجب أن يشترك إذن في المُسند (ذلك)، وفي أشياء أخرى.

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: وسيمتلك لا شبهاً فيما يتعلق بالآخر، لأنّ الآخر كونه مختلفاً عن الواحد سيكون من نوع مختلف.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: أوليست الأشياء ذات النوع المختلف غيراً في النوع أيضاً؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: أوليست الأشياء الغير في النوع غير شبيهة؟

ارسطو: إنها غير شبيهة.

بارمنيدس: وإذا هي غير شبيهة بالواحد، فتلك التي هي غير شبيهة ستكون غير شبيهة بها بوضوح.

ارسطو: هكذا بجلاء.

بارمنيدس: سيمتلك الواحد لا شبهاً إذن فيما يختص بذلك الغير اللاّشبيه به؟

ارسطو: سيبين ذلك أنّه حقيقة.

بارمنيدس: وإذا كان اللاّشبه للأشياء الأخرى يُنسَبُ له، يجب أن يمتلك شبهاً لنفسه.

ارسطو: كيف هذا؟

بارمنيدس: إذا كان اللاّشبه لنفسه سمة الواحد، سيفقد حقه ليكون معتبراً واحداً؛ ولن تكون الفرضية مختصة بالواحد بعد اليوم، بل بشيء ما ليس واحداً.

ارسطو: هكذا تماماً.

بارمنيدس: لكن ذلك لا يمكن أن يكون.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: يجب أن يمتلك الواحد شبهاً لنفسه إذن.

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: إن الواحد ليس متساوياً بالغير، مرّة ثانية، لأنّه إذا كان متساوياً، سيكون حينئذ شبيهاً بالغير بموجب المساواة؛ لكن إذا كان الواحد لا يمتلك وجوداً، فلن يكون آنئذ ولا يكون شبيهاً؟

ارسطو: لا يمكنه.

بارمنيدس: لكن بما أنّه غير متساوٍ بالغير، لا يستطيع الغير أن يكون متساوياً به؟

ارسطو: لا بالتأكيد.

بارمنيدس: وتكون الأشياء اللاّمتساوية متساوية؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وتكون هي غير متساوية إلى اللامتساوية؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: يشترك الواحد في اللامساواة إذن، وفيما يختص بهذا، فالغير يكون غير مساوٍ له؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: وتتضمن اللاّمساواة كِبَراً وصِغَراً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: إذا كان الواحد من طبيعة كهذه إذن، فهو يمتلك كِبَراً وصِغَراً؟

ارسطو: يظهر ذلك أنّه حقيقة.

بارمنيدس: ويقف الكِبَرُ والصِغَرُ منفصلَيْن على الدّوام؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يوجد شيء ما بينهما دائماً إذن؟

ارسطو: يوجد.

بارمنيدس: وهل تستطيع أن تفكّر بأيٍّ شيء آخر يكون بينهما غيراً من المساواة؟

ارسطو: لا، إنّها المساواة التي تقع بينهما.

بارمنيدس: إنّ ذلك الذي يمتلك كِبَراً وصِغَراً إذن، يمتلك مساواة أيضاً، تقع بينهما؟

ارسطو: إنّ ذلك لجلي.

بارمنيدس: يشترك الواحد الذي لا يكون إذن، كما سيبدو، في الكِبَر والصِغر والمساواة؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: يجب أن يشترك بالوجود في نوع ما، بالإضافة إلى ذلك؟

ارسطو: كيف ذلك؟

بارمنيدس: يجب أن يكون هكذا، لأنّه إذا لم يكن، علينا أن لا نتكلّم الحقيقة حينئذ عندما نقول أن الواحد لا يكون. لكن إذا تكلمنا الحقيقة، يجب أن نقول ما هو بوضوح، ألا أكون محقّاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وبما أنّنا نثبت أنّنا نتكلم بحقّ، يجب أنْ نؤكّد أنّنا نتكلم ما يكون أيضاً؟

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: كما سيظهر إذن، فالواحد عندما لا يكون، يكون؛ لأنّه إذا كان لا ليكون عندما لا يكون، بل كان ليتخلى عن شيء ما من الوجود، كي يصبح لا موجوداً، فسيكون في الحال.

ارسطو: حقيقيّ تماماً.

بارمنيدس: الواحد الذي لا يكون إذن، إذا كان ليؤكّد نفسه، يجب أن يمتلك وجود اللاّوجود، كرباط للاوجود، تماماً كما يجب الوجود رباط اللاوجود للاّوجود كي يتمّم وجوده الخاص؛ لأن أحق جزم لوجود الوجود وللاّوجود اللاوجود هو عندما يشترك الوجود بالوجود، بما أنه يكون، ويشترك باللاوجود أيضاً، بما أنّه لنؤكد الكمال للوجود يجب أن لا يكون هناك لا وجودٌ؛ وعندما يشترك اللاوجود بكلا اللاوجود، بما أنه لا يكون، وبالوجود، لأنّه كي نؤكّد التمام للاّوجود، يجب أن يكون اللاوجود.

ارسطو: الأكثر حقيقة.

بارمنيدس: ما يشترك باللاّوجود منذ ذلك الحين، وما لا يكون للوجود، ألا يجب أن يشترك الواحد بالوجود أيضاً، عندما لا يكون، كي لا يكون؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا لا يكون الواحد إذن، فهو يمتلك وجوداً بوضوح؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: أولا يمتلك اللاوجود وجوداً أيضاً، إذا لا يكون؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: لكن أيستطيع أيّ شيء يكون في جالة معينة أن لا يكون في تلك الحالة بدون تغيير؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: كل شيء إذن، الذي يكون ولا يكون في حالة محددة، يعني التغيير ضمناً؟

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: وأنّ التغيير هو الحركة ـ يمكننا قول ذلك؟

ارسطو: نعم، إنّه حركة.

بارمنيدس: ولقد بُرهِنَ الواحد ليكون ولا ليكون كلاهما؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ولذلك فهو يكون ولا يكون في الحالة ذاتها؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وهكذا قد أظهر الواحد الذي لا يكون أنّ له حركة أيضاً، لأنّه يتغيّر من الوجود إلى اللاّوجود؟

ارسطو: يظهر ذلك ليكون حقيقة.

بارمنيدس: لكنّه إذا لم يكن بين ما يكون بالتأكيد، كما هي الحقيقة، وبما أنّه لا يكون، فهو لا يقدر أن يتغيّر من مكان إلى آخر؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا يستطيع أن يتحرك بتغيير المكان إذن؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا يستطيع أن يدور على البقعة عينها، لأنّه لا يلامس الشيء عينه في أيّ مكان، لأنّ الشيء عينه يكون، وذلك الذي لا يكون لا يمكن أن يُحسَبَ بين الأشياء التي تكون؟

ارسطو: لا يمكن.

بارمنيدس: إذا لا يكون الواحد إذن، لا يستطيع أن يدور في ذلك الذي لا يكون؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا يستطيع الواحد، سواء يكوَن أو لا يكون، أنْ يُبدَّل إلى غيرٍ من نفسه، لأنّه إذا تبدَّل وأصبح خلافاً من نفسه، فلا يمكننا أن نبقى متكلمين عن الواحد آنئذ، بل عن شيء ما آخر؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن إذا لم يقاسِ الواحد تبدلاً، ولا يدور دائرياً في المكان عينه، ولا يغيِّر مكانه، فهل يمكنه أن يبقى قادراً على الحركة؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: وبعدُ فذلك الذي يكون غير متحركٍ يجب أن يكون في سكون بالتأكيد، وذلك الذي يكون في سكون يجب ألاّ يتحرّك؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لا يتحرّك الواحد الذي لا يكون إذن، ويكون في حركة أيضاً؟

ارسطو: يظهر ذلك ليكون أكيداً.

بارمنيدس: لكن إذا كان الواحد في حركة يجب أن يجتاز تغييراً بالضرورة، لأنّ كلّ شيء يكون متحركاً، بقدر ما يكون هو متحرك، لا يكون في الحالة ذاتها بعد الآن، بل في حالة أخرى.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: يكون الواحد متغيراً إذن، كونه متحركاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وبالإضافة إلى ذلك، فإنه إذا لم يتحرك في أيّة طريقة، فلن يتغيَّر في أية طريقة؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: الذي لا يكون واحداً إذن، بقدر ما يكون متحركاً، فهو يكون متغيّراً، لكن بقدر ما لا يكون متحرّكاً، فهو لا يكون متغيّراً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: الواحد الذي لا يكون إذن يكون متغيراً ولا يكون متغيّراً؟

ارسطو: إنّ ذلك لجلي.

بارمنيدس: أوَلاً يجب أن يصبح ذلك الذي يكون متغيراً غيراً ممّا كان سابقاً، ويفقد حالته السابقة ويدمَّر؛ غير أنّ ذلك الذي لا يكون متغيّراً لا يستطيع أن يأتي إلى الوجود، ولا أن يدمَّر؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: ويصبح الواحد الذي لا يكون، كونه متغيراً، ويكون مدمَّراً؛ وكونه غير متغير، فلا يصبح أو يكون مدمَّراً؛ ويصبح هكذا الواحد الذي لا يكون ويكون مدمَّراً، ولا يصبح ولا يكون مدمَّراً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وبعدُ، دعنا نعود إلى البداية مرّة ثانية، ونرى ما إذا ستلي هذه النتائج أو نتائج ما غيرها.

ارسطو: دعنا نفعل كما تقول.

بارمنيدس: إذا الواحد لا يكون، فنحن نسأل ماذا سيحدث فيما يختص بالواحد، ذلك هو السؤال؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ألا تفيد كلمات (لا يكون) غياب الوجود في ذلك الذي نستخدم.

ارسطو: هكذا تماماً.

بارمنيدس: وعندما نقول أنّ شيئاً لا يكون، فهل نعني أنّه لا يكون في طريقة

واحدة بل يكون في أخرى؟ أو أننا نعني بالكليّة، أنّ ما لا يكون لا يملك في أيٍّ ضرب من الطرائق أو أيّ نوع الاشتراك في الوجود؟

ارسطو: تماماً بالكليّة.

بادمينيدس: إن ذلك الذي لا يكون، لا يمكنه أن يكون إذن، أو أن يشترك بالوجود في أية طريقة؟

ارسطو: لا يمكنه.

بارمنيدس: أو لم نعنِ بالصيرورة، وكون التدمير، افتراض الوجود، وفقدان الوجود؟

ارسطو: لا شيء آخر.

بارمنيدس: أو يقدر ذلك الذي لا يمتلك مشاركة في الوجود إمّا أن يفترض أو يفقد الوجود؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: بما أنّ الواحد لا يكون في أية طريقة إذن، لا يقدر أن يمتلك أو يفقد أو يفترض الوجود في أية طريقة؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: الواحد الذي لا يكون إذن؛ بما أنه لا يشترك في الوجود بأيّة طريقة، لا يفنى ولا يصير؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لا يتغير الواحد على الإطلاق إذن؛ لأنّه إذا كان متغيراً فسيصبح ويكون مدمَّراً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكنّه إذا لم يتغيّر لا يمكنه أن يتحرَّك؟

ارسطو: لا بالتأكيد.

بارمنيدس: ولا نستطيع أن نقول إنّه يقف، إذا لم يكن في أيّ مكان؛ لأنّ ذلك الذي يقف يجب أن يكون دائماً في البقعة الواحدة عينها؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: يجب أن قول آنئذ أنّ الواحد الذي لا يكون لا يهدأ أبداً ولا يتحرك على الإطلاق؟

ارسطو: لا هذا ولا ذاك.

بارمنيدس: ولا يوجد أيّ شيء باقٍ يمكن أن يُنسب له؛ لأنّه إذا كان قد وُجِد، فسيشترك في الوجود.

ارسطو: إنّ ذلك لبيّن.

بارمنيدس: ولذلك فلا الصِّغَرُ، ولا الكِبَرُ، ولا المساواة يمكن أن تُعزى له؟

ارسطو: لا يمكنها.

بارمنيدس: ولا يستطيع ما لا يكون، أن يكون أيّ شيء، أو أن يكون هذا الشيء، أو أن يكون منسوباً إلى، أو العلامة المميّزة لهذا أو ذلك أو الغير، أو أن يكون ماضياً، أو حاضراً، أو مستقبلاً. ولا تتمكن المعرفة أو الرأي، أو التصوّر، أو التعبير، أو الإسم، أو أيّ شيء آخر الذي يكون، أن يمتلك أيّة علاقة معه؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: الواحد الذي لا يكون إذن ليس له أيّة حالة من أي نوع؟

ارسطو: يظهر أنّ هكذا هو الإستنتاج.

بارمنيدس: مرّة ثانية مع ذلك: إذا الواحد لا يكون، فماذا سيحل بالغير؟ دعنا نقرّر ذلك.

ارسطو: نعم، دعنا نقرّر ذلك.

بارمنيدس: يجب أن يكون الآخر غيراً بالتأكيد؛ لأن الآخر إذا لم يكن، كالواحد فلا يمكننا التكلم عنه الآن.

ارسطو: حقّاً.

پبارمنيدس: لكن كي تتكلَّم عن الآخر يعني الفرق ضمناً، فالعبارات (غير) و(خلاف) هي مترادفات؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن الآن المختلف يعني مختلفاً من المختلف، ويجب أن يعني الآخر غيراً من الغير؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا ما وُجِد الآخر في الحالة الحاضرة إذن، فهناك شيء ما من الذي سيكون آخراً.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وماذا يمكن أن يكون ذلك؟ ـ لأنه إذا الواحد لا يكون، فلن يكون غيراً من الواحد.

ارسطو: لن يكون.

بارمنيدس: سيكونان غيراً من بعضهما بعضاً حينئذ؛ لأنّ الخيَار الوحيد الباقي هو أنّهما غيراً من لا شيء.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وهما غير من بعضهما بعضاً كونهما جمعاً وليسا فرداً؛ وهما لا يمكن أن يكونا مفردين، بما أنه ليس هناك وحدة. إنّ كل شذرة منهما هي غير محدودة في العدد؛ وحتّى إذا أخذ شخص ذلك الذي يظهر أنّه أصغر كسر، فهذا، الذي يتراءى واحداً يفنى في الكثرة بلحظة، كما في حُلُم، ويصبح كبيراً جدّاً من كونه الأصغر، في مقارنة بالكسور التي جُزِّىء إليها؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: وسيكون الآخر في هكذا ذرات غيراً من بعضه بعضاً، إذا الآخر يكون والواحد لا يكون؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وسيبينِ أنّ الرقم يمكن أن يكون معساً منهما إذا ظهر كل واحد منهُما ليكون واحداً، بالرّغم من أنّه كثرة بحقّ؟

ارسطو: سيكون ذلك.

بارمنيدس: ويجب أن يكون ظهور بعضٍ منها مفرداً والآخر مزدوجاً، بما أنّه لا يوجد هناك وحدة، يجب أن يكون ذلك بطلاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وسيظهر مرّة ثانية ليكون هناك أصغرُ بينهما؛ وحتى هذا الأصغر يظهر كبيراً ومتشعباً بالمقارنة مع الكسور الصغيرة العديدة المحتواة فيهما؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وستكون كل ذرّة متخيَّلة أنّها متساوية إلى الكثير والقليل؛ لأنّها لا يمكنها أن تظهر أنّها تمرّ من الأكثر إلى الأقلّ بدون أن تظهر أنّها وصلت إلى الوسط؛ وسينشأ هكذا ظهور المساواة.

ارسطو: على الأرجح.

بارمنيدس: وتظهر تلك الذرّات مع ذلك لتكون محدودة فيما يخص واحدها الآخر، والتي لا تمتلك في نفسها بداية ولا حدّاً ولا وسطاً؟

ارسطو: كيف هذا؟

بارمنيدس: لأنّه عندما يتصور شخص بأيٍّ من هذه، بما هي، يظهر دائماً بداية أخرى سابقة لبدايتها، ونهاية أخرى باقية بعد نهايتها، وفي الوسط أواسط أصَحّ داخليّاً لكنّها أصغر، لأنه، بما أنّ الوحدة لا توجد الآن، فلا يقدر أحدها أن يكون آمناً في أيٍّ من تلك الحالات.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: وهكذا يجب أن يكون الوجود كله مُقسَّماً إلى كسور، مهما يكن

تفكيرنا عنه، لأن الذرة التي تكون محكمة ستكون في حاجة للوحدة على الدوام.

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: ويظهر وجودٌ كهذا أنّه واحد، عندما يُرى بغير وضوح ومن مسافة؛ لكنّه عندما يُرى من قربٍ وببصيرة نفَّاذة فسيظهر كلّ شيء فرد ليكون لامتناهياً في العدد، بما أنّه يكون مجرّداً من الواحد، الذي ليس بذلك؟

ارسطو: لا شيء أكثر تأكيداً.

بارمنيدس: يجب أن يظهر كل من الآخر ليكون لامتناهياً ومتناهياً آنئذ، واحداً وكثرة، إذا وُجد الآخر من الواحد وليس الواحد؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: ألن يظهر ليكون شبيهاً وغير شبيه حينئذ؟

ارسطو: في أيّة طريقة؟

بارمنيدس: تماماً كما في الصورة، فالأشياء تظهر لشخص يقف بعيداً عنها أنّها كلّها واحدة، وأنّها تكون في الحالة عينها ومتشابهة؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكنّك عندَما تقترب منها، تظهر أنها عديدة ومتباينة، وبسبب ظهور الفرق، فخلاف في النوع، وغير شبيهة بنفسها؟

ارسطو: صدقاً.

بارمنيدس: وهكذا يجب أن تكون الذرات شبيهة وغير شبيهة بنفسها وببعضها بعضاً.

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: أوّلاً يجب أن تكون شبيهة ومختلفة من بعضها بعضاً مع ذلك، وهي منفصلة في اتصالها بنفسها، ولها كلّ نوع للحركة وكلّ نوع من أنواع

السّكون، وصائرة وكونها مدمَّرة وفي غير تلك الحالتين، وما شابه ذلك؟ ويمكن أن تكون كلُّ الأشياء متعدِّدة، إذا الواحد لا يكون والمتعدد يكون؟

ارسطو: الأكثر حقيقية.

بارمنيدس: دعنا نعود إلى البداية ونسأل مرّة ثانية، إذا الواحد لا يكون وغير الواحد يكون، فماذا سيتبع؟

ارسطو: دعنا نسأل ذاك السؤال.

بارمنيدس: لن يكون الآخر واحداً، في المقام الأول.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: ولن يكون متعدداً، لأنه إذا كان الآخر متعدّداً فسيكون الواحد محتوىً به. لكن إذا لم يكن أيٌّ منهما واحداً، فكلُّهما لا يكونان. ولذلك لن يكونا كثرة.

ارسطو: حقاً.

بارسنيدس: إذا لم يكن هناك واحد في الآخر، فالآخر ليس كثرة ولا واحداً.

ارسطو: إنهما لا يكونان.

بارمنيدس: ولا يظهران كواحد ولا كعديد.

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لأنّ الآخر ليس لديه لا نوعٌ ولا أسلوبٌ ولا طريقة للمشاركة مع أي نوع للاّوجود، ولا يستطيع الشيء الذي لا يكون، أن يكون متصلاً بأيٍّ من الغير؛ لأنّ ذلك الّذي لا يكون ليس لديه أيّة أجزاء.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وليس هناك أيّ رأي أو أيّ مظهر للاّوجود في الاتصال مع الغير، لا ولا يكون اللاّوجود معزوّاً إلى الغير في أية طريقة على الإطلاق.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: إذا الواحد لا يكون إذن، فليس هناك لأيٍّ من الغير لا كواحدٍ ولا كمتعدد؛ لأنّك لا تقدر أن تتصوَّر المتعدد بدون الواحد.

ارسطو: لا تقدر.

بارمنيدس: إذا الواحد لا يكون إذن، فالغير لا يكون، ولا يمكن أن يُتصوَّر ليكون، لا واحداً ولا عدَّة.

ارسطو: سيظهران هكذا، أنّهما لا يكونان.

بارمنيدس: ولا كشبيهين أو غير شبيهين.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا كالشيء عينه أو مختلفين، ولا في اتّصال أو انفصال، ولا في أيّةٍ من تلك الحالات التي عددناها كما تظهر لتكون؛ ـ فالغير لا يكون ولا يظهر ليكون أيّاً من هذه؛ إذا الواحد لا يكون؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: ألا يمكننا أن نختصر المحاورة بكلمة ونقول بصدق: إذا الواحد لا يكون، فلا شيء يكون؟

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: إسمح بهذا الحدّ من القول، ودعنا نؤكد أبعد من ذلك وما يظهر أنه الحقيقة، وهي أنه سواء الواحد يكون أو لا يكون، فالواحد والآخر كلاهما يكونان او لا يكونان، في كل طريقة، فيما يتعلق بأنفسهما وببعضهما بعضاً، ويظهر أنّهما يكونان وأنّهما لا يكونان.

ارسطو: الأكثر صدقاً.

محاورة رجل الدولة

أفكار المحاورة الرئيسيَّة

يحاور الغريب الإيلي، الذي كان الشخصية الرئيسيَّة في محاورة السوفسطائي، يحاور سقراط الأفتى، الذي استمع بصمت لما سبق في ذلك الحوار. يبدأ البحث في رجل الدولة، وهل نستطيع تصنيفه بين هؤلاء الذين يمتلكون علماً؟ وإن كذلك، فينبغي علينا تقسيم العلوم كما قسّمناها قبلاً، ولنعترف أنها قسمة من نوع مختلف. ان عقولنا تتصوّر كلّ أنواع المعرفة تحت نوعين اثنين، أولهما معرفة نظريَّة ويدخل علم الحساب ضمنها وهي علوم عقليَّة، والثانية معرفة عملية وتدخل ضمنها كلّ الصناعات اليدويَّة.

ورجل الدولة هو الملك، السيّد، أو ربّ البيت، إسم لمسمًّى واحد، ونطلق على علمه إسم العلم الملكي أو العلم السياسي أو الإقتصادي، ويتمّ فعله بذكائه وقوة عقله وليس بيديه، ولذلك، فله صلة بالمعرفة أكثر من صلته بالفنون اليدويَّة وبالحياة العمليَّة بشكل عام. وهكذا فإنّ فنّ الحكم ورجل الدولة، يختصّ بالعلم الملكي وبالملك. وهنا يأتي دور العلوم المتشابهة التي تقسَّم بدورها إلى قسمين، إحداهما التي تأمر، والأخرى التي تحكم. أما أداة التنفيذ فهي أن يكون الرجال المنفذين بعقلية واحدة وفي وحدة نفسيَّة تامة. وهنا يمتلك الملك دفة القيادة، وهو يتميّز عن التاجر لأنّه يصوغ القرارات وينفّذها الآخرون؛ ويمكننا أن نقارن فنّه بفنّ المؤوِّل، عريف الملاحين، النبي، والحَكَم، وبمن يصدر الأوامر أو التعليمات، ويصدرها بقصد أن تنتج شيئاً ما، والأشياء المنتَجَةُ بعضُها حيٌّ وبعضُها لا حياة فيه. والعلم الذي يمارس الأمر على الحيوانات هو العلم الملكي بكل تأكيد، وهو الذي يوجّهها إلى الأبد. ويمكنه أن يراقب توليد ورعاية المخلوقات الحيَّة كي تكون

رعاية للفرد بعض الوقت، وفي حالات أخرى، عناية مشتركة للمخلوقات في قطعان، ويحفظ القطعان هذه. وسنسمّي فنّ رعاية حيوانات عديدةٍ معاً فنَّ إدارة الجماعة، أو فن الإدارة الجماعيّة، ونعرف أنّ هناك جنسين من الحيوانات، الإنسان أولهما، والبهائم كلها تشكل الجنس الآخر. أما العلوم السياسيّة التي نبحث عنها، فهي تختص بالحيوانات الاجتماعيّة الأليفة التي هي الجنس البشري.

والآن، دعنا نقسّم التربية الجماعية للقطعان إلى جزأين متماثلين، أحدهما تربية المائيّات، والآخر تربية قطعان البر. وأن نقسّم بالتالي القطعان التي تتغذى على اليابسة لتلك التي تطير والتي تسير، ويُعرَّف الحيوان السياسي بينها أنه راجل يسير على قدمين. وسنقسّم الحيوانات التي تمشي إلى نوعين، أحدهما له قرون، والآخر بدونها. وسنقسّم العلم الذي يدير الحيوانات التي تسير على قدمين إلى جزأين اثنين، أحدهما يختص بالقطيع ذي القرون، والآخر بما لا قرون له، وما الملك إلاً راعي القطيع الأجلخ بوضوح.

وهنا سيطرح سؤالاً، هل يمكن للتجار، المزارعين، مقدّمي الغذاء، والأسياد المدرّبين، والأطباء، هل يمكنهم أن يتباروا مع مربّي الإنسانيّة الذين نسميهم رجال دول، ويعلنوا أنهم يمتلكون عناية التربية أو إدارة الجنس البشري، وإنهم لا يربّون القطيع العامّ فقط، بل الحكّام أنفسهم أيضاً؟ لكنّنا نحن متأكّدون أن أحداً لم يرفع مطلباً مشابهاً ضد الراعي مثلاً، الذي يُسمح له في كل مكان ليكون الفرد والمغذي الوحيد وطبيب قطيعه، إنّه هو مجري زواجهم وطبيب ولادتهم أيضاً، ولا أحد غيره يعرف ذلك الفرع العلمي، بل هو منشيء بهجتهم وموسيقيّهم، بقدر ما تكون طبيعتهم قابلة لهكذا تأثيرات، ولا أحد يستطيع أن يواسي قطيعه الخاص أفضل مما يقدر هو، إمّا بنغمات صوته الطبيعيّة أو بأدواته الموسيقيّة.

أما إذا أردنا أن نعرف الملك أكثر فسنبحث في قصّة ارتفاع الشمس والنجوم مرّة في الغرب، وغروبها في الشرق، وكيف أن الله حفظ حركتها وأعطاها ما

يخصّها الآن كشهادة آرثيوس الحقة. وكذلك في قصّة خلق الرجال في الأزمان الغابرة، قصة خلقهم من التراب، وإنهم لم يتوالدوا بعضُهم من بعض. أما حركة الكون ومساره فهي منتظمة بالتمام وأن الله يديره وينظمه، ثم يتركه تلقائياً، وعندَها يتحرك عكسياً خلال ملايين الدورات، وهذا بسبب توازنه التام، وحجمه الفسيح، ولأنّه يدور على محوره الأصغر حقّاً، وهذه الحركة المعاكسة هي التي تسبب التغيير الأعظم للكائنات الإنسانيّة التي تسكن العالم في زمن كهذا.

وبعد أن شرحنا قصّة خلق العالم من التراب دعنا نعود إلى رجل الدولة ونحدِّد طبيعته، قبل أن نصفه بشكل تامّ. لقد قدَّمنا الأسطورة تلك لنبيِّن أن ليس كل الآخرين منافسين للراعي الحقيقي، الذي هو غرض بحثنا فقط، بل كي نتمكّن من حيازة رؤيا عنه أوضح، وهو وحده الجدير أن يحمل هذا اللقب، لأنه هو وحـ ـه من بين الرعاة ورجال القطيع لديه عناية بالكائنات الإنسانيّة. ومع ذلك، فإن ـورة الراعي الإلهي هي حتى أعلى من تلك التي للملك، في حين أن رجال الدول الذين هم على الأرض الآن يبدون أكثر شبهاً في الخُلق برعاياهم، وأكثر بكثير ليشتركوا في توليدهم وتعليمهم تقريباً، وما علينا إلاَّ أن نبحث فيهم جميعاً، لنرى إذا كانوا فوق مستوى رعاياهم، مثل الراعي الإلهي، أو أنهم بالمستوى عينه مثلهم.

لقد اكتشفنا، بعد البحث، أن الإسم (التربية) ليس اصطلاحاً مناسباً كي يُطلق على رجل الدولة، وينبغي أن نستعمل إسماً آخر بدلاً منه وهو (العناية) بالقطعان، أو (تدبير) أو (امتلاك العناية) بها. وسنقسّم الآن تلك (العناية) بالقطعان. يبقى أن العلم الملكي له الأحقيّة والأسبقيّة ليعتني بالمجتمع الإنساني ويحكم فوق الرجال بشكل عام. وعلينا أن نميِّز بين الراعي الإلهي وبين الحامي أو الإداري الإنساني، وينبغي أن نقسّم فن الإدارة المخصَّص للإنسان على قاعدة الخيار والجبر، وبهذا نفصل المستبدّ عن الملك لأنهما مختلفان، والملك الحقيقي هو رجل الدولة وليس المستبدّ.

وبما أننا نشعر أن هناك نقصاً فيما قد قلناه الآن، ولكي نتفادى هذا الخلل، وهو أن المُثُل الأعلى نستطيع أن ننشرها بصعوبة إلاّ من خلال الأمثلة الوسط، وهي معرفة الحروف بشكل أدقّ، ومعرفتها في مقاطع لفظيَّة جدّ قصيرة وسهلة. وهنا يدخل علم المقارنة في استعمالها بطريقة صحيحة، أو تحويلها إلى لغة طويلة وصعبة، وما علينا إلاّ أن نبدأ بصياغة الرأي الصحيح، بادىء ذي بدء، لأن من ابتدأ بالرأي الباطل لا يُتوقَّعُ منه أبداً أن يصل حتى إلى جزء صغير من الحقيقة ولا أن يدرك الحكمة. سنستخدم مثالاً لشرح ذلك، وهو فن الحياكة، ونقسّمه كي نصل إلى النقطة الرئيسيَّة التي هي ضروريَّة لهدفنا. وفن الحياكة ينقسم إلى قسمين، مُبدَع ووقائي، وهو من صنع السّداة واللحمة، وهناك نوعان للفنون يدخلان في كل شيء نفعله. النوع الأول هو التعاوني، والثاني هو السبب الأول للإنتاج.

سنتطرق في عملنا بعد ذلك إلى التطويل والقِصَر، الإفراط والنقص، وفن القياس هو على علم بكل هذه الأشياء، وسنقسّم فن القياس إلى جزأين، الأول يهتمّ بنسبة الكبير والصغير بعضهما إلى بعض، وجزءٌ آخر يستحيل وجوده بدون وجود الإنتاج. أما فن القياس، فمراقبتُه نتيجتها امتياز أو جمال كل عمل فني، بما أنه يجب قياس الأكبر والأصغر بمقياس الوسط ومقارنتهما به، فبهذا يمكن لرجل الدولة أو أي إنسان فعّال أن يكون سيّد فنه بدون منازع. وإذا وُجِد معيار ومقياس، فإن وجود الفنون لأكيد، لكن إذا كان الإثنان معدومين فلا وجود للفنون. أما الجزء الأول من فنّ القياس فيختصّ بالعدد، الطول، العمق، العرض، السرعة ومضاداتها، والثاني هو أن يكون لدينا جزء آخر تُقاس به هذه الأشياء مع الوسط، والمناسب، والملائم، والمستحق، ومع كل تلك الكلمات التي تدل على الوسط أو المعيار مبعداً من النقيضين.

وبعد كل ما قلناه، ما هو غرضه فيما يتعلق برجل الدولة، أيُقصد منه أن يُحسّن معرفتنا في علم السياسات فقط، أو أن يحسّن طاقتنا للتعقل بشكل عام،

وبما أن بعض الأشياء تمتلك صوراً محسوسة بالطبيعة، فإن الصور اللامادِّيَّة منها هي الأنبل والأعظم وتُرى بالفكر فقط، وكل ما نقوله الآن إنما هو لأجلها.

يوجد كل نوع من أنواع الفنون الإنتاجيَّة في الدولة من صناعات وما شابه، ريوجد العبيد وهم لا يستحقّون العلم الملكي بكلّ تأكيد، وكذلك الصرّافون، التجار، مالكو البواخر، تجار التجزئة، وما شابههم لن يكون لهم حق المطالبة في إدارة الدولة أو علم السياسات، إلا التجاريَّة منها، وكذلك المنافسون للملك في تشكيل وحياكة النسيج السياسي، والذين لديهم براعة كبرى في أنواع العمل المختلفة المتّصلة بحكومة الدول، وهؤلاء هم الرسميون، وخدم الحكّام كما سمّيناهم، ولا يصلحون لأن يكونوا حكاماً. يأتي بعد هؤلاء الإلهيون الذين يمتلكون حصّة من العلم الرّقيّ أو الوزاري، وهم مفسرو الآلهة إلى الرجال. ثم طبقة الكهنة، الذين يعرفون كيف يمنحون الآلهة الهبات التي تأتي من الرجال، وتقبلها الآلهة بشكل تضحيات ويسألونهم منح البركات، لأن الإلهي والكاهن هما بارزان امتيازاً وفخاراً. إننا نلمح الملوك والكهنة الآخرين المنتخبين بالأكثرية الذين يأتون إلى المشهد متبوعين بخدمهم وبحشد ضخم خاص، بينما تختفي الطبقة السابقة ويتغير المرأى، ويظهر بينهم السياسي وفرقته، زعيم السوفسطائيين وأكثر السحرة إنجازاً، الذي يجب فصله عن الملك الحقيقي وعن رجل الدولة.

لكن من بين النظم الخمسة للدول وهي الملكيَّة، حكومة الأقليَّة، الديموقراطيَّة، الأوليغاركيَّة، والاستبداديَّة، فإن القوة الملكيَّة هي علمٌ، وعلمٌ من نوع غير مألوف. فما هي طبيعة هذا العلم، وأين مستقره؟ إن من يحكم طبقاً لمبدأ علمي حقيقي مبني على قواعد الحكمة والعدل هو رجل دولة، وليس مدَّعي العلم، والدولة التي يحكمها هي حقيقيَّة وأصيلة، وكل الدول الأخرى ما هي سوى تقليد لهذه فقط، وبعضها أفضل من بعضٍ أو أسوأ. ولا يَهُم هذه الدولة الصالحة أن تكون لها قوانين مكتوبة، وإذا كان هناك من تشريع فهو من عمل الملك، وأفضل شيء هو أن لا

يحكم القانون في الدولة المثاليّة، بل الإنسان الذي يمتلك قواعد وقوة عقليّة مصحوبة بالحكمة، فإن الحكم سيكون له، لأنّ القانون المكتوب لا يدرك ما هو الأنبل والأكثر عدلاً للجميع بشكل تامّ، ولذلك لا يستطيع أن يضع موضع التنفيذ ما هو الأفضل. والقانون المكتوب، بما أنه لا يصلح لكل زمن فيجب أن يكون الإنسان الذي تكلّمنا عنه هو من يمثّل القانون ويبقيه متجدّداً ومتحرّكاً مع الأيام، وذلك كي لا يؤدي بنا القانون الجامد اللامتجدد إلى الشرّ، العار، والظلم. وهكذا نلغي وضع القواعد في القوانين، لكنّنا نخلق من فنّ رجل الدولة قانوناً بحد ذاته، وبهذا سينشر لواء العدل بين المواطنين ويُخمدُ الظلم.

أمّا المعرفة السياسيّة فقلّة هم الذين يستطيعون إدراكها، يمكن أن يكونوا في جماعة صغيرة، أو في فرد، لنقل إن خمسين من كلّ ألف يدركونها. إنّ من يخرق هذا القانون الذي نتكلم عنه ستكون عقوبته الإعدام، وسيكون هذا القانون نسخة عن خواص حقيقة الفعل بقدر ما يسمح بذلك كونه مكتوباً من شفاه أولئك الذين يمتلكون معرفة. والفنّ السياسيّ لا يدركه أكثرية الأثرياء ولا عامّة الشعب. وعندما يقلّد الأغنياء شكل الحكومة الحقيقيّة، تسمّى هكذا حكومة أرستقراطيّة، وعندما يقلّدونها بدون مراعاة للقوانين تسمّى أوليغاركيّة، وعندما يحكم الفرد طبقاً للقانون في تقليد مَنْ يعرف، يسمّى ملكاً، وعندما لا يحكم الحاكم الفرد بالقانون والعرف، بل يقتفي خطوات الإنسان الحقيقي، متظاهراً أنه يستطيع أن يفعل الأفضل بانتهاكه الدستورَ المكتوب فقط، بينما تكون شهوات الطعام والجهل بواعث التقليد في الحقيقة، سندعو هذا الشخص مستبداً.

وإذا سألنا لماذا هلكت وتهلك وستهلك الدول، سنجيب، أن ما يحلّ بها من الهلاك هو من خلال فساد قياديي دفتها وملاّحيها الذين يمتلكون أسوأ أنواع الجهل بالحقائق الأسمى، إنّ عملهم ليس مُلهماً بالمعرفة، ولم يطّلعوا على العلوم السياسية بشكل كامل.

أما أشكال الحكومات فهي سبعةٌ في العدد، وينشأ ذلك عندما نقسّم الملكيّة إلى الملكيّة والاستبداديّة، وحكم الأقليّة إلى الأرستقراطيّة والأوليغاركيّة، وحكم الأكثرية يسمى ديموقراطيّة، وهذه عندما تقسّم إلى قسمين فإن المناصب فيها تقسّم إلى أجزاء صغيرة، جزئيات، ويشغلها عدد كبير من الناس، ولذلك فهي أسوأ الحكومات القانونيّة كلّها، وأسوأ الحكومات الفوضويّة كلّها، إذا كانت كلها بدون موانع القانون. إنّ أفضل أشكال الحكومات هي الملكيّة، ما عدا الدولة التي يمتلك أعضاؤها معرفة، أما أعضاء الدول الأخرى فيمكن وضعهم جانباً كونهم ليسوا رجال دول بل هم محازبون، مؤيّدو الأصنام الأكثر شذوذاً، بل هم أنفسهم أصنام. وكونهم أعظم المقلدين والسحرة، فهم أيضاً أعظم السوفسطائيين.

يبدو أن اسم السوفسطائي قد رُكّز بعد عدة منعطفات في المحاورة، وركّز بعدل أكثر فوق السياسيين، كما يسمّون، وهكذا فإنّ مأساتنا الخرافية قد تمّ تمثيلها؛ وأن فرقة الكائنات الخرافيّة وحيوانات الغابات قد فُصِلَت عن العلوم السياسية أخيراً، ويمكن مقارنتها بعملية فصل الذهب من بين كل الشوائب والتراب والحجارة والتي كان ممتزجاً بها ويصبح نقياً وخالصاً. وبعدُ، فإن كل المواد الغريبة واللامتجانسة روحاً قد فُصِلَت عن العلوم السياسيّة بطريقة مماثلة، وتُرك ما هو نفيس وذو طبيعة واحدة. تبقى هناك الفنون الأنبل للقائد والقاضي وللنوع الأسمى من الخطابة ذات الصلة بالفن الملكي، وتقنع الرجال بفعل العدل، وتساعد في إدارة دفة الدول. أما العلم الذي يقرر إذا ما كان علينا أن نقنع أمْ لا، يجب أن يكون أرفع من العلم الذي يقدر أن يقنع، والعلم الذي نخصصه لإقناع الأكثرية هو علم الكلام، وسنعطي لعلم السياسات الذي يحكم فنّي علم الكلام والإقناع، سنعطيه قوة التقرير إذا ما كنا سنوظف فنّ الإقناع أو القوة لأي شخص، أو لأن نحجم عن ذلك. وهناك فن قيادة العمليات العسكريّة وتكتيكاتها، ولا يتفوّق عليه سوى العلم الملكي بالتأكيد. وفنّ القائد العسكري هو فنّ وزاري فقط، ولا نقدر أن نرتّبه كفنّ

سياسي. يأتي بعد هذا سلطة القاضي الحق، وسلطته محدّدة لتقرّر تعامل الرجال بعدل بعضهم مع بعض، وهو نبيل النفس، سامي الكرامة، يرفض أن يُفسد بالهدايا، أو الخوف، أو الشفقة، أو بأي نوع آخر من أنواع المحاباة أو الخصومة في تقرير قضايا الرجال بعضهم مع بعض مخالفاً لما عيَّنه المشرِّع، وسلطته ليست ملكية بل سلطة حامي القوانين الذي يسهر على رعاية القوة الملكيَّة.

يظهر استعراض كل العلوم هذه، أنّ أحدها لا يكوّن علماً سياسياً أو ملكياً، لأن العلم الملكي الحق ينبغي أن لا يفعل نفسه، بل أن يحكم فوق القادرين على الفعل؛ الملك يجب أن يعرف ما يكون وما لا يكون فرصة مناسبة لأخذ زمام المبادرة في قضايا ذات أهميَّة أعظم داخل الدولة، في حين أنّ على الآخرين تنفيذ أوامره.

سنبدأ بتحليل علم السياسات، ونصف طبيعة فن الحياكة الملكي، ونظهر أسلوب عمليته ونوع النسيج الذي ينتجه. وتقريرنا الثابت بعدها هو أنّ الفنّ الحقيقي لإدارة شؤون الدولة، لن يسمح لأية دولة أن تتشكّل بمزج الرجال الأخيار والأشرار، إذا أمكن تفادي ذلك؛ بل سيبدأ باختيار الطبائع الإنسانيَّة في المعاملة بكل وضوح، وسيُعهد بها بعد اختبارها إلى المعلمين المناسبين الذين يمثلون أهداف ذلك الفن ـ هو نفسه سيعطي الأوامر، ويحتفظ بالسلطة، تماماً كما يحتفظ فنّ الحياكة بالسلطة على من يسرِّح الأصواف وكل العمال الآخرين الذين يحضِّرون المواد للحياكة، آمراً الفنون المساعدة أن تنفِّذ الأعمال التي يراها ضروريةً للحياكة، التي يجب أن يقوم هو بها.

في نمط مماثل، يظهر العلم الملكي أنه ربّ البيت من ين كل المعلمين والمهذِّبين القانونيين. وبما أن لديه هذه القوة الملكيَّة فلن يدعهم يدرّبون الرجال بطريقةٍ لا تنتج مسحة أخلاقيَّة تتناسب وعمله التأليفي الخاص، بل سيحثّهم على أن يقتصر تعليمهم على هؤلاء، أما أولئك الذين لا يقدرون أن يمتلكوا حصة في الرجولة

والاعتدال أو أي ميل فاضل آخر، ويُحملون بعيداً في الالحاد والغطرسة والعنف، بسبب الطبيعة الشريرة؛ فسيتخلص منهم بالموت والنفي ويعاقبهم بالخزي الأعظم، والذين ينغمسون في الجهل والدناءة سيُخضعهم لنير العبودية. أما بقية المواطنين، الذين يمكن أن يخلق منهم شيئاً ما بمساعدة التعليم، والذين تقدر أن تمزجهم الأيدي الخبيرة معاً، فإن الفن الملكي سيمزجهم ويحيكهم بالإضافة إلى أخذ عنصر الروح الداخلي فيهم وربطه بالرباط الإلهي الذي يناسبه، ثم يأخذ الطبيعة الحيوانية بعدئذ، ويربطها بالروابط الإنسانيّة، والمعنى أنّ الرأي عن الشريف والعادل والخيِّر ومضاداتهم، الذي يكون حقيقياً ومعزّزاً بالحكمة هو مبدأ إلهي؛ وعندما يُغرس في الروح يكون مغروساً، كما نؤكد بإيراد الدليل، بطبيعة ذات ولادة سماويَّة، والذي يستطيع غرس ذلك هو رجل الدولة والمشرِّع الصالح فقط.

بوصولنا إلى هذه النقاط الرئيسيّة وتحديدنا لها، دعنا نبحث في الصلات التي تتشكَّل بروابط الزواج بين الدول، واستيعاب الأطفال في الزواج، أو بين الأفراد بالخطوبات والزفافات الخاصة، وما هي أفضل طريقة لإنجاب الأطفال. إنّنا سنبعدهم عن السعي وراء الغنى والقوة كهدفٍ لزواجهم، وعن أن تكون شهرة العائلة هدفهم الرئيسي. إن أفضل زواج هو الذي لا تنشد الطبقة المنظمة بواسطته الطبائع الخاصة بها، وبقدر ما تقدر فهي لا تتزوج وتعطي في الزواج لهذه الطبقة على وجه الحصر، وتفعل الطبقة الشجاعة الشيء نفسه، إنّها تنشد الطبائع التي لا تشبهها بشكل خاص، بل عليهم أن يلطفوا الشجاعة مثلاً بطبيعة الاعتدال وهكذا دواليك.

وأخيراً، قد أكملنا الصورة التامة لكل من الملك ورجل الدولة والسوفسطائي، وإنها لكاملة جداً.

محاورة رجل الدولة

بوليتيكوس

أشخاص المحاورة

ثيودوروس الغريب الإيلي
سقراط سقراط الأفتى

سقراط: إنني مُدين لك بأفضالٍ عديدةٍ حقاً يا ثيودوروس، لتعريفي بثياتيتوس والغريب كليهما.
ثيودوروس: وستكون مديناً لي في وقت قصير، يا سقراط، بثلاث مرّات أكثر، عندما يكونا قد أتمّا لك وصف رجل الدولة والفيلسوف، كما السوفسطائي.
سقراط: سوفسطائي، رجل الدولة، فيلسوف! أوه يا عزيزي ثيودوروس، هل تسمع أذنيّ بحق أنّ هذا هو التقييم الذي يكوّنه عنهم الحسابي الاختصاصي بعلم الهندسة العظيم؟
ثيودوروس: ماذا تعني يا سقراط؟
سقراط: أعني أنك تقيّمهم كلهم بالقيمة عينها، في حين أن بينهم فاصلاً، لا يمكن لنسبة هندسيّة أن تعبر عنه.
ثيودوروس: بآمون، إله سيرين، يا سقراط، إنها لضربة جد عادلة؛ وتُظهر أنك لم تنسَ علم هندستك. إنني سأقابلك الشيء بمثله في وقت ما آخر، غير أنني أحب أن أسأل الغريب الآن، الذي آمل أنه لن يتعب من طيبته لنا، أسأله أن يتابع المحاورة مع رجل الدولة أو مع الفيلسوف، أيهما يفضّل؟
الغريب: إن ذلك لواجبي، يا ثيودوروس؛ بما أنني ابتدأت يجب أن أستمّر، ولا

أترك العمل إلا متمّماً. لكن ماذا سنفعل بثياتيتوس؟

ثيودوروس: في أي خصوص؟

الغريب: هل سنخفف عنه، ونأخذ رفيقه سقراط الفتي، بدلاً منه؟ بماذا تنصح؟

ثيودوروس: نعم، سأعطي الآخر دوراً، كما تقترح. إن الأفتى يعلمون أفضل دائماً عندما يمتلكون فواصل للراحة.

سقراط: أعتقد، أيها الغريب، أنه يمكن أن يقال عنهما كليهما أنهما منتسبان إليَّ بطريقة ما؛ لأن أحدهما، كما تؤكد، يمتلك تقاطيع وجهي البشع[1]، والآخر يتسمّى باسمي. ويجب أن نكون حذرين دائماً من أن نتعرّف على أحد الأقارب بأسلوب محادثته. أنّني تحادثت مع ثياتيتوس البارحة، واستمعت لأجوبته لتوّي؛ ولم أختبر سميَّ حتى الآن، لكنني يجب أن أفعل ذلك. دعه يجيبك الآن. وسيكون مناسباً لي أن أتحادث معك في وقت آخر.

الغريب: جيد جداً، هل تسمع، يا سقراط الفتي، ما يقترحه سقراط الأكبر سناً؟

سقراط ف: إنّني أفعل.

الغريب: وهل توافق على اقتراحه؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: بما أنك لا تعترض على ذلك، يبقى أنني أقل قدرة على الاعتراض. أعتقد أنه يتبع رجل الدولة بعد السوفسطائي بشكل طبيعي في نظام تحقيقنا عندئذ. ومن فضلك أن تقول، ما إذا كان سوف يُصنَّف بين أولئك الذين يمتلكون علماً؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: يجب أن تقسّم العلوم كما قسّمتها في السابق إذن؟

سقراط ف: أجرؤ القول.

الغريب: لكن القسمة لن تكون الشيء نفسه مع ذلك؟

سقراط ف: كيف إذن؟

الغريب: إنها ستُقسَّم في نقطة أخرى ما.

سقراط ف: نعم.

الغريب: أين سنكتشف ممرّ رجل الدولة؟ يجب أن نجد هذا، وعندما نكون قد فصَلناه عن الآخرين، سنَسِمُهُ بعلامة مفردة، في حين نضع العلامة للنوع الآخر فوق كل الممرّات المتشعبة. سنجعل عقولنا مستعدّةً لتصوّر كل أنواع المعرفة تحت نوعين اثنين.

سقراط ف: وجود الممر، أيها الغريب، هو عملك وليس عملي.

الغريب: نعم، يا سقراط، لكن عندما يتم الاكتشاف، يجب أن يكون ملكك كما هو ملكي.

سقراط ف: جيد جداً.

الغريب: حسناً، أليس علم الحساب ومعه فنون شقيقة أخرى محدَّدة، مجرَّد معرفة نظريَّة، منفصلة عن الفعل بالكامل؟

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: لكن معرفة الصانع تكون في فن النجارة وكل الصناعات اليدوية الأخرى، تكون كما كانت، مجسَّدَةً في هذه العمليات، وتلعب دوراً في خلق الأشياء المادية التي لم توجد سابقاً.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: دعنا نقسِّم العلوم بشكل عام عندئذ إلى تلك التي تكون علوماً عمليَّة وتلك التي تكون عقليَّة على نحو صِرف.

سقراط ف: دعنا نتخُذ هاتين القسمتين للعلوم، التي تعتبرُ كلاً واحداً.

الغريب: بالتالي فإنّ (رجل الدولة)، (الملك)، (السيد) أو (رب البيت)، هم واحدٌ والشيء عينه؛ أو أنّ هناك علماً أو فنّاً ينطبق على كل من هذه

الأسماء؟ أو على الأصح، إسمح لي أن أطرح المسألة بطريقة أخرى.

سقراط ف: دعني أسمع.

الغريب: إذا ما كان لدى أي واحد في موقع خاص الحذقُ لينصح واحداً من الأطباء العامين، ألا يجب أن يحمل هو أيضاً الإسم الرسمي للرجل الذي ينصح؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: وإذا كان قادراً أي واحد في موقع خاص أن ينصح حاكم بلاد، ألا يمكن أن يقال عنه إنّه يمتلك المعرفة التي يجب أن يمتلكها الحاكم نفسه؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكن علم الملك الحقيقي يكون علماً ملكياً بالتأكيد.

سقراط ف: نعم.

الغريب: ألا يجب أن يسمى (ملكياً) بحق، مَنْ يمتلك هذه المعرفة، سواء أكان حاكماً أو إنساناً خاصّاً، عند اعتباره فيما يتعلّق بفنّه؟

سقراط ف: يجب أن يكون بالتأكيد.

الغريب: أكثر من ذلك، فربّ البيت والسيّد هما الشيء نفسه؟

سقراط ف: طبعاً.

الغريب: مرة ثانية، يمكن مقارنة أسرة كبيرة بدولة صغيرة: ـ هل سيتباينان بقدر ما يخصّ الحكومة على الإطلاق؟

سقراط ف: إنّهما لن يتباينا.

الغريب: لنعد إلى النقطة الرئيسيّة التي كنّا بصددها لفترة خلت، ألا نرى بوضوح أنّ هناك علماً واحداً لها كلّها؛ ويمكن لهذا العلم أن يدعى ملكياً أو سياسياً أو اقتصادياً؛ نحن لن نتخاصم مع أي شخص حول الإسم.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: يكون هذا بيّناً أيضاً، وهو أنّ الملك لا يمكنه أن يفعل بيديه كثيراً، أو بكل جسده، من أجل المحافظة على امبراطوريته، مقارَناً بما يفعله بذكائه وقوة عقله.

سقراط ف: لا بجلاء.

الغريب: هل سنقول إذن، إنّ الملك لديه صلة أعظم بالمعرفة من صلته بالفنون اليدوية وبالحياة العمليّة بشكل عام؟

سقراط ف: إن لديه صلة أعظم بالمعرفة دون ريب.

الغريب: يمكننا حينئذ أن نضع الكل معاً كواحدٍ والشيء عينه ـ فن الحكم ورجل الدولة ـ العلم الملكي والملك.

سقراط ف: بوضوح.

الغريب: وسنكون متقدّمين في نظام مناسب الآن إذا واصلنا تقسيم مجال العلم المتشابه.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: فكِّر إذا ما قدرت أن تجد أيَّ مَفْصِلٍ أو مفترقٍ فيه.

سقراط ف: أخبرني من أي نوع.

الغريب: مثل هذا: يمكن أن تتذكر أننا صنعنا فناً للحساب؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: وهو واحدٌ من العلوم المتشابهة، بدون خطأ؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وسنخصص لفن الحساب هذا الذي يميز تباين الأعداد، سنخصّص له أي عمل آخر ما عدا أن يصدر حكماً عن فروقاتها؟

سقراط ف: كيف نقدر؟

الغريب: تعرف أنت أن سيّد البنّائين لا يعمل بنفسه، بل يكون حاكماً على العمال؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: إنه يقدِّم علماً، وليس عملاً يدوياً؟

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: ويمكن أن يقال لذلك بعدل آنّه يشارك في العلم النظري؟

سقراط ف: حقيقيَ تماماً.

الغريب: لكنّه يجب أن لا يعتبر مهامه، كالحسابي، كأنها في نهايتها عندما يشكِّل حُكماً؛ ـ عليه أن يخصّص للعمّال الفرديين عملهم المناسب حتّى يتمُّوه.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: أليست كل تلك العلوم متشابهة، ليست بأقل من علم الحساب وما شابه؛ أليس الفرق بين النوعين أنّ أحدهما يمتلك القوة للحكم فقط، ويمتلك الآخر الأمر أيضاً؟

سقراط ف: يظهر أنّها كذلك.

الغريب: ألا يمكننا أن نقول بشكل مناسب تماماً، أنّ هناك قسمين اثنين من كل العلوم المتشابهة ـ أحدهما الذي يأمر، والآخر الذي يحكم؟

سقراط ف: سأعتقد هكذا، فيما يختص بي.

الغريب: وعندما يكون لدى الرجال أي شيء يشتركون في فعله، فالشيء المرغوب فيه بالتأكيد أنهم يجب أن يكونوا بعقلية واحدة؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: لا نحتاج لأن نهتم بأوهام الآخرين إذن، في حين نكون أنت وأنا في وحدة ما بين نفسينا؟

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: وبعدُ ففي أي من هذين القسمين سنضع الملك؟ ـ أيكون هو قاضياً ونوعاً من المتفرج؟ أو، بما أنه يكون سيّداً بوضوح، سنخصّص له فنّ القيادة؟

سقراط ف: الآخر بجلاء.

الغريب: يجب أن نرى بعدئذ ما إذا وجدت أية إشارة للتقسيم في فنّ القيادة أيضاً. إنّني ميال لأعتقد أن هناك تميّزاً مشابهاً لذلك الذي للصانع وتاجر التجزئة، الذي يفرّق الملك عن الحكَم؟

سقراط ف: كيف يكون هذا؟

الغريب: لماذا، ألا يستلم بائع التجزئة إنتاج الآخرين ويبيعه مرّة ثانية، والذي كانت قد بيعت قبلاً؟

سقراط ف: إنه يفعل بالتأكيد.

الغريب: أليس الحكَمُ نوعاً من الرجال الذين يتلقون التعليمات التي يصوغها الأعلى منهم ويقرونها كأوامر للآخرين؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: سنمزج الفن الملكي حينئذ في النوع عينه بفن المؤوّل، عريف الملاحين، النبي، الحكَم، وبالفنون الشقيقة الأخرى المتعددة التي تمارس الأمر؛ أو، كما ميّزنا الصناعيين من تجار التجزئة في المقارنة المتقدمة، - هل سنضع كلمة مقتفية التناظر عينه، ونعزو الملك إلى قسم للعلم أسمى أو إلى (حاكم لنفسه)؟ إنه اسم مناسب، نقدر نحن أن نهمل الباقي، ونتركهُ لنتلقّى إسماً من شخص آخر. فنحن قد شرعنا في البحث عن الحاكم؛ ولسنا مهتمين بغيره الذي ليس حاكماً.

سقراط ف: جيد جداً.

الغريب: لقد ميّزنا بشكل عادل بين هذا النوع والأنواع الباقية، طبقاً لما تكون الأوامر أصليّة، أو لا تكون. وعلينا أن نقسّم الآن هذا النوع بالدور، إذا وجدنا أنه يستدعي أي تقسيم آخر.

سقراط ف: مهما كلف الأمر.

الغريب: نعم، أعتقد أنّه يستدعي ذلك؛ إتبعني من فضلك، وساعدني في القسمة.

سقراط ف: في أية نقطة؟

الغريب: أعتقد أنّنا سنجد، أنّ كلّ نوع من الحكّام بمقدرتنا تذكّره، أعتقد أنّه يصدِر تعليماته هذه بقصد أن تنتج شيئاً ما.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وليس صعباً لأن تقسّم الأشياء المنتَجَة إلى نوعين بشكل خاص.

سقراط ف: كيف ستقسمها؟

الغريب: بعض الأنواع فيه حياة، وبعضها الآخر لا حياة فيه.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ويمكننا أن نصنع من هذا التمييز، إذا أحببنا، قسمة جزئية لقسم العلم المتشابه الذي يأمر.

سقراط ف: في أية نقطة؟

الغريب: يمكن لجزء واحد أن يُنصَّب لإنتاج الأموات، والآخر للأغراض الحيَّة؛ وسيشطر الكل بهذه الطريقة.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: دعنا نترك واحداً ونأخذ الآخر من هذين النوعين؛ الذي يمكن أن يقسَّم بدوره إلى اثنين أيضاً.

سقراط ف: أيّاً من الصنفين تعني؟

الغريب: طبعاً ذلك الذي يمارس أمراً على الحيوانات. لأن العلم الملكي بالتأكيد، ما عليه أن يشرف على الأغراض الميتة، مثل سيّد العمل ذاك. إن عمله من نوع أنبل، إنّه عمل يوجد بين الكائنات الحيَّة، ويختصّ بتوجيهها إلى الأبد.

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: ويمكن أن يُراقب توليد ورعاية المخلوقات الحيَّة كي يكون بعض الوقت برعاية للفرد؛ وفي حالات أخرى، عناية مشتركة للمخلوقات في قطعان؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكنّ رجل الدولة ليس راعياً للأفراد ـ ليس كالسائق أو سائسِ حصانٍ أو ثور فرد؛ إنّه أحقّ بأن يقارن بحافظ قطيع من الأحصنة أو الثيران.

سقراط ف: تظهر تلك، في البداية، إنّها نظرية محتملة.

الغريب: هل سندعو فنّ رعاية حيوانات عديدة معاً، فن إدارة الجماعة، أو فن الإدارة الجماعيّة؟

سقراط ف: لا ضير في ذلك؛ ـ أيّ يوحي نفسه لنا خلال المحادثة.

الغريب: جيّد جداً، يا سقراط؛ وإذا ثابرت غير مدقق بشأن الأسماء كثيراً، فلسوف تكون الأغنى في الحكمة عندما تصبح رجلاً مسنّاً. وبعد، كما تقول، إنكَ تتخلّى عن البحث في الأسماء، هل تقدر أن ترى طريقة يمكن لشخص أن يسبب بواسطتها بإظهار فن العناية ليكون نوعين اثنين، لذلك الذي يكون مطلوباً بين ضعف عدد الأشياء، ليُطلب حينئذ بين نصف ذلك العدد؟

سقراط ف: سأحاول؛ ـ يظهر لي أن هناك إدارة خاصة للرجال وأخرى للوحوش.

الغريب: لقد قسمتهما في نمط أكثر استقامة ورجولة بالتأكيد؛ لكنك قد وقعت في الخطأ الذي أعتقد أنّه كان من الأفضل اجتنابه.

سقراط ف: ما هو الخطأ؟

الغريب: اعتقد أنّه كان من الأفضل أن لا تقطع جزءاً صغيراً مفرداً لا يكون جنساً، من أقسام عديدة أكبر؛ يجب أن يكون الجزء جنساً. إنها الخطة الأكثر روعة كي تفصّل موضوع البحث حالاً، إذا ما كان الفصل مصنوعاً على نحو صائب. لقد توهّمت الآن، أنك عرفت القسمة، واستعجلت المحاورة، لأنّك رأيت أنها ستصل إلى الإنسان. غير أنّك يجب أن لا تقتطع قطعة صغيرة أيضاً، يا صديقي؛ الطريق الأكثر أماناً هو أن تقطع خلال الوسط؛ الذي هو الطريق الأنسب لإيجاد الأنواع. يخلق الانتباه لهذا المبدأ التباين كله في عملية التحقيق.

سقراط ف: ماذا تعني، أيّها الغريب؟

الغريب: سأجاهد لأتكلّم بوضوح أكثر من حبّي لك، يا سقراط؛ وبالرغم من ذلك فإنّني لا أستطيع أن أوضح الموضوع بشكل تامّ في الوقت الحاضر، يجب أن أُحاول كي أُحرز بعض التقدّم من أجل الوضوح.

سقراط ف: ماذا كان الخطأ الذي ارتكبناه في تقسيمنا الحديث، كما تقول؟

الغريب: كان الخطأ تماماً كما لو إذا أراد شخص ما أنّ يقسّم الجنس البشري إلى قسمين إثنين، أتى وقسّمها حسب الأسلوب الذي يسود في هذا القسم من العالم؛ هنا يفصلون الهيلينيين كجنس واحد؛ ويضمّنون كلّ الأجناس الأخرى للجنس البشري، التّي لا تحصى ولا تمتلك أيّة روابط أو لغة مشتركة، يضمّنونها تحت اسم واحد « البربر ». وبما أنّهم يمتلكون إسماً واحداً يُفترض أنّهم جنس واحد أيضاً. أو إفترض أنّ شخصاً ما، شاء أن يقسّم عدداً إلى جزأين اثنين، إقتطع عشرة آلاف من كلّ الأعداد الباقية، وخلق منها جنساً واحداً، شاملاً باقي الأعداد تحت اسم منفصل آخر، وسيقول إنّه كان هنا نوع مفرد أيضاً، لأنّه كان قد منحه إسماً مفرداً. في حين أنّه كان بإمكانه أن يضع تصنيفاً منطقياً للأعداد أفضل بكثير وأدقّ مساواة، إذا قسّمها إلى مفرد ومزدوج، أو إذا قسّم الجنس الإنساني إلى ذكور وإناث، وفصل الليديين والفريجيين فقط، أو فصل أية قبيلة أخرى، ورتّبها ضد باقي العالم، عندما لم يكن بإمكانه أبداً أن يصنع تقسيماً إلى أجزاء كانت أنواعاً أيضاً.

سقراط ف: حقيقيّ تماماً؛ لكنّني أرغب، إذا أمكن، أن تجعل هذا التمييز بين الجزء والنّوع أوضح بعض الشيء.

الغريب: أوه يا سقراط، يا أفضل الرّجال، إنّك تفرض عليّ عملاً صعباً للغاية. لقد أنحرفنا بعيداً عن قصدنا الأصليّ من قبلُ أكثر ممّا يجب، وستجعلنا أنت نبقى تائهين عنه بعيداً جدّاً، لكنّنا يجب أن نعود إلى موضوعنا الآن؛ وسنتابع المسار الآخر عندما يكون لدينا وقت فراغ. من الآن وصاعداً،

أريدك أن تحترس ضد التخيّل في الوقت عينه، أنّك سمعتني معلناً قطّ ـ

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: إن النّوع والجزء هما متباينان.

سقراط ف: ماذا أسمعُ الآن؟

الغريب: إن النوع هو بالضرورة جزء من ذلك الذي يُسمّى نوعاً؛ لكن لا ضرورة مماثلة لأن يكون الجزء نوعاً؛ ذلك هو الرّأي الذي أرغب إليك أن تنسبه لي على الدوام، يا سقراط.

سقراط ف: ليكن هكذا.

الغريب: هناك شيء آخر أحبّ أن أعرفه.

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: النقطة الرئيسيّة التي تباينّا فيها؛ لأنني إذا لم أكن مخطئاً، كانت المكان الدقيق موضوع السؤال، وهي أين ستقسّم إدارة القطعان، لقد أبنت أنّك أكثر استعداداً من اللاّزم لتجيب أنّ هناك جنسين من الحيوانات: الإنسان أحدهما، وكل البهائم هي الجنس الآخر.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ظننت، بإبعادك جزءاً، أنّك تخيّلت أنّ الباقي شكّل نوعاً، لأنّك كنت قادراً أن تسميها بالاسم المشترك للبهائم.

سقراط ف: إن ذلك صحيح مرّة ثانية.

الغريب: إفترض الآن، يا أكثر علماء الجدل شجاعة، أنّ مخلوقاً عاقلاً وفاهماً، كطائر الكركيّ الذي يُظنُّ أنّه هكذا، كان ليخصّص أسماءً على القاعدة عينها كما فعلت أنت، وأقام طيور الكركي ضدّ كلّ الحيوانات الأخرى لتمجيدها الخاصّ المميّز، خالطاً الآخرين معاً في الوقت عينه بدون نظام. شاملاً الإنسان تحت إسم مفرد، يمكن أن يكون « بهائم » حقاً ـ هنا سيكون نوع الخطأ الذي يجب أن نحاول اجتنابه.

سقراط ف: كيف يمكننا أن نسلَم؟

الغريب: إذا لم نقسّم النوع كلّه للحيوانات، سيكون وقوعنا في ذلك الخطأ أقلّ احتمالاً.

سقراط ف: لقد كان من الأفضل أن لا نأخذ الكلّ؟

الغريب: نعم، هناك يكمن مصدر الخطأ في تقسيمنا السّالف.

سقراط ف: كيف؟

الغريب: هل تتذكّر كيف أنّ جزء العلم المشترك الذي كان مختصّاً بالأمر، كان مختصاً بتربية المخلوقات الحيّة، ـ أعني بالحيوانات في قطعان؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: في تلك الحالة، كان يعني ضمناً تقسيماً لكل الحيوانات إلى أليفةٍ وبرّيّة، تلك التي تؤهلها طبيعتها لتكون أليفة تسمى داجنة، وتسمّى بريّة تلك الّتي لا تقدر أن تكون أليفة.

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: والعلوم السياسيّة التي نبحث عنها، كانت، وما تزال، مختصّة بالحيوانات الأليفة على الدوام، ويجب أن يُبحث عنها بين الحيوانات الاجتماعيّة.

سقراط ف: نعم.

الغريب: لكن يجب علينا ألاّ نقسّم كما فعلنا آنئذ، آخذين النّوع كلّه في الحال. ولا تتعجّل كثيراً أيضاً لنصل إلى العلوم السياسيّة؛ لأنّ هذه الغلطة قد أنزلت علينا مسبقاً المحنة التي تحدّث المثَلُ عنها.

سقراط ف: ما هو ذلك المثل؟

الغريب: عجلة أكثر، سرعة أقلّ. كان علينا أن نأخذ وقتاً لنضع تقسيماً صحيحاً.

سقراط ف: والكل أفضل، أيّها الغريب، لقد جنينا ما نستحقّ.

الغريب: حسناً جدّاً. دعنا نبدأ مرة ثانية إذن، ونكافح كي نقسّم التربية الجماعيّة للحيوانات؛ يُحتمل أنّ إتمام المحاورة سيُري بشكل أفضل ما أنت متلهّفٌ لتعرفه، أخبرني، إذن ـ

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: ألم تسمع في أيِّ وقت، كما لو أنك قد فعلت ذلك بالاحتمال ـ لأنني لا أفترض أنك زرت فعلاً ـ حافظي السّمك في نهر النيل، وفي برك الملك العظيم؛ أو لربّما أنّك قد رأيت حافظين مماثلين في آبار بلدك؟

سقراط ف: نعم، إنني قد شاهدتها، لتكن متأكّداً، لقد سمعت الآخرين يصفونها غالباً.

الغريب: ولربّما أنك قد سمعت أيضاً، وربّما تأكدت من تقرير رأيته، عن أمكنة تربية الإوزّ وطيور الكركيّ في سهول صقلّية، مع أنك لم تنتقل إلى تلك المناطق أبداً.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: إنني سألتك، لأنّ هناك تقسيماً جديداً لإدارة القطعان البريَّة والمائيَّة.

سقراط ف: يوجد ذلك.

الغريب: وهل توافق على أننا يجب أن نقسّم التربية الجماعيَّة للقطعان إلى جزأين متماثلين، أحدهما تربية المائيَّات، والآخر تربية البرّيّات؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: لا حاجة بالتأكيد لأسأل: أيٌّ من هذين الاثنين يحوي الفن الملكي، لأنه واضح لكل شخص.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: يستطيع أيُّ شخص أن يقسّم القطعان التي تتغذى على اليابسة.

سقراط ف: كيف ستقسّمها؟

الغريب: عليَّ أن أميِّز بين تلك التي تطير وتلك التي تسير.

سقراط ف: إنه لأكثر من صدق.

الغريب: وأين سنبحث عن الحيوان السياسي؟ ألا يمكن للأبله، إذا جاز التعبير، أن يعرف أنه راجل؟

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: يجب أن يُبرهن الفنّ الإداري للحيوانات الراجلة أنه قادرٌ أن يُقسّم إلى أجزاء صغيرة، تماماً مثلما يمكنك أن تشطر العدد المزدوج إلى نصفين.

سقراط ف: بوضوح.

الغريب: دعني أدوّن أنّه يظهر في الفكر هنا طريقتان لذلك الجزء أو النوع الذي تهدف المحاورة لأن تصله الأولى طريقة أسرع تقتطع جزءاً صغيراً وتترك كبيراً؛ والأخرى تتفق أفضل مع المبدأ الذي وضعناه، وهو أننا يجب أن نقسّم في الوسط بقدر ما نقدر؛ لكنها طريقة أطول. نحن نستطيع أن نأخذ كلاً منهما، أيّهما يسرّنا.

سقراط ف: ألا يمكننا حيازتهما معاً؟

الغريب: معاً! أيُّ شيء تسأله! لكنّك إذا أُخذتهما بالدور، فذلك ممكن بالتأكيد.

سقراط ف: عليّ أن أمتلكهما بالدور إذن.

الغريب: لن توجد صعوبة، بما أننا قريبون من النهاية؛ ما كان عليّ أن أحتجّ على التماسك، إذا كنا في البداية أو في الوسط؛ لكن دعنا نبدأ بالطريقة الأطول الآن، طبقاً لرغبتك؛ سوف نتقدم بشكل أفضل، بينما نحن مفعمون بالنشاط. وآصْغِ إلى القسمة الآن.

سقراط ف: دعني أسمع.

الغريب: الحيوانات الأليفة الماشية المربّاة مقسمة إلى نوعين بالطبيعة.

سقراط: على أيّة قاعدة؟

الغريب: الأول له قرون، والآخر لا قرون له.

سقراط: على ما يبدو.

الغريب: إفترض أنّك تقسّم العلم الذي يدير الحيوانات التي تسير على قدمين إلى جزأين اثنين متماثلين، وأن تعرّفهما؛ لأنك إذا حاولت أن تخترع لهما أسماءً، فإنّك ستجد التعقيد كبيراً جداً.

سقراط ف: كيف يجب أن أتكلّم عنها، إذن؟

الغريب: في هذه الطريقة: قسّم علم إدارة الحيوانات السائرة على قدمين إلى جزأين اثنين، وخصّص جزءاً واحداً للقطيع ذي القرون، والآخر للقطيع الذي لا قرون له.

سقراط ف: كل الذي تقوله قد يُرهن بوفرة، ويمكن لذلك أن يُعتبر أمراً مفروغاً منه.

الغريب: إنّ الملك، بوضوح، هو راعي القطيع المجموع الذي لا قرون له.

سقراط ف: إن ذلك لجلي.

الغريب: هل سنقسّم هذا القطيع الأجلح إلى قسمين، ونخصص بالكفاح لكلٍّ مَالَهُ؟

سقراط ف: مهما كلف الأمر.

الغريب: هل سنميّزهما بامتلاكهما أو عدم امتلاكهما للقوائم المشقوقة الأظلاف، أو بخلطهما أو عدم خلطهما نسلاً؟ أتعرف ما أعني؟

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: أعني أنّ الأحصنة والحمير تتوالد من بعضها بعضاً بشكل طبيعي.

سقراط ف: نعم.

الغريب: لكنّ باقي الحيوانات الأليفة المنتمية إلى القطيع الأجلح لا يخالط نسلُ أحدها نسل الآخر؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وأيّ نوع من الحيوان سيتولى رجل الدولة أمر رعايته، ـ الجنس الواحد بالولادة، أو الواحد الذي يختلط بالآخر؟

سقراط ف: للصِّرْف بوضوح.

الغريب: أفترض أنّنا يجب أن نقسّم هذا مرّة ثانية كما قسّمنا في السابق.

سقراط ف: يجب أن نفعل ذلك.

الغريب: قد شُطِرَ الآن كل حيوان أليف واجتماعي، ما عدا جنسين اثنين؛ لأنني، بالكاد، أعتقد أن الكلاب يجب أن تُصَنَّف بين الحيوانات الإجتماعيّة.

سقراط ف: لا بالتأكيد؛ لكن كيف يجب أن نقسّم الجنسين الباقيين؟

الغريب: هناك قياس للتباين يمكن استخدامه بك وبثياتيتوس على نحو ملائم، بما أنكما تلميذا علم الهندسة.

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: القطر؛ وقطر القطر، مرّة ثانية.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: تأمّل ملياً قوّة التقدّم التي تُمنح للجنس البشري، ـ ألاَ تشبه القطر الذي تكون قوّته قدمين اثنين؟

سقراط ف: هكذا تماماً.

الغريب: ويمكن القول إن قوّة النوع الباقي، كونها قوة القدمين الإثنين مرّتين، هي القطر لقطرنا.

سقراط ف: بالتّأكيد؛ وأعتقد أنّني قريب تماماً لأفهمك الآن.

الغريب: إنني ألمح عن بُعدٍ أيُّ إسم سنربحه كمهرّجين، يا سقراط، في تلك التقسيمات.

سقراط ف: ما هو هذا؟

الغريب: لقد برزت الكائنات الإنسانيّة في النوع عينه للإبداع مع الأكثر حرية وهوائية، وقد كانت في سباقٍ معها.

سقراط ف: إنني ألاحظ ذلك التطابق المفرد بالتحديد.

الغريب: أو لن تتوقّع الأبطأ ليصل الأخير؟

سقراط ف: عليّ توقُّع ذلك حقاً.

الغريب: ويبقى وجود عاقبة أكثر إضحاكاً، وهي أن يوجد الملك متجولاً مع

القطيع، وفي منافسة متقاربة مع الشخص الذي يكون الأكثر خِبْرةً في الحياة الهوائيّة من بين كل الجنس البشري.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: يبقى هنا إذن، يا سقراط، دليلٌ أوضح لصدق ما قد قيل في تحقيقنا عن السوفسطائي[٢].

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: إنّ الطريقة الجدليّة لا تحترم الأشخاص، ولا تضع الكبير فوق الصغير، بل تصل في طريقتها الخاصة إلى النتيجة الأصدق على الدوام.

سقراط ف: بوضوح.

الغريب: وبعدُ، لن أنتظرك لتسألني، بل سآخذك طوعاً بالطريق الأقصر إلى تعريف الملك.

سقراط ف: بكلّ تأكيد.

الغريب: أقول إنه كان يجب أن نبتدىء أوّلاً، بتقسيم الحيوانات الأرضيّة إلى حيوانات ذات قائمتين وأخرى رباعيّة القوائم؛ وبما أن القطيع المجنّح، وذلك وحده، يبرز في النوع عينه مع الإنسان، لذلك يجب أن نقسّم الحيوانات ذات القائمتين إلى تلك التي تمتلك ريشاً وتلك التي لا تمتلكه، وعندما يتم تقسيمها، وتُسلّط الأضواء على فنّ إدارة الجنس البشري سيحين الوقت لإبراز رجل دولتنا وحاكمنا، ونضعه في مكانه كسائق عربة، ونسلمه زمام الدولة، لأنّ هذه أيضاً هي مهمة تختص به وحده.

سقراط ف: جيّد جداً؛ قد دفعت لي الدَّين، ـ أعني، أنّك أتممت المحاورة، وأفترض أنك أضفت الاستطراد بطريقة الفائدة[٣].

الغريب: وبعدُ إذن، دعنا نعود إلى الوراء إلى البداية، ونصل الحلقات التي تخلق معاً التعريف لإسم فنّ رجل الدولة.

سقراط ف: بكلّ تأكيد.

الغريب: كما قلنا في الأصل، فإنّ علم المعرفة النقيّ قد امتلك الجزء الذي كان علم الحكم أو الأمر، واشتُقّ من هذا جزءٌ آخر، سُميّ حكماً بنفسه، على التشابه الجزئي للبيع بنفسه؛ وكان جزءاً مهماً من هذا إدارة الحيوانات الحيّة، وحُدِّد هذا مرّة ثانية لمرحلة أبعد إلى إدارتها في قطعان، ثم في قطعان الحيوانات التي تمشي على قدمين. كان التقسيم الرئيسي للفن الآخر إدارة الحيوانات التي تمشي على قدمين وهي بدون قرون؛ يمتلك ذلك مرة ثانية الجزء الذي يمكن إدراكه فقط تحت تعريف واحد بضمّ الاسماء الثلاثة جميعها ـ رعي الحيوانات النقية السلالة. التقسيم الوحيد إلى أجزاء صغيرة أبعد هو فن تنشئة الإنسان، ـ هذا يختص بالحيوانات التي تمشي على قائمتين، وهذا ما كنا نبحث عنه، ووجدناه الآن، كونه الملكي والسياسي في الحال.

سقراط ف: لتكن متأكّداً.

الغريب: وهل تعتقد، يا سقراط، أنّنا قد فعلنا كما تقول حقاً؟

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: هل تعتقد، أعني، أنّنا قد أتممنا قصدنا بحق؟ ـ لقد كان هناك نوع من البحث، مع ذلك يُظهر التحقيق لي أنّه لم يُنجز بشكل تام: يكون هذا حيث فشل التحقق.

سقراط ف: إنني لا أفهم.

الغريب: إنني سأحاول أن أصنع الفكرة، وهي موجودة في عقلي هذه اللحظة، وأنقى لكلينا.

سقراط ف: دعني أسمع.

الغريب: هناك فنون متعددة للرّعي، وأحدها هو الفن السياسي، الذي كان لديه رعاية قطيع واحد خاص.

سقراط ف: نعم.

الغريب: وحُدِّدت هذه المحاورة بأنّها ليست فن تربية الأحصنة والوحوش الأخرى، بل فن تربية الإنسان بشكل جماعي.

سقراط ف: حقّاً.

الغريب: سجِّل، مع ذلك، سجِّل فرقاً، يميِّز الملك من كل الرعاة الآخرين.

سقراط ف: إلامَ تشير؟

الغريب: أريد أن أسأل، ما إذا كان أيّ واحد من الآخرين لديه منافس مسمّى باسم فنٍّ آخر، يدّعي ويطالب أن يساهم معه في إدارة القطيع؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: أعني إذا كان التجار، المزارعون، مقدمو الغذاء، والأسياد المدربون والأطباء أيضاً، إذا كانوا سيبارون مربِّي الإنسانيّة، الذين ندعوهم رجال دول، معلنين أنهم يمتلكون عناية التربية أو إدارة الجنس البشري، وأنهم لا يربون القطيع العام فقط، بل الحكام أنفسهم أيضاً.

سقراط ف: أليسوا محقّين في قولهم هذا؟

الغريب: محتمل جداً أن يكونوا كذلك، وسنتأمّل مطاليبهم ملياً. لكننا متأكّدون من هذا؛ لن يرفع أحد مطلباً مشابهاً مثلاً ضد الراعي، الذي يُسمح له في كل مكان ليكون الفرد والمغذي الوحيد وطبيب قطيعه؛ إنه هو مجري زواجهم وطبيب ولادتهم أيضاً؛ لا أحد غيره يعرف ذلك الفرع العلمي. إنّه صانع بهجتهم وموسيقيّهم، بقدر ما تكون طبيعتهم قابلة لهكذا تأثيرات، ولا أحد يستطيع أن يؤاسي ويلطف قطيعه الخاص أفضل مما يقدر هو، إما بنغمات صوته الطبيعية، أو بأدواته الموسيقيّة. ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن نواعم الحيوان بشكل عام.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: لكن إذا كان هذا كما تقول، هل تستطيع محاورتنا عن الملك، أن تكون حقيقية ولا يرقى إليها الشكّ؟ ألم نكن محقّين في اختيارنا له من بين عشرة آلاف مُدّعٍ آخرين على أنهم الراعي والمربي للقطيع الإنساني؟

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: ألم نتعقل لتوّنا الآن كي نفهم، ذلك مع أنّنا قد وصفنا نوعاً من أنواع الشكل الملكي، لم نتمّم حتى الآن الصورة الحقيقيّة لرجل الدولة بدقّة؟ وأننا لم نتمكن من كشفه كما هو في طبيعته الخاصة بحق، ما لم نحرّره ونفصله من أولئك الذين يتسكعون حوله ويطالبون أن يساهموا في تفوقاته المميّزة؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وإن ذلك، يا سقراط، هو ما يجب علينا عمله، إذا لم نقصد أن نجلب عاراً على المحاورة في خاتمتها.

سقراط ف: يجب أن نتفادى ذلك بكلّ تأكيد.

الغريب: دعنا إذن نخلق بداية جديدة، ونسير بطريق مختلفة.

سقراط ف: أيُّ طريق؟

الغريب: أعتقد أنه بإمكاننا أن نتسلّى قليلاً هناك قصة شهيرة يمكن لجزء غير قليل منها أن يكون محبوكاً لمنفعة، ويمكننا عندئذ أن نستأنف سلسلة تقسيمنا، وأن نتقدّم في ممرنا القديم حتى نصل إلى القمة المبتغاة. هل سنفعل ما أقولهُ؟

سقراط ف: بكل تأكيد.

الغريب: إستمع، إذن لهذه القصة والتي يجب لطفل أن يسمعها؛ وأنت لست مسنّاً أكثر من اللازم لتسلية طفوليّة.

سقراط ف: دعني أسمع.

الغريب: لقد حدث حقاً، وسيحدث مرّة ثانية، مثل العديد من الأحداث الأخرى

التي قد حفظتها لنا الروايات الْغابرة، لقد حدث النّذير الذي قيل إنّه وقع تقليدياً في خصام آرتيوس وثياستوس. لقد سمعت وها أنت تتذكّر ما قالوا إنّه حدث في ذلك الوقت، بدون شك؟

سقراط ف: أفترض أنك تعني الرمز لولادة الحمل الذهبي.

الغريب: لا، ليس ذلك؛ بل جزءاً آخر من القصة، التي تذكر كيف أنّ الشمس والنجوم ارتفعت مرّة في ناحية الغرب، وغربت في ناحية الشرق، وأن الله حفظ حركتها، وأعطاها مالها الآن كشهادة آرثيوس الحقّة.

سقراط فِ: نعم؛ توجد تلك الأسطورة أيضاً.

الغريب: مرّة ثانية، فلقد أُخبرنا عن حكم كرونوس غالباً.

سقراط ف: نعم، على الغالب تماماً.

الغريب: ألم تسمع أبداً أنّ رجال الأزمان الغابرة خُلقوا من التراب، ولم يتوالدوا من بعضهم بعضاً.

سقراط ف: نعم، تلك هي رواية أخرى قديمة.

الغريب: كل تلك القصص، وعشرة آلاف قصة أخرى أكثر روعة، تمتلك أصلاً مشتركاً. ولقد فُقِدَ العديد منها مع مرور الزمن، أو أنها كُرِّرت فقط في شكل غير متصل: لكن أصلها هو ما لم يخبره أحدٌ أبداً، وليس هناك ما يمنع من إخبارها الآن، إنّ القصة مناسبة لتلقي ضوءاً على طبيعة الملك.

سقراط ف: جيّد جداً؛ وإنني آمل منك أن تسرد القصة كلها، ولا تترك شيئاً أبداً.

الغريب: إسمع، إذن، هناك زمن، عندما هدى الله نفسُه العالم وساعدهُ ليدور في مساره؛ وهناك زمن عندما أطلقه، في تمام دورة مِحدَّدة، وكون العالم مخلوقاً حياً، وقد تلقّى في الأصل ذكاءً من خالقه ومبدعه، استدار، وبضرورة ملازمة، دار في الجهة المعاكسة.

سقراط ف: ما هو ذلك؟

الغريب: لماذا، لأنّه تملك الأشياء الأكثر إلهية من الجميع في أن تبقى أبداً نفسها وغير متغيرة، ولا يكون الجسم متضمّناً في هذا النوع. إن ذلك الذي نسمّيه سماء، أو الكون، مع أنّ المبدع قد منحه روائع متعددة، يشترك في الطبيعة الجسديّة، ولذلك لا يستطيع أن يكون حرّاً من الاضطراب بالكامل. غير أن حركته هي، بقدر الإمكان، واحدة وفي المكان عينه، والنوع عينه؛ وهي لذلك عرضة للتغيير في الاتجاه المضادّ فقط، الذي هو التغيير الأقل إمكاناً. مرّة ثانية، إن قائد كلّ الأشياء المتحركة يكون قادراً منفرداً من أن يديرها من ذاته أبديّاً؛ أمّا أن نعتبر أنّه يحركها في وقت واحد في اتجاه واحد وفي وقت آخر في الاتجاه المضاد، فهو تجديف. وإذا أخذنا هذا بعين الاعتبار، فيجب ألاّ نقول إن العالم يدير نفسه إلى الأبد، ولا نقول مرّة ثانية إن الله يسبّب دورانه كاملاً وإلى الأبد، في اتجاهين مضادين؛ أو اخيراً إنّ إلهين إثنين، لديهما أغراض متناقضة، جعلاه يتحرك دائرياً. لكنني كما قلت سابقاً (وهذا هو الخيار الوحيد المتبقي) العالم يُرشدُ في زمن واحد بقوة إلهيّة خارجيّة، ويتلقى حياة جديدة وخلوداً من يد المبدع المجدِّدة، ويتحرك مرة ثانية تلقائياً، عندما يطلقه، كونه تُرك حرّاً في وقت كهذا كي يمتلك حركة عكسيّة، خلال ملايين الدورات. يكون هذا بسبب توازنه التام، بسبب حجمه الفسيح، ولأنّه يدور على المحور الأصغر فعلاً.

سقراط ف: حقّاً، يظهر أن حسابك عن العالم حسابٌ عقلانيٌّ تماماً.

الغريب: دعنا نفكر مليّاً الآن ونحاول أن نستنتج ممّا قد قيل أنّ الظاهرة الطبيعيّة التي أكّدنا أنّها سبب كل تلك الروائع، أنها هذه هي.

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: التغيير إلى الاتجاه المضادّ الذي يأخذ مكانه من وقت إلى وقت لحركة العالم.

سقراط ف: كيف يكون ذلك السبب؟

الغريب: يمكننا أن نعتبر هذه، من بين كل الحركات السماويّة، أنها الحركة الأعظم والأكثر كمالاً.

سقراط ف: عليّ أن أتصوّر هكذا.

الغريب: ويمكن افتراضها أنّها تتسبب في التغييرات الأعظم للكائنات الإنسانيّة التي تعيش في العالم خلال الزمن.

سقراط ف: سيحدث هذا النوع من التغيير بشكل مألوف.

الغريب: وتنجو الحيوانات، كما نعرف، من تغييرات عظيمة وخطيرة لنوعيات مختلفة متعددة، تنجو بصعوبة عندما تحلّ بها حالاً.

سقراط ف: حقيقيّ تماماً.

الغريب: لهذا حدث لها هناك دمارٌ كبير بالضرورة، وهذا الدمار امتدّ إلى حياة الإنسان أيضاً. بقي من السلالة ناجون قلائل، وأولئك الذين بقوا أصبحوا مواضيع روايات خيالية عديدة وظاهرة غير مألوفة، ولواحدة بشكل خاص، تلك التي تأخذ مكانها في الزّمن عندما تكون المرحلة الإنتقاليّة محدثة إلى الدورة المضادة لتلك الّتي نحيا فيها الآن.

سقراط ف: ما هي؟

الغريب: وصلت حياة كل الحيوانات بادىء ذي بدء، إلى نقطة التوقّف، والطبيعة الفانية انقطعت عن أن تكون أو تشاهد أكبر سنّاً، وكانت معكوسة آنئذ ونمت فتيّة وليّنة؛ إسودّت خصلات شعر المسنّين مرّة ثانية، وأصبحت وجنات الإنسان الملتحي ناعمة، واستعادت ريعانها السابق؛ نمت أجسام الشباب في مطلعها أطرى وأصغر، معادةً ومصبحةً ليلاً ونهاراً باستمرار في تشابه لطبيعة الطّفل المولود جديداً في العقل كما في الجسم؛ إنحلّت في المرحلة اللاحقة تدريجياً واختفت بشكل تامّ. ومرّت أجسام أولئك الذين ماتوا بالعنف خلال

التحولات المشابهة، وكانت غير مرئيّةٍ البتّة في أيّام قليلة.

سقراط ف: كيف كانت الحيوانات مبدَعة حينئذ، أيّها الغريب، في تلك الأيام؛ وفي أيّة طريقة توالدت بعضها من بعض؟

الغريب: ذلك بيّن، يا سقراط، إنه لم يكن شيء كهذا في نظام الطبيعة آنئذٍ كتناسل الحيوانات بعضها من بعض؛ كانت السلالة المخلوقة من التراب، التي سمعنا عنها في القصة، هي التي وُجدت في تلك الأيام ـ لقد انبعثت من الأرض مرة ثانية؛ وفي هذا التخدار الذي يُشكّ به في أيامنا هذه على نحو غير ملائم، فإنّ أسلافنا، الذين كانوا الأقرب في نقطة الزمن إلى نهاية العصر الأخير، وأتوا إلى الوجود في بداية هذا، هم الرُسُلّ لنا. وسجِّل كيف جاءت تتمّة القصة؛ بعد عودة السنّ إلى الشباب، يتبع عودة الأموات، الراقدين في الأرض، عادوا إلى الحياة؛ لقد دارت عجلة ولادتهم إلى الوراء مع تغيير العالم في الاتجاه المعاكس بشكل متزامن، وقد وُضِعوا معاً ونشأوا وعاشوا في نظام مضاد، إن لم ينقل الله أيّاً منهم بعيداً إلى مكان آخر ما. لقد صعدوا من الأرض بالضرورة طبقاً لهذه الرواية وامتلكوا إسم المخلوقين من التراب. وهكذا تعلقت بهم الأسطورة المذكورة أعلاه.

سقراط ف: إنّ ذلك منسجم تماماً مع ما سبق بالتأكيد. لكن أخبرني، هل كانت الحياة التي قلت إنّها وُجدت في حكم كرونوس في دورة العالم تلك، أو في هذه؟ لأن التغيير في نظام النجوم والشمس لا شكّ بإنّه قد حدث فيهما معاً.

الغريب: إنني أرى أنك دخلت صميم ما أعنيه؛ لا، إنّ تلك الحياة العفويّة المباركة لا تخصّ الدورة الحاضرة للعالم، بل للدورة السابقة، إنّ الله حكم دورة العالم في ذلك الزمن، وأشرف على نظامه ككلّ، كما يفعل الآن. وإضافة إلى ذلك، كانت أجزاء العالم المتعدّدة موزعة بطريقة مماثلة تحت حكم آلهة

محدّدة أقلّ رتبة. وُجِد أنصَاف آلهة، كانوا رعاة الأنواع المختلفة وقطعان الحيوانات، وكان كل واحد منهم في كل ناحية كافياً لأولئك الذين كانوا رعيته؛ ولم يكن هناك من يعنُفُ على الآخر أو يفترسه، ولم تكن هناك حربٌ، أو خصام فيما بينهم. ويمكنني أن أحدِّث عن عشرة آلاف نعمة أخرى تختص بذلك التدبير الإلهي، السبب الذي كانت من أجله حياة الإنسان عفويَّة، هو كما يلي: كان الله نفسه راعيهم في تلك الأيام، وحَكَم عليهم، تماماً كما الإنسان، الذي هو كائن إلهي بالمقارنة، باقٍ يحكم فوق الحيوانات الأدنى، لم يكن ثَمّةَ دونه أشكال حكومات أو امتلاكٌ خاصٌّ للنّساء والأطفال؛ لأن كل الرجال انبثقوا من الأرض مرة ثانية، ولم يكن لديهم تذكر للماضي، وبالرّغم من أنه لم يكن لديهم أي شيء من هذا النوع، فالأرض أعطتهم فواكه بوفرة، فواكه نمت على الاشجار والشجيرات بغير أمر، ولم تكن مغروسة بيد الإنسان، وسكنوا عراة، وفي الهواء الطلق أغلب الأحيان، لأنّ حرارة فصولهم كانت معتدلة؛ ولم يكن لديهم أسِرّة، بل استلقوا على أرائك ناعمة من الحشيش، نمت بكثرة من الأرض. هكذا كانت حياة الإنسان في أيام كرونوس، يا سقراط؛ أمّا الصفة المميّزة لحياتنا الحاضرة التي يقال إنّها تحت سلطة زيوس، فتعرفها أنت من تجربتك الخاصة. هل تستطيع، وهل ستقرّر أيهما تُعتبر الحياة الأسعد؟

سقراط ف: مستحيل.

الغريب: هل سأقرّر لك بقدر ما أستطيع إذن؟

سقراط ف: بكل تأكيد.

الغريب: إفترض أنَّ الذين أشرف كرونوس على تربيتهم، لديهم هذا الترف اللاّمحدود، وقوة إجراء التعامل، ليس مع الرجال فقط، بل مع المخلوقات الوحشيّة، إفترض أنّهم قد استعملوا كلّ تلك الفوائد لغرض الفلسفة،

متحدثين مع الوحوش كما يتحدّث بعضهم مع بعضاً، ومتعلمين من كل طبيعة وُهِبت لهم بأيّة قوّة خاصّة، وكانوا قادرين على أن يقدموا أيّ خبرة خاصة إلى مخزون الحكمة، فلا صعوبة في تقرير أنهم كانوا أسعد ألف مرّة من رجال عصرنا. لكن إذا أخبروا قصصاً لبعضهم بعضاً وإلى الحيوانات، عندما كان طعامهم وشرابهم دون التخمة - هكذا قصص كما تكون معزوّة لهم الآن - سيكون الجواب سهلاً في هذه الحالة كما أتصوّر. لكن الى أن يُستطاع إيجاد شهادة ما مقنعة لحب ذلك العصر للمعرفة والبحث، فالأفضل أن ندع المسألة تسقط، ونعطي السبب الذي من أصله قد أخرجنا هذه القصة، وسنكون قادرين أن نتقدم عندئذ. في تمام الزمن، عندما كان التغيير سيأخذ مكانه، والسلالة المخلوقة من التراب قد استنفدت، بما أنّ كلّ روح قد أتمّت دورتها المناسبة للولادات وكانت أوقاتها العدديّة المحددة موزعة في الأرض، فإنّ دليل العالم قد أطلق سراح المقود، وانعزل إلى مكان رؤيته؛ وحينئذ عكست حركة العالم الرغبة المتلازمة والقدر. عندئذ أيضاً فإنّ كل الآلهة الأقل شأناً الذين اشتركوا في الحكم مع القوة الأسمى، ولأنّهم أخبِروا بما حدث، أطلقوا سراح أجزاء العالم التي كانت تحت هدايتهم. والعالم مدار دائرياً بصدمة مفاجئة، كونه أُجبر في الاتجاه المضاد من البداية إلى النهاية، كان مهتزاً بزلزال عظيم، أحدث دماراً جديداً لكل أنواع الحيوانات. توقفت الجلبة والتشوش والزلزال فيما بعدُ، عندما انقضى زمن كافٍ، وحصل المخلوق العالمي على السلام في هدوء مرّة ثانية، وترسّخ في طريقته الخاصة النظاميّة والمعتادة، مالكاً الرعاية وحكم نفسه وكل المخلوقات المحتواة فيه، ومنفّذاً تعليمات أبيه ومبدعه، بقدر ما يتذكّرها، أكثر ضبطاً بادىء ذي بدء، ثم أخذ يتعامل معها بدقّة أقل بعد ذلك. كان سببُ سقوطه خليطَ المادّة فيه، كانت هذه متأصّلة في الطبيعة الأوليّة، الممتلئة فوضى، حتى إدراكها

النظام الحاضر. لم يتلقَّ العالم أيّ شيء ليس خيراً من الله الباني، بل أتت عناصر الشرّ والإثم من الحالة السالفة، التي نشأت من ذلك المكان ودخلت في العالم أوّلاً، وانتقلت إلى الحيوانات بعدئذ. بينما كان العالم مُساعَداً بالدليل في تغذية الحيوانات، كان الشرّ صغيراً، وكان الخير الذي أنتجه كبيراً؛ وحدث الأفضل للعالم في كل طريقة على الدوام بعد الانفصال في حين كان الأقرب إلى الزمن الذي سلَّم فيه الدّفّة بكاملها. لكن الذّاكرة تلاشت في تقدّم الزمن، وبقي النزاع المزمن متسلطاً مرّة ثانية، واندفع بقوّة في مهابة تامّة، وأصبح الخير أخيراً صغيراً واختلاط الشرّ الذي غرسه العالم كبيراً، محضراً نفسه وكل الأشياء المشتملة فيه لخطر الخراب. ولذلك، وفي تلك اللحظة، فإن الله الذي وضع العالم في نظام، شاهد أنه في ضيق عظيم، وخشي أن الكل يمكن أن ينحلَّ في العاصفة ويختفي في الشواش اللامتناهي، فاستلم دفّة القيادة من جديد؛ وجعل نفسه مرجع العناصر التي قد دب فيها الانحلال والاضطراب خلال الزمن الماضي للاستقلال، رتَّبها في نظام وأحياها، وجعل العالم باقياً وخالداً. وهذه هي القصة كلها والذي سيفي بالغرض هو الجزء الأول منها إذ يصوّر طبيعة الملك، لأن العالم عندما استدار نحو الدورة الحاضرة للكون، فإنّ عمر الإنسان وقف ثابتاً مرّة ثانية، وكانت النتيجة تغيّراً مضاداً إلى الواحد السابق. المخلوقات الصغيرة التي كانت على وشك أن تختفي نمت باستقامة، وأصبح الأطفال المولودون جديداً في الأرض بلون رمادي وماتوا وغرقوا في الأرض مرّة ثانية. كل الأشياء تغيّرت، مقلدة وتابعة حالة الكون، ومتفقة بالضرورة مع ذلك في أسلوبها للتصور والكون والتغذية؛ لأنّه لم يكن مسموحاً لأي حيوان بعد ذلك اليوم أن يعود إلى الأرض من جديد من خلال التركيب بوسائط أخرى. لكن بما أنّ العالم قُضي له أن يكون سيد تقدمه الخاص، قُضي

للأجزاء في أسلوب مماثل أن تنمو وتلد وتعطي الغذاء، بقدر ما تستطيع لنفسها، مُسيَّرة بحركة مشابهة. وهكذا قد وصلنا إلى النهاية الحقيقية لهذا البحث؛ لأنّه بالرغم من وجود الكثير مما نخبره عن الحيوانات السفليّة، وعن الحالة التي تغيرت خارجاً عنها وأسباب تغيرها، ولا يوجد الكثير عن الرجال، وذلك القليل هو طبق المرام. مجردين من عناية الله، الذي امتلكهم وغُنِيَ بهم، تُركوا لا عون لهم وبدون حماية، تمزقهم الوحوش إرباً، وكانت تلك الوحوش عنيفة وقد نمت جامحة الآن. وتركتهم العصور الأولى بدون مهارة أو موارد؛ والغذاء الذي أنبتوه مرّة قد تضاءل تلقائياً. ولم يعرفوا كيف يستطيعون الحصول عليه مجدّداً حتى الآن، لأنهم لم يشعروا بوطأة الفقر قط. إنهم كانوا في ضيق شديد لكل تلك الأسباب؛ ومن أجل ذلك كانت الهبات التي تكلمنا عنها في العُرف القديم، ممنوحة للإنسان من الالهة، بالإضافة إلى هكذا تعليم وتثقيف كما كان لازباً؛ لقد أعطاهم بروميثيوس النار وهيفياستوس ورفيقته العاملة، أثينا، أعطياهم الفنون، والآخرون أعطوهم البذور وهكذا، يكون مشتقاً من كل هذه الأشياء كل الذي قد ساعد ليصوغ الحياة الإنسانيّة؛ بما أن عناية الآلهة، كما كنت قائلاً، قد تخطّت الرجال الآن، وكان عليهم أن ينظّموا طريقة حياتهم ويحتاطوا لأنفسهم، كما يفعل المخلوق العالمي الذي يجب أن نقلّد. ونتبعه نحن الرجال، عائشين ونامين أبداً، مرة في الأسلوب السابق، وأخرى في الأسلوب الآخر. كفاية عن القصة، التي يمكن أن تكون ذات فائدة في إعلامنا كيف أنّنا قد أخطأنا كثيراً في وصف الملك ورجل الدولة في حديثنا السابق.

سقراط ف: ماذا كان هذا الخطأ الكبير الذي تتكلّم عنه؟

الغريب: كان هناك خطآن اثنان، أوّلهما أقلّ، والآخر على درجة أكبر وأضخم.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: أعني أنّنا سُئلنا عن ملك ورجل دولة دورة الجيل الحاضر، أَخبرنا عن راع للقطيع الإنساني الذي اختص بالدورة الأخرى، وعن الثاني الذي كان إلهاً عندما وجب أن يكون إنساناً؛ وكان هذا خطأ أكثر خطورة. لقد أعلنّاه مرة ثانية، ليكون حاكماً للدولة بكاملها، بدون أن نشرح كيف: لم تكن هذه كل الحقيقة، ولم يُفهم قصدنا تماماً؛ غير أنّه بقيت حقيقة، ولذلك لم يكن الخطأ الثاني كبيراً إلى هذه الحدّ كما الأول.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: يجب أن نحَدِّد طبيعة رجل الدولة قبل أن يكون باستطاعتنا وصفه بالتمام.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وقدَّمنا الأسطورة كي تبيِّن، ليس أنّ كل الآخرين هم منافسون للراعي الحقيقي الذي هو غرض بحثنا فقط، بل كي نتمكن من حيازة رُؤيا عنه أوضح، وهو وحده الجدير أن يتلقّى هذا اللّقب، لأنّه هو وحده من بين الرعاة ورجال القطيع، لديه عناية بالكائنات الإنسانيّة، طبقاً للصورة التي استخدمناها.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: ولا أستطيع أن أحول دون التفكير، يا سقراط، من أنّ صورة الراعي الإلهي هي حتماً أعلى من صورة الملك؛ في حين أنّ رجال الدول الذين هم على الأرض الآن يبدون أنّهم أكثر شبهاً في الخلُقِ برعاياهم، وأكثر بكثير ليشتركوا في توليدهم وتعليمهم تقريباً.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: يبقى أنّنا يجب أن نبحث فيهم جميعاً مع ذلك، لنرى إذا كانوا هم فوق مستوى رعاياهم، مثل الراعي الإلهي، أو على المستوى عينه معهم.

سقراط ف: طبعاً.

الغريب: لنبدأ من جديد ـ هل تتذكّر أنّنا تكلمنا عن الأمر الممارس على الحيوانات ليس إفرادياً بل بشكل جماعي، وهو الذي نُسميّه فنّ تربية القطيع؟

سقراط ف: نعم، إنني أتذكّر.

الغريب: هناك، في مكان ما، يكمن خطأنا؛ لأنّنا لم نضمّن أو نذكر رجل الدولة قط؛ ولم نراقب أنّه لم يكن لديه مكان في تسميتنا.

سقراط ف: كيف كان ذلك؟

الغريب: كلّ رجال القطعان الأخرى (يربون) قطعانهم، لكن هذا الاصطلاح لا يبدو استعماله مناسباً لرجل الدولة؛ كان علينا أن نستعمل إسماً آخر مشتركاً لهم جيمعاً.

سقراط ف: صدقاً، إذا وُجد إسم كهذا.

الغريب: لماذا، أليست « العناية » بالقطعان ملائمة للجميع؟ لأنّ هذه الكلمة لا تدلُّ ضمناً على التغذية، أو على أي واجب خاص؛ إذا كانا قد قلنا إما (العناية) بالقطعان، أو (تدبير) القطعان، أو (إمتلاك العناية) بها، سيشمل أيّ اصطلاح عام كهذا، رجل الدولة مع الباقين، ممّا تطلّبه المحاورة.

سقراط ف: حقيقيّ تماماً؛ ما هو الخطوة القادمة في التقسيم؟

الغريب: كما قسّمنا قبلاً فنّ (تنشئة) القطعان، وكما كانت قطعاناً بريّة أو مائية كذلك، مجنّحة وبدون أجنحة، مختلطة أو غير مختلطة الأنسال، بقرون وبدون قرون، يمكننا أن نقسّم هكذا بالفوارق عينها تلك « العناية » بالقطعان، مدركين في تعريفنا الملكية وكيف هي في أيّامنا، وتلك التي توجد تحت سلطة كرونوس.

سقراط ف: إنّ ذلك واضح، لكنّني سأسأل، ما الذي يلي؟

الغريب: إذا كانت الكلمة (إدارة) القطعان، بدلاً من إطعامها أو تربيتها فلا أحد كان سيجادل أنّها لم توجد عناية بالرجال في حالة رجل السياسة، لقد

أكّدنا بعدل مع ذلك، أنه لم يكن هناك أيّ فن إنساني لتغذيتها هو الذي استحق ذلك الإسم، أو إذا وجد هذا على الأقل، فإنّ رجالاً عديدين كانوا أحق من أيّ ملك وأعظم للمشاركة في هكذا فنّ.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكن لن يمتلك أيّ فنّ أو علم آخر حقّاً أسبق أو أفضل من العلم الملكي كي يعتني بالمجتمع الإنساني ويحكم الرّجال بشكل عامّ.

سقراط ف: حقيقيّ تماماً.

الغريب: يجب أن نلاحظ في المكان الثاني بالتأكيد، يا سقراط، أنّ خطأً عظيماً ارتُكب في المرحلة الأخيرة من تحليلنا.

سقراط ف: ماذا كان هذا؟

الغريب: لماذا؟ لنفترض أنّنا كنا متأكّدين من وجود فنّ كفنّ تنشئة أو إطعام ما يسير على قائمتين، فليس هناك من سبب، يدعونا لتسمية هذا الفن فناً ملكياً أو سياسياً، كأنّه لم يكن هناك أكثر ليُقال.

سقراط ف: لا، بالتأكيد.

الغريب: كان واجبنا الأول، كما قلنا، أن نجدّد صياغة الإسم، كي يكون لدينا فكرة العناية بدلاً من فكرة التغذية، وأن نقسّم بعدئذ، إذ يمكن وجود تقسيمات جديرة بالاعتبار.

سقراط ف: كيف يمكن صنعها؟

الغريب: بالتمييز أوّلاً بين الراعي الإلهي وبين الحامي أو الإداري الإنساني.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وفنّ الإدارة المخصّص للإنسان يجب أن يقسّم إلى أجزاء صغيرة ثانية.

سقراط ف: على أية قاعدة؟

الغريب: على قاعدة الخيار والجبر.

سقراط ف: لماذا؟

الغريب: لأنه كان خطأً هنا، إذا لم أكن مخطئاً؛ أنّ بساطتنا قادتنا لأن نصنّف الملك والمستبدّ معاً، في حين أنهما متميزان تماماً، كشكل حكومتيهما.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: دعنا نصحّح ذلك ونقسّم العناية الإنسانيّة إلى جزأين اثنين، على قاعدة الخيار والجبر، كما قلت لفترة مضت.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وإذا سمّينا إدارة الحكّام العتاة استبداديّة، والإدارة الاختيارية للقطعان الاختياريّة التي تسير على قدمين، إذا سميناها علوماً سياسيّة، ألا يمكننا أن نؤكّد بشكل أبعد، وهو أنَّ من لديه هذا الفن الأخير للإدارة هو الملك الحقيقي ورجل الدولة؟

سقراط ف: أعتقد، أيّها الغريب، أنّنا أتممنا الآن حساب رجل الدولة.

الغريب: أتمنّى أننا أتممناه، يا سقراط، لكن عليَّ أن أقنع نفسي كما اقتنعتَ؛ وفي حكمي فإنّ شخصية الملك ليست متمّمة لحدّ الآن؛ مَثلُنا في ذلك كنحّاتي التماثيل، الذين قد أُرهقوا بأجزاء عملهم العديدة وخسروا وقتاً في قطعها، لعجلتهم الكبيرة أكثر ممّا ينبغي؛ هكذا نحن أيضاً قد اخترنا قطعة خرافية مدهشة، من عجلتنا جزئياً، وجزئيّاً من شهامة رغبتنا لنكشف عن خطئِنا السّابق، ولأنّنا تخيّلنا أن الملك احتاج لتوضيحات مهمة أيضاً، كنا مُلزمين أن نستعمل منها أكثر ممّا كان مناسباً. هذا ما جعلنا نتحادث بإسهاب، والقصّة لم تصل إلى نهاية برغم ذلك. ويمكن أن نقارن محادثتنا بصورة كائن حيّ قد رُسِمَ بجمال في صورة كِفافيّة، لكنّه لم يكن قد بلغ الحياة والصّفاء مع ذلك، رغم الصورة التي قُدِّمت بتمازج الألوان. وبعدُ، كان من الأفضل أن يُصوَّر المخلوق الحيّ بدقة للأشخاص العقلانيين باللّغة والمحادثة بدلاً من التصوير باليد أو بعمل فنّي آخر: لكنْ للنّوع الأبلد يجبُ تصويره بأعمال الفن.

سقراط ف: حقيقيّ جداً؛ لكن ما هو النّقص الباقي؟ أرغب منك أن تخبرني.

الغريب: المُثُل الأعلى، يا صديقي العزيز، تُستطاع بالكاد أن تُنشر إلاّ من خلال الأمثلة الوسط؛ يبدو لكلّ إنسان أنّه يعرف كلّ الأشياء بطريقة حالمة، ويستيقظ عندئذ وكأنه لا يعرف شيئاً مرّة ثانية.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: أخشى أنّني لم أكن محظوظاً في إثارة سؤال بشأن خبرتنا عن المعرفة.

سقراط ف: لِمَ ذلك؟

الغريب: لماذا، لأنّ (مثالي) يحتاج المساعدة من مثال آخر.

سقراط ف: تقدم، لا داعي للخوف فأنا لن أضجر.

الغريب: سأتقدم، بما أنّني أجدك مستعداً للاستماع؛ عندما يبتدىء الأطفال بمعرفة حروفهم -

سقراط ف: ماذا ستقول؟

الغريب: إنّهم سيميزون الحروف المتعّددة جيداً بما فيه الكفاية. سيميّزونها في مقاطع لفظيّة جدّ قصيرة وسهلة، وهم قادرون أن يخبروها بالضبط.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: في حين أنّهم لا يميّزون الحروف عينها في المقاطع اللفظيّة الأخرى، ويفكّرون ويتكلّمون زيفاً عنها.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: أليستِ الطريقة الأفضل والأسهل لإحضارها إلى معرفة ما لا يعرفونه لحد الآن تكون -

سقراط ف: تكون ماذا؟

الغريب: لإحالتها، قبل كل شيء إلى الحالات التي يحكمون فيها بصحة الحروف موضوع البحث، ولنقارن تلك بعدئذ بالحالات التي لم يعرفوها لحدّ الآن،

ولنريهم أنّ الحروف هي الشيء عينه، ولها الصفة عينها في كلا التركيبين، حتى توضع كل الحالات التي تكون فيها صحيحة، جنباً إلى جنب مع الحالات التي تكون فيها غير صحيحة. إنّهم يحوزون أمثلة بهذه الطريقة، ويتعلمون كيف يُدعى كل حرف في كلّ مقطع لفظي متبايناً والشيء عينه كذلك - متبايناً لأنّه يختلف عن كل الحروف الأخرى، الشيء عينه، لأنّه يبقى الشيء عينه كنفسه.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: أليست الأمثلة مصاغة بهذا الشكل؟ نحن نأخذ شيئاً ونقارنه بحالة مميّزة أخرى للشيء عينه، الذي لدينا حوله تصور صحيح، وتنشأ هناك خارج المقارنة فكرة حقيقية واحدة تشملهما معاً.

سقراط ف: على ما يبدو.

الغريب: أيمكن أن نندهش حينئذ، إذا امتلك العقل الإنسانيّ الشكّ حول أبجديّة الأشياء بشكل طبيعيّ، وكان بعض المرات، وفي بعض الحالات، مرسّخاً بثبات بالحقيقة في كل شيء هام؛ وكان مرّة ثانية، وفي حالات أخرى، مشدوهاً بكلّ ما في الكلمة من معنى؛ حائزاً على فكرة صحيحة بطريقة ما أو بأخرى عن التركيب. لكن عندما تكون مبادىء هذا العلم نفسها محوّلة إلى لغة طويلة وصعبة (مقاطع لفظيّة) للحقائق، كونه غير قادرٍ على أن يميّزها؟

سقراط ف: ما مِن شيءٍ مدهش في ذلك.

الغريب: يا صديقي، هل يقدر الشخص الذي ابتدأ بالرأي الباطل، أن يتوقّع أبداً الوصول حتى إلى جزء صغير من الحقيقة وأن يدرك الحكمة؟

سقراط ف: بالكاد.

الغريب: لن نكون، أنت وأنا، مخطئين إذن، إذا لجأنا لاستعمال هذه الطريقة

للمثال، بما أنّنا قد رأينا طبيعته في الأمثلة العامة، الصغير منها والخاص، ذلك لنقول، لنستمد الشكل الكلّي للفن من الأمثلة الأقلّ في النّوع عينه. وهكذا نكتشف بالقواعد الفنيَّة ما هي إدارة المدن، وسيصبح الحلم حقيقة لنا آنئذ.

سقراط ف: حقيقيّ جداً.

الغريب: دعنا نستأنف المحاورة السابقة مرّة أخرى، وكما كان هناك منافسون لا يُعدُّون للسلالة الملكيَّة يدَّعون أن لديهم عنايةً بالدول، دعنا نَفْصلهم كلّهم، ونتركها بمفردها؛ وكما كنت قائلاً، يجب أن يُشكل نسخة أو مثالٌ من هذه العملية في بادىء الأمر.

سقراط ف: بالضبط.

الغريب: ما هي النسخة التي توجد هناك، وتستطيع أن تقدِّم تشابهاً جزئياً كافياً إلى مهنة العلوم السياسيَّة بالقياس الأصغر؟ إفترض، يا سقراط، أنه إذا لم يكن لدينا مثالٌ آخر في اليد، واخترنا فنّ الحياكة، أو فنّ حياكة الصوف على سبيل التحديد - هل سيكون هذا كافياً تماماً ليؤدِّي كبينة لِما نأمل أن نكتشف، بدون أخذ فنّ الحياكة بمجمله؟

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: لِمَ لا يجب علينا أن نخصص لفن الحياكة عمليات القسمة عينها وقسمة القسمة التي قد خصصناها للأصناف الأخرى مسبقاً، ونصل إلى النقطة الرئيسيَّة الضروريَّة لهدفنا، بعد أن تخطَّينا ما بحثنا بسرعة قدر ما نستطيع خلال كل المراحل؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: سأجيب بإنجاز العمليَّة بشكل حقيقي.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: كلّ الأشياء التي نصنعها أو نكتسبها هي إمّا مُبدَعة أو وقائيَّة؛ يكون

الصنف الوقائي ترياقياً، ودفاعياً أيضاً؛ والدفاعية هي إمّا أسلحة عسكريّة أو وقائيّة وهي أحجية، ضد الحرّ والقرّ أيضاً. والأحجية الواقية ضد الحرّ والقرّ هي سُتراتٌ وأغطية؛ والأغطية حرامات وأثواب؛ وتُصنع بعض الأثواب من قطعة واحدة، وتُصنع الأخرى من أجزاء متعددة، ويُخاط بعض منها، ولا يخاط بعضها الآخر بل يُوثق؛ ويُصنع بعض ما لا يُخاطُ من أوتار النبات، وبعضه من الشَّعر؛ ويُلصق بعض من هذه بالماء والتراب، وتُثبَّتُ الأخرى معاً بأنفسها. وتسمّى تلك الدفاعات والغطاءَات الأخيرة الموثقة معاً بأنفسها عباءَات، ويمكننا أن نسمّي الفنّ الذي يشرف عليها فنّ الملبس، وذلك من طبيعة العملية المؤدّاة، تماماً كما كان إسم فنّ الحكم مُشتقّاً من الدولة؛ أولا يمكننا أن نقول إنّ فن الحياكة، على الأقلّ ذلك الجزء الأكبر منه الذي كان مختصاً بصناعة العباءَات الصوفيّة، ألا يمكننا أن نقول إنّه يختلف عن فن الملبس هذا، وإنّه في الطريقة عينها تلك، كما في الحالة السابقة، اختلف العلم الملكيّ عن العلم السياسيّ؟

سقراط ف: الأكثر حقيقة.

الغريب: دعنا نبعث التأمل المليّ، في المقام التالي، من أن فن حياكة العباءَات الذي يمكن أن يتوهم شخص غير كفوء أنه قد وُصف بشكل تامّ، دعنا نأمُلُ أنّ هذا الفن قد فُصِلَ عن الفنون الأخرى من العائلة ذاتها، لكن ليس من تلك الفنون التي تشترك معه بإحكام.

سقراط ف: وما هي الفنون الشقيقة؟

الغريب: أرى أنّك لم تكن معي. أعتقد لذلك أنّ من الأفضل أن نعود إلى الوراء مبتدئين حيث إنتهينا. لقد افترقنا لتوّنا الآن من فن حياكة العباءَات، صناعة البطانيات، التي تختلف عن بعضها بعضاً في أنّ واحدها يُوضع تحتيّاً ويُوضع الآخر في مكان قريب. تلك هي ما سميّتها فنوناً شقيقة.

سقراط ف: إنّني أفهم.

الغريب: ولقد أسقطنا كلّ الأشياء المصنوعة من الكتّان والقيطان، وكلّ ذلك الذي دعوناه لتوّنا الآن مجازياً أوتار النبات؛ وقد فصلنا أيضاً عملية صنع اللباد ووضع المواد معاً بالدرز والخياطة، الذي يعتبر فن الإسكافي الجزء الأهمّ فيها.

سقراط ف: بالضبط.

الغريب: إنّنا فَصَلنا فنّ منظّف الجلود آنئذ، الذي جهّز غطاءات في قطع كاملة. وفَصَلنا فن الوقاية، وأسقطنا الفنون المتنوّعة لصناعة سدود المياه التي تُوظّف في البناء. وفي حرفة النّجار بشكل عام وفي الحِرَف الأخرى، وبما أنّ كل تلك الفنون تجهّز أدواتٍ للسرقة وأعمال العنف، وتختص بصناعة أغطية الصناديق وإعداد الأبواب، كونها أقساماً لفنّ الوصل. ولقد فصلنا صناعة السلاح أيضاً، التي هي قسمٌ كبيرٌ ومتنوّعٌ من صناعة الدفاعات؛ وإبتدأنا في الأصل بفصل كل فنّ السحر الذي يختص بالترياقات، ولقد تركنا الفنّ المحدّد الذي نبحث عنه، كما سيبدو، وهو فنّ الحماية ضد قرّ الشتاء الذي ينشيء دفاعات صوفيّة، واسمه الحياكة.

سقراط ف: حقيقيّ جداً.

الغريب: نعم، يا ولدي، لكن هذا ليس كلّ شيء، لأنّ العمليّة الأولى التي تتعرض المواد لها هي عكس الحياكة.

سقراط ف: كيف ذلك؟

الغريب: إنّ الحياكة هي نوع من الرّبط.

سقراط ف: نعم.

الغريب: لكنّ العملية الأولى هي فصلٌ للألياف المكتلة والمجدولة؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: أعني عمل مسرّح الصوف؛ فنحن لا نستطيع أن نقول إنّ تسريح الصوف هو حياكة، أو أن مُسرّح الصوف هو حائك.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: مرّة ثانية، إذا قال قائل إنّ فن صناعة السّداة واللُّحمة هو فن الحياكة، فهو سيقول ما كان مفارقةً وزيفاً.

سقراط ف: لتكن متأكداً.

الغريب: هل سنقول إنّ مجمل فن القصّار(٤) أو راقي الأثواب ليس لديه أيّ شيء ليفعله بعناية أو معالجة الملابس، أو أنّنا بصدد اعتبار كل هذه الفنون كفنون حياكة؟

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: وستبقى كلُّ تلك الفنون مع ذلك مختصّة بمعالجة وإنتاج الملابس بالتأكيد. إنّها ستقاوم الامتياز الكلّيّ للحياكة. وبرغم أنها قد خصّصت حيّزاً أوسع لذلك، سوف تبقى تحتفظ بمجال واسعٍ لنفسها.

سقراط ف: حقيقي جداً.

الغريب: بجانب هذه الفنون هناك الفنون التي تصنع آلات وأدوات الحياكة، والتي يتوقع منها ربما أن تطالب في أن تكون أسباباً تعاونية على الأقلّ في كل عمل للحائك.

سقراط ف: الأكثر حقيقة.

الغريب: حسناً، إفترض أنّنا نحدُّد فن الحياكة عندئذ، أو بالأحرى ذلك الجزء منها الذي كنا قد اخترناه ليكون أعظم وأنبل الفنون التي تختص بالأثواب الصوفيّة - هل سنكون محقّين في ذلك؟ أليس هذا التعريف، مع أنّه صحيح، محتاجاً للوضوح والتمام؟ إذ، ألا تحتاج كلُّ الفنون الأخرى للخلوّ من الشوائب أولاً؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: الشيء الذي سيلي هو أنْ نفصلها إذن، كي يمكن للمحاورة أن تتقدّم في بأسلوب منتظم؟

سقراط ف: بكلّ تأكيد.

الغريب: دعنا نعتبر، في المقام الأوّل، أنّ هناك نوعين للفنون داخلين في كل شيء نفعل.

سقراط ف: ما هما؟

الغريب: النوع الأول هو (المشروط أو) التعاوني، والآخر السبب الأول للإنتاج.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: الفنون التي لا تصنع الشيء الحقيقي، بل التي تهيّىء الآلات الضرُوريَّة للتصنيع، التي بدونها لا تستطيع الفنون المتعدّدة أن تتم عملها المحدّد، الفنون هذه هي فنون تعاونية؛ لكن تلك التي تصنع الأشياء عينها هي عرضية.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: يمكن افتراض فنون الغسل والرّتق، والفنون التمهيديَّة الأخرى التي تخص الصنف العرضي، يمكن افتراضها أنّها تأتي تحت تقسيم واحد لفن الزخرفة الكبير؛ قسمة يمكن أن تُسمَّى ككلّ، فن القصّار.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: تالياً، إن تسريح الصوف وغزل الخيطان وكل أجزاء العمليّة المختصّة بالصناعة الحقيقية للثوب الصوفي تشكل فنّاً مفرداً. وهذا الفن هو واحد من تلك الفنون المعترف بها عالمياً، ـ إنه فنّ عمل الصوف.

سقراط ف: لتكن متأكّداً.

الغريب: هناك قسمان للعمل في الصوف، مرّة ثانية، وكلاهما جزآن لفنين في الحال.

سقراط ف: كيف يكون ذلك؟

الغريب: يمكن أن يكون تسريح الصوف ونصف استعمال المشط، والعمليات الأخرى للعمل بالصوف التي تفصل المركّب، يمكن أن تكون مصنفة كأنّها

تخصّ كُلاً من العمل بالصوف، وأيضاً إلى واحد من الفنّين الكبيرين اللّذين هما ذوا استعمال عالمي - فنّ التركيب وفنّ التقسيم.

سقراط ف: نعم.

الغريب: يخصّ للعمل الأخير تسريح الصوف والعمليّات الأخرى التي تكلّمت عنها لتوّي الآن؛ إنّ فناً حسن التمييز أو التقسيم في الصوف والغزل، يُنجَزُ بالمشط بطريقة ما، وبالأيدي بأخرى، إنّ هذا الفن يوصف بأشكالٍ متعدّدة تحت كل الأسماء التي ذكرتها الآن لتوّي.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: دعنا نأخذ مرة ثانية عمليّةً ما للعمل بالصوف تكون قسماً من فنّ التركيب أيضاً، ويخلق إقصاء مبادىء علم التقسيم التي وجدناها هناك، يخلق نصفين، الأول على قاعدة التركيب، والآخر على قاعدة التقسيم.

سقراط ف: دع ذلك أَنْ يكون مفعولاً.

الغريب: ومرة ثانية، يا سقراط، يجب أن نقسّم الجزء الذي يخص في الحال عمل الصوف والتركيب كليهما، إذا ما كنا لنكتشف أبداً فنّ الحياكة السابق ذكره بشكل مقنع.

سقراط ف: يجب أن نقوم بذلك.

الغريب: نعم، بالتأكيد، دعنا نسمّي جزءاً واحداً من الفن فنّ جَدْل الخيطان، والفنّ الآخر تجميعها.

سقراط ف: هل أفهمك، عندما تتكلم عن الجَدْل، إنّك تشير إلى صناعة سَداة النسيج؟

الغريب: نعم، وعن لُحمة النّسيج أيضاً؛ كيف تُصنع لُحمة النسيج إنْ لم تُصنع بالجَدْل؟

سقراط ف: أليس هناك من طريقة أخرى.

الغريب: إفترض إذن أنّك ستُعرّف سَداة النسيج ولُحمته، لأنّني أعتقد أنّ التعريف سيكون ذا فائدة لك.

سقراط ف: كيف سأعرّفهما؟

الغريب: هكذا: يُقال إنّ قطعة الصوف المسرّح التي تُسحب بالطول وبالعرض، يقال إنّها مشدودة.

سقراط ف: نعم.

الغريب: والصوف المجهّز هكذا، عندما يُجدَل بالمغزل، ويُصنع في خيوط متينة يُسمى سَداة النسيج، ويسمّى الفنّ الذي ينظّم هذه العمليّات فنّ غزل سَداة النسيج.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وتدعى الخيوط التي تُغزل بغير إحكام، ولها نعومة متناسبة إلى النسيج المتداخل للسَداة وإلى درجة القوة المستعملة في ارتداء الأثواب ـ تدعى هذه الخيوط اللُحمة، ويمكن أن يُسمّى الفنّ الذي يُوضع فوقها فنّ غزل الُلحمة.

سقراط ف: حقيقي جداً.

الغريب: وبعدُ، لا يمكن أن يوجد أيّ خطأ بشأن طبيعة جزء الحياكة الذي تعهدنا تحديده. إذ عندما يشكّل ذلك الجزء لفنّ التركيب الذي يُوظّف في عمل الصوف، عندما يشكّل شبكة بالنسيج المنتظم المتداخل لسداة النسيج ولحمته، فإنّ المادّة المحاكة ندعوها كلها ثوباً صوفياً، والفنّ الذي يتوّج هذا هو فن الحياكة.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: لكن لماذا لم نقل حالاً إنّ فن الحياكة هو فنّ شبك سَداة النسيج ولحمته، بدلاً من خلق دورة طويلة وعديمة الجدوى؟

سقراط ف: فكرت، أيّها الغريب، أنه لم يوجد أيّ شيء عديم النفع فيما قيل.

الغريب: محتمل جداً، لكن لربّما لا تفكّروا هكذا دائماً، يا صديقي الحبيب؛ وفي حالة أنّه سينشأ أيُّ شعور من عدم الرّضا في عقلك من الآن فصّاعداً، كما يمكن ذلك حقاً، دعني أؤكّد مبدأ سيُطبَّق على المحاورات بشكل عامّ.

سقراط ف: تقدَّم.

الغريب: دعنا نبدأ بتأمّل مجمل الطبيعة للإفراط والنقص، وستكون لدينا أرضيّة عقليّة عندئذ يمكننا عليها أنْ نثني أو نلوم التطويل الكثير جداً أو القِصَر الكثير جداً في أبحاث من هذا النوع.

سقراط ف: دعنا نفعل ذلك.

الغريب: النقاط الرئيسيّة التي أعتقد أنّنا يجب أن نتناولها هي التالية ـ

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: التطويل والقِصَر، الإفراط والنّقص. إنّ فنّ القياس هو على علم بكلّ هذه الأشياء.

سقراط ف: نعم.

الغريب: ويجب أن يكون فنّ القياس مقسّماً إلى جزأين اثنين، بالنظر إلى غايتنا الحاضرة.

سقراط ف: أين ستصنع التقسيم؟

الغريب: هكذا: إنّني سأصنع جزأين، واحداً لديه اهتمام إلى النسبة للكبير والصغير لِبعضهما بعضاً؛ وآخر، سيكون وجوده مستحيلاً بدون وجود الإنتاج.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: ألا تعتقد أنّه سيكون طبيعياً للأكبر فقط أن يُسمّى أكبر فيما يتعلق بالأصغر وحده، والأصغر أصغر فيما يتعلق بالأكبر وحده؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: حسناً، لكن ألا يوجد شيء ما أيضاً سابقاً ومسبوقاً بقاعدة الوسط، في الكلام وفي العمل كليهما، أوليست هذه حقيقة، وهي العلامة الرئيسيّة للفرق بين الرجال الأخيار والأشرار؟

سقراط ف: يظهر أنّه كذلك؟

الغريب: يجب علينا أن نفترض حينئذ أنّ الكبير والصغير يوجدان وهما مميزان في هاتين الطريقتين كلتيهما، وليسا نسبيين لبعضهما بعضاً كما قلنا سابقاً، بل يجب أن تكون هناك مقارنة أخرى لهما بالقياس الوسط أو المثاليّ؛ هل تريد أن تسمع ما هو السبب؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: إذا افترضنا أنّ الأكبر موجود بالنسبة إلى الأصغر فقط، فلن يكون هناك أيّة مقارنة لكليهما مع الوسط أبداً.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: أوَلن يكون هذا التعليمُ الخرابَ لكلّ الفنون ولإبداعاتها؟ ألنْ يكون فنّ رجل الدولة وفن الحياكة المنوّه عنهما سابقاً متوازيين؟ لأنّ كل تلك الفنون تقف بالمرصاد ضدَّ الإسراف والنقص، ليس كأباطيل، بل كشرورٍ حقيقيّة، تسبب صعوبة في العمل؛ ويكون إمتياز أو جمال كلّ عمل للفن نتيجة لهذه المراقبة للقياس.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: لكن إذا توارى فنّ رجل الدولة، سيكون البحث عن الفنّ الملكيّ مستحيلاً.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: حسناً، إذن، كما في حالة السوفسطائي لقِد استنتجنا أنّ اللّاوجود يمتلك بقاء، لأنّ النقطة الرئيسيّة التي أفلتت المحاورة فيها من قبضتنا كانت هنا، هكذا في هذه يجب أن نجبر الأكبر والأصغر ليُقاسا، ليس ضد بعضهما بعضاً فقط، بل فيما يختص بأثر الوسط أيضاً؛ لأنّه إذا لم يُعترف بهذا، فلا رجل الدولة ولا أيّ إنسانٍ فعّال آخر يستطيع أن يكون سيّداً لفنّه بدون منازع.

سقراط ف: نعم، يجب أن نفعل مرّة ثانية ما فعلناه حينها بالتأكيد.

الغريب: لكنّ هذا، يا سقراط، عملٌ أعظم من العمل الآخر، الذي نتذكر تطويله أكثر من اللّزوم أيضاً. أعتقد أنَّ بإمكاننا أن نفترض شيئاً ما من هذا النوع بشكل عادل، على كل حال.

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: إنّنا سنحتاج هذه الفكرة للوسط يوماً ما بقصد إيضاح الحقيقة الدقيقة، في حين أنّ بقاء الفنون بالتحديد يجب فهمه على أنّه يعتمد على إمكانيّة القياس تقريباً، ليس مع بعضها بعضاً فقط، بل بالنظر إلى إدراك الوسط أيضاً. يبدو ذلك أنّه يقدم دعماً كبيراً وبرهاناً مقنعاً للمبدأ الذي نؤّكده؛ إذ لو كانت هناك فنون، فهناك إذن معيار وقياس، وإذا وُجد معيار للقياس، فهناك فنون؛ لكنْ إذا كان الإثنان معدومين، فلا وجود لأيٍّ منهما.

سقراط ف: حقاً؛ وما هي الخطوة القادمة؟

الغريب: الخُطوة القادمة هي أن نقسّم فنّ القياس إلى جزأين اثنين بوضوح، كما كنا قد قلنا سابقاً، وأن نضع في أحد الجزأين كل الفنون التي تقيس العدد، الطول، العمق، العرض، السرعة مع مضادّاتها؛ وأن يكون لدينا جزء آخر تقاس به هذه مع الوسط، والمناسب، والملائم، والمستحق، ومع كل تلك الكلمات التي تدل على الوسط أو المعيار مُبعداً من النقيضين، باختصار.

سقراط ف: هناك قسمتان واسعتان تتضمنان حيّزين مختلفين جداً.

الغريب: ثمّةَ رجال عديدون بارعون، يا سقراط، يقولون إنّ فنّ القياس فنٌّ عالمي، معتقدين أنهم يتكلّمون بحكمة، وأنّه يتعلق بكل الأشياء التي تأتي إلى الوجود، وهذا يعني ما نقوله نحن الآن؛ لأنّ كل الأشياء التي تدخل ضمن نطاق الفن تشترك بالقياس في معنى ما. غير أنّ هؤلاء الأشخاص، لأنّهم غير معتادين على أن يميّزوا الأنواع طبقاً للأشكال الحقيقيّة، يخلطون معاً

شيئين متباينين إلى حد بعيد، شيئين قريبين لبعضهما بعضاً وللمعيار، ظنّاً منهم أنّهما الشيء عينه، ويقعون في خطأ مضادّ بقسمة الأشياء الأخرى ليس طبقاً لأجزائها الحقيقيّة. في حين أنّ الطريقة الصحيحة هي، أنّه إذا رأى الإنسان الطبيعة العامة للأشياء بادىء ذي بدء، فعليه أن يستمّر بالتساؤل وأن لا يكفّ عن ذلك ما لم يجد كلّ الفروقات التي تشكلّ أصنافاً مميزة محتواة فيها؛ ولا يجب أن يكون قادراً أن يرتاح مرّة ثانية مطمئناً بالمتنوعات المتشعّبة التي تُرى في أشياء لا تُعدُّ ولا تُحصى حتى يدرك أنّها تمتلك كلها أيّة صلة وثيقة داخل حدود التشابه الواحد وأن يحتويها داخل الحقيقة للنوع الفرد. لكننا قد قلنا كفاية عن هذا المقال، وعن الإسراف والنقص أيضاً؛ يجب أن ندرك ونعي فقط أنّ التقسيمين الإثنين لفنّ القياس اللذين يختصان به قد اكتُشِفا، ويجب ألاّ ننسى ماهيتهما.

سقراط ف: نحن لن ننسى.

الغريب: وبعد بما أنّ هذه المحادثة قد اكتملت، دعنا نستمر لنعتبر سؤالاً آخر، لا يهمُّ هذه المحاورة فقط بل يهمّ سلوك محاورات كهذه بشكل عامّ؟

سقراط ف: ما هو السؤال الجديد؟

الغريب: خذ حالة الطفل المشغول بتعلم الأبجديّة؛ عندما يُسأل أيّة حروف تخلق كلمة، هل علينا أن نقول إنّ ذلك السؤال يقصد منه أن يُحسِّن معرفته النحويّة لتلك الكلمة المحدَّدة، أو لكلّ الكلمات؟

سقراط ف: كي يتمكن من معرفةٍ أفضل لكلّ الكلمات، بوضوح.

الغريب: وما هو غرض هذا التحقيق عن رجل الدولة؟ أيُقصدُ منه أن يُحسِّن معرفتنا عن علم السياسات فقط، أو أن يُحسِّن طاقتنا للتعقّل بشكل عام؟

سقراط ف: إنّ الهدف هو هدف عام، كما في المثل السابق، بوضوح.

الغريب: أيّ إنسان عقلاني يحاول تحليل فكرة فنّ الحياكة أقلّ من أجلها بشكل خاصّ، لكنّ الشعب يبدو أنّه ينسى أنّ بعض الأشياء تمتلك صوراً محسوسة

بالطبيعة، تُعرف بيسر، يمكن الدلالة عليها عندما يرغب أيُّ شخص أن يجيب على تساؤل يخصها بدون أيّ إزعاج أو حوار، مع أنّ الأشياء الأعظم والأكثر نفاسة الموجودة ولكن ليس لديها أيّة صورة ظاهريَّة مصمَّمة لتعليم الإنسان بوضوح، التي يمكن لواحد أن يجعلها سهلة للنظر أو لحاسة ما أخرى، وتهب هكذا رِضاً تاماً لعقل المحقّق. ولذلك يجب أن ندرب أنفسنا لنمنح ونقبل حساباً عقليّاً عن كلّ شيء؛ لأنّ الأشياء اللامادية، التي هي الأنبل والأعظم، تُرى بالفكر فقط، وليس في أيّة طريقة أخرى، وكلّ الذي نقوله نحن الآن فإنّما يُقال لأجلها. إضافة إلى ذلك، هناك صعوبة أقلّ دائماً إذا ابتدأ شخص بالمران عليها على نطاق أقلّ.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: دعنا نتذكر كل هذا.

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: أريد أنْ أتخلّص من أيِّ انطباع مملٍّ يمكن أنّنا قد اختبرناه في الفحص الطويل عن فنّ الحياكة، وقصة تغيير العالم إلى الاتجاه المضاد، وفي البحث فيما يخص السوفسطائي والوجود واللاوجود. أعرف أنّها كلّها قد بدت أكثر تطويلاً من اللزوم، وأنّني لمست هذا بنفسي، وأخاف ألاّ تكون مملّة فقط بل غير متصلة بالموضوع، وكل ما قد قلته الآن مُصمَّمٌ ليمنع التّكرار لغير ملاءمات كهذه مستقبلاً.

سقراط ف: جيداً جداً. هل ستتقدَّم؟

الغريب: سأحب أن نراقب، أنت وأنا إذن، متذكرين ما قد قلناه، من أنّنا يجب أن نثني أو نلوم طول أو قصر التحقيقات، ليس بمقارنة أحدها بالآخر، بل بما هو مناسب، وأن يكون لدينا اعتبار لذلك الجزء من فنّ القياس، الذي كما قلنا، كان ليولد في العقل.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: ومع ذلك، فليس كل شيء يحتكم حتى بالنظر إلى ما هو مناسب؛ وسنريد هكذا إسهاباً، إذا ما أردناه مطلقاً، سنريده كمسألة ثانوية فقط، وإذا كان مناسباً أن يمنحنا البهجة، ويخبرنا العقل أن لا نكون راضين كهدف أوّل لنا خلق السهولة أو السرعة في التحقيق، بل كهدفٍ ثانٍ؛ أمّا الأوّل والأسمى من كل وجود فهو أن نؤكد الطريقة العظيمة للقسمة طبقاً الأجناس، لا يجب أن يؤخذ بأيّة إساءة في الإسهاب الكبير للبحث، إذا كان عليه أن يشحذ ذكاء المستمعين. يجب التصديق على هذا إذا تمّ فعله، وأن يكون مَقضياً به على نحو مماثل. سيقول العقل أيضاً لمن ينتقد تطويل الأبحاث في مناسبات كهذه، ولا يقدر أن يتحمّل إسهابها، سيقول العقل له إنّه لا يجب أن يكون في عجلة من أمره ليسقط الموضوع في حين اشتكى أنّه مُمِلٌّ، بل عليه أن يفعل أفضل ما عنده ليبرهن أن الأبحاث إذا كانت أقصر ستجعل أولئك الذين أخذوا جزءاً فيها علماء جدل بشكلٍ أفضل، وأكثر قدرة للتعبير عن حقائق الأشياء؛ إنّه لا يحتاج لأن يتعب نفسه بشأن أيّ ثناء أو لوم بمقياس آخر ـ عليه أن يتظاهر أنّه لا يسمع ذلك. غير أنّنا قد حزْنا كفاية عن هذا، كما ستقف معي في التفكير على الأرجح. دعنا نعود لرجل دولتنا، ونستخدم لحالته مثال الحياكة المذكور آنفاً.

سقراط ف: جيداً جداً؛ ـ دعنا نفعل كما تقول.

الغريب: لقد فُصِلَ فنّ الملك أكثر من الفنون الرفيقة له، وحقاً، عن كل تلك الفنون التي لها علاقة بالقطعان على الإطلاق. لا يزال هناك، على كل حال، من الفنون الطارئة والتعاونية تلك التي تمارَس داخل المدينة، والتي يجب أن تكون مميّزة بعضها عن بعض بادىء ذي بدء.

سقراط ف: جيد جداً.

الغريب: هل تعرف أن هذه الفنون لا يمكن أن تُقسّم بسهولة إلى نصفين اثنين؟

أعتقد أنّ السبب سيكون واضحاً جداً أثناء تقدمنا في البحث.

سقراط ف: إنه لمن الأفضل عمل ذلك إذن.

الغريب: علينا أن نقطّعها كذبيحة إلى أعضاء وأطراف، بما أنّنا لا نستطيع شطرها.(٥) إنّ علينا تقسيم كل شيء إلى أجزاء قليلة قدر المستطاع بدون ريب.

سقراط ف: ما الذي يجب فعله في هذه الحالة؟

الغريب: ما فعلناه في مثال الحياكة ـ كل تلك الفنون التي تجهّز الآلات اعتبرناها فنوناً تعاونية.

سقراط ف: نعم.

الغريب: هكذا الآن، وبوجود سبب أكثر، ربّما يمكن اعتبار كل تلك الفنون التي تصنع أية أداة في الدولة، سواء كبيرة أو صغيرة، ربما يمكن اعتبارها فنوناً تعاونية، إذ بدونها لا الدولة ولا فن إدارتها ستكون ممكنة؛ ومع ذلك فنحن لسنا ميّالين لنقول إنّ أيّاً منها هو نتاج الفن الملكيّ.

سقراط ف: لا، حقاً.

الغريب: إنّ العمل الشاقّ، الذي تعهّدناه، لفصل هذا النوع عن الأنواع الأخرى، ليس عملاً سهلاً؛ إذ هناك معقولية في قول إنّ أيّ شيء في العالم هو الأداة لعمل شيء واحد على الأقلّ. لكن هناك نوعاً آخر للتملّك في المدينة، لديّ كلمة لأقولها عنه.

سقراط ف: إلامَ تشير، أيّ نوع تعنيه؟

الغريب: النوع الذي يمكن وصفه أنه لا يمتلك هذه القوة؛ ذلك ليُقال، ليس مثل الأداة التي ابتكرت لتكون سبب الإنتاج، بل أعِدّت لحفظ ذلك الذي تم إنتاجه.

سقراط ف: إلامَ تشير؟

الغريب: إلى صنف الأوعية، كما تسمّى بشكل شامل، التي رُكّبت لحفظ الأشياء السائلة والجافة، للأشياء المُعدَّة في النار أو خارجها. إن هذا النوع واسعٌ جدّاً، وإذا لم أكن مخطئاً، ليس لديه أيّ شأن بالفن الملكيّ حرفيّاً، ذلك الفنّ الذي نبحث عنه.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: هناك نوع ثالث للتملّكات يجب تدوينه أيضاً، إنّه متباينٌ عن هذه الأنواع ومتسعٌ جداً، متحرك أو ساكن على اليابسة أو الماء، شريف وخسيس أيضاً. كل هذا النوع له إسم واحد، وقُصِدَ به ليوضع فوقه، كونه مرتكَزاً لشيء ما على الدوام.

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: إنّه العربة، التي ليست عمل رجل الدولة بالضبط، بل عمل النجار، الخزفي، والنحّاس.

سقراط ف: إنّني أفهم.

الغريب: أليس هناك نوع رابع يكون متبايناً مرّة ثانية، تُحتوى فيه أكثر الأشياء المذكورة سابقاً - كلّ نوع من الملابس، أكثر أنواع الأسلحة، الحيطان والأسوار، التي من التراب أو الأحجار، وعشرة آلاف الأشياء الأخرى؟ يمكن أن يُدعى النّوع كله دفاعات بحقّ، كونها مصنوعة لغرض الدفاع، وتُعتبر كعمل البنّاء أو الحائك في أغلب الأحوال، بدلاً من عمل رجل الدولة.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: هل سنضيف نوعاً خامساً، للزينة والرسم، وللتقليدات المُنتجة بالرسم والموسيقى، التي صمّمت للتسلية فقط، ويمكن شمولها تحت إسم واحد بعدل؟

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: إن اسمه لعبة.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: يمكن لذلك الإسم الواحد أن يُعلن من جميعها بشكل مناسب، إذ لا شيء من هذه الأشياء لديه هدف جدي ـ التسلية هي هدفها الفريد.

سقراط ف: إنّني لا أفهم ذلك مرّة ثانية.

الغريب: هناك نوع يقدم المواد لكلّ هذه الأنواع إذن، نوع منه وفيه تؤلّف الفنون المذكورة آنفاً عملها؛ ـ أقول، إنّ هذا النوع المتشعّب، الذي هو الإبداع والذّرية لفنون أخرى متعددة، ألا يمكنني أن أرتّبه كنوع سادس؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إنّني أشير إلى الذهب، الفضة، والمعادن الأخرى التي تُعدّن، ويقدّم كل قطع الأخشاب ذلك والقص من كل نوع، يقدّم لفنون النجارة والتصفيح، وهناك عملية التقشير ونزع لحاء النبات، وفنّ منظّف الجلود الذي ينزع جلود الحيوانات، وفنون أخرى مشابهة، كالتي تصنع الفلّين، والبَرديّ، والحبال وتقدم لصناعة الأجناس المركبّة من الأنواع البسيطة ـ يمكن أن يسمى الصنف كله مُلكيةً (أو اقتناء) بدائياً وبسيطاً للإنسان، وبهذا الصنف ليس لدى العلم الملكيّ أيّ اهتمام على الإطلاق.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: إن إعداد الطعام، ذلك لنقول عن كل الأشياء، التي بخلط جزيئاتها مع جزيئات الجسم الإنساني لديها القوة لتزوّد احتياجات ذلك الجسم. إعداد الطعام هذا سيشكل نوعاً سابعاً، يمكن أن يُسمّى بالتعبير العام للتغذية، إلاّ إذا كان لديك إسم آخر كي تقدمه. يختص هذا النوع بالمزارع بشكل أدق، على كلّ حال، بالصيّاد، المدرّب، الطبيب، الطاهي، ولا يختص بفن رجل الدولة.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: تشمل هذه الأنواع السبعة كل وصف للمُلكية تقريباً، ما عدا الحيوانات الأليفة، تأمل ملياً؛ ـ وُجدت المادة الأصليّة التي يمكن أنّها قد وُضِعت بعدل بادىء ذي بدء؛ ثم تأتي بعد ذلك الأدوات، الأوعية، العربات، الدفاعات، أشياء اللعب، التغذية. الأشياء الصغيرة، التي يمكن اشتمالها تحت واحدة من هذه الأنواع ـ كمثال، العملات المعدنية، الأختام والأدغام ـ فهي مسقطة، لأنها لا تمتلك فيها صفة أيِّ نوع أوسع يشملها، لكن يمكن لبعضها أن يُوضع بين الحلى، بقوة بسيطة، ويمكن لأخرى أن تُجعل متناسقة مع صنف الأدوات. سيوجد فن تربية القطعان، الذي قد قُسِّم إلى جزأين اثنين، إنّه قد تضمَّن كل خاصيّة في الحيوانات الأليفة، ما عدا العبيد.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: يبقى نوع العبيد والوزراء فقط، وأشتبه أنّ في هذا يكمن التوّاقون الحقيقيون لتسنم العرش، الذين هم منافسو الملك في تشكيل النسيج السياسي، وسيُكتشف هذا النوع؛ تماماً كما كان الغزّالون، مسّرحو الصوف، وبقيتهم منافسون للحائك. إنّ كل الآخرين الذين سُمُّوا تعاونيين، قد أُزيلوا من بين كل المهن المذكورة سابقاً، وفُصِلوا من النشاط الملكي والسياسي.

سقراط ف: إنّني أوافق.

الغريب: دعنا نقترب قليلاً، كي يمكننا أن نتأكّد أكثر من طبيعة هذا الصّنف الباقي.

سقراط ف: دعنا نفعل ذلك.

الغريب: سنجد من وجهة نظرنا الحاضرة أنّ أكثر الخدم تواضعاً هم في وضع اجتماعي معيَّن منشغلون في هواية، عكس ما توقعناه منهم.

سقراط ف: ماذا يكونون؟

الغريب: إنهم أولئك الذين قد تمَّ شراؤهم، وأصبحوا ممتلكات. هؤلاء سيسمَّون عبيداً بدون شك، ولن يستحقوا العلم الملكيّ بكل تأكيد.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: مرّة ثانية، الرجال الأحرار الذين يصبحون خدماً للطبقات الأخرى في الدولة دونما إكراه، والذين يتبادلون ويساوون المنتوجات الزراعية والفنون الأخرى، بعضهم جالس في السوق العامة، يذهب الآخر من مدينة إلى مدينة برّاً أو بحراً، ويشترون بالمال مالاً أو منتوجات أخرى ـ الصرّاف، التاجر، مالك الباخرة، التاجر بالتجزئة، لن يكون لهم حق المطالبة في إدارة الدولة أو السياسات.

سقراط ف: لا، ما لم تكن السياسات التجارية حقاً.

الغريب: لكنّ الرجال الذين نراهم مشتغلين كأجراء وعبيد للأرض، وسعداء جداً لأن يديروا أيديهم لأيّ شيء، فلن يُدعَوْا للمشاركة في الفنّ الملكيّ بكل تأكيد.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: وماذا ستقول عن بعض رسميين آخرين مفيدين؟

سقراط ف: من هم، وأيّة خدمات يؤدون؟

الغريب: ثمّةَ الأجراء، وكتّاب الرسائل المحترفون المكملون بالتدريب، والغطّاسون؛ أمّا الآخرون الذين يمتلكون براعة كبرى في أنواع العمل المختلفة المتصلة بحكومة الدول ـ فماذا سنسمّيهم؟

سقراط ف: إنّهم الرسميون، وخدم الحكّام، كما سميتهم لتوّك الآن، لكنهم ليسوا حكّام أنفسهم.

الغريب: يمكن أن يكون هناك شيء غريب في أي خادم متظاهر أنّه يكون حاكماً، ولا أعتقد مع ذلك أنني قد كنت حالماً عندما تخيّلت أن المطالبين الجوهريين بالعلم السياسي سيوجدون في مكان ما في هذا الجوار.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: حسناً، دعنا نقترب، ونجرّب مطالب البعض الذين لم يُمنحوا حتى الآن؛ هناك الإلٰهيون، في المقام الأوّل، الذين يمتلكون حصةً من العلم الرِقّي أو الوزاري، بما أنّهم يُعتبرون مفسري الآلهة إلى الرجال.

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: هناك طبقة الكهنة أيضاً، الذين يعرفون، كما يعلنهم القانون، كيف يمنحون الآلهة الهبات التي تأتي من الرجال والتي يقبلونها بشكل تضحيات، وأن يسألوهم منح البركات نيابة عنّا بالمقابل. وبعد فهاتان كلاهما فرعان لفنّ الرّق أو الوزاري.

سقراط ف: نعم، بوضوح.

الغريب: وأعتقد أنّنا نبدو هنا بأننا سائرين على الطريق الصحيح؛ لأنّ الكاهن والإلٰهي هما بارزان في الفخر والامتياز، ويخلقان انطباعاً بغيضاً عن نفسيهما بأهميّة مشاريعهما؛ ففي مصر، ليس مسموحاً للملك نفسه أن يحكم، ما لم يكن لديه قوى كهنوتيّة، وإذا ما كان من طبقة أخرى وأقحم نفسه في الدّاخل، فيجب أن يُسجّل في رجال الكهنوت، في أجزاء عديدة من هيلاس، إنّ واجب تقديم الضحايا الدينيّة الأكثر استرحاماً مخصّص لأعلى القضاة، ولديك مثال ملفت للنظر هنا، في أثينا، لأنّ أكثر التضحيات الدينيّة والوطنيّة للغابرين يقال إنّ الذي قد إختير بالأكثرية هو الذي احتفل بها وإنّه الملك آرخون.

سقراط ف: بالضبط.

الغريب: لكن من هم هؤلاء الملوك والكهنة الآخرون المنتجون بالأكثرية الذين يأتون الآن إلى المشهد، متبوعين بخدمهم وبحشد خاصّ ضخم، بينما تختفي الطبقة السابقة ويتغيّر المشهد؟

سقراط ف: أيّهم تعني؟

الغريب: إنهم ملاّحون غرباء.

سقراط ف: لماذا غرباء؟

الغريب: إعتقدت لدقيقة مضت أنّهم كانوا حيوانات من كل قبيلة؛ لأنّ العديد منهم يشبه الأسود والحيوانات الخرافيّة، والعديد أكثر شبهاً بشخص خرافيّ نصفه الأعلى بشر والأسفل ماعز وبمخلوقات ضعيفةً ومراوغة كهذه، ـ أشكال متقلبة متغيرة إلى هيئات وطبائع بعضهم بعضاً بسرعة. وبعدُ، يا سقراط، إنّني بدأت أرى من هم.

سقراط ف: من هم؟ يبدو أنك تحدِّق في رؤيا غريبة ما.

الغريب: نعم؛ يظهر كل شيء غريباً عندما لا تعرفه؛ ولقد أوقعت نفسي لتوّي في هذا الخطأ الآن ـ إنني لم أتعرف على السياسيّ وفرقته، من النظرة الأولى، بما أنّني أقبلت عليه فجأة.

سقراط ف: من هو؟

الغريب: زعيم السوفسطائيين وأكثر السّحرة إنجازاً، الذي يجب أن يُفصل عن الملك الحقيقي أو رجل الدولة، مهما كان ذلك صعباً، إذا كان علينا أن نبصر أبداً ضوء النهار في تحقيقنا الحاضر.

سقراط ف: إنّ ذلك أملٌ ليس بالسهل التخلي عنه.

الغريب: أبداً، إذا ما استطعت مساعدته؛ ودعني أوّلاً أسألك سؤالاً.

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: أليست الملكيّة شكلاً للحكومة معترفاً به؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: وبعد الملكيّة، يجب أن يرتّب الشخص في نظام حكومة الأقلية، التي تلي.

سقراط ف: طبعاً.

الغريب: أليس الشكل الثالث للحكومة حُكْمَ الأكثرية، الذي يدعى باسم الديموقراطيّة؟

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: أوَلا تتحدَّد هذه الأشكال الثلاثة في النهج إلى خمسة، محدثة إسمين آخرين خارج أنفسُها؟

سقراط ف: ماذا يكونان؟

الغريب: هناك مقياس للاختياري والإجباري، للفقر والغنى، للقانون وغياب القانون، الذي يطبقه الرجال إلى يومنا هذا. إنّهم يقسمون الإثنين الأوَّلين إلى أجزاء صغيرة وفقاً لذلك، وينسبون شكلين، وإسمين متماثلين إلى الملكيَّة، وهما الملكيَّة والاستبداديَّة.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وتُرتِّب أيّة مدينة انتقلت إلى سيطرة الأقلّيّة كأرستقراطية أو كأوليغاركية.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: الديموقراطية وحدها، سواء أكانت تراقب القوانين بصرامة أوْ لا، وسواء أسيطرت الأكثرية على الرجال ذوي الملكيَّة بموافقتهم أو ضد موافقتهم، الديموقراطية هذه، تمتلك الإسم عينه في اللغة العاديَّة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكن هل تفترض أنّ أيّ شكل للحكومة يُحدَّد بتلك الصفات للواحد، الأقليّة، أو الأكثرية، الفقر أو الغنى، الخضوع الاختياري أو الإجباري، القانون المكتوب أو غياب القانون، هل تفترض أنّه يستطيع أن يكون شكلاً صحيحاً.

سقراط ف: حقاً، ما الذي يمنعه من ذلك؟

الغريب: تأمّل مليّاً، واتبعني.

سقراط ف: في أيِّ اتجاه؟

الغريب: هل سنلتزم بما قلناه في البداية، أو أنّنا سنسحب كلماتنا؟

سقراط ف: إلامَ تشير؟

الغريب: نحن قلنا إنّ القوّة الملكية علمٌ، إذا لم أكن مخطئاً.

سقراط ف: نعم.

الغريب: وعلمٌ من نوع غير مألوف، اختير من بين العلوم الباقية كأن لديه صفة تكون في الحال قضائيّة وذات سلطة.

سقراط ف: نعم.

الغريب: ومن علم ذي سلطة كهذه، كان نوع واحد مختص بالأشياء الميتة وآخر بالحيوانات الحيّة؛ وتقدمنا من ثمّ في التقسيم خطوة خطوةً صعوداً إلى هذه النقطة، غير مضيعين مثال العلم، بل غير قادرين، حتى الآن، أن نقرّر طبيعة العلم الخاص؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: من هنا فنحن مساقون لكي نلاحظ أنّ المبدأ المميّز للدولة، لا يمكن أن يكون الأقليّة أو الأكثرية، الاختياري أو الإجباري، الفقر أو الغنى؛ بل فكرةً ما للعلم يجب أن تدخل فيه، إذا ما كان علينا الانسجامُ مع ما تقدّم.

سقراط ف: وعلينا أن نكون منسجمين مع ذلك.

الغريب: حسناً إذن، يجب أن يكون سؤالنا التالي بالضرورة، في أيٍّ من تلك الأشكال المتنوعة للدول يمكن لعلم الحكومة، الذي هو أعظم العلوم كلِّها وأصعبُها اكتساباً، يمكن أن يُفترض إقامته؟ ذلك يجب أن نكتشف، وسنرى حينها من هم السياسيون المزيفون الذي يتظاهرون أنّهم سياسيون لكنهم ليسوا كذلك، مع أنهم يقنعون العديدين، وسيفصلونهم عن الملك الحكيم.

سقراط ف: سيكون ذلك واجبنا، كما صرّحت المحاورة.

الغريب: هل تعتقد أنّ الكثرة في الدولة تستطيع أن تنال العلوم السياسية؟

سقراط ف: مستحيل.

الغريب: لكن، لربما، في مدينة مؤلّفة من ألف رجل، سيوجد مئة، أو قل خمسين، يستطيعون؟

سقراط ف: ستكون العلوم السياسيّة في تلك الحالة أسهل العلوم كلّها؛ إنّه لا يمكن أن يوجد في مدينة بهذا العدد عدد من لاعبي الداما من الطراز الأوّل، إذا حكمنا بالمستوى لباقي هيلاس، ولن يوجد عدد بالتأكيد من الملوك مثل ذلك، لأنّنا يمكن أن نسمّي ملوكاً بحقّ أولئك الذين يمتلكون علماً ملكيّاً بدون ريب، سواء أحكموا أم لا، كما تبيّن في المحاورة السابقة.

الغريب: شكراً لك لتذكيري؛ والعاقبة هي أنّ أيّ شكل للحكومة يمكن افتراضه أنّه حكومة الواحد، الإثنين، أو على أيّة حال، الأقليّة فقط.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وهؤلاء، سواء أكانوا يحكمون بإرادة، أو ضد إرادة رعاياهم، بقوانين مكتوبة أو بقوانين غير مكتوبة، وسواء أكانوا فقراء أو أغنياء، ومهما كانت طبيعة حكمهم، يمكن افتراض أنهم يحكمون طبقاً لمبدأ علمي ما، حسب رؤيانا الحاضرة؛ تماماً كما يشفينا الطبيب، سواء أردنا أم لم نُرِدْ، ومهما تكن طريق معالجته: البتر، الكيّ، أو إنزال أيّ ألم آخر بالمريض؛ سواء أكان يمارسه خارج كتاب أو من كتاب، وسواء أكان غنياً أو فقيراً، سواء أكان يطهّر أو يقلل الألم بطريقة أخرى ما، أو حتى إذا سمّن مرضاه، إذا كان ذلك ضرورياً لخير أجسادهم، فإنه طبيب بالكليّة، ما دام يمارس سلطة عليهم طبقاً لقاعدة القانون، ويُشفي وينقذ في الحقيقة أولئك الذين يخضعون لعلاجه. وهكذا نحن نؤكد أنّ هذا هو الاختبار المناسب الوحيد لفنّ الطبّ، أو لأيّ فنّ آخر ذي أمرٍ ونهي.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: الحكومات التي تماثل هذا إذن، يجب أن تكون وحدها حكومات حقيقية، وتستحق الإسم، التي فيها الحكام الممتلكون علماً بحق، وليسوا مجرد مدّعين، سواء أحكموا طبقاً للقانون أو بدون قانون، فوق رعايا مريدين أو

غير مريدين، أو هم أنفسهم أغنياء أو فقراء ـ لا واحد من هذه الأشياء يمكن أن يكون محسوباً في فكرة الحاكم بأيّة ملاءمة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وسواء بالنظر إلى الخير العامّ، هم يطهّرون المدينة بقتل البعض، أو نفي البعض الآخر؛ سواء هم يُصغّرون حجم متّحد الجزء الأساسي للمدينة بإرسال جماعات من المواطنين خارج الخليّة، أو بإدخال أشخاص من الخارج يُزيدونها؛ بينما يعملون طبقاً لقواعد الحكمة والعدل، ويسعون جهدهم ليحسنوا المدينة ويصونوا صحتها بقدر ما يمتلكون من القوة. فالمدينة التي يحكمونها، يمكن أن توصف بناءً على هذه الأخلاقيات كأنّها الدولة الحقيقيّة الوحيدة. كلّ الحكومات الأخرى، المسمّاة هكذا، ليست حقيقية أو أصليّة، بل هي تقليد لهذه فقط، ويكون بعضها أفضل وبعضها أسوأ. يقال إنّ أفضلها هي المحكومة جيّداً، غير أنّها مجرد تقليدات مثل الحكومات الأخرى.

سقراط ف: أتّفق معك، أيّها الغريب، في القسم الأكبر ممّا تقول؛ لكن لحكمهم بدون قانون، فالتعبير يمتلك صوتاً خشناً.

الغريب: إنّك قد تسرّعت بحكمك عليّ، يا سقراط، كنت سأسأل للتوّ إذا ما كان لديك اعتراض على أيّ من تقاريري، وأرى الآن أنّنا سوف نتأمّل مليّاً هذه الفكرة كونها حكومة صالحة بدون قوانين.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: لا يمكن وجود أيّ شك في أنّ التشريع في شكل ما هو عمل الملك، ومع ذلك فإنّ أفضل شيء منها جميعاً أن لا يتوجّب أن يحكم القانون، بل إن الإنسان المفترض الذي يمتلك قوّةً عقلية مصحوبة بالحكمة يجب أن يحكم، هل ترى لِمَ يجب هذا؟

سقراط ف: لماذا؟

الغريب: لأن القانون لا يدرك بشكل تامّ ما هو الأنبل والأكثر عدلاً للجميع ولذلك لا يستطيع أن يضع الأفضل موضع التنفيذ. إنّ تباين الرجال والأعمال، والاتجاهات غير النظامية التي لا تنتهي للأشياء الإنسانيّة، لا تسمح بأيٍّ حكم شاملٍ وبسيط. ولا يقدر أيٌّ فنٍّ مهما كان أن يضع قانوناً سيدوم في كل زمن. هل توافق لهذا الحد؟

سقراط ف: إنّني أفعل.

الغريب: لكنّ القانون، وهذا واضح، يكافح دائماً ليضمن هذا الغرض ـ كالمستبد العنيد الجاهل، الذي لن يَدَع أيَّ شيء يُفعل بشكل معاكس لوظيفته، أو أن يسمح بطرح أيّ سؤال ـ حتى في التغييرات المفاجئة للظروف، عندما يحدث أيّ شيء ليكون أفضل مما أمَر به لشخص ما.

سقراط ف: بالتأكيد؛ يعاملنا القانون جميعاً بالطريقة التي تصف بالضبط.

الغريب: إنّ مبدأً بسيطاً بشكل تامٍّ لا يمكن تطبيقه على حالة الأشياء التي تكون عكس البسيطة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: إنْ لم يكنْ القانون [illegible] مال الصحيح إذن، فلماذا نُجْبَرُ نحن على أن نسُنَّ قوانين على الإطلاق؟ علينا أن نبحث في سبب هذا تالياً.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: دعني أسأل، إذا ما كان في مدينتك تمارين مكثفة، كما هي موجودة في المدن الأخرى، بقصد المباراة في الركض، المصارعة، وما شابه؟

سقراط ف: نعم، إنّها شائعة جداً بيننا.

الغريب: وما هي القواعد التي يفرضونها، على تلاميذهم، المدرّبون المحترفون أو من يشابههم سلطة؟ أتستطيع أن تتذكَّر؟

سقراط ف: إلاَم تشير؟

الغريب: الأسياد المدرِّبون لا يعتقدون بإمكانية إصدار أحكامٍ آنيةٍ للأشخاص، أو إعطاء أيّ شخص ما يكون ملائماً لقوامه بالضبط؛ إنهم يعتقدون بأنّه يجب عليهم الذهاب أكثر إلى العمل تقريباً، وأن يصفوا الحِمية التي ستفيد الأكثرية بشكل عام.

سقرَاط ف: حقاً تماماً.

الغريب: ولذلك فهم يخصصون مقداراً متساوياً من التمارين للفرقة كلّها؛ ويرسلونهم معاً لهذا الغرض، ويسمحون لهم أن يرتاحوا من تمارينهم معاً، ومن مصارعتهم، أو مهما يكن شكل التمارين الرياضية المحتملة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ولاحظ الآن أنَّ المشرِّع الذي سيترأس القطيع، والذي يتوخّى العدل في تعاملهم مع بعضهم بعضاً، لاحظ أنه لن يكون قادراً بالتأكيد على أن يلعب دوراً للخير العام، ويجهِّز ما هو مناسب لكل حالة خاصّة بالضبط.

سقراط ف: لا يمكن توقُّعُ أنّه يفعل هكذا.

الغريب: إفترض، إنّه سيسنّ قوانين للأكثرية بشكل عامّ على الأصح، والتي تفي حاجات الأشخاص على وجه التقريب، وتتشابه بحالة القوانين التي أطلقها كتابه، وبتلك القوانين غير المكتوبة التي شكّلها من العادات المألوفة للبلاد.

سقراط ف: إنّه سيكون مُحقّاً.

الغريب: نعم، صحيح تماماً؛ إذ كيف يستطيع أن يجلس بجانب كل إنسان خلال حياته كلِّها، مقرِّراً له خواصّ واجبه الدقيقة؟ من سيكون مساوياً لهكذا عمل شاقّ، يا سقراط؟ لا أحد سيفرض قيوداً على نفسه بتلك التأليفات التي تُلقَّب « قوانين »، لا أحد سيفرض ذلك ممّن يمتلك العلم الملكي حقاً، إذا ما كان قادراً أن يفعل هذا.

سقراط ف: سأستنتج هكذا ممّا قد قيل الآن.

الغريب: أو على الأصح، يا صديقي الخيِّر، مما سيُقال.

سقراط ف: وما هو ذلك؟

الغريب: دعنا نأخذَ حالة الطبيب، أو المدرِّب، الذي هو على وشك أن يذهب إلى بلد بعيد، ويُتوقَّعُ أنه سيكون بعيداً عن مرضاه لوقت طويل معتقداً أنَّ تعليماته لن تُتذكَّر ما لم تكن مكتوبة، لذلك، سيترك ملاحظات عنها ليستعملها تلاميذه ومرضاه.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكن ماذا ستقول، إذا عاد قبل الوقت المحدَّد لعودته، وبسبب تغيير غير متوقَّع للرياح أو لتأثيرات فلكية أخرى، حدث شيء آخر يُعتبَرُ أفضل لهم، ـ ألن يغامر هذا العلاج الجديد، مع أنّه لم يتمّ التفكير به في وصفته السابقة؟ هل سيصرُّ على مراقبته الدقيقة للقانون الأساسي، بدون أن يمنح نفسه أيّة أوامر جديدة، ولا أن يتجرأ المريض أن يستعمل طريقة أخرى غير التي وصفها، بحجّة أنّ هذه الطريقة كانت صحيّة وطبيّة فقط، وكل الطرق الأخرى ضارة وابتداعيّة؟ ألا تُظَنُّ كل تشريعات كهذه مضحكة تماماً، إذا كانت مُقترحةً في مجال العلم والفن الحقيقيين؟

سقراط ف: مطلقاً.

الغريب: وإذا قرّر الذي أعطى القوانين، المكتوبة وغير المكتوبة، إذا قرّر ما كان خيِّراً أو شريراً، شريفاً أو دنيئاً، عادلاً أو ظالماً، إلى قبائل الرّجال الذين يتجمعون معاً في مدنهم المتعددة، ويكونون محكومين في تطابق معها؛ أقول، إذا أتى هذا المؤلّف الخبير بالقوانين مرة ثانية بشكل مفاجىء، أو أتى آخر شبيه به، فهل يُمنع هو من تغييرها؟ ألن يكون هذا المنع في الحقيقة مضحكاً تماماً كالآخر؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: هل تعرف قولاً مقنعاً لعامّة الشعب يدخل في صميم الموضوع؟

سقراط ف: إنّني لا أتذكّر ما تعنيه في هذه اللحظة.

الغريب: يقولون إنّه إذا عرف أيّ شخص كيف يمكن أن تُحسَّن القوانين الغابرة، فيجب عليه أن يقنع دولته التي تخصّه بالتحسين بادىء ذي بدء، ويمكنه أن يسنَّ القوانين بعدئذ، وليس بطريقة مغايرة.

سقراط ف: أوليسوا هم على حق؟

الغريب: إنّني أجرؤ على القول. لكن لأفترض أنّه يستخدم عنفاً ما لأجل خيرهم بعد أن أخفق في إقناعهم، فماذا سيسمّى هذا العنف؟ أو على الأصح، دعني أسأل السؤال عينه فيما يختص بأمثلتنا السابقة، قبل أن تُجيبني.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إفترض أنّ طبيباً، مؤهّلاً في فنه كما ينبغي، لديه مريض، مهما كان جنسه أو عمره أجبره أن يفعل شيئاً ما لخيره مغايراً للقواعد المكتوبة، عندما فشل الإقناع؛ ماذا سيُدعى هذا الإرغام؟ هل ستحلم بتسميته بإسم مدّخر لخطأ في الفنّ بشكل خاص، أي (مُمرِض)؟ لا شيء يمكن أن يكون أكثر ظلماً من المريض الذي طُبّق عليه هذا العنف سوى أن يتّهم الأطباء الذين مارسوه، بطريقة أداءٍ للعمل غير ماهرة، ويُحتمل أن تُسبب أمراضاً.

سقراط ف: الأكثر حقيقة.

الغريب: أيّ إسم سنعطي لخطأ مماثل في الفن السياسي؟ ألا نسمّيه شراً، عاراً، أو ظلماً؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وهكذا عندما يكون المواطن معاكساً للقانون والعرف، ومرغماً على فعل ما هو أعدل وأفضل وأنبل مما فعله قبلاً، فالشيء الأخير والأكثر إضحاكاً الذي يستطيع قوله في اعتراض لهكذا عنف، هو أنه جلب عاراً أو شرّاً أو ظلماً على يدي أولئك الذين أرغموه.

سقراط ف: حقيقي جداً.

الغريب: وهل سنقول إنّ العنف يكون عدلاً، إذا مارسه رجل غني، وظلماً إذا مارسه إنسان فقير؟ ألا يمكن لأي إنسان، غني أو فقير، بدستور مكتوب أو غير مكتوب، بإرادة المواطنين أو ضد إرادتهم، ألا يمكنه أن يفعل ما فيه منفعتهم؟ أليست هذه هي القاعدة الصحيحة للحكومة، طبقاً للذي سينظِّم الإنسان العاقل والخيِّر شؤون رعاياه؟ شأنه شأن مدير الدفة الذي يصون حياة رفاقه البحّارة بالمراقبة المستمرّة فوق منافع الباخرة وطاقم الملاحين - ليس بوضع قواعد، بل بجعل فنه قانوناً، - حتى هكذا وفي الطريقة عينها، ألاَ يمكن أن يوجد شكل حقيقي للسياسة يبدعه أولئك الذين يقدرون أن يحكموا في نفسية مشابهة، والذي يُري قوّة في الفنّ هي أسمى من القانون؟ ولا يستطيع الحكام العقلاء أن يخطئوا قطّ في أيِّ عمل يقومون به، في حين يراقبون القانون الواحد العظيم بتوزيع العدل التام للمواطنين بذكاء وبراعة، ويكونون قادرين على أن يصونوه، بقدر ما هو محتمل، كي يجعلوه أفضل من كونه أسوأ؟

سقراط ف: لا يستطيع أحد أن ينكر ما قد قيل الآن.

الغريب: ولا إذا تأملت ملياً، يستطيع أيّ شخص أن ينفي التقرير الآخر.

سقراط ف: ما هو ذلك التقرير؟

الغريب: قلنا[٦] لا جماعة كبيرة من الناس، أيّاً كان هؤلاء، يستطيعون إدراك المعرفة السياسية، أو يكون بمقدورهم أن ينظموا الدولة بحكمة، بل هناك شكل الدولة الحقيقي الذي اخترناه في جماعة صغيرة، أو في فرد، وقلنا إنّ الدّول الأخرى تُحسبُ تقليداً لهذا فقط، بعضها هو للأفضل وبعضها للأسوأ.

سقراط ف: ماذا تعني؟ إنّني لم أستطع فهم ملاحظتك السابقة بشأن التقليد.

الغريب: ومع ذلك ستكون تعاسة أكثر، إذا تخلّينا عنها، بعد هذا الاقتراح، ولم نقصد من البحث فيها كَشْفَ الخطأ الذي يسود في هذه المسألة.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: المثال الذي يجب أن تفهمه ليس سهلاً أو اعتيادياً؛ لكن يمكننا أن نعبّر عنه هكذا: ـ لأفترض أنّ الحكومة التي قد تكلمت عنها لتوّي هي النموذج الوحيد الحقيقي، فيجب على الحكومات الأخرى أن تستعمل القوانين المكتوبة لهذه ـ لا يمكنها أن تُنقذ بأية طريقة أخرى؛ عليها أن تفعل ما يكون مستحسناً الآن بشكل عام، مع أنّه ليس أفضل شيء في العالم.

سقراط ف: ما هذا؟

الغريب: لا مواطن سيفعل أيّ شيء معاكس للقوانين، وأيّ خرق لها سيكون عقابه الموت والعقوبات الأشدّ. وهذا هو حقّ مطلق وصالح عند اعتباره كشيء ثانٍ أفضل، إذا وضعت الأوّل جانباً، الذي تكلّمت عنه لتوّي. هل سأشرح ما أسمّيه الإجراء الثاني الأفضل؟

سقراط ف: مهما كلّف الأمر.

الغريب: عليّ أن ألتمس العون من صوري المفضلة مرّة ثانية؛ ومن خلالها، وخلالها وحدها يمكنني أن أصف الملوك والحكام.

سقراط ف: أية صور؟

الغريب: مدير الدفّة النبيل والطبيب العاقل، الذي « يساوي عدة رجال آخرين »[٧]. دعنا نحاول اكتشاف صورة ما للملك من ذلك الشبيه.

سقراط ف: أيّ نوع من الصورة؟

الغريب: حسناً، صورة كهذه: إفترضنا جميعاً أن نتأمل ملياً في أنّنا نقاسي معاملة بشعة على يديهما كليهما؛ ينقذ الطبيب الذين يرغب إنقاذهم، ويسيء معاملة الذين يرغب إساءة معاملتهم ببترهم أو كيّهم، طالباً منهم أن يدفعوا له في الوقت عينه، وهو نوع من الجزية، التي يصرف منها قليل أو لا شيء على الإنسان المريض، ويُستهلك جزؤها الأكبر من قِبَلِهِ وقِبَلِ وعائلته؛

وتكون النهاية أنّه يتلقى المال من أقارب المريض، أو من بعض أعدائه، ويبعده عن الأنظار. وأما مديرو دفّة السّفن فهم مذنبون بأعمال شريرة لا تحصى من النوع عينه. هم يخادعون ويتركونك على الشاطىء عمداً عندما تقترب ساعة الإبحار؛ أو يسبّبون الحوادث المؤسفة في البحر ويقذفون أمتعتهم فيه. ويذنبون بعمليات نصب أخرى. إفترض أنّنا سنقرّر بعد التأمل مليّاً في ذلك الآن، وبعد أن وضعنا هذا نصب أعيننا، أنّنا سنقرّر أنّ أيّاً من هذه الفنون لن يُسمح لها أن تُمارس سلطة مطلقة لا على الرجال الأحرار ولا على العبيد بعد اليوم، بل سندعو الجمعية العامة لعقد اجتماع، إمّا لكل الشعب، أو للأثرياء فقط، وأيّ شخص ممن يحب، مهما كانت مهنته، يمكن أن يقدّم رأياً إمّا بشأن فنّ الملاحة أو بشأن الأمراض ـ إما للأسلوب الذي ستُستخدم فيه المعدّات الطبيّة أو الجراحيّة للمريض، أو بشأن المراكب وأدوات الملاحة التي تُحتاج في الإبحار، وكيف يقابل هو أخطار الأمواج والرياح التي تطرأ خلال الرحلة، كيف سيتصرّف عند مقابلة القراصنة، وماذا سيُفعل بالسفن الشراعية ذات الأنماط القديمة، إذا ما كانت لتدخل الحرب ـ سفن أخرى من التركيب عينه ـ وإنّ ما ترسمه الأكثرية في هذه النقاط الرئيسيّة، سواء كان الناصحون أطباء أو مديري سُفُن، أو كانوا أشخاصاً غير مهرة، فما رُسِمَ سيُكتب على ألواح وأعمدةٍ مثلّثة الشكل، أو أنها ستشرّع دون أن تكتب لتكون تقاليد وطنيّة؛ وأنّ المراكب ستُبحر في كل الأوقات المستقبليّة وستُعطى العلاجات للمريض بهذه الطريقة.

سقراط ف: ما هذه الفكرة الغريبة!

الغريب: إفترض أبعد من ذلك، وهو أن الشّعب سيحكمه رجال معيّنون سنويّاً، إمّا من الأغنياء، أو من الشّعب ككلّ، وأنهم سيُنتخبون بالأكثرية؛ وسيقودون المراكب بعد انتخابهم ويشفون المرضى طبقاً للقواعد المكتوبة.

سقراط ف: هذا أسوأ وأسوأ.

الغريب: لكن إستمع لِمَا يتبع. عندما انتهت سنة الحكم، كان على كل الذين حكموا أن يمثلوا أمام محكمة التمييز، التي يكون القضاة فيها إما منتقين من طبقات ثريّة أو مختارين من الشعب ككلّ؛ ويمكن لأيِّ شخص يريد أن يتهمهم، أو يمكنه أن يعدَّ شيئاً ما لاتّهامهم، وهو أنّهم لم يبحروا بمراكبهم خلال السنة الماضية أو أنّهم لم يشفوا مرضاهم طبقاً لحرفية القانون وتقاليد أسلافهم الغابرة؛ وإذا ما أُدين أحدهم، فيجب على بعض القضاة أن يقرّروا ما عليه أن يقاسيه أو يدفعه.

سقراط ف: يستحق أن يقاسي أيّ عقاب، أو يدفع أي مبلغ، من يكون على استعداد أن يقبل أمراً كهذا.

الغريب: ولسوف نُشرِّع مرّة أكثر مع ذلك، وهو إذا اكتُشف أيّ شخص باحثاً في قيادة السفن والملاحة، أو في الصحة والطبيعة الحقيقية للطبّ، أو بشأن الرياح، أو حالات الجوّ الأخرى، المعاكسة للقواعد المكتوبة، أو أنّ لديه أية أفكار بارعة بشأن مسائل كهذه، فإنّه لن يسمّى قائد دفّة أو طبيباً، بل سوفسطائياً كئيباً ثرثاراً؛ ـ علاوة على ذلك، وعلى قاعدة أنه يكون مفسداً للشباب، الذين سيتعقبهم ليتبعوا فن الطبّ أو فن الملاحة في أسلوبٍ غير قانوني، ويمارسوا قواعد اعتباطيّة على مرضاهم وبواخرهم، فإن أيّ شخص يكون مؤهّلاً بالقانون يمكنه أن يخبر عنه، ويقاضيه بتهمة في محكمة ما، وإذا وُجِدَ أنّه يتعقّب أيّ شخص حينئذ، سواء كان فتىً أو مسناً، وخارقاً القانون المكتوب، فيجب معاقبته بأقسى صرامة؛ إذ لا أحد يجب أن يفترض أنه أعقل من القوانين؛ وكأنّ طبيعة اللمس، الشفاء والصحة وفن قيادة السفن وفنّ الملاحة، معروفة للجميع، وكأنّ بإمكان أيّ شخص أن يتعلّم القوانين المكتوبة والعادات الوطنيّة. إذا كان أسلوب الإجراء هكذا، يا سقراط، بشأن تلك العلوم وبشأن فنّ القيادة، وأيّ فرع للصيد، وبشأن الرسم باليد والتقليد بشكل عام، أو بشأن فنّ النجارة، أو أي نوع حِرَفيّ، وفنّ زراعي ومجمل

فنّ زراعة النبات، أو إذا كنا لنرى فنّ تربية الخيول، أو العناية بالقطعان، أو الإلٰهيات، أو أيّة خدمة كهنوتيّة، أو لعبة داما، أو أيّ علم ملم بالعدد، سواء كان بسيطاً أو مربعاً أو مكعباً، أو متضمناً حركة، ـ أقول، إذا كانت كلّ تلك الأشياء مفعولة بهذه الطريقة طبقاً للأنظمة المكتوبة، وليس طبقاً للفن، فماذا ستكون النتيجة؟

سقراط ف: إنها لواضحة، كل الفنون ستفنى تماماً، ولن تُستَردّ قط، لأنّ التساؤل سيكون غير شرعيّ. وستصبح الحياة اللانسانية حينها غير محتملة على الإطلاق، وستكون فاسدة من قبلُ بما فيه الكفاية.

الغريب: لكن ماذا إذا عيّنّا نحن شخصاً ما كحارسٍ للقوانين إنتُخِب بواسطة رفع الأيدي أو بالأكثرية، في حين ألزمنا أن تُنظِّم كل هذه العمليات بقانون مكتوب، والشخص الذي عيّنّاه غير ملتزم ومهتم بأيٍّ شيء من النّصّ المكتوب، سيتقدم ليفعل ما هو مضادّ لها من دوافع المصلحة أو المحاباة، وبدون أيّ مطلب للمعرفة، ـ أليس هذا شرّاً أسوأ من سابقه؟

سقراط ف: حقيقي جداً.

الغريب: لنمضِ ضد القوانين، التي ترتكز على الخبرة الطويلة، وعلى حكمة المستشارين الذين نصحوا بها برأفة وأقنعوا الأكثرية كي يقرّوها، ـ لنجازف في فعل ذلك، أعتقد أنّه سيكون خطأ عظيماً، أكثر دَماراً لأيّ نوع من أنواع العمل، من أيّ التزامِ بالقوانين المكتوبة.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: لذلك، بما أنّه يوجد خطر في هذا، فالشيء التالي الأفضل لأولئك الذين يصوغون قانوناً مكتوباً عن أيّ موضوع هو أن لا يسمحوا لا للفرد ولا للأكثرية أن تخرق ذلك القانون في أيّ شأن مهما كان.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ستكون القوانين نُسَخاً عن خواص حقيقة الفعل بقدر ما تسمح بذلك كونها مكتوبة مشافهة من أولئك العارفين

سقراط ف: ستكون بدون ريب.

الغريب: وكما قلنا، إنّ من يعرف ويكون رجل دولة حقيقياً، سيفعل بفنه أشياء متعددة في مجال عمله الخاصّ بدون مراعاة للقوانين، عندما يرى أنّ أي شيءٍ سيكون تطبيقه أفضل غير ذلك الذي قد دُوِّن وفُرِض كي يُراعى أثناء غيابه.

سقراط ف: نعم، قلنا هكذا.

الغريب: وكم من فرد وكم من مجموعة قد أقرّوا قوانين، وقاموا بعمل مضادّ لها قاصدين شيئاً ما أفضل، سيكونون فاعلين كرجل الدولة الحقيقيّ فقط، بقدر ما يستطيعون.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: أمّا إذا فعل الرجال الذين ليس لديهم معرفة، شيئاً كهذا، فهم سيحاولون تقليد الحقيقة، لكنهم سيقلدونها بشكل سيّيء، غير أنهم إذا امتلكوا المعرفة، سيكون التقليد الحقيقة التامة، وليس تقليداً بعد اليوم.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وبعدُ، فالمبدأ القائل إن لا عدد كبيراً من الرجال يقدر أن يكتسب معرفة لأيّ فنّ قد اعترفنا به سابقاً.

سقراط ف: نعم، قد تمّ ذلك.

الغريب: إنّ الفن السياسي والملكي إذن، إذا ما وُجد هكذا فنّ، لن تدركه أكثرية الأثرياء ولا عامة الشعب.

سقراط ف: مستحيل.

الغريب: إنّ الدنُّو الأقرب الذي تستطيع أن تبلغه أبداً أشكال الحكومات الأدنى لذلك الذي لدى الحكومة الحقيقية للحاكم الواحد العالِم، إنّ الدّنوّ هذا هو

أن لا تفعل الحكومات الأدنى شيئاً معاكساً لقوانينها المكتوبة الخاصّة وعاداتها الوطنية.

سقراط ف: جيدِ جداً.

الغريب: عندما يقلِّد الأغنياء شكل الحكومة الحقيقية، تُسمَّى هكذا حكومة ارستقراطية؛ وعندما يقلدونها بدون مراعاة للقوانين، تُسمَّى أوليغاركيَّة.

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: أو مرّة ثانية، عندما يحكم الفرد طبقاً للقانون في تقليد لمن يعرف، نسمّيه نحن ملكاً؛ ما دام الملك يحكم طبقاً للقانون، فليس لدينا إسم منفصل كي نريه سواء أكان يحكم هو بالرأي أو بالمعرفة.

سقراط ف: لتكن متأكداً.

الغريب: لذلك، حتّى عندما يحكم الفرد الذي يمتلك معرفة، فسيكون اسمه الشيء نفسه على الاقل - سيدعى ملكاً. وهكذا ستصبح الأسماء الخمسة للحكومات، كما تُفترض، ستصبح واحدة.

سقراط ف: يبدو هكذا.

الغريب: وعندما لا يحكم الحاكم الفرد بالقانون والعرف، بل يقتفي خطوات إنسان العلم الحقيقي متظاهراً أنّه يستطيع أن يفعل للأفضل فقط بانتهاكه للدستور المكتوب، بينما تكون شهوات الطعام والجهل بواعث التقليد في الحقيقة، ألا يمكن لهكذا شخص أن يُدعى مستبداً؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: ونعتقد أنّ هذا هو أصل المستبدّ والملك، أصل الاوليغاركيات، الأرستقراطيات، والديموقراطيّات، لأنّ الرجال ينتهكون المعنى في تحديد الملك الواحد، ولا يمكن جعلهم يعتقدون قط أنّ أيّ شخص يستطيع أن يكون جديراً بهكذا سلطة، ويكون قادراً وعازماً أن يحكم في نفسية الفضيلة والمعرفة، وينشر ما

يستحقّه الجميع بعدل وجسارة؛ يتوهّمون هم أنّه سيكون طاغية مَنْ سيخطىء ويؤذي ويذبح منا من يريد؛ لأنّه إذا أمكن وجود هكذا طاغية كما نصف، فسيعترفون هم أننا يجب أنْ نبتهج كي نتملكه، وأنه وحده سيكون الحاكم السعيد للدولة الحقيقية والكاملة.

سقراط ف: لتكن متأكداً.

الغريب: لكن إذن، بما أنّ الدولة لا تشبه خلية النحل، وليس لديها رئيس طبيعي يعترف به في الحال أنّه الأسمى جسداً وروحاً معاً، فإنّ الجنس البشري مُلزمٌ لأن يتقابل ويؤلّف قوانين مكتوبة، محاولين كما يبدو، أن يقتربوا من الشكل الحقيقي للحكومة قدر الإمكان.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وعندما يكون الأساس الذي تُبنى الدول عليه في الحرف وفي العادة فقط، ولا يكون عملها مُلهماً بالمعرفة، أنقدرُ أن نتعجّب، يا سقراط، في الشقاوات التي توجد فيها، وستكون فيها على الدوام؟ إنّ أيّ فنّ آخر، بني على هكذا أسس ويُدار كذلك، سيدمّر كل الذي يلمسه بوضوح. ألا يجب بالأوْلى أن نندهش بالقوة الطبيعيّة للعروة السياسية؟ لأنّ الدول تحمّلت كل هذا الزمن خارج العقل، ومع ذلك فبعضها لا تزال باقية ولم تتم الإطاحة بها مع أنّ العديد منها يغرق من وقت لآخر، كالبواخر في البحر، وتهلك وهلكت وستهلك فيما بعد من خلال فساد قياديي دفتها وملاّحيها، الذين يمتلكون أسوأ أنواع الجهل بالحقائق الأسمى ـ أعني، أنّهم غير مطّلعين على العلوم السياسيّة بالكامل، التي هي فوق كل العلوم الأخرى، يعتقدون أنّهم اكتسبوا المعرفة الأكثر كمالاً.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: يتبادر السؤال حينئذ: أيٌّ من هذه الأشكال الباطلة للحكومة هو الأقلّ جَوْراً على رعيته، مع أنّها كلها جائرة، وأيُّها الأسوأ؟ إنّ هنا لتأمّلاً يكون

بجانب هدفنا الحاضر، وبرغم ذلك فلدينا اعتبار لها جميعاً ويبدو أنّ هذا يؤثر على كل أعمالنا: يجب أن نتفحّصها.

سقراط ف: نعم، يجب فعل ذلك.

الغريب: يمكنك القول إنّ من بين الأشكال الثلاثة، فالشيء عينه هو الأصعب والأسهل في الحال.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إنّني أتكلم عن أشكال الحكومات الثلاثة، التي ذكرتها في بداية هذا الجزء الصغير من بحثنا: الملكيّة، حكم الأقليّة، وحكم الأكثريّة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: إذا قسّمنا كل من هذه الأشكال فسيكون لدينا ستة أشكال، يمكن أن يميَّز منها شكل واحدٌ حقيقيّ كشكل سابع.

سقراط ف: كيف ستصنع القسمة؟

الغريب: يُستطاع تقسيم الملكيّة، كما قلنا، إلى الملكيّة والاستبداديّة، وحكم الأقليّة إلى الأرستقراطية، التي تمتلك إسماً ميموناً، والأوليغاركية؛ ويجب أن يُقسّم الآن حكم الأكثرية، الذي عاملناه سابقاً كشكل مفرد، وأسميناه ديموقراطيّة.

سقراط ف: على أيّة قاعدة للقسمة ستقسّم حكم الأكثرية؟

الغريب: على القاعدة ذاتها التي سبقت، مع أنّ الإسم اكتُشِفَ أنّه يملك معنيين مزدوجين الآن. إنّ التميز للحكم بالقانون أو بدون القانون يطبّق على هذا كما على الباقي.

سقراط ف: نعم.

الغريب: لم تخدم القسمة أيّ غرض نافع عندما كنا باحثين عن الدولة الكاملة، كما أبنّا في السابق. لكنّ هذا قد فُصِّل الآن، وكما قلنا، فقد تُرِكَت الأخرى لنا وحيدة. فمبدأ القانون وغياب القانون سيشطرها إلى نصفين.

سقراط ف: يبدو ذلك أنّه سيتبع، من الشرح الذي تعطيه الآن.

الغريب: إنّ الملكيّة عندئذ، عندما تحدّد بوصفات جيدة أو قانونيّة، هي الأفضل من كلّ الأشكال الستّة. لكن عندما تكون فوضويّة فالأكثر ظلماً ومرارة على المرؤوس.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: في حين أنّ حكومة الأقليّة يجب اعتبارها وسطاً في الخير والشرّ، كالمصطلح (أقليّة) عينه، الذي يكون وسطاً بين الواحد والمتعدد. لكن حكومة الأكثرية هي في جهة ضعيفة وغير قادرة على أن تفعل أيّ خير عظيم أو أيّ شر عظيم، عندما تقارن بالحكومات الأخرى. فالمناصب فيها تُقسَّم إلى أجزاء صغيرة بشكل جزئيّ، ويشغلها عديد كُثُر. ولذلك فهي الأسوأ من كل الحكومات القانونيّة، والأسوأ من كل الحكومات الفوضوية. إذا كانت كلها بدون موانع القانون، فان الديموقراطية هي الشكل الأفضل للعيش فيها، إذا كانت كلها منظمّة بشكل جيد. إذن هذا هو الشكل الأخير للحكومات الذي ستختاره. أمّا الشكل الأول، مثل الملكيّة، فهو الأفضل ببعد كبير، ما عدا الشكل السابع، لأنّ ذلك الشكل يجب أن يُصنَّف منفصلاً عنها كلها، كونه بين الدُّول كما الله بين الرجال.

سقراط ف: إنّك لمحقّ تماماً، وعلينا أن نختار ذلك قبل كل شيء.

الغريب: يمكن وضع كل أعضاء هذه الدول، ما عدا الدولة التي يمتلك أعضاؤها معرفة، يمكن وضعهم جانباً كونهم ليسوا رجال دول بل محازبون، ـ مؤيدو الأصنام الأكثر شذوذاً، وهم أنفسهم أصنام؛ وكونهم أعظم المقلدين والسحرة، فهم أيضاً أعظم السوفسطائيين.

سقراط ف: يظهر اسم السوفسطائي بعد عِدّة منعطفات في المحاورة أنّه قد رُكِّز بعدل أكثر فوق السياسيين، كما يُسمَّون.

الغريب: وهكذا فإن مأساتنا الخرافيّة قد تمّ تمثيلها؛ وأنّ فرقة الكائنات الخرافيّة

وحيوانات الغابات قد فُصلت عن العلوم السياسية أخيراً، مهما كانت غير راغبة في ترك المسرح.

سقراط ف: أتصوّر ذلك.

الغريب: تبقى هناك، على كل حال، طبائع أكثر إزعاجاً، لأنّها أكثر نسابةً للجنس الملكيّ تقريباً، وأكثر صعوبة كي تُدرَك؛ يمكن مقارنة اختبارها بعمليّة تصفية الذهب.

سقراط ف: ما هو معناك؟

الغريب: يبدأ العمال بنخل التراب والحصى وما شابه في عملية تصفية الذهب؛ تبقى هناك العناصر الثمينة القريبة من الذهب في شكل كتلة مشوّشة، يمكن أن تُفصَلَ بالنار فقط: النحاس، الفضة، والمعادن الثمينة الأخرى. تصفّى هذه بمساعدة مِحكّ الذهب أخيراً، حتى يصبح الذهب نقياً خالصاً.

سقراط ف: نعم، تلك هي الطريقة التي يقال إنّها تُصفّى بها تلك الأشياء.

الغريب: إنّ كل المواد الغريبة واللامتجانسة روحاً قد فُصِلَت عن العلوم السياسيّة بأسلوب مماثل، وتُرك ما هو نفيس وذو طبيعة واحدة؛ تبقى هناك الفنون الأنبل للقائد والقاضي، وللنّوع الأسمى من أنواع الخطابة التي تكون ذات صلة بالفنّ الملكي، وتقنع الرجال أن يفعلوا العدل، وتساعد في إدارة دفة الدول: ـ كيف يمكننا أن نُبعِد كل هذه بشكل أفضل، تاركين الذي نبحث عنه منفرداً وغير مَشُوب؟

سقراط ف: ذلك ما يجب أن نحاوله في طريقة ما بشكل واضح.

الغريب: إذا كانت المحاولة هي كل ما ينقص، فإنّه سيُسَكّ عليه الضوءُ بكل تأكيد؛ وأعتقد أنّ توضيح الموسيقى يمكن أن يساعد في إبرازه. أجبني على سؤالٍ من فضلك.

سقراط ف: أيّ سؤال؟

الغريب: هل يوجد هكذا شيءٌ كتعليم الموسيقى أو فنون الصناعات اليدويّة بشكل عام؟

سقراط ف: يوجد.

الغريب: وهل يوجد فن أو علم أرفع، لديه قوة كي يقرر أياً من تلك الفنون يُعَلَّم أو لا يُعَلَّم. ماذا تقول؟

سقراط ف: عليّ أن أُجيب أنّه يوجد.

الغريب: وهل نعترف أنّ هذا الفن هو غيرٌ من الفنون الأخرى؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: أوَيجب أن تكون الفنون الأخرى أسمى من هذا، أو أنّه لا علم مفرداً أسمى من الآخر؟ أو يجب أن يكون هذا العلم المراقب والحاكم لكل العلوم الأخرى.

سقراط ف: يجب أن يكون الأخير.

الغريب: تعني أنّ العلم الذي يحكم إذا ما وجب أن نتعلم أوْ لاَ، يجب أن يكون أسمى من العلم الذي يُتعلَّم أو الذي يُعلِّم؟

سقراط ف: إنّه أسمى ببعيد.

الغريب: والعلم الذي يقرّر سواء علينا أن نُقنع أو لاَ، يجب أن يكون أرفع من العلم الذي يكون قادراً أن يُقنع؟

سقراط ف: طبعاً.

الغريب: جيّد جدّاً؛ ولأيّ علم نخصّص نحن القوة لإقناع الأكثرية بقصةٍ مُسِرّة وليس بالتعليم؟

سقراط ف: أعتقد أنّ تلك القوة يجب أن تُخصّص لعلم الكلام بوضوح.

الغريب: ولأيّ علم نعطي نحن قوة التقرير إذا ما وظفنا نحن الإقناع أو القوة لأيّ شخص، أو لأن نحجم عن ذلك بالإجمال؟

سقراط ف: سنعطيه لذلك العلم الذي يحكم فنّي الكلام والإقناع؟

الغريب: الذي سيكون علم السياسات، إذا لم أكن مخطئاً.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: يبدو أنّ علم الكلام يميّز عن علم السياسات بسرعة، كونه نوعاً مختلفاً، ومع ذلك فهو يمد يد العون له.

سقراط ف: نعم.

الغريب: لكن ماذا ستفكّر في نوع آخر من أنواع القوة (أو العلم)؟

سقراط ف: ما هي؟

الغريب: تلك التي تقرّر كيف يجب أن تُدار العمليّات العسكريّة ضدّ أعدائنا. أيجب أن يُعتبر ذلك علماً أمْ لا؟

سقراط ف: كيف يمكن لفنّ القياة أو التكتيكات العسكرية أن تُعتبر غيراً من علم؟

الغريب: وهل الفنّ الذي يقدر ويعرف كيف ينصح سواء سنذهب نحن إلى الحرب، أو نصنع السلام، هو الشيء عينه أو شيئاً متبايناً؟

سقراط ف: إذا كنا نُثبت على مبدئنا، يجب أن نقول إنّه شيءٌ متباين.

الغريب: ويجب أن نفترض أنّ هذا الفنّ يحكم الآخر أيضاً، إذا قصدنا أن نتخلى عن محاولتنا السابقة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكنّنا متأملون كيف يكون فن الحرب عظيماً ومرعباً بمجمله، فأيّ فنّ آخر نستطيع المجازفة لأنّ نعينه كفنّ متفوق عليه سوى الفنّ الملكيّ بالتأكيد؟

سقراط ف: لا فنّ آخر.

الغريب: إنّ فنّ القائد هو فنّ وزاريّ فقط، ولذلك فنحن لا نستطيع ترتيبه كفنّ سياسيّ.

سقراط ف: من الصعب فعل ذلك.

الغريب: دعنا نتأمل قوّة القاضي الحق مرّة أخرى.

سقراط ف: جيد جداً.

الغريب: أليست قوّته محددة لتقرر تعامل الرجال مع بعضهم بعضاً، وإذا ما هم عادلون أو ظالمون طبقاً للمقياس الذي يتلقاه من الملك والمشرّع، ـ مبيّناً فضيلته الخاصّة في هذا فقط. إنّه سيرفض أن يُفسَدَ بالهدايا، أو الخوف، أو الشفقة، أو بأيِّ نوع آخر من أنواع المحاباة أو الخصومة، في تقرير قضايا الرجال مع بعضهم بعضاً مخالفاً لما عيّنه المشرّع؟

سقراط ف: نعم؛ إنّ منصبه هو هكذا كما تصف.

الغريب: إنّ الاستنتاج عندئذ هو أنّ قوة القاضي ليست قوة ملكيّة مرّة ثانية، بل قوة حامي القوانين الذي يسهر على رعاية القوة الملكيّة؟

سقراط ف: يبدو هكذا.

الغريب: يُظهر استعراضُ كلّ العلوم هذه، أنّ أي واحدٍ منها لا يكون علماً سياسياً أو ملكياً، لأنّ العلم الملكي الحقّ يجب أن لا يفعل نفسه، بل أن يحكم أولئك الذين هم قادرون أن يفعلوا؛ الملك يجب أن يعرف ما يكون وما لا يكون فرصة مناسبة لأخذ زمام المبادرة في قضايا ذات أهميّةٍ أعظم داخل الدولة، في حين أنّ على الآخرين تنفيذ أوامره.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ولذلك، فالفنون التي وصفناها، بما أنّها لا سلطة لها فوق نفسها أو مع بعضها بعضاً، بل يختص كل واحد منها بعمل ما خاص به، فلديها، كما يجب أن يكون أسماء خاصّة متماثلة لأعمالها المتعددة.

سقراط ف: إنّني أوافق.

الغريب: لكن العلم الذي يكون فوقها جميعاً، وله مسؤولية القوانين، وكل القضايا المؤثرة على الدولة، ويحيكها جميعاً في علم واحدٍ بحقّ، إذا قدرنا أن نصفه تحت إسم مميّز لطبيعتها المشتركة، يمكننا أن نقول إنّه (علم السياسات) باستحقاق.

سقراط ف: هكذا بالضبط.

الغريب: بما أنّنا قد اكتشفنا الأنواع المتنوعة الآن في الدولة، هل سنحلّل علم السياسات على غرار النموذج الذي قدّمه فنّ الحياكة؟

سقراط ف: أرغب أن تفعل ذلك بدرجة كبيرة.

الغريب: يجب أن أصف طبيعة فنّ الحياكة الملكي، وأُظهرُ أسلوب عمليته، ونوع النسيج الذي ينتجه.

سقراط ف: بجلاء.

الغريب: إنّه عمل شاقٌ يجب أن نتمّمه، وبما أنّه عمل صعب مع ذلك، يبدو أنه ضروري.

سقراط ف: علينا أن نحاول بكلّ تأكيد.

الغريب: لنفترض أنّ جزءاً من الفضيلة يختلف عن الآخر في النوع، وأنّه في موقع من السّهل مهاجمته بمجادل مشاكس، يستهويه الرأي الشعبي.

سقراط ف: إنّني لا أفهم.

الغريب: دعني أطرح المسألة بطريقة أخرى: أفترض أنّك ستعتبر الشجاعة جزءاً من الفضيلة:

سقراط ف: إنني أفعل بكلّ تأكيد.

الغريب: وهل ستعتقد أنّ الاعتدال مختلف عن الشجاعة؛ وأنّه أيضاً جزء من الفضيلة بطريقة مماثلة؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب. إنّني سأغامر لأضع نظرية غريبة عنهما مقدّماً.

سقراط ف: ما هي؟

الغريب: إنهما مبدآن يكره واحدهما الآخر كليّة، من معنى محدّد، وهما عِدائيان طوال جزء مهم من الطبيعة.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إنّني مقرّرٌ رأياً أكثر غرابة ـ يقال إنّ كل أجزاء الفضيلة، كما أعتقد، يقال عنها إنّها صديقة بعضُها لبعض بشكل عام.

سقراط ف: نعم.

الغريب: دعنا نحقّق بعناية عندئذ إذا كانت هذه حقيقة بشكل عامّ، أو إذا لم يكن هناك أجزاء للفضيلة التي تكون في حرب مع أنسبائها بطريقة ما.

سقراط ف: أخبرني كيف سنعتبر ذلك السؤال.

الغريب: يجب أن نمدّد تساؤلنا لكلّ تلك الأشياء التي نعتبرها جميلة ونضعها في نوعين متضادّين في الوقت عينه.

سقراط ف: إشرح؛ ما هما؟

الغريب: الذكاء والسرعة، سواء في الجسم أو الروح، أو في حركة الصوت، وتقليدهما الذي يزوده رسم اليد والموسيقى. لا شكّ أنّك أثنيت عليها بنفسك قبل الآن، أو كنت موجوداً عندما أثنى عليها الآخرون.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: وهل تتذكّر الاصطلاحات التي يُثنى عليها، في أمثلةٍ كهذه؟

سقراط ف: إنّني لا أتذكّر.

الغريب: إنّني أتساءَل إن كنت أستطيع أن أشرح لك الأفكار التي تمر في ذهني بالكلمات.

سقراط ف: لِمَ لاَ؟

الغريب: تتوهّم أنت أنّ هذا عمل سهل تماماً: حسناً، دعنا نتأمّل تلك الأفكار بشأن الأنواع المضادة التي تقع تحتها. عندما نستحسن نحن السرعة والطاقة والذكاء، سواء بالفكر أو الجسم أو الصوت، كما نفعل في حالات عمل متعددة، فإنّنا نعبّر عن ثنائنا على النوعية التي تعجبنا بكلمة واحدة، وتلك الكلمة هي رجولة أو شجاعة.

سقراط ف: كيف؟

الغريب: نحن نتكلّم عن عمل ما، كمفعم بالحيوية وشجاع، عملٍ سريع ورجوليّ، ونشيط أيضاً؛ وعندما نستخدم الإسم الذي أتكلم عنه كصفة عامة لكل هذه الطبائع، فنحن نثني عليها بالتأكيد.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وعلى العكس، ألاَ نُثني على الجهد الهادىء أيضاً؟

سقراط ف: نعم، بشكل حماسي.

الغريب: أوَلاَ نقول نحن عكس ما قلناه عن الغير حينئذ؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: نحن نهتف، كم هو هادىء! كم هو معتدل! في إعجابنا بالعمل البطيء والهادىء للقوّة العقليّة، وللاستمرارية واللطافة في العمل، لنعومة وعمق الصدق، ولكل حركات الإيقاع والموسيقى بشكل عامّ. عندما يكون لدى هذه الأشياء مهابة مناسبة. نحن لا نعلن شجاعة لكل تلك الأفعال، بل إسماً دالاً على النظام.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: لكن، في اليد الأخرى، عندما يكون أيٌّ منها خارج المكان، فإنّ إسم أيّ منها يتغير إلى اصطلاحات لَوْمٍ.

سقراط ف: كيف ذلك؟

الغريب: إن المضاء الحادّ أكثر من اللاّزم أو السرعة أو الشدّة تسمّى عنفاً أو جنوناً؛ ويسمّى البطْءُ الكبير أكثر من اللازم أو الثقل أو اللطافة جبناً أو خمولاً. و يمكننا أن نلاحظ، أنّ الجزء الأكثر من هذه النوعيّات، وأنّ الاعتدال والرجولة من الأخلاقيات المضادة، تتقابل كأعداء، ولا تختلط مع بعضها بعضاً في أعمالها الخاصة؛ وإذا تابعنا التساؤل، فسنجد أنّ الرجال الذين

يمتلكون هذه النوعيات العقلية المختلفة يختلفون بعضهم عن بعض.

سقراط ف: بأيّة جهة يختلفون؟

الغريب: بكل تلك الأمثلة التي ذكرتها لتوّي الآن، ومن المحتمل في أمثلة أخرى عديدة أيضاً، وطبقاً لصلتها الوثيقة الخاصّة بكل نوع من الأعمال هم يوزعون الثناء واللوم، ـ ثناء على الأعمال المشابهة لأعمالهم، ولوم تلك التي تؤديها الفئة المضادة ـ وينشأ خارج هذا عدة خصومات وفرص خصومات بينهم.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: إنّ الفرق بين النوعين الاثنين هو اهتمام تافه لهذا الحدّ، لكنّه في دولة ما، يصبح الأكثر كرهاً من كل الاضطرابات عندما يؤثر على مسائل مهمّة بشكل واقعيّ.

سقراط ف: إلام تشير؟

الغريب: إلى لا شيء أقل من تنظيم كامل الحياة الإنسانيّة. إنّ النوع المنظم يكون جاهزاً ليقود حياة سلميّة على الدوام، فاعلاً عمله الخاص بهدوء. إنّ هذا هو أسلوبه في السلوك مع كل الرجال في الداخل، وهو مستعدّ ليجد طريقة ما لحفظ السلام مع الدول الغريبة. وعلى حساب ولعه هذا بالسلام، الذي يكون في غير وقته غالباً حيث يعمّ تأثيره، يصبح هذا النوع غير محبّ للحرب بدرجات، وينشىء رجاله الشبان كي يكونوا مثل نفسه؛ إنّه يكون تحت رحمة أعدائه، لذلك فهم ينتقلون غالباً ومعهم أطفالهم بشكل غير مدرك من حالة الرجال الأحرار إلى حالة العبيد في سنين قليلة.

سقراط ف: أيّ قدر قاسٍ يواجهون!

الغريب: وفكرّ الآن بما يحدث لأولئك الذين يميلون بالأحرى نحو الشجاعة. فبحثّ بلادهم الدائم على الذهاب للحرب، وبسبب حبّهم المفرط للحياة

العسكريّة، ألا يخلقون أعداء عديدين وأقوياء ضدّ أنفسهم، ألا يخرّبون أرض وطنهم كليّة أو يستعبدها ويسترّقها أعداؤهم؟

سقراط ف: إنّ ذلك لصحيح، مرّة ثانية.

الغريب: ألا يجب أن نعترف إذن، أنّه حيث يُوجد هذان النوعان، فهما يشعران بكراهية وخصومة أعظم نحو بعضهما بعضاً بشكل دائم.

سقراط ف: لا نقدر أن ننكر ذلك.

الغريب: وإذا عدنا إلى البحث الذي بدأناه، ألا نجد أنّ قسمين اثنين مهمين للفضيلة، هما على خلاف بعضهما مع البعض الآخر بشكل طبيعي، ويفسحان المجال لخلق مضادّةٍ مشابهةٍ في التضحيات الموقوفة عليهما؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: دعنا نعتبر نقطة رئيسيّة أبعد.

سقراط ف: ما هي؟

الغريب: أريد أن أعرف، ما إذا كان أيّ فنّ بنّاءٍ سيخلق أيّ شيء ضمن نطاقه الخاص، حتى الفن الأكثر سخافة، من خارج تشكيلة المواد السيّئة والجيدة، إذا ما أمكن مساعدة هذا؟ أليست كل الفنون تنبذ السّيّىء قدر المستطاع، وتقبل المواد الجيّدة والمناسبة، وتنتج من هذه المواد التي تتشابه ولا تتشابه به بشكل جزئي، جامعة كلّها في واحد، تنتج شيئاً يكون فريداً في قوته وشكله؟

سقراط ف: لتكن متأكداً.

الغريب: إذن فإنّ الفنّ الحقيقي لإدارة شؤون الدولة لن يسمح لأيّة دولة أن تتشكّل بمزج الرجال الأخيار والأشرار، إذا أمكن تفادي ذلك؛ بل سيبدأ باختبار الطبائع الإنسانية في المعاملة بكلّ وضوح. وسيعهد بها بعد اختيارها إلى المعلمين المناسبين الذين يمثلون أهداف ذلك الفن - هو نفسه سيعطي الأوامر، ويحتفظ بالسلطة، تماماً كما يحتفظ فنّ الحياكة بالعناية والسلطة على من

يمشط الأصواف وكلا العمال الآخرين الذين يحضّرون المواد للحياكة، آمراً الفنون المساعدة أن تنفّذ أعمالاً كهذه كما يعتبره ضرورياً للحياكة، الذي هو نفسه يجب ان يقوم به.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: في أسلوب مماثل، يظهر لي أنّ العلم الملكيّ رَبُّ البيت من بين كل المعلمين والمهذبين القانونيين، وبما أنّ لديه هذه القوّة الملكيّة، فلن يدعهم يُدرِّبون الرجال بطريقة لا تنتج مسحة أخلاقية ما تتناسب وعمله التأليفيّ الخاصّ، بل سيحثهم على أن يقصُروا تعليمهم على هؤلاء. أمّا أولئك الذين لا يقدرون على امتلاك حصة في الرجولة والإعتدال، أو أيّ ميل فاضل آخر، ويُحملون بعيداً إلى الإلحاد والغطرسة والعنف، بسبب طبيعتهم الشريرة، فإنّه يتخلص منهم بالموت والنفي، ويعاقبهم بالخزي الأعظم.

سقراط ف: يقال ذلك بشكل عامّ.

الغريب: لكنّ أولئك المنغمسين في الجهل والدناءة سيخضعهم لنير العبوديّة.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: أمّا بقيّة المواطنين، الذين يمكن أن يُخلق منهم شيء ما بمساعدة التعليم والذين يكون بمقدورهم أن يُمزجوا بأيدٍ خبيرة، فإنّ الفنّ الملكي يمزجهم ويحيكهم معاً؛ آخذاً باليد الأولى أولئك الذين تميل طبائعهم بالأحرى إلى الشجاعة، ومعايناً أخلاقهم الراسخة كالسّداة، وممسكاً باليد الأخرى أولئك الذين ينزعون إلى النظام واللطف، ويمكن تصويرهم بنفس الصورة كأنّهم معزولون بسماكة ونعومة، على غرار أسلوب اللُّحمة، ـ هؤلاء المتضادّون بالطبيعة، فإنّه يسعى ليربطهم ويحيكهم معاً بالطريقة التالية.

سقراط ف: بأية طريقة؟

الغريب: قبل كلّ شيء، يأخذ عنصر الروحِ الداخلي ويربطه بالرباط الإلهي الذي

يناسبه، ويأخذ الطبيعة الحيوانية بعدئذ، ويربطها بالروابط الإنسانيّة.

سقراط ف: إنّني لا أفهم ما تعني؟

الغريب: المعنى أنّ الرأي عن الشريف والعادل والخيّر ومضاداتهم، وهو رأي حقيقيّ يعزّزه العقل، لهو مبدأ إلهي، وعندما يُغرس في الروح، يكون مغروساً، كما أؤكّد بإيراد الدليل، بطبيعةٍ ذات ولادة سماويّة.

سقراط ف: نعم؛ فما الآخر الذي سيكونه؟

الغريب: إنّ الذي يستطيع أن يغرس هذا الرأي هو رجل الدولة والمُشرّع الصالح فقط. و هو يمتلك إلهام التأمّل الملكيّ، وهو المتعلّم بالحقيقية لا غيره، وهو واحد من الذين وصفناهم لتوّنا الآن.

سقراط ف: محتمل بما فيه الكفاية.

الغريب: لكنّ الذي ليس لديه قوّة كهذه، فلن نصنفه بأيٍّ من الأسماء التي هي موضوع بحثنا الحاضر.

سقراط ف: حقيقي بدون ريب.

الغريب: تصبح الروح الشجاعة متحضرة عند بلوغها هذه الحقيقة، وهكذا تستطيع أن تعاد أكثر قدرة على أن تشارك في العدل بكلّ تأكيد؛ لكن إن لم تصل لذلك، ستميل إلى التوحّش. أليست تلك حقيقة؟

ارسطو: بدون ريب.

الغريب: ومرّة ثانية، فإنّ الطبيعة المسالمة والنظاميّة، تصبح معتدلة وحكيمة بحقّ، إذا شاركت في تلك الآراء، بقدر ما يمكن أن تكون هذه الآراء في الدولة، لكن إذا تجرّدت منها، تحصل على السمعة المخزية للغباء باستحقاق.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: هل نقدر أن نقول إنّ ارتباطاً كهذا سيوحّد الشر بعضه مع بعض بشكل دائم أو مع الخير، أو أنّ أيّ علم سيفكّر في استعمال رباط بشكل جدي ليربط موادّ كهذه من هذا النوع؟

سقراط ف: مستحيل.

الغريب: لكنّ في أولئك الذين كانوا ذوي طبيعة نبيلة في الأصل، والذين قد غُذّوا بطرق نبيلة، ألا يمكننا أن نقول أنّ الاتحاد يُغرس بالقانون في أولئك فقط، وأنّ ذلك الفنّ يمتلك هذا الدواء كي يصفه لهم، وأنّ هذا الاتحاد للأجزاء اللامتشابهة والمتعاكسة للفضيلة هو رباط لفنّ أكثر إلهيّةً، كما قلت؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وحيث يوجد هذا الرباط الإلهي لا توجد صعوبة في التصوّر، أو عندما تتصوّر لا توجد صعوبة في إبداع الروابط الأخرى، التي تكون إنسانيّة فقط.

سقراط ف: كيف يكون ذلك، وأيّة روابط تعني؟

الغريب: إنّها حقوق التزاوج والصّلات التي تتشكل بين الدول بإعطاء وأخذ الأطفال في الزواج، أو بين الأفراد بالخطوبات والزّفافات الخاصة، إنّ أكثر الأشخاص يرتبون روابط الزواج بدون حقّ الاعتبار لِمَا هو أفضل لإنجاب الأطفال.

سقراط ف: في أيّة طريقة؟

الغريب: يجدُّون هم في طلب الغنى والقوة اللذين ليسا أهدافاً جديرة حتّى بالتعنيف الجدّي في الزواج.

سقراط ف: ليس هناك حاجة لتعتبرها على الإطلاق.

الغريب: هناك سبب رئيسيّ أكثر وهو أن نعتبر المراس لأولئك الذين يجعلون العائلة هدفهم الرئيسي، وأن نعيّن خطأهم.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: هم لا يعملون على قاعدة صحيحة مطلقاً، بما أنّهم ينشدون سهولة الإنقضاء وسرعته ويتلقون أولئك الذين يشبهونهم بسواعد مفتوحة، ويكرهون أولئك الذين لا يشبهونهم، كونهم متأثرين بشعور اللاتشابه بشكل رئيسي.

سقراط ف: كيف ذلك؟

الغريب: تُنشد الطبقة المنظمة تماماً الطبائع الخاصّة بها. وبقدر ما نستطيع فهي تتزوّج وتعطي في الزواج لهذه الطبقة على وجه الحصر، وتفعل الطبقة الشُّجاعة- الشيء نفسه؛ إنّها تنشد الطبائع التي تشبهها بشكل خاصّ، في حين أنّ عليهما أن تفعلا العكس بالضبط.

سقراط ف: كيف؟ ولِمَ ذلك؟

الغريب: لأنّ الشجاعة يمكن أن تزهر وتتّقد بادىء ذي بدء خلال عدة ولادات، عند عدم اعتدالها بالطبائع الألطف، لكنها تتفجّر أخيراً إلى جنون صِرْف.

سقراط ف: على الأرجح.

الغريب: ومرة ثانية عندئذ، فإنّ الروح التي تكون مفعمة بالحياة، ولا تمتلك أيّ عنصر من طاقة الشجاعة، وتنتقل هكذا لعدّة ولادات متتالية، فهي عرضة لأن تصبح مشلولة تماماً وغير نافعة.

سقراط ف: إنّ ذلك محتمل تماماً، مرة ثانية.

الغريب: قلت عن هذه الروابط إنّه لا صعوبة في خلقها إذا تمسّكت كلتا الطبقتين بالرأي عينه بشأن الشريف والخيّر فقط؛ ـ حقاً أنّ عملية الحياكة الملكيّة تؤلّف بمجملها في هذا العمل الفرد ـ ولن تسمح أن تُفصل عن الشجاعة قطّ، بل أن تحيكها معاً مثل السّداة واللحمة، تحيكها بعواطف مشتركة وفخر وسمعة حسنة، وبمنح العهود لبعضها بعضاً، وأن تصوغ منها نسيجاً واحداً ناعماً ومتناسقاً، وتتأمّن لكليهما معاً مناصب الدولة على الدوام.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: يجب أن تختار حاكماً يمتلك هاتين النوعيتين كليهما حيث الحاجة لمنصب واحد فقط ـ وعند شغور العديد من المناصب، عليك أن تمزج بعضاً من كلّ منها؛ لأنّ الحاكم المعتدل يكون يقظاً جداً وعادلاً وجديراً بالثقة، لكنه بحاجة إلى النشاط، وإلى تلك الطاقة القاسية التي تنجز هدفها.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إنّ شخصية الشجاع، على الجانب الآخر، تقصّر عن سابقتها في العدل والحذر، لكن لديها قوة الفعل بدرجة مدهشة؛ وحيث يكون العَوَز لكلتا هاتين النوعيتين، فالمدن هناك لا تستطيع أن تزدهر معاً لا في حياتها الخاصّة ولا العامّة.

سقراط ف: إنّها لا تستطيع بالتأكيد.

الغريب: نعلن نحن هذا إذن أنّه إتمام النسيج للعمل السياسي، الذي أُبدِع بالنسيج الداخلي المباشر للطبائع الشجاعة والمعتدلة، وذلك متى جذب العلم الملكيّ هذين العقلين ليشارك أحدهما الآخر بإجماعٍ وصداقة، وبعد أن أتم أنبل وأفضل نسيج من كل نسيج تسمح به الحياة السياسيّة، وشاملاً في تلك المسألة كل قاطني المدن الأخرى، سواء الأحرار أو العبيد، ثم يوثقهم في نسيج واحد ويحكمهم ويرأسهم. وبقدر ما يجيز للمدينة أن تكون سعيدة، لا يخفق في أن يؤمّن سعادتهم.

سقراط ف: إنّ صورتك، أيّها الغريب، للملك ورجل الدولة، ليست بأقلّ كمالاً من تلك التي للسوفسطائي، وإنّها لتامة جداً.

محاورة السوفسطائي

افكار المحاورة الرئيسئة

تبدأ المحاورة بين ثيودوروس وسقراط بتقديم الأول الغريب الإيلي، هو ابن بارمنيدس، أتى وثياتيتوس قصد المحادثة. وهذا الإيلي إيطالي الانتماء. أحبّ سقراط أن يوجه إليه سؤالاً، حول ما إذا كان يريد أن يُخبر لمن تُستخدم تلك العبارات وهذه الأسماء: سوفسطائي، رجل دولة، فيلسوف، وماذا يفكرون عنهم في إيطاليا. هل يعتبرونهم كواحدٍ أو اثنين، أو أنّهم يميزونهم بثلاثة أنواع بما أنّ لهم أسماء ثلاثة، وهل يخصصون واحداً لكل إسم؟ يجيب الغريب الإيلي بأنهم يعتبرونهم كثلاثة، لكنّ طبيعة كلّ منهم يصعب تحديدها وهو ليس عملاً سهلاً بأيّة حال.

يختار الغريب ثياتيتوس الفتيّ للتحاور معه، ويستهلّ البحث في طبيعة السوفسطائي ومن يكون وكيف سيعرف. سيتمّ ذلك بطريقة استخدام الأمثلة. فقبيلة السوفسطائيين، مزعجة وصعبة الاصطياد. بسنسأل أوّلاً هل السوفسطائي يمتلك فناً؟ نعم إنّه لكذلك. دعنا نقسّم فنّه إذن. كما نعرف فإنّ الفنون تُقسم إلى قسمين: منتج ومُبدِع، وهناك فنّ الصيد الذي له أنواع متعدّدة، منها الصيد في البرّ والصيد في الماء. وصائد السمك في الماء والسوفسطائي هما أبناء عمّ، وعملهما ليس فنًّا على الإطلاق، وهما يهتمان بالكسب. يذهب الأول إلى شاطىء البحر والأنهار والبحيرات لصيد الحيوانات الموجودة فيها، بينما يذهب الثاني إلى بحارٍ من الثروة ومروجٍ معشبةٍ فسيحة من الفتيان الأسخياء، وفي نيته أن يأسر الحيوانات الموجودة فيها. وهناك قسمان لصيد الحيوانات في البر، الأول صيد الحيوانات الأليفة، والثاني صيد الحيوانات المفترسة. أمّا الحيوانات الأليفة فتشمل الانسان وهو

يُصاد بالعنف، والصيد بالعنف هو ما نسميه قرصنة: خطف الإنسان، الاستبداديّة ومجمل الفنّ العسكري.

وهناك فنّ يُدعى فنّ الإقناع ويختص بالمحامي، الخطيب الشعبي. وهناك فنّ المحادثة وهو نوعان، الأول خاصّ والآخر عامّ، ويتلقى الصيد الخاص أجراً، والعام يحصّل الهدايا. ونقدر أن نسمّي الصيد الذي يتلقّى أجراً بأنّه تملُّق أو فنّ جعل الأشياء تبدو سارّة، وهو يعلن أنّه يشكّل أحد المعارف من أجل تعليم الفضيلة ويطلب جائزة بشكل دراهم، وهو من عائلة الكسب، كذلك فهو يصطاد الحيوانات الحيّة البريّة، الأليفة، ويصطاد الإنسان سِرّياً ويفتديه بالمال، ويمتلك شَبَهَ التعليم، وهذه هي سفسطة. وهي صيد عقب الرجال والشباب ذوي الثروة والرتبة لكن فيما يختصّ بالتبادل التجاري الذي يقوم به تجار الجملة والتجزئة فهو تبادل البضائع بالبيع والشراء، وهو نوعان، يختص الأول جزئياً بالغذاء للاستعمال الجسديّ، وجزئياً بالغذاء الروحي الذي يتمّ تبادله مقابل المال. أمّا غذاء الروح فهو المعرفة بشكل عامّ، واحدها بيع معرفة الفضيلة التي هي بضاعة روحيّة، وثانيها بيع النوعيّات الأخرى للمعرفة. وهنا يأتي دور السوفسطائي، التاجر في الفضيلة، الذي يكسب من هذا خلال ترويجه لسلع الروح التي تختصّ بالكلام (أو التعقّل) ومعرفة الفضيلة.

دعنا نكتشف السوفسطائي من خلال قسمتنا للولع بالاقتناء، لفنّ القتال أو الحرب، وهما قسمان: تنافسي وآخر مولع بالشجار. والفنّ المولع بالشجار يمكن تسميته مبارزة بالقوّة الجسدية، أمّا عندما تكون الحرب بالكلمات فيمكن تسميتها جدالاً. والجدل نوعان، فعندَما تُجاوَبُ الخطب الطويلة بخطب طويلة مثلها، ويُنَاقَشُ بشأن العادل والظالم، يكون ذلك جدلاً برهانيّاً. ويسمّى الجدل الذي يُقسَّم إلى أسئلة وأجوبة حواراً عنيفاً بشكل عامّ، وهنا يظهر السوفسطائي للمرّة الرابعة. فهو

الذي يجني المال من المحادثة الخاصّة وهو جداليّ، مخاصم، محبّ للجدل، مولع بالشّجار، مقاتل، عائلة كسب.

وبعدُ، إسمح لنا أن نبحث عن السوفسطائي في ما ندعوه عملية التطهير للأجسام الحيّة في أجزائها الداخليّة والخارجيّة. يتأثّر الأول بالدواء والألعاب الرياضية، والثاني باستحمام الرجل، وهو ليس عملاً جليلاً كما نلاحظ. وهناك التطهير للمواد غير الحيّة الذي تؤدّيه فنون الصّقل والنقع وهي عديدة. أمّا علم الجدل فعندَه غاية للتطهير وهي تطهير الروح أو الفهم، وهذا هو إبقاء الخير فيها وطرح الشرّ. سندعو الرذيلة مرض الروح وتنافرها، ونقول إنّ الجهل الذي هو مرضها كذلك، ما هو سوى ضلال العقل المثني على الحقيقة، والذي تُساءُ فيه عملية الفهم. نقوّم مرض أجسادنا بالتمارين الرياضية والدواء، ونشفي أرواحنا بالعدل والحكمة والعلم، ونعرّف الجهل بأنّه المرض الأكبر، وهو عندما يفترض المرء نفسه أنّه يعرف وهو لا يعرف، ويبدو أنّ هذا هو المنبع العظيم لكل أخطاء رجال الفكر. نقدر أن نحسّن ذلك بطريقتين للتعليم النظري، إمّا بالتأنيب بقسوة، أو النصح بلطف. أمّا النقض بعلم الجدل فهو أعظم تطهير للروح، ومن لم يُنقض به، حتى إذا كان الملك ذاته، فسيكون في حالة تلوّثٍ شنيعة وغير مثقّف وممسوخاً، وهؤلاء هم السوفسطائيون الذين لا يريدون أن يثبّتَ خطلُ مزاعمهم بعلم الجدل.

وبعدُ، فيجب علينا أن نلاحق السوفسطائي كي نكتشفه أكثر، خاصة بعد أن أقفلنا عليه كل المنافذ، ولن ندعه يفلت منا حتى نعرّيه بشكل كامل. لقد وصلنا في التحديد إلى أنّ السوفسطائي صيّاد، ويتعقّب الثروة والشباب، وهو تاجر في بضاعة الروح، وبائع تجزئة لنفس النوع من السلع، وقد صنع الأشياء التي باعها بنفسه، وهو يخصّ النوع المقاتل، وكبطل جدال، ويمارس فنّ الخصام، ويعلّم ما هو غير حقيقي عن الأشياء الإلهيّة وعن الأشياء المرئية في السماء والارض وما شابه

ذلك. وهو قادر أن يتخاصم بشأن القانون والعلوم السياسيّة، وحتى عن كل موضوع في العالم.

ولنسأل، هل يستطيع أيّ مخلوق بشري أن يفهم كل شيء؟ سيكون الجنس البشري سعيداً إذا ما أمكنه ذلك. أمّا السوفسطائي فهو يمتلك نوعاً من المعرفة التخمينيّة أو الظاهريّة عن كلّ الأشياء فقط، والتي ليست حقيقيّة. وتبيّن عند مواصلتنا للبحث أنّه ساحر ومقلّد ومشعوذ، وما علينا إلاّ أن نقسّم الفنّ المقلّد كي نحتجزه في شبكة من علم الجدل، وعندها لا يستطيع الإفلات. القسمة الأولى منه هي فنّ صناعة التشابه، والثانية فنّ صناعة المظاهر، ففي أيّهما سنضع السوفسطائي؟ وإذا كان ما يقوله السوفسطائي باطلاً فلديه الجرأة على أن يؤكّد اللاّوجود للوجود، وهل نقدر أن نتفوّه بهذه الكلمة الممنوعة (اللاوجود). ينبغي أن نتطرّق إلى الأعداد، المفرد منها والمزدوج والجمع، ولا نقدر أن ننسب إلى اللاوجود عدداً لا في المفرد ولا الجمع إذن حتّى ولا في الكثرة. دعنا هنا نعود إلى المبادىء الأساسية للوجود التي طرحها القدماء، من عصر اكسنوفاينز وما قبله. قال بعضهم بمبدأي الصداقة والكراهية، وقال آخر بالحرب والسلام، وآخر بالرطب والجافّ، وغيره بالحارّ والبارد، وذلك كي نتمكّن خلال هذا البحث من اكتشاف السوفسطائي وإخراجه من ثقب اللاّوجود الذي اختبأ فيه. لكن قبل ولوجنا في ذلك سنفهم من فلاسفتنا الأثينيين ماذا يعنون بكلمة (يكون)، وكذلك ممّن يؤكّد وحدة أحادية الكل، ونتحقّق منهم ماذا يعنون بكلمة (وجود)، وهل الوجود كالواحد، وهل يُستعمل الإسمان للشيء عينه؟ لنذهب بعد ذلك، إلى الذين يتكلمون عن الوجود بدقّة أقلّ، فنراهم في حرب ضروس مع بعضهم البعض بشأن طبيعة الحقيقة، ويؤكدون بعناد أنّ الأشياء التي يمكن لمسها أو إمساكها لها وجود فقط، لأنهم يعرّفون الوجود (الحقيقة) والجسم كواحد. وإذا قال أيّ شخص آخر إن ما ليس بجسم يوجد يستخفون به تماماً، ولن يستمعوا لأيّة وجهة نظر أخرى. أمّا

أخصامهم فيدافعون عن أنفسهم بحذرٍ من علٍ، من خارج العالم اللاّمرئي، مناضلين بقوة من أنّ الحقيقة الحقة تكمن في مُثُلٍ محدَّدة واضحة غير فانية؛ يفتّتون الأجسام الماديّة التي يؤكد الماديون أنّها الحقيقة المطلقة، يفتتونها إلى أجزاء صغيرة (ذرّات) بمحاوراتهم، ويثبتون أنّها ليست وجوداً بل نشوء وحركة. وهذه الفرقة يمكن محاورتها بسهولة فهم أناس مهذّبون كفاية، لكن هناك صعوبة كبيرة ولربما استحالة مطلقة في استخراج رأي من أولئك الذين يُنزلون كلّ شيء إلى المادة. ما يهمنا أنّنا سنحاور الإثنين، لكن الرأي الذي سيعطيه الرجال الأفاضل هو الأساس وهو أكثر وزناً وقيمة من ذلك الذي يعترف به الرجال الأقلّ أهمية. إضافة إلى ذلك فنحن لا نحترم الأشخاص في هذا المنحى، بل نبحث عن الحقيقة ونجلُّها. سنسأل الطبيعيّين، إن كان يوجد هكذا شيء كحيوان فانٍ؟، وسيعترفون أنّه جسم وروح، وأنّ الروح تبقى، وأنّ هناك روحاً عادلة وأخرى ظالمة، وأنّ الروح العاقلة والعادلة تصبح عادلة وعاقلة بامتلاك العدل والحكمة، والروح الظالمة عكس ذلك. وأنّ ما يخصّ الروح لا يُرى، وأنّ الذي يكون هو أي شيء حتى الجزء الأصغر من ذلك الشيء. وسنسألهم عن الطبيعة المشتركة للفاني وغير الفاني، وبما أنّه ليس عندُهم أيّ شيء يمكنهم تقديمه، فنحن سنعرّف الوجود بما يلي: إنّ أيّ شيء يمتلك أيّ نوع من القوة ليؤثر في الآخر، أو ليكون متأثراً بالآخر، لو للحظة واحدة فقط، مهما يكن السبب ضئيلاً، ومهما يكن التأثير طفيفاً، فإنّه يمتلك وجوداً حقيقياً، ونتمسك بأن التعريف للوجود هو قوّة بكل بساطة. أمّا أصدقاء المُثُل فهم سيميزون الوجود (الحقيقة) من النشوء، وسيقرّون أنّنا نتصل بالكون بواسطة الجسم، ومن خلال قوة الإدراك، وبالحقيقة الحقة من خلال الفكر، وبواسطة الروح، وأنّ النشوء أو الصيرورة تختلف. وسنتفق معهم من خلال بحثنا في الحركة والحياة والروح والعقل والمعرفة والسبب، أنّنا سنشمل المتحرك وغير المتحرك في تعريفنا للوجود ككلّ. ومع ظهور الصعوبات نتيجة هذه الأبحاث، نرجو أن يسمح لنا بالمزيد من

التقصّي عن الحركة والسكون وعن علاقتهما بالوجود. وبعد أن أخذنا من هذا التحقيق ما نريد، دعنا نلتفت إلى الحروف ونرى ما نقدِّر أن نستشفّه منها لخدمة هدفنا هذا. يا إلهي!! لقد وصلنا إلى العلم الذي يكشف لنا كلّ ما نريد وينقذنا من الصعوبات التي نعاني منها في ملاحقتنا للسوفسطائي. إنّه عمل تقسيم الأنواع الذي يختص بالفيلسوف والذي هو عمل علم الجدل. ومَنْ غير الفيلسوف يُعزى له هذا العلم الصافي والحقيقي، ومَنْ سِواه يستطيع أن يكون جديراً بالاحترام؟ وهو غير السوفسطائي الذي يوَلّي هارباً إلى ظلام اللاّوجود، بينما الفيلسوف نقدر أن نجده مظلماً لكن من فرط النّور، يُجري محادثة مع مثال الوجود بواسطة العقل على الدوام، لأنّ أرواح الكثرة لا تمتلك العين التي تستطيع أن تتحمل الرؤيا الإلهيّة.

وهنا دعنا نختار قلّةً من المُثُل التي تعتبر مُثلاً رئيسيّة، ونتأمل مليّاً طبائعها المتعدّدة وقدرتها على المشاركة مع بعضها البعض، حتى لو لم نكن قادرين على أن ندرك بوضوح تامّ أفكار الوجود واللاوجود. إنّ الأجناس التي تُعدّ أكثر أهمية والتي بحثناها حديثاً من هذه هي الوجود ذاته والسكون والحركة. ثم لنبحث عن معنى هاتين الكلمتين (الشيء عينه) و(غيرٌ)؛ أهما غيرٌ من الوجود والسكون والحركة، أو هما يتشابهان ويشتركان معها؟

أولاً: إنّ الحركة هي غيرٌ من الوجود. وبما أنّ الحركة تشترك في الوجود، تكون بحق ولا تكون أيضاً.

ثانياً: يوجد اللاّوجود حينئذ في حالة الحركة ولكلّ نوع بالضرورة؛ لأنّ طبيعة الغير داخلة في كل منها تجعلها غيراً من الوجود، وهكذا غير موجودة؛ ولذلك يمكننا أن نقول عنها بحق إنّها لا تكون. مرّة ثانية، إنّها تكون وهي موجودة، بقدر ما تشترك في الوجود، ولذلك يمتلك كلُّ نوع آنئذ كثرةً للوجود، ولا نهاية للوجود. ونحن عندما نتكلّم عن اللاوجود، نفترض أنّنا نتكلّم ليس عن شيء ما مضادّ لوجود بل مختلف فقط.

تبدو الطبيعة مقسّمةً إلى جزئيات بسيطة كالمعرفة، والمعرفة واحدة مثل الغير، ومع ذلك فإنّ كلّ جزء منها لديه مقاطعة خاصّة وله إسم خاصّ به، ولكي تحكم من الأسماء فهناك فنون متعدّدة وفروع عديدة للمعرفة. أمّا الغير فله جزء مناقض للجمال وهو اللاجمال، غير أنّ الجمال هو أكثر وجوداً في الحقيقة من اللاجمال، والأخير أقلّ وجوداً فيها، وكذلك الكبير واللاكبير، والعادل واللاعادل.

بعد أن أثبتنا وجود اللاوجود، وأنّ الأشياء التي لا تكون تكون، وأنّ طبيعة الغير موجودة، ومهما يكن جزء الغير فإنّه مضادّ للوجود، وهذا ما قد جازفنا لأن نسمّيه اللاوجود، وهو ليس مضاداً للوجود بأيّة حال. وإنّنا لنستنتج ممّا قلناه، أنّ المحاولة لفصل كل الموجودات عن بعضها بعضاً هي عمل بربريّ وليست جديرة بعقل فلسفي على الإطلاق. وإنّ محاولة الفصل الشامل للموجودات هي الإبطال النهائيّ لكل الاستنتاجات المنطقيّة؛ لأنّنا لا نستطيع أن نصل إلى البحث العقلاني باتّحاد المدارك ببعضها البعض فقط. وفي مقاومتنا للانفصاليين هؤلاء، أجبرناهم على أن يعترفوا أنّ شيئاً واحداً يمتزج بالآخر. ولهذا فنحن نمتلك فلسفة ولا نمتلك محادثة. والآن إسمح لنا أن نقرّر طبيعة هذه المحادثة.

والشيء المهم التالي الذي ينبغي بحثه، وهو أنّ اللاوجود إذا لم يمتلك جزءاً من الفرضيّة، يجب أن تكون الأشياء كلها حقيقة عندئذ. لكن إذا امتلك اللاوجود جزءاً منها، فيُحتمل وجود الرأي الباطل والكلام الباطل آنئذ، حيث كلّ الأشياء ممتلئة أشباحاً وصوراً وأوهاماً. وإلى هذه المنطقة هرب السوفسطائي، واختبأ في هذا المكان وأنكر وجود الاحتمال المحدَّد للباطل؛ وقد فشل في معركته وخسر حربه. والآن كي نعرّيه مما سيدّعي لغوياً، دعنا نبحث في طبيعة اللغة، الرأي، التصورات، كي يمكننا أن نراقب مشاركتها مع اللاوجود. وعندَ عملنا هذا يمكننا أن نبرهن أنّ الباطل يوجد، وسنسجن السوفسطائيّ في ذلك المكان.

لنبدأ بالسؤال عن الأسماء في هذا المكان. هناك كلمات في الأسماء لها معنى

عندما تكون في تسلسل وهي متصلة، وأسماء لا تمتلك معنى عندما تكون في تسلسل ولا يمكن أن تكون متصلة. هنا يبين الإسم والفعل، وتعاقب الأسماء لا يمكن أن يشكل جملة، ولا يقدر تعاقب الأفعال بدون أسماء أن يؤلف جملة كذلك، ولذلك لا يمكن إخراج محادثة من كليهما على حدة. أمّا الجملة فهي بداية المحادثة الجملة تعطينا تصريحاً عن شيء ما يكون أو يكون صائراً، أو قد أصبح، أو سيكون. لا يغرب عن بالنا أنّ امتلاك الجملة لا يعني حيازة الموضوع، وهناك جُمل تتكلّم عمّا هو باطل، هي محادثة زائفة بحقّ وصدق، وعكسها هي الحقيقة. ولذلك، فإنّنا برهنّا أنّ الرأي، والفكر، والتصوّر، موجودة في عقولنا كحقيقة وكباطل في الوقت عينه.

لنتذكر أنّنا قسّمنا سابقاً صناعة الصّور إلى نوعين، الأول صناعة الشبه، والآخر التخيلي أو الوهمي. وفي الأول سنبحث عن السوفسطائي مرة ثانية. ولا ننسى أن نأخذ الجزء الأيمن للتقسيم في كلّ نوع على الدوام، حتى نجد السوفسطائي ونجرّده من كلّ ما يملك ونصل إلى صفته الخاصة المميّزة. لقد قلنا إنّ كل الفنون تُقسم إلى إبداعيّة واكتسابيّة، وكان ما يخصّ السوفسطائي اكتسابياً في التقسيمات الصغيرة الجزئية للصيد، المباراة، التجارة وما شابه ذلك. والآن فإنّ فنّ التقليد قد طوّقه، والتقليد هو نوع من الإبداع الخاصّ بالصوّر وليس بالحقيقة. وهناك نوعان من فنّ الإبداع، أحدهما إلهيّ والآخر إنسانيّ. أمّا الإلهيّ فإبداعُه هو كل ما في العالم من حيوان ونبات وما في باطن الأرض وعلى سطحها. هذه كلها أبدعها الله بسبب إلهي ومعرفة تصدر عنه. أمّا الأشياء التي أبدعها الإنسان فهي المركّبات من هذه. ونقدر أن نصف ذلك بشكل أدق فنقول، إنّ الأولى هي صنعة الله، وإنّ الثانية هي إنتاجيّة وتسمّى صناعة صور. والفنّ الإلهي له إنتاجان، الهدف والصور المتماثلة، وكذلك الفنّ الإنساني. هناك شيء يختص بفنّ صناعة الشيء، والصورة التي تختصّ بالتقليد. وعلى أيّة حال، هناك بعض ممن يقلّد ويعرف ما يقلّد، وبعض

ممّن لا يعرف، وأي خطٍّ من التمييز يمكن أن يكون أعظم من ذلك الذي يفصل الجهل عن المعرفة بأيّة حال؟ والتقليد الذي يترافق بالرّأي هو تقليد مظاهر، أمّا التقليد الذي يترافق بالمعرفة فهو نوع « تأريخيّ » للتقليد. لكنّ السوفسطائي فنحن نصفه بين مَن يقلّد المظاهر، وليس بين أولئك الذين يمتلكون معرفة.

وأخيراً، هناك مقلّدان، المستتر الذي يخاطب الجمهور علانيّة في حديث طويل، والمستتر الذي يجبر الشخص الذي يتحادث معه أن يناقض نفسه في محادثات قصيرة. الأوّل ينطبق على الخطيب الشعبي، والثاني ينطبق على السوفسطائي.

باختصار، السوفسطائي هو مسبّب مناقضة لنفسه، مقلّد مظاهر، مفصول من نوع الفنّ الشبحي الذي هو فرع من فنّ صناعة الصور في تلك القسمة الأبعد للإبداع. إنّه التلاعب بالكلمات قصد الخديعة، إبداع إنساني، وليس إلهياً. إنّه السوفسطائي بدون ريب.

محاورة السوفسطائي

علم تقسيم العلوم

أشخاص المحاورة:

ثيودوروس   سقراط

ثياتيتوس

آيليٌ غريب يحضره ثيودوروس وثياتيتوس معهما. وسقراط الأفتى المستمع الصامت.

ثيودوروس: إنّنا هنا يا سقراط، صادقون لمحاورتنا البارحة؛ وها نحن نحضر معنا غريباً هو مواطن أيليٌ، ورفيق لبارمنيدس وزينون، إنه فيلسوف حقيقي.

سقراط: بالأحرى، ألا يكون إلهاً، يا ثيودوروس، الذي يأتي إلينا في تنكّرٍ غريب؟ فهوميروس يقول إنّ كلّ الآلهة تلازم هكذا رجالاً كأنّ لديهم أيّما مسحة للوقار والعدل، وأنّ إله الضيافة، فوق الجميع، يدوّن ملاحظة لرجالٍ ممّن يزدريهم أو يراقبهم القانون. أوَلا يمكن أن يكون رفيقك من تلك السلطات ذات القوى العليا، إله دقيق الاستجواب، أتى ليكتشف ضعفنا في الحوار، وليستجوبنا بدقّة؟

ثيودوروس: لا، يا سقراط، إنّه ليس نوعاً من النوع المخاصم - إنه أكثر عقلانيّة. وهو في رأيي ليس إلهاً على الإطلاق؛ بل إنّه إلٰهيّ بالتأكيد، لأنّ هذا هو اللَّقَب الذي سأمنحه لكلّ الفلاسفة.

سقراط: ممتاز، يا صديقي! بل يمكنني أن أضيف أنّك تضعه في طبقة من الصعب

تمييزها تقريباً كما تكون الآلهة. إنّ الفلاسفة الحقيقيّين، وهكذا كأنّهم ليسوا مُعَدِّين لهكذا مناسبة فحسب، يظهرون في أشكال مختلفة لا يميّزهم فيها الجهلةُ من الرجال، وهم « يتسكعون حول المدن »، كما يقول هوميروس، ناظرين إلى الحياة الإنسانيّة من عَلٍ؛ والبعض لا يفكر بأيّ شيء عنهم، ولا يستطيع الآخرون أن يفكروا بما فيه الكفاية أبداً. وهم يظهرون كرجال دولة بعض المرّات، ومرّات أخرى كسوفسطائيين؛ ويبدون للعديد مرّة ثانية حينئذ، وكأنّهم ليسوا بأفضل من الرجال المجانين. إنّني أحبّ أن أسأل صديقنا الآيلي، إن كان سيخبرنا، كيف ينظرون إليهم في إيطاليا، ولمن تستخدم العبارات؟

ثيودوروس: ما هي العبارات؟

سقراط: سوفسطائي، رجل دولة، فيلسوف.

ثيودوروس: ما هي صعوباتك بشأنها؟ وما الذي جعلك تسأل؟

سقراط: أريد أن أعرف ان كان يعتبرهم رجال بلادهم واحداً أو اثنين، أو أنّهم يميزون ثلاثة أنواع أيضاً، بما أن الاسماء هي ثلاثة ويخصصون واحداً لكل إسم؟

ثيودوروس: أجرؤ على القول أنّ الغريب لن يعترض على أن يبحث السؤال. فماذا تقول، أيّها الغريب؟

الغريب: إنّني أبعد من أن أعترض، يا ثيودوروس، وليس لديّ أيّة صعوبة في الإجابة وهي أنّنا نعتبرهم كثلاثة، لكن تحديد طبيعة كلّ منهم بدقة ليس عملاً سهلاً بأية حال.

ثيودوروس: لقد حدث يا سقراط، أنّك ألقيت الضوء تقريباً على السؤال المحدّد الذي كنا قد ألححنا فيه على صديقنا قبل أن تأتي إلى هنا، وآعتذر لنا بنفسه، كما يفعل لكم الآن، مع أنّه يقول إنّه سمع محادثة مفصّلة.

سقراط: لا ترفض استحساننا الأول، أيّها الغريب، الذي نلتمسه منك. إنّني متأكّد أنّك لن تفعل، ولذلك فإنّني أستعطفك أن تقول فقط إذا ما كنت تحبّ، وأنّك معتاد أن تعدّ خطاباً طويلاً عن موضوع تريد أن تشرحه للآخرين، أو أنّك تتقدّم بطريقة السؤال والجواب. إنّني أتذكّر سماع حديث غاية في النبل هو الذي استخدم بارميندس فيه الطريقة الأخيرة من الإثنتين، عندما كنت أنا شابًّا، وكان هو بعيد التقدم في السنّ(٨).

الغريب: أفضّل أن أتحدّث مع الغير عندما يستجيب بلطف، ويكون في متناول اليد؛ وإلاّ فالأفضل أن أقول ما لديّ وما هو خاصّ بي.

سقراط: سيستجيب أيّ واحد من المجموعة الحاضرة لك بلطف، ويمكنك أن تختار الذي تريده منهم. أنصحك أن تصطحب واحداً فتيّاً ـ ثياتيتوس، مثلاً ـ إلاّ إذا فضّلت شخصاً آخر ما.

الغريب: أشعر بالخجل، يا سقراط، كوني قادماً جديداً إلى مجتمعكم، أن أحيك مناجاة نفسيّة طويلة أو خطاباً، وأعطي نوعاً من الاستعراض، بدلاً من ردّ جواب قصير لكلّ تساؤل، لأنّ الجواب الحقيقيّ سيكون طويلاً حقاً بالتأكيد، أطول بكثير ممّا يمكن توقّعه من سؤال قصير وبسيط كهذا. أخشى في الوقت عينه، من أن أبدو وقحاً وغير مهذّب، إذا رفضت التماسك الكيّس، خاصة بعد ما قد قلته. إنّني لا أستطيع أن أعترض على اقتراحك بالتأكيد، من أنّ ثياتيتوس سيستجيب، بما أنني قد تحادثت معه بنفسي مسبقاً، وبما أنك تحبّذ لي اصطحابه.

ثياتيتوس: إفعل هكذا إذن، أيّها الغريب، وكما قد قال سقراط، سنكون كلنا مدينين بالشكر لك.

الغريب: أعتقد أنه لا يوجد أيّ شيء بعد ذلك ليقال، يا ثياتيتوس. حسناً إذن، إنّني سأتحادث معك، وإذا تعبت من الحوار، أستعطفك أن تلوم أصدقاءك لا أنا.

ثياتيتوس: لا أتوقّع أنّني سأكون تعباً في الوقت الحاضر، وإذا ما فعلت، سأحضر صديقي إلى هنا، سقراط الأفتى، سَمِيِّ سقراط الأكبر سناً، كي يساعد. إنّه بنفس عمري تقريباً، وشريكي في الألعاب الرياضيّة، ومن عادته أن يشاطرني العمل الأصعب.

الغريب: جيّد جدّاً؛ يمكنك أن تقرّر بنفسك بشأن ذلك عندما نتقدّم في الحوار. سنبدأ أنت وأنا في غضون ذلك معاً، ونبحث في طبيعة السوفسطائي، أوّل الثلاثة. أرغب منك أن تدرك ما هو، وأن توضحه بالنقاش. إنّنا قد اتفقنا بشأن الإسم في الوقت الحاضر فقط، لكن للشيء الذي استخدمنا هذا الإسم كلانا لربّما لديك مفهوم ما عنه وأنا لي مفهوم آخر؛ مع أنّنا يجب أن نصل إلى فهم مشترك بشأن الشيء نفسه في عبارات تعريفيّة، وليس بشأن الإسم الناقص التعريف ليس إلاّ. وبعدُ فإنّ قبيلة السوفسطائيين التي نقترح المضيّ قُدُماً في البحث عنها الآن، ليست أسهل الكلّ لتمسك بها أو تعرّفها؛ ومن المتفق عليه منذ القِدم، أنّه كي تحقق نجاحاً في مجهود عظيم ما، فإنه لمن الأفضل أن نتدرّب على أمثلة أقلّ وأسهل قبل أن نتقدّم إلى الأعظم. وكما نتوقّع فإنّ قبيلة السوفسطائيين مزعجة وصعبة الاصطياد، وسأوصي أن نتدرّب على هذه الطريقة سلفاً، إلاّ إذا استطعت أن تقترح طريقة أسهل.

ثياتيتوس: إنّني لا أقدر حقاً.

الغريب: إفترض أنّنا نستخدم هذه الطريقة إذن، على مثال سطحي ما، ونحاول أن نجعله نموذجاً للأكبر؟

ثياتيتوس: جيّد.

الغريب: هل سنستطيع أن نأخذ المثال الصغير والسهل كي نعاينه، وهو قابل للتعريف مع ذلك كأيّ شيء أكبر؟ هل سأقول صائد السمك بالصنارة؟ إنّه مألوف منّا جميعاً، وهو ليس شخصاً مثيراً أو مهمّاً.

ثياتيتوس: إنّه ليس كذلك.

الغريب: مع ذلك فإنّني أشتبه أنّه سيحدّثنا بنوع من التعريف وخطّ للتساؤل الذي نريد.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: دعنا نبدأ بسؤال إن كان هو رجلاً يمتلك فنّاً أو لا يمتلكه، بل لديه قوة أخرى ما.

ثياتيتوس: إنه رجل ذو فنّ بوضوح.

الغريب: يمكن أن تقسّم الفنون تالياً إلى نوعين رئيسيين.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: الزراعة في المقام الأوّل، والاعتناء بأيّ نوع من المخلوقات الفانية، وفنّ بناء أو صياغة تلك الأشياء التي نسمّيها آلات؛ ونوع التقليد أيضاً ـ يمكن أن تدعى كل تلك الأشياء بإسم مفرد وبشكل مناسب.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟ وما هو الإسم؟

الغريب: يقال عمّن يُوجدُ شيئاً لم يكُ موجوداً من قبلُ، يقال عنه إنّه مُبدِعٌ، ويقال عن ذلك الذي أُحضِرَ إلى الوجود إنه مُبدَعٌ.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: والفنون التي قد ذُكرت لتوّها الآن كُلُّها مصوَّرة بهذه القوة المبدَعة؟

ثياتيتوس: إنّها لكذلك.

الغريب: دعنا نلخّصها إذن تحت إسم الفنّ المنتِج أو المبدِع.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: ثانية، هناك طبقة التعليم والإدراك؛ كما طبقة التجارة، الحرب، والصيد. وبما أنّ أيّا من هذه الطبقات لا تبدع شيئاً، بل إنها مشغولة في السيطرة بالكلمة أو الفعل، أو في منع الغير من السيطرة على الأشياء التي توجد أو

أنّها قد وُجِدَت مُبدَعةً من قبلُ - يمكن أن يُميَّز فنّ في كل تلك الفروع يمكن تسميته بالمُكْسِب.

ثياتيتوس: نعم، ذلك هو الإسم المناسب.

الغريب: ليكون في ذهننا أنّ كل تلك الفنون إمّا مُكسِبةً أو مبدَعة، ففي أية طبقة سنضع فنّ صائد السمك بالصنارة؟

ثياتيتوس: في الطبقة المكسِبة بوضوح.

الغريب: ويمكن للفنّ المكسِب أن يقسّم صغيراً إلى جزأين اثنين: هناك التبادل، الذي يكون اختيارياً ويتأثر بالهدايا، الكراء، والشراء؛ والجزء الآخر للفنّ المكسِب، الذي يكون بقوّة الكلمة أو الفعل، ويمكن تسميته فتحاً؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك متضمنٌ فيما قد قيل.

الغريب: ألا يمكن للفتح أن يقسّم صغيراً مرة ثانية؟

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: يمكن أن تسمّي قوة الفتح حرباً، ويمكن أن تمتلك القوة السريّة الإسم العامّ للصيد؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وسيكون مضحكاً آنئذ أن لا تقسّم فنّ الصيد إلى جزأين اثنين.

ثياتيتوس: كيف ستصنع القسمة؟

الغريب: إلى صيد للأحياء وللفرائس الميتة.

ثياتيتوس: نعم، إذا ما وجد النوعان كلاهما.

الغريب: إنهما يوجدان بالطبع؛ لكن الصيد عَقِبَ الأشياء الميتة لا إسم خاصّاً له، ما عدا أنواع من الغوص، ومسائل أخرى صغيرة، يمكن أن نسقطها باستحسان؛ ويمكن أن يسمّى الصيد عَقِبَ الأشياء الحيّة صيد حيوانات.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويمكن القول بصدق إنّ صيد الحيوان قسمان إثنين، صيد الحيوانات البريَّة، الذي له عدة أنواع وأسماء، وصيد الحيواناتَ المائيَّة، أو الصيد عَقِب الحيوانات التي تسبح؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: والحيوانات السابحة، يعيش نوع واحدٌ منها في الجو والآخرَ في الماء.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: اصطياد الطيور هي العبارة العامة التي تتضمن اصطياد الطيور ككلّ.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويمتلك اصطياد الحيوانات التي تعيش في الماء الإسم العامّ وهو صيد السمك.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويمكن لهذا النوع من الصيد أن يقسَّم إلى نوعين رئيسيين أيضاً في مجال أبعد.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: هناك النوع الذي يُمسك بها حيث تكون في الشِباك، ويستولي الآخر عليها بالضربة القاضية.

ثياتيتوس: ماذا تعني، وكيف تميّزهما؟

الغريب: فيما يتعلق بالنوع الأوّل- ـ كل الذي يُطوِّق ويحصر أي شيء ليمنع خروجه يمكن أن يسمّى تطويقاً بحقّ.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: يمكن لذلك السبب أن تكون السّلال المصنوعة من الأغصان، الشباك المطروحة، الأنشطة، الأشراك، وما شابه، يمكن أن تُسمى جميعها تطويقات؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويمكن لهذا النّوع الأوّل من الأسرِ أن ندعوه بنا أسراً بالتطويق، أو شيئاً ما من ذلك النوع؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويمكن أن يُسمى النوع الآخر، الذي يُمارَسُ بالضربة القاضية بواسطة الكُلاّبات ذات الحراب الثلاث، عندما يُختصر باسم واحد، يمكن أن يُسمّى أسراً بالضرب، إلاّ إذا استطعت، يا ثياتيتوس، أن تجد إسماً ما أفضل؟

ثياتيتوس: لا تقلق للأسماء ـ ما تقترح سيصلح جيّداً جداً.

الغريب: هناك أسلوب واحد للضرب، ذلك الذي يُنجز أثناء الليل، وبنور النار، ويدعوه الصيّادون أنفسهم إنارة، أو الطعن بنور النار.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويسمى صيد السمك نهاراً بالإسم العام وهو صيد بالصنارة، لأنّ الحراب مزوّدة بشوكة في رأسها.

ثياتيتوس: نعم، ذلك هو الاصطلاح.

الغريب: ويسمّى صيد السمك بالصنّارة ذلك الذي يضرب السمكة التي تكون تحت من عَلٍ، يسمّى الطّعن بالحربة، لأنّ هذه هي الطريقة التي تُستعمل الحربة فيها غالباً.

ثياتيتوس: نعم، إنّها تدعى هكذا غالباً.

الغريب: هناك نوع واحد باقٍ الآن فقط.

ثياتيتوس: وما هو ذلك؟

الغريب: عندما يُستخدم الكُلاّب، ولا تصاب السمكة في أيّ جزء من جسمها بالصدفة، كما تصاب بالحربة، بل تصاب حول الرأس والفم فقط، وتُسحب إلى الخارج حينئذ بالقصبات وصنانير الصيد. ما هو الإسم الحقيقيّ لذلك الأسلوب من صيد السمك، يا ثياتيتوس؟

ثياتيتوس: أحسب أنّنا قد اكتشفنا هدف بحثنا الآن.

الغريب: لقد توصّلنا الآن، أنت وأنا، إلى فهم ليس عن إسم فنّ صائد السمك بالصنارة فقط، بل عن تعريفٍ للشيء نفسه. كان النصف الواحد للفنّ كله مُكسِباً. وكان نصف الفن المكسِب فتحاً أو استيلاءً بالقوة، وكان نصف هذا الصيد صيداً، وكان نصفه صيد حيوانات، وكان نصف هذا صيد الحيوانات المائيّة ـ من هذا مرّة ثانية، كان النصف التحتيّ صيد سمك، وكان نصف صيد السمك جذباً بالصنارة؛ وكان جزءاً من الجذب بالصنارة صيد سمك بشوكة السّهم، وكون النصف من هذا مرّة ثانية النوع الذي يَجذب بالصنارة وبسحب السمكة من تحت إلى علٍ، كونه الفنّ الذي قد بحثنا عنه، والذي يدلّ على الصيد بالصنارة أو السحب إلى الخارج على هذه الطبيعة للعملية.

ثياتيتوس: لقد أُوضِحَتِ النتيجةُ بشكل مقنع تماماً.

الغريب: دعنا نسعى لنكتشف الآن ما هو السوفسطائي، متّبعين هذا النموذج.

ثياتيتوس: بكلّ تأكيد.

الغريب: كان السؤال الأوّل عن صائد السمك بالصنارة، ما إذا هو فنان حاذق أو غير حاذق؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وهل سندعو صديقنا الجديد غير حاذق، أو سيداً كاملاً لصنعته؟

ثياتيتوس: غير حاذق بالتأكيد، لأنّ اسمه كما تقترح، يجب أن يعبّر عن طبيعته من غير ريب.

الغريب: يجب افتراضه أنّه يحوز فنّاً ما إذن.

ثياتيتوس: أيّ فن؟

الغريب: بحق السماء، إنّهما أولاد عم! ولم تحدث لنا قط.

ثياتيتوس: من هم أولاد العمّ؟

الغريب: صياد السمك بالصنارة والسوفسطائي.

ثياتيتوس: وبأيّة طريقةٍ يتقاربان؟

الغريب: يبدوانِ لي صيّادَيْن.

ثياتيتوس: لقد تكلّمنا عن الآخر، لكن بأيّة طريقة يكون السوفسطائي صيّاداً؟

الغريب: إنك تتذكّر قسمتنا للصيد، إلى صيد عَقِبَ الحيوانات السابحة وحيوانات البرّ.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وتتذكّر أنّك قسّمت الحيوانات السابحة إلى أقسام صغيرة وبقيت حيوانات البر، قائلاً إنّ هناك أنواعاً متعددة منها؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: إلى هذا الحد إذن، يسلك السوفسطائي والصياد بالصنارة الطريق عينه، بدءاً من فنّ الكسب.

ثياتيتوس: سيبدو هكذا.

الغريب: إنّ مسالكهما تتشعّب عندما يصلان لفنّ صيد الحيوانات؛ يذهب أحدهما إلى شاطىء البحر، وإلى الأنهار وإلى البحيرات، ليتصيّد الحيوانات التي تكون فيها.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: في حين يذهب الآخر إلى البر والماء من نوع آخر ـ يذهب إلى بحارٍ من الثروة وأراضٍ معشبة فسيحة من الفتيان الأسخياء؛ وفي نيّته أن يأسر الحيوانات التي تكون فيها.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: هناك قسمان رئيسيّان للصيد على البر.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: الأول صيد الحيوانات الأليفة، والآخر الحيوانات المفترسة.

ثياتيتوس: لكن هل تصاد الحيوانات الأليفة قط؟

الغريب: نعم، إذا ضمّنت الإنسان تحت الحيوانات الأليفة. لكن إذا أحببت يمكنك أن تقول إنّه لا توجد حيوانات أليفة، أو إنها إذا وُجدت، فالإنسان ليس ضمنها. أو يمكنك أن تقول إنّ الإنسان هو حيوان أليف لكنّه لا يصاد ـ إنّك ستقرر أيّاً من تلك البدائل تفضّل وأفعل ذلك.

ثياتيتوس: سأقول، أيّها الغريب، إنّ الإنسان حيوان أليف، وأعترف أنّه يُصاد.

الغريب: دعنا نقسّم صيد الحيوانات الأليفة إلى جزأين اثنين إذن.

ثياتيتوس: كيف سنصنع القسمة؟

الغريب: دعنا نعرّف القرصنة، خطف الإنسان، الاستبداديّة، ومجمل الفنّ العسكري، باسم واحد، كالصيد بالعنف.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: لكنّ فنّ المحامي، الخطيب الشعبي، وفن المحادثة يمكن تسميتها بكلمة واحدة: فنّ الإقناع.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويمكن أن يقال إنّ المحادثة نوعان اثنان؟

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: إنّ أحدهما خاصّ، والآخر عامّ.

ثياتيتوس: نعم؛ فكلٌّ منهما يشكّل نوعاً.

الغريب: والصيد الخاص مرّة ثانية، يتلقى الواحد أجراً، ويجلب الآخر الهدايا.

ثياتيتوس: إنّني لا أفهمك.

الغريب: يبدو أنك لم تراقب قط الأسلوب الذي يصطاد الأحباء به.

ثياتيتوس: إلامَ تشير؟

الغريب: أعني أنّهم يغدقون الهبات على أولئك الذين يصطادون بالإضافة إلى الإغراءات الأخرى.

ثياتيتوس: الأكثر حقاً.

الغريب: دعنا نسلّم بهذه إذن، لتكن مميّزة للفنّ الغرامي.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لكنّ هذا النوع من الاستئجار، الذي تكون محادثته ممتعة، والذي يضع كُلاّبه بسرور فقط، ولا يُلزم المدين بأيّ شيء سوى إعالته بالمقابل، سنصفه جميعاً، إذا لم أكن مخطئاً، كمالِكِ تملّق أو فنّ جعل الأشياء سارّة.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: وذلك النوع يعلن أنّه يشكل أحد المعارف من أجل الفضيلة فقط، ويطلب جائزةً بشكل دراهم، يمكن أن يسمى باسم آخر حقاً؟

ثياتيتوس: لتكن متأكداً.

الغريب: وهل ستخبرني، ما هو الإسم؟

ثياتيتوس: إنّه لجليّ بما فيه الكفاية؛ لأنّني أعتقد أنّنا قد اكتشفنا السوفسطائي. إنّ ذلك كما أتصور، هو الإسم المناسب للطبقة التي وصفنا.

الغريب: الآن إذن، يا ثياتيتوس، فإن فنّه يمكن ردّه كفرعٍ لوضع اليد على عائلة الكسب. إنّ الذي يصطاد الحيوانات: الحية، البرية، والأليفة، والذي يصطاد الإنسان سراً للاستكراء، قابضاً فدية عند المبادلة لديه شبهٌ للتعليم؛ وهذه تدعى سوفسطائيّة، وهي صيدٌ في أثر الرجال الشباب ذوي الثروة والرتبة ـ هذا هو الاستنتاج.

ثياتيتوس: هكذا تماماً.

الغريب: دعنا نأخذ فرعاً آخر في تأريخ تسلسل نَسَبه؛ لأنّه أستاذ جامعي عظيم لفنّ عظيم متعدّد الجوانب. وإذا ما ألقينا نظرة خلفيّة فيما قد تقدّم فنحن نرى أنّه يقدم مظهراً آخر، بجانب ذلك الذي نتكلّم عنه.

ثياتيتوس: في أيّة ناحية؟

الغريب: هناك نوعان اثنان لفنّ الكسب؛ أحدهما مختصّ بالصيد، والآخر بالتبادل.

ثياتيتوس: صحيح.

الغريب: ويمكننا أن نميّز بين شكلين اثنين في فن التبادل الآن، الأول هبة، والآخر بيعٌ.

ثياتيتوس: دعنا نعتبر ذلك أمراً مفروغاً منه.

الغريب: سنفترض فنّ البيع تالياً ليكون مقسّماً إلى جزأين رئيسيّين.

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: هناك جزء واحد يكون بارزاً كبيع الإنسان لإنتاجه الخاص؛ والآخر، الذي هو المبادلة بعمل الآخرين.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: أوَلاَ يكون ذلك الجزء للتبادل الذي يأخذ مكاناً في المدينة، كونه نصف الكلّ تقريباً، ألا يُسمّى بيعاً بالتجزئة؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وذلك الذي يبادل البضائع لمدينة بتلك التي للأخرى، بالبيع والشراء هو التبادل للتجّار؟

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

الغريب: وإنّك لمدركٌ أنّ التبادل للتجار ذو نوعين؛ إنّه مختص جزئياً بالغذاء للاستعمال الجسدي، وجزئياً بالغذاء الروحي الذي يكون متبادلاً ومُستلماً في تبادل مالي.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: تريد أن تعرف ما هو معنى غذاء الرّوح؛ فالنوع الآخر تفهمه بالتأكيد.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: خذ الموسيقى بشكل عامّ، والرسم باليد واللّعب بالدمى، وأشياء عديدة

أخرى، من تلك التي تُشترى في مدينة واحدة، وتُحمل وتُباع في أخرى ـ أما سِلَعُ الروح التي تُباع بالتجوال إمّا بقصد التثقيف أو التسلية ـ ألاَ يمكن لذلك الذي يتجوّل بها ويبيعها أن يكون تماماً، وكما يُدعى بحق، تاجراً كالذي يبيع لحماً وشراباً؟

ثياتيتوس: يمكنه ذلك، لتكن متأكداً.

الغريب: ألَنْ تُطلِقَ الإسم عينه على مَن يشتري معرفة وينتقل من مدينة إلى مدينة مبادلاً سلعه بالمال؟

ثياتيتوس: سأفعل بالتأكيد.

الغريب: ألا يمكن لهذا الجزء الواحد من البضاعة الروحيّة أن يسمّى فنّ العَرض بحق؟ ويوجد جزءٌ آخر كونه بيعاً في العلم، يجب أن يسمّى بأي إسم مناسب للفعل، مع أنّه يمكن أن يبدو مضحكاً كالأخير؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وهذا الفن ـ دعنا نسميه « متنوع العلوم » MATHEMATOPOLY، يمتلك قسمين يجب تسميتهما بانفصال، واحداً كونه بيع معرفة الفضيلة، والآخر عن بيع النوعيات الأخرى للمعرفة.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: فإسم بائع الفنّ ينسجم مع الإسم الآخر جيّداً بما فيه الكفاية؛ لكنّك يجب أن تحاول وتخبرني إسم الآخر.

ثياتيتوس: يجب أن يكون السوفسطائي، الذي نحن عنه باحثون؛ لا يمكن لإسم آخر أن يكون صحيحاً بأيّة حال.

الغريب: لا إسم آخر. وهكذا يثبت أنّ تاجر الفضيلة هذا هو صديقنا السوفسطائي، الذي يمكن تعقّب فنّه من فنّ الكسب الآن، خلال المبادلة، التجارة، مروّج السِلَع، إلى سِلَع الروح التي تختص بالكلام (أو التعقل) ومعرفة الفضيلة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: ويُحتمل وجود ظهورٍ ثالث له ـ فربّما استقرّ في المدينة، وربّما اخترع لِمَا أنّه اشترى تلك السلع عينها، ناوياً أن يعيش ببيعها وسيبقى مدعوّاً سوفسطائياً.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: وستسمي مرة ثانية ذلك الجزء لفنّ الوَلَع بالاقتناء الذي يبادل آنئذ، وللتبادل الذي إمّا يبيع إنتاج الإنسان الخاصّ بالجملة أو يبيعها بالتجزئة إلى الغير، كما يمكن للحالة أن تكون، وهو يبيع معرفة الفضيلة في كلتا الحالتين، ستسمي ذلك الجزء سوفسطائيّة؟

ثياتيتوس: يجب عليّ، إذا ما كنت سأحتفظ بالسير مع المحاورة.

الغريب: دعنا نتأمّل مرة أخرى إذا ما أمكن، أن لا يكون للسوفسطائية مظهرٌ آخر مع ذلك.

ثياتيتوس: وما هو الوجه الآخر؟

الغريب: وُجِدت قسمة إلى أجزاء صغيرة للولع باقتناء فنّ القتال أو الحرب.

ثياتيتوس: قد وُجِدت.

الغريب: إنّها لمسَاعِدةٌ أنْ نقسمها إلى جزأين.

ثياتيتوس: ماذا سيكونان؟

الغريب: سيكون هناك قسمة للتنافسي، وأخرى للمولع بالشجار.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: ويمكن أن يسمّى بهكذا إسمٍ ما كالعنيف، ذلك الجزء المولع بالشجار، الذي هو مباراة للقوّة الجسديّة.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وعندما تكون الحرب بالكلمات، يمكن تسميتها جدالاً؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويمكننا أن نميّز نوعين من الجدال أيضاً؟

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: عندما تُجاوَبُ الخطب الطويلة بخُطب طويلة، وتوجد مناقشة بشأن العادل والظالم، يكون ذلك جدلاً برهانياً.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهناك نوع خاص من الجدل يقسّم إلى أسئلة وأجوبة، ويدعى هذا حواراً عنيفاً بشكل عامّ.

ثياتيتوس: نعم، إنّ ذلك هو اسمه.

الغريب: والحوار العنيف، ذلك الذي يكون مناقشة حول الاتفاقات فقط، ويستمر دون هدف، وبدون قواعد فنيّة، فإنّه يكون مميَّزاً بالقوة العقلية، ليكن نوعاً متبايناً، غير أنّه لم يحز أيّ إسم مميَّز حتى الآن، ولا يستحقّ أن نُطلق عليه إسماً.

ثياتيتوس: لا؛ فالأنواع المتباينة له صغيرة جدّاً وغير متجانسة.

الغريب: غير أنّ ذلك الذي يتقدّم ليجادل بشأن العدل والظلم في طبيعتهما الخاصة بقواعد فنيّة، وبشأن الأشياء بشكل عامّ، قد اعتدنا أن نسميّه محاورة (جدليّة)؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وبسرف الأموال نوعاً واحداً من الحوار، ويجنيه الآخر.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: إفترض أنّنا نحاول ونعطي إسماً لكلٍّ من هذين النوعين.

ثياتيتوس: دعنا نفعل ذلك.

الغريب: عليّ أن أقول إنّ العادة التي تقود الإنسان ليهمل شؤونه الخاصة من أجل مسرّات المحادثة، التي يتعذر على غالبية مستمعي نمطها أن يقبلوه، يمكن تسميتها ثرثرة بحق. هذا هو رأيي.

ثياتيتوس: إنّ ذلك هو الإسم العامّ لها.

الغريب: لكن من هو الآخر الآن، الذي يجني المال من المحادثة الخاصة، إنّه دورك لتقول.

ثياتيتوس: هناك جواب واحد حقيقي فقط: إنّه السوفسطائي العجيب، الذي نتعقّب، والذي يظهر ثانية للمرّة الرابعة.

الغريب: نعم، وبأصل جيّد، لأنّه هو جاني المال، جنس من الجدالي، مخاصم، محبّ للجدل، مولع بالشّجار، مقاتل، عائلة كسب، إنّه كلّ ذلك طبقاً لهذا الدور الأخير من المحاورة.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: كم كانت مراقبتنا له صادقة، إنّه كان حيواناً متعدّد الجوانب، ولا يمكن إمساكه بيد واحدة، كما يقولون!

ثياتيتوس: يجب أن تمسكه بكلتا اليدين إذن.

الغريب: نعم، يجب علينا فعل ذلك، باذلين كلّ جهد مستطاع. دعنا نحاول لذلك سبيلاً آخر في تعقّبنا له، إنّك لمدرك وجود مِهَنٍ وضيعة محدّدة لها أسماء بين الخدَم؟

ثياتيتوس: نعم، يوجد عديدٌ كهذا؛ أيّها تعني؟

الغريب: أعني كالنخل، التصفية، التّذرية، الدّرْس بالنّورج.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: وبجانب تلك الأشياء العديدة الكبيرة هناك كثير غيرها كتمشيط الصوف، والنسج، وضبط السّداة واللّحمة؛ وتستعمل الآلاف المشابهة من التعابير في الفنون.

ثياتيتوس: لمن تكون هذه النماذج، وماذا سنفعل بها جميعاً؟

الغريب: أعتقد أنه يوجد في تلك النماذج فكرة تدلُّ على القسمة ضمناً.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: إذا وُجِدَ فنّ واحدٌ إذن، كما كنت قائلاً، يتضمنّها جميعاً، ألا يجب أن يحوز ذلك الفنّ إسماً واحداً؟

ثياتيتوس: وما هو إسم ذلك الفنّ؟

الغريب: إسمه فن مميّز وذو رأي صالح.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: أنستطيع أن نتصوّر شكلين داخل هذا؟ تأمّل ملياً.

ثياتيتوس: من الصعب عليّ أن أطيع بهذه السهولة.

الغريب: في كل العمليّات المسّماة سابقاً، إمّا أن الشبيه قد انفصل عن شبيهه أو الأفضل عن الأردأ.

ثياتيتوس: يبين ذلك حقيقياً بما فيه الكفاية، لقد قلتها الآن.

الغريب: لا أعرف إسماً عادياً للنوع الأوّل من الفصل؛ لكنني أعرف واحداً من الثاني، الذي يرمي الأردأ ويحتفظ بالأفضل.

ثياتيتوس: ما هو؟

الغريب: يسمّى كلُّ رأيٍ صحيحٍ أو مميّزٍ من ذلك النوع، كما ألاحظ، يسمى تطهيراً.

ثياتيتوس: نعم، تلك هي العبارة العاديّة.

الغريب: ويمكن لأيّ شخص أن يرى أنّ التطهير ذا نوعين اثنين.

ثياتيتوس: لربّما هكذا، إذا كان قد أعطي وقتاً ليفكّر؛ لكنّني لا أرى في هذه اللحظة.

الغريب: هناك تطهيرات عديدة للجسد يمكن فهمها بملاءَمة تحت إسم مفرد.

ثياتيتوس: ما هي، وما اسمها؟

الغريب: هناك التنقية للأجسام الحيّة في أجزائها الداخلية والخارجية، أمّا السابق فهو متأثر كما ينبغي بالدواء والألعاب الرياضيّة، والآخر بالفنّ الذي ليس هو

بالجليل تماماً وهو استحمام الرجل؛ وهناك التطهير للمواد غير الحيّة ـ لهذه تؤدّي فنون الصقل والنقع الخدمة في عدة دقائق معيّنة بشكل عام، ولها أسماء متنوعة يُعتقد أنّها مضحكة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: ليس هناك أيّ شكّ في أنّها مضحكة، يا ثياتيتوس، لكنّ الفنّ الجدلي لا يعتبر قطّ، سواء أكان النفع المكتسب من التطهير أكثر أو أقل من ذلك الذي يُنال من الاسفنجة، وليس لديه اهتمامٌ في الواحد أكثر من الآخر. إنّ محاولته هي أن يعرف ما يكون وما لا يكون متشابهاً في كلّ الفنون، بالنظر إلى القدرة على اكتساب الفهم والإدراك. وبما أن هذا هو قصده، فهو يكرّمها جميعاً بشكل مشابه، وعندما يصنع المقارنة، لا يحسب إحداها أكثر إضحاكاً من الأخرى بقليل؛ ولا يقدّر من يقدّم فنّ القائد، كمثله عن الصيد، أكثر تهذيباً من الآخر الذي يستشهد بالذي يبيد الحشرات الطفيلية الضارة على الإطلاق، بل كمدّع أكبر للاثنين فقط. وأمّا عن سؤالك فيما يخصّ الإسم الذي كان ليدرك كل تلك الفنون للتطهير، سواء كان للأجسام الحيّة أو الميتة، ففنّ الجدل لا يختص بجمال الكلمات بأية عقليّة، إذا ما أمكن السماح له أن يمتلك إسماً عاماً لكل التنقيات الأخرى للروح أو الفهم. لأنّ هذا هو التطهير الذي يريد أن يصل إليه علم الجدل، وهذا ما سنفهمه أنّه غرضه.

ثياتيتوس: نعم، إنني أفعل؛ وأوافق أنه يوجد نوعان للتطهير، وأن واحداً منها يختص بالروح، وواحداً بالجسد.

الغريب: ممتاز؛ واستمع لِما أنا ذاهب لأقوله الآن، وحاول أن تقسّم أولهما إلى ما هو أبعد.

ثياتيتوس: سأحاول مساعدتك، مهما كان حظّ القسمة الذي تقترح.

الغريب: أتعترف أنّ الفضيلة في الروح متميّزة عن الرذيلة؟

ثياتيتوس: بكلّ تأكيد.

الغريب: ويعني التطهير، كما رأينا، إبقاء الخير، وطرح شرّ ذلك الممكن إيجاده.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: هكذا، قدر ما نجد عمليةً ما يمكن بواسطتها إزالة الشرّ من الروح، وهذه يمكن أن تسمى تطهيراً أيضاً؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهناك نوعان من الشرّ في الروح.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: يمكن لأحدهما أن يُقارن بالمرض في الجسم، والآخر بالعاهة.

ثياتيتوس: إنّني لا أفهم.

الغريب: لربّما لم تفكر مليّاً بأنّ المرض والتنافر هما الشيء نفسه.

ثياتيتوس: لا أعرفُ ما سأجيب به على هذه، مرّة ثانية.

الغريب: ألم تتصوّر أنّ التنافر هو انحلال للعناصر المتشابهة، متولّد من عدم اتفاق ما؟

ثياتيتوس: ذلك تماماً.

الغريب: هل العاهة شيء آخر غير الافتقار للقياس، التي هي قبيحة المنظر على الدوام؟

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: أوَلا نرى أنّ الآراء هي مضادة للرغبات، الغضب إلى المسرّات، العقل إلى الآلام، وأنّ كل هذه الأشياء أحدها مضادٌ للآخر في الأرواح غير المتناسقة.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وهي تمتلك كلّها مع ذلك روابط غير قابلة للانحلال، مع بعضها بعضاً.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: سنكون محقين آنئذٍ في تسميتنا الرذيلة تنافراً ومرض الروح؟
ثياتيتوس: الأكثر حقاً.
الغريب: وعندما تفقد الأشياء التي لها حركة، والتي تتوجّه نحو علامة محدَّدة، عندما تفقد أهدافها بشكل متواصل وتنحرف جانبيّاً، هل سنقول إنّ هذا هو تأثير التناسب بينها، أو فقدان التناسق؟
ثياتيتوس: إنّه فقدان التناسق بوضوح.
الغريب: لكنّنا نعرف بالتأكيد، أنّ ما من روح تجهل أيّ شيء اختياراً؟
ثياتيتوس: لا بالتأكيد.
الغريب: وما الجهل سوى ضلال العقل المثني على الحقيقة، والتي تكون فيه عملية الفهم مُساءً استعمالها؟
ثياتيتوس: حقاً.
الغريب: نعتبر نحن روحاً غير مدرِكة حينئذ كأنّها روح مشوّهة وخالية التناسق؟
ثياتيتوس: يبدو ذلك.
الغريب: يظهر وجود هذين النوعين في الشرّ إذن: الأول الذي يدعى رذيلة بشكل عام، وهو على ما يبدو مرض الروح...
ثياتيتوس: نعم.
الغريب: وهناك الآخر، الذي يسمّونه جهلاً، والذي، لأنّه موجود في الروح فقط(٩) لن يسمحوا أن يكون رذيلة.
ثياتيتوس: يجب أن أعترف بالتأكيد بما أخفقت في فهمه عندما ذُكر أنّ هناك نوعين للرذيلة في الروح، وأنّه يجب علينا أن نعتبر الجُبن، الإفراط، والظُّلم لتكون كلها أشكالاً متشابهة للمرض في الروح، والجهل الذي يمتلك كل أنواع النوعيّات هذه، ليكون عاهة.
الغريب: أليس هناك فنّانِ في حالة الروح يفعلان بحالتين جسديتين؟

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: هناك التمارين الرياضيّة، التي تفعل بالعاهة الجسدية، والدواء الذي يفعل بالمرض.

ثياتيتوس: يبدو ذلك.

الغريب: وحيث توجد الوقاحة والظلم والجبن، ألا يكون العدل الذي يعطي العقاب نصيبه، هو الفنّ الذي نحتاجه أوّلاً قبل كل شيء.

ثياتيتوس: يظهر أنّ ذلك هو رأي الجنس البشريّ بكلّ تأكيد.

الغريب: ألا يمكن أن يقال بحقّ إنّ التعليم هو العلاج لأنواع الجهل المختلفة، مرّة ثانية.

ثياتيتوس: حقّاً.

الغريب: وهل سنقول إنّ هناك نوعاً واحداً من فنّ التعليم، أو أنواع متعددة؟ هناك نوعان رئيسيان له على أيّة حال. فكر.

ثياتيتوس: سأفعل.

الغريب: أعتقد أنّني أستطيع أن أرى كيف سنصل إلى جواب هذا السؤال في أقرب وقت.

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: إذا قدرنا أن نجد الخطّ الذي سيقسّم الجهل إلى نصفين. لأنّ قسمة الجهل إلى جزأين سيدلّ ضمناً بالتأكيد على أنّ فنّ التعليم هو فنّ مزدوج أيضاً. مجاوباً لقسمتي الجهل.

ثياتيتوس: حسناً، وهل ترى ما أنت عنه باحث؟

الغريب: أبدو لنفسي أنّني أرى شيئاً واحداً كبيراً جداً ونوعاً سيئاً للجهل الذي يكون منفصلاً تماماً، ويمكن أن يُوزن في الميزان ضدّ كل أنواع الجهل الأخرى الموضوعة معاً.

ثياتيتوس: ما هو؟

الغريب: عندما يفترض المرء أنّه يعرف، وهو لا يعرف؛ يبدو هذا أنّه منبع عظيم لكلّ أخطاء رجال الفكر.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وهذا هو نوع الجهل الذي يكسب لقب الحماقة بشكل خاصّ، إذا لم أكن مخطئاً.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: أيُّ إسم سيُعطى إلى نوع التعليم الذي سيتخلّص من هذا حينئذٍ؟

ثياتيتوس: عليّ أن أخمّن، أيّها الغريب، أنّ التعليم الذي تعنيه ليس تعليم فنون الصناعات اليدويّة. لكن لماذا، والشكر لنا، إنّه قد سُميّ تعليماً في هذا الجزء من العالم.

الغريب: نعم، يا ثياتيتوس، وبكل الهيلينيّين تقريباً. لكن يبقى أن نعتبر ما إذا كان التعليم يفسح مجالاً لأيّ تقسيم أبعد يستحقّ إسماً.

ثياتيتوس: علينا أن نعتبر.

الغريب: أعتقد أن هناك نقطة رئيسيّة حيث يكون تقسيمٌ كهذا محتملاً.

ثياتيتوس: أين؟

الغريب: يمكن اتّباع طريقتين في التعليم النظري، الأولى أخشن والأخرى أنعم.

ثياتيتوس: كيف سنميّز الاثنين؟

الغريب: هناك أسلوب لتكريم الوقت الذي مارسه آباؤنا نحو أولادهم بشكل عامّ، والذي لا يزال يتبنّاه العديدون: إما بتأنيب أخطائهم بقسوة، أو بنصحهم بلطف؛ يمكن لتلك النوعيّات أن تُدرج بحق تحت العبارة العامة للنصح أنّها تحذير.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: لكن حيث إنّ البعض يبدو ليصل إلى الاستنتاج، إنّ كل الجهل هو اختياري، وأن لا أحد ممّن يعتقد أنّه حكيم هو على استعداد أن يتعلم أيّاً من تلك الأشياء التي يكون فيها على وعي ببراعته الخاصّة، وأنّ نوع التحذير والتنبيه يعطي إزعاجاً أكثر وخيراً أقلّ.

ثياتيتوس: إنّهم على حق تماماً هناك.

الغريب: بناء على ذلك، فهم يشرعون باستئصال غرور النفس بطريقة أخرى.

ثياتيتوس: بأيّة طريقة؟

الغريب: إنّهم يستجوبون الإنسان للتدقيق في كلماته، عندما يظن أنّه يكون قائلاً شيئاً ما وهو ليس بقائلٍ أيّ شيء في الحقيقة، ويدينونه لتناقض آرائه بسهولة. إنّهم يستجمعون آراءَه تلك بعمليّة منطقيّة حينئذ، وبوضعها جنباً لجنب، يُظهر ذلك أنّ واحدها يناقض الآخر بشأن الأشياء عينها، فيما يختص بالأشياء عينها، وفي الشأن عينه. وهو عندما يرى هذا، يغضب مع نفسه، ويصبح لطيفاً نحو الآخرين، وهكذا ينقذ التحيّز العنيد لنفسه بالكليّة، بطريقة هي أكثر متعة إلى السامع، وتعطي التأثير الأكثر جودة وبقاءً على الشخص المعرّض للعمليّة. فكما يعتبر الطبيب أنّ الجسم لن يتلقى أيّ نفع من تناول الغذاء حتى تُزال العوائق الداخليّة، هكذا يكون مطهّر الروح متيقظاً أن مريضه لن يتلقى أيّة فائدة من استعمال المعرفة حتى يُثبت خطأ مزاعمه، ويتعلّم التواضع من النقض. يجب أن يُطهّر من تحيّزه بادىء ذي بدء ويُرغَمَ على الاعتقاد أنّه يعرف ما يعرف فقط، ولا أكثر.

ثياتيتوس: تلك هي الحالة العقليّة الأفضل والأعقل بالتأكيد.

الغريب: لكل تلك الأسباب، يا ثياتيتوس، يجب أن نعترف أنّ النقض هو الأعظم والأهمّ من كل التطهيرات، ومن لم يُنقض، حتى إذا كان الملك ذاته، فهو في حالة تلوّث شنيعة؛ إنّه غير مثقّف وممسوخ في تلك الأشياء التي مَن سيكون مباركاً فيها بحق، يجب أن يكون أجمل وأصفى.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.
الغريب: ومن هم أسياد هذا الفن؟ أخشى أن أقول إنّهم السوفسطائيون.
ثياتيتوس: لماذا؟
الغريب: كي لا نخصّص لهم امتيازاً عالياً أكثر من اللزوم.
ثياتيتوس: مع ذلك فالسوفسطائيّ له شبه محدّد لوزيرنا المطهِّر.
الغريب: نعم، إنّه نفس الشّبه الذي لدى الذّئب، أشرس الحيوانات، نحو الكلب، الذي هو ألطفها. لكنّ مَن لا يتعثر، عليه أن يحذر جدّاً من هذه المقارنة، لأنّها أكثر الأشياء انزلاقاً. دعنا نفترض بالرغم من هذا أنّ السوفسطائيين هم أولئك الرجال. أقول هذا مؤقتاً، لأنّني أعتقد أنّ الحدَّ قيد التنازع سيبرهن أنّه واحدٌ غاية في الأهميّة، إذا ما كان سيُدَافع عنه بحزم وثبات.
ثياتيتوس: إنّ ذلك متوقّع بما فيه الكفاية.
الغريب: دعنا نمنح إذن، أنّ التطهير يأتي من شكل الفنّ المميّز، ودع أن يكون جزءاً منفسلاً من التطهير ذلك الذي يخصّ الروح، وسيكون التدريس قسماً من هذا التطهير العقلي، ومن التدريس والتعليم، علينا، أنا وأنت، أن ندعو هذا التعليم نقضَ الغرور التّافه، طبقاً للمحاورة التي قد ظهرت إلى العلن الآن، يجب أن يدعى ذلك سفسطة ذات أصل أعلى.
ثياتيتوس: حسناً تماماً؛ ومعتبراً مع ذلك، عدد الأشكال التي أظهر نفسه فيها، فإنّني بدأت أشكّ كيف أستطيع بأية حقيقة أو ثقة أن أصف الطبيعة الحقيقية للسوفسطائي.
الغريب: إنّك تشعر بالحيرة بطبيعة الحال؛ وأعتقد مع ذلك أنّ السوفسطائي يجب أن يبقى أكثر إرباكاً في محاولته الإفلات منا، إذ كما يقول المثل، ليس هناك مجال للهرب، عندما تكون كل الطرق مقفلة؛ الآن إذن هو الوقت لأنْ يهاجمه كلّ الآخرين بعنف.
ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: دعنا نتوقف للحظة ونستعيد أنفاسنا، وعندما نرتاح، نقدر أن نحسب في كَم شكلٍ قد ظهر. لقد اكتُشِف أنّه صيّادٌ يتلقى الدّفع وصيده عَقِب الثروة والشباب، في المقام الأوّل.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهو تاجر في بضاعة الروح، في المقام الثاني.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لقد أثبت أنّه بائع تجزئة للنّوع عينه من السّلع، في المقام الثالث.

ثياتيتوس: نعم؛ ولقد صنع السّلع المعلّمة التي باعها، صنعها هو نفسه، في المقام الرابع.

الغريب: حقّاً تماماً؛ سأحاول وأتذكر الخامس بنفسي. إنّه يخصّ الطبقة المقاتلة، وكان مميّزاً أبعد من ذلك كبطل جدال، ذلك الذي يمارس فنّ الخصام.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: إنّ النقطة الرئيسيّة السادسة كان مشكوكاً فيها، وسمحنا لزعمه أن يكون مع ذلك مطهِّراً للأرواح، ذلك الذي أبعد أفكاراً حاجبة للمعرفة.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

الغريب: ألا تتأمّل أنّه عندما يظهر الإنسان ممتلكاً معرفة مواضيع متعددة، لكنّه يدعى باسم فنّ مفرد، فإنها إشارة إلى أنّ شيئاً ما يكون خطأً، وأيّ واحد ممّن يكون مخدوعاً، ويستخدم أسماء متعدّدة حيث الحاجة إلى واحد منها فقط، فإنه غير قادر أن يدرك المبدأ العام بوضوح، ذلك المبدأ الذي تميل له كل تلك الدراسات؟

ثياتيتوس: سأخمّن أنّ هذه هي الحالة.

الغريب: دعنا لا نكون مخدوعين إذن على الأقل من التراخي في البحث؛ بل إسمح لنا أن نعود إلى واحد من تصريحاتنا فيما يختصّ بالسوفسطائي؛ إنّ هناك شيئاً واحداً ظهر لي وهو مميّز له بشكل خاص.

ثياتيتوس: إلامَ تشير؟

الغريب: كنا قائلين عنه إنّه كان مخاصماً، إذا لم أكن مخطئاً.

ثياتيتوس: لقد فعلنا.

الغريب: أوَلاَ يعلّم الآخرين فنّ الخصام أيضاً؟

ثياتيتوس: إنّه يفعل بالتأكيد.

الغريب: وعَمَّ يُصّرح سوى أنّه يعلّم الرجال كي يتخاصموا؟ لنبدأ من الأوّل. ألاَ يجعلهم قادرين على الجدال بشأن الأشياء الإلهيّة، المحجوبة عن الرجال بشكل عامّ؟

ثياتيتوس: يقال إنّه يفعل ذلك، على أية حال.

الغريب: وماذا تقول عن الأشياء المرئيّة في السماء والأرض، وما شابه ذلك؟

ثياتيتوس: إنّه يتخاصم بالتأكيد، ويعلّم ليتخاصم بخصوصها.

الغريب: نعرف نحن أنّ أشخاصاً كهؤلاء، هم مجادلون هائلون في المحادثات الخاصّة، عند إيراد أيّ إصرار على الحقّ بشأن الكون والجوهر، وأنّهم لقادرون أن ينقلوا مهارتهم الخاصة للآخرين.

ثياتيتوس: بدون شك.

الغريب: أولاَ يدّعون أنّهم قادرون على جعل النّاس يتخاصمون بشأن القانون والعلوم السياسيّة بشكل عام؟

ثياتيتوس: لماذا، ليس لدى أحد أيُّ شيء يقوله لهم، إذا لم يضعوا هذه الادّعاءات.

الغريب: ماذا سيقول أحدهم في جميع الفنون وفي كلّ فنّ، إذا رغب أن يناقض الحرفيّ نفسه ويكون ذلك مدوّناً في شكل شعبيّ، ومن يحبّ يمكنه أن يتعلّم.

ثياتيتوس: أفترض أنّك تشير إلى المدارك الحسّيّة لبروتاغوراس بشأن المصارعة والفنون الأخرى.

الغريب: نعم، يا صديقي، وبشأن أشياء أخرى عميمة. بكلمة، ألا يظهر فنّ الخصام ليكون أحد المعارف، كافياً للجدل، بكل موضوع في العالم؟

ثياتيتوس: بالتأكيد. لا يبدو من أنّ هناك أشياء كثيرة تكون ما وراء نطاقه.

الغريب: لكن يا للدهشة، يا عزيزي الشابّ، هل تفترض أنّ هذا يكون محتملاً؟ لأنّه يمكن لعينيك الناشئتين أن تريا الأشياء التي لا تظهر لبصرنا الكليل.

ثياتيتوس: إلامَ تلمّح أنت؟ لا أعتقد أنّني أفهم سؤالك الحالي.

الغريب: إنّني أسأل ما إذا كان أيّ مخلوق بشري يستطيع أن يفهم كل شيء.

ثياتيتوس: سيكون الجنس البشري سعيداً إذا ما كان شيء كهذا مستطاعاً!

الغريب: كيف يستطيع من يجهل إذن، أن يمتلك أيّة حجّة منطقيّة ليحضرها ضدّ من يعرف؟

ثياتيتوس: إنّه لا يتمكن.

الغريب: لماذا يمتلك فنّ السفسطة، قوّة خفيّة كهذه؟

ثياتيتوس: إلامَ تشير أنت؟

الغريب: كيف يجعل السوفسطائيون الرجالَ الشبابَ يعتقدون في حكمتهم العالميّة المتعالية؟ لأنّهم إذا لم يخاصِموا ولم يُظنّ أنّهم يخاصمون بحق، أو كانوا يعتقدون فعل ذلك فلن يحسبوا عقلاء بحذقهم المثير للجدل. لنقتبس ملاحظاتك الخاصة إذن، فلا أحد سيعطيهم مالاً أو يكون مستعدّاً ليتعلّم منهم.

ثياتيتوس: إنهم لن يفعلوا بالتأكيد.

الغريب: لكنّهم مستعدّون لفعله.

ثياتيتوس: نعم، إنّهم لكذلك.

الغريب: نعم، وإنّ السبب كما أتصوّر، هو أنّهم يُفترَضُ أن يمتلكوا معرفة تلك الأشياء التي يجادلون بشأنها؟

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: وقد قلنا إنّهم يجادلون عن كل الأشياء؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويبدون لمريديهم أنّهم ممتلئون حكمة، بسبب ذلك؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لكنهم ليسوا كذلك؛ فذلك قد أُبين أنّه مستحيل.

ثياتيتوس: مستحيل طبعاً.

الغريب: لقد أُظهر السوفسطائي آنئذ أنّ لديه نوعاً من المعرفة التخمينيّة أو الظاهرية عن كل الأشياء فقط، التي ليست حقيقيّة.

ثياتيتوس: بالضبط؛ لا يمكن إعطاء وصف له أفضل من ذلك.

الغريب: دعنا ننقل صورة توضيحيّة عنه ستبقى تشرح طبيعته بوضوح أكثر.

ثياتيتوس: ما هي؟

الغريب: سأخبرك، وأنت ستجيبني. وأنت تراقب بأدقّ ما تستطيع. إفترض أنّ شخصاً أعلن أنّه لا يستطيع أن يتكلم أو يجادل، لكنه عرف كيف يصنع ويعمل كلّ الأشياء، بفنّ مفرد.

ثياتيتوس: كلّ الأشياء؟

الغريب: أرى أنّك لا تفهم الكلمة الأولى التي أتفّوه بها، لأنّك لا تفهم معنى كلمة « كلّ ».

ثياتيتوس: لا إنّني لا أفهمها.

الغريب: إنّني أُضمّنُ نفسي وإيّاك، وكلّ الحيوانات والأشجار أيضاً، تحت كل الأشياء.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: إفترض أنّ شخصاً يقول إنّه سيصنعُك وإيّاي، وكلُّ المخلوقات.

ثياتيتوس: ماذا سيعني بال (صنع)؟ فهو لا يستطيع أن يكون خبيراً في الزراعة، ـ لأنك قلت إنّه صانع حيوانات.

الغريب: نعم، وإنني أقول إنه صانع البحر، والأرض، والسماوات، والآلهة، وكلّ الأشياء الأخرى؛ وأبعد من ذلك فهو يستطيع صنعها بمثل لمح البصر، ويبيعها بدريهمات قليلة.

ثياتيتوس: يجب أن تكون تلك مزحة.

الغريب: وعندما يدّعي الإنسان إنّه يعرف كلّ الأشياء، ويستطيع أن يعلّمها للغير بثمن قليل، وفي زمن قصير، ألا يجب أن يفكّر أحدنا أنّها مزحة؟

ثياتيتوس: بكلّ تأكيد.

الغريب: أتعرف أيّ شكل أكثر فنّاً ورشاقة للمزحة من التقليد؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد؛ لأنّ التقليد هو عبارة جدّ شاملة، تتضمّن أنواع الأشياء الأكثر اختلافاً تحت طبقة واحدة.

الغريب: نحن نعرف طبعاً، أنّ مَنْ يدّعي أنّه يصنع كلّ الأشياء بفنّ واحد، هو رسّام يد في الحقيقة، ويصنع بفنّ رسم اليد تشابهاً للأشياء الحقيقيّة التي له الإسم عينه معاً؛ وهو يستطيع أن يخدع النّوع الأقلّ ذكاء من الأطفال الصّغار، الذين يريهم صورة من مسافة لجعلهم يعتقدون أنّ لديه القوة المطلقة لصنع أيّ شيء يحب.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: أولا يمكن افتراض وجود فنّ مقلّد للتعقل؟ أليس ممكناً أن يستهوي قلوب الرجال الشباب بكلمات شكِبت من خلال آذانهم، عندما يكونون باقين على مسافة من واقع الحقائق، بعرضِهِ لهم محاورات زائفة، وجعلهم يفكرون أنّها حقيقة، وأنّ المتكلّم هو أعقل الرجال في كل شيء؟

ثياتيتوس: نعم؛ لِمَ لا يكون هناك فنّ آخر كهذا؟

الغريب: لكن بما أنّ الزمن يستمّر، ومستمعيهم يتقدمون في العمر، ويحصلون على اتصال أقرب بالحقائق، وقد تعلموا بالخبرة الحزينة ليروا ويشعروا حقائق

الأشياء، ألا يكون الجزء الأكبر منهم مجبراً ليغيِّر العديد من الآراء التي تسلّوا بها سابقاً، هكذا ليظهر الكبير صغيراً لهم، والسهل صعباً، وتُقلب رأساً على عقب كلّ تأمّلاتهم الحالمة، تُقلب بحقائق الحياة؟

ثياتيتوس: تلك هي وجهة نظري، قدر ماأستطيع الحكم على ذلك، مع أنّه يمكنني أن أكون في سنّي واحداً من أولئك الذين يستطيعون رؤية الأشياء من مسافة فقط.

الغريب: وإن رغبتنا كلّنا، الذين نحن اصدقاؤك، والتي ستكون دائماً هي أن نحضرك قريباً من الحقيقة قدر ما نستطيع بدون خبرة مؤلمة. وبعدُ أحبّ أن أخبرك، ما إذا كان السوفسطائي ساحراً مرئياً ومقلّداً للوجود الحقيقي؛ أو أنّنا لا زلنا ميّالين لنفكّر أنّ بإمكانه أن يمتلك معرفة حقيقيّة للمسائل المختلفة التي يظهر أنّ لديه بشأنها قوة التناقض؟

ثياتيتوس: لكنّه كيف يستطيع، أيّها الغريب؟ أيوجد أيّ شك، بعدما قد قيل، أنّه يكون لاعباً أو مهرجاً من نوع ما.

الغريب: يجب أن نضعه في طبقة السّحرة والمقلدين إذن.

ثياتيتوس: يجب بالتأكيد.

الغريب: وبعدُ فإنّ عملنا هو أن لا ندع الحيوان يفلت، لأنّنا قد حبسناه في نوع من الشبكة الجدليّة، وهناك شيء واحد لن يهرب منه بكلّ تأكيد.

ثياتيتوس: ما هو ذلك؟

الغريب: هو استنتاج أنّه مُشعوذ.

ثياتيتوس: إنّه رأيي الخاصّ عنه بالضبط.

الغريب: يجب أن نقسّم بوضوح عندئذٍ وفي أقرب وقت ممكن فنّ صانع الصور، وأن ننزل إلى الشبكة، وإذا لم يهرب السوفسطائي منّا، علينا أن نقبض عليه طبقاً لأمر العقل الملكي، الذي سيسلّم له مع تقرير عن أسره، وإذا زحف هو

إلى أعماق الفنّ المقلِّد، وأخفى نفسه في واحد منها، فسنقسِّم مرة ثانية ونلاحقه حتى نمسك به في قسم فرعيّ مقلِّدٍ ما، لأنّ طريقتنا لمعالجة الواحد والكل هي أنْ لا ندعه هو ولا أيّ مخلوق آخر يهرب منتصراً قطّ.

ثياتيتوس: حسناً قيل؛ ودعنا نفعل ما تقترح.

الغريب: حسناً إذن، أعتقد أنّني أستطيع أن أميِّز قسمتين للفنّ المقلِّد، متتبعاً الطريقة التحليليّة عينها كما فعلت في السابق، غير أنني لست بقادرٍ أنْ أرى حتّى الآن في أيٍّ منها سيوجد الشّكل المطلوب.

ثياتيتوس: هل ستخبرني بادىء ذي بدء ما هما القسمتان اللتان تتكلم عنهما؟

الغريب: الأولى هي فن صناعة التشابه، ـ تشابه يكون مصنوعاً لأيِّ شيء بشكل عام بإنتاج نسخة أنجزت في تطابق لتناسبات النسخة الأُصليّة، متشابهة في الطول والعرض والعمق، كل شيء منها قد تلقّى لونه المناسب.

ثياتيتوس: أليس هذا هدف التقليد دائماً؟

الغريب: ليس دائماً؛ هناك درجة محددة من الخداع، في فنّ النحت والرسم باليد كليهما، اللذين هما لأي عِظَم؛ لأنّ الفنانين إذا أعطوا التناسب الحقيقي لنماذجهم الجميلة، سيظهر الجزء الفوقي، الذي يكون بعيداً جداً، أنّه خارج التناسب بالمقارنة مع الجزء التحتي، الذي هو أقرب. وهكذا فهم يوقفون الحقيقة في صورهم ويبدون التناسب فقط الذي يظهر ليكون جميلاً، مهملين الصور الحقيقية.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: وذلك الذي كونه غيراً يكون شبيهاً أيضاً، ألا يمكن أن نسميه شبيهاً أو صورة؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ألا يمكننا أن نسّمي ذلك الجزء للفنّ المقلِّد، الذي يختصّ بصناعة هكذا

صورة، كما فعلت لتوّي الآن، ألا يمكننا أن نسّميه فنّ صناعة التشابه؟

ثياتيتوس: دَع ذلك يكون اسمه.

الغريب: وماذا سندعو تلك المشابهات للجميل، التي تظهر هكذا بسبب الموقف اللامقبول للّذي يشاهدها، مع أنّه إذا كان لدى الشخص القوة للحصول على منظر صحيح لأعمال هكذا عِظَم، فإنّها ستظهر غير شبيهة حتى للّذين يعلنون أنّها شبيهة؟ ألا يجب أن نسمّي هذه (مظاهر). بما أنّها تظهر فقط ولا تكون شبيهة بحق؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: هناك مقدار كبير لنوع هذا الشيء في الرسم باليد، وفي التقليد ككلّ.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: ألا يمكن أن نسمّي بحقّ نوع الفنّ الذي ينتج مظهراً وليس صورة فناً وهمياً؟

ثياتيتوس: بالعدل الأكثر.

الغريب: هذان هما نوعا صناعة الصور إذن ـ فنّ صناعة المتشابهات، والوهمي أو فنّ صناعة المظاهر؟

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: كنت شاكّاً من قبلُ في أيّهما سأضع السوفسطائي، ولست بقادرٍ أن أرى بوضوح؛ إنّه، يقيناً، مخلوق رائع ومُبهم. وبعدُ فإنّه اتخذ ملجأً في طبقةٍ بالأسلوب الأحذق، وذلك عمل شاقّ ميؤوس منه كي نختبر.

ثياتيتوس: نعم، إنّه فعل.

الغريب: هل تتكلّم بصدق، أو أنّك محمول بعيداً بعادة الموافقة لإعطاء جواب متسرّع هذه اللحظة؟

ثياتيتوس: أيمكنني أن أسأل إلامَ تشير؟

الغريب: يا صديقي العزيز، إنّنا نشغل أنفسنا بتأمّلٍ صعب جداً ـ ليس هناك شكّ في ذلك؛ إذ كيف يمكن للشيء أن يظهر ويبدو، ولا يكون، أو كيف يمكن للإنسان أن يقول شيئاً ليس صدقاً، سيبقى ذلك سؤالاً محيّراً جدّاً كما قد كان على الدوام. كيف يَحْسُنُ بالشخص أن يعبّر عن الحقيقة التي تكون محتملة بصدق ليقول أو يعتقد ما يكون باطلاً ـ كيف يستطيع شخص قول هذا بدون أن يصبح متورّطاً في التناقض. إنّها مسألة محيّرة بحقّ، يا ثياتيتوس(١٠).

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: إن من يقول إنّ الباطل موجود فلديه الجرأة لتأكيد لاوجود الوجود؛ لأنّ هذا يدلُّ ضمناً على احتمال وجود الباطل. لكن بارمينيدس العظيم، يا ولدي، إحتجَّ ضدّ هذه المقولة، في أيّامَ كنت صبيّاً، ولقد واصل غرس الدّرس عينه في الأفكار حتّى نهاية حياته، مردّده على الدوام شعراً ونثراً:

أبعد عقلك من طريق هذا التحقيق، لأنّ ذلك لن يُبرهَن أبداً، وهو أنّ الأشياء التي لا تكون، تكون.

تلك هي شهادته، المؤكّدة بالتعبير المحدّد الذي يُجرّمُه، إذا ما تمّ فحصه باختصار. هل ستعترض في أن تبدأ بتأمّل الكلمات ذاتها؟

ثياتيتوس: لا تبالِ بي؛ إنّني أرغب فقط أن تواصل المحاورة بالطريقة الأفضل، وإنّك ستأخذني معك.

الغريب: جيّد جداً؛ وقل الآن، هل سنجازف لنتفوّه بالكلمة الممنوعة « اللاوجود »؟

ثياتيتوس: سوف تأخذني معك.

الغريب: دعنا نكون جدّيين إذن، ونتأمّل السؤال لا في نزاع ولا لعب. إفترض أنّ واحداً من مستمعي بارمينيدس سُئِل: « لأي شيء يُستعمل التعبير اللاوجود »؟ ـ هل تعرف أيّ نوع من الاعتراض سيتمّ اختياره في الإجابة، وأيّة إجابة سيعطي للسائل؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك لسؤال صعب، يصعب على واحد مثلي الإجابة عليه.

الغريب: لا صعوبة على أيّة حال في رؤية أنّ المُسنَد (اللاوجود).ليس ملائماً لأيّ وجود.

ثياتيتوس: لا، على الإطلاق.

الغريب: وإذا لم يكن للوجود، فليس لشيء ما إذن؟

ثياتيتوس: لا بالطبع.

الغريب: إنّه لواضح أيضاً، أنّ في التكلّم عن شيء ما فنحن نتكلّم عن وجود، فلكي نتكَلّمَ عن شيء ما مجرَّد معرّىً ومعزولٍ عن كل وجود فهذا مستحيل.

ثياتيتوس: مستحيل.

الغريب: تعني بالموافقة لتدلّ ضمناً على أنّ من يقول شيئاً ما، يجب أن يقول شيئاً ما واحداً؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: شيء ما في المفرد (Ti) ستقول إنّها علامة الواحد، في المزدوج (TLVE') للإثنين، وفي الجمع (TLVES') للعديد؟

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: إذن الذي يقول « لا شيء ما » يجب أن يقول لا شيء بكلّ تأكيد.

ثياتيتوس: بالتأكيد الأكثر.

الغريب: ولا أضمّن، أنّنا نستطيع أن نعترف، أنّ شخصاً كهذا يتكلّم، لكنّه يتكلّم عن لا شيء. لا نقدر أن نسمح لذلك الشخص، الذي سيُسرُّ في أن يعبّر عن ذلك الذي لا يكون، لا نقدر أن نسمح له بالتكلّم على الإطلاق.

ثياتيتوس: لا تستطيع المحاورة الصعبة أن تتقدّم أبعد منَ ذلك.

الغريب: ليس الآن، يا صديقي، هو الوقت لكلام كهذا؛ إذ لا يزال هناك الارتباك

الأول والأعظم من بين كل الارتباكات، لا يزال موجوداً، ملامساً أساس المسألة بالتحديد.

ثياتيتوس: ماذا تعني، لا تخف تكلّم.

الغريب: يمكن أن يُنسب (أو يُزاد) لذلك الذي يكون شيئاً ما آخر الذي يكون؟

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: لكنْ هل سنقول إنّه يستحيل أن نضيف شيئاً ما يكون لذلك الذي لا يكون؟

ثياتيتوس: مستحيل.

الغريب: وكل الأعداد محسوبة بين الأشياء التي تكون؟

ثياتيتوس: نعم، الأعداد بالتأكيد، إذا امتلك أيّ شيء وجوداً حقيقياً.

الغريب: يجب أن لا نحاول لننسب إلى اللاوجود عدداً لا في المفرد أو الجمع إذن؟

ثياتيتوس: تدلّ المحاورة ضمناً أنّنا سنكون مخطئين في عمل كهذا.

الغريب: لكن كيف يتمكن الإنسان، إمّا أنّ يعبّر في الكلمات، أو حتى يكوّن في الفكر أشياء لا تكون أو شيئاً لا يكون بدون عدد؟

ثياتيتوس: كيف يستطيع حقّاً.

الغريب: ونحن عندما نتكلّم عن الأشياء التي لا تكون، ألا نحاول أن نعزو الكثرة إلى اللاوجود؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لكن، في اليد الأخرى، عندما نقول « ما لا يكون »، ألا نُرجِعُ الوحدة؟

ثياتيتوس: بوضوح.

الغريب: نحن نؤكّد مع هذا، أنّه لا يمكنك ولا يجب عليك أن تعزو الوجود إلى اللاّوجود.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: هل ترى، إذن، أنّ اللاوجود في نفسه، لا يمكن أن يكونُ متكلَّماً، منطوقاً، أو معتقَداً، بل إنّه غير مُعتقَدَ، منطوق، أو متكلَّم، وغير موصوف؟

ثياتيتوس. حقيقي تماماً.

الغريب: لكن، إذ هكذا، أكنت أنا مخطئاً في إخبارك لتوّي أنّ الصعوبة القادمة هي الأعظم من الكلّ، وهل يوجد الأعظم، باقياً وراء ذلك، في الحقيقة؟

ثياتيتوس: ما هو الأعظم؟

الغريب: يا صديقي العزيز، ألا تُريك الكلمات بالذات أنّ اللاوجود يستطيع أن يُربك أيّ شخص يحاول أن يفحصه بفعالية، إنّه يكون مرغماً أنْ يناقض نفسه حالما يصنع المحاولة؟

ثياتيتوس: ماذا تعني؟ تكلّم بوضوح أكثر.

الغريب: لا تتوقّع الوضوح مني. لأنّني أنا، الذي أؤكّد أن اللاّوجود لا يمتلك جزءاً لا في الواحد أو الكثرة، تكلّمت لتوّي الآن ولم أزل أتكلّم عن اللاّوجود كواحد؛ فأنا أقول « اللاّوجود ». هل تفهم؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: لكن حينئذ، قلت لفترة قصيرة مضت أنّ اللاّوجود يكون غير منطوقٍ، مُتكَلَّمٍ، وغير موصوف. هل تتبعني؟

ثياتيتوس: إنّني أفعل على غرار ذلك.

الغريب: عندما أَدخلت الكلمة (يكون)، ألم أناقض ما قلته سابقاً؟

ثياتيتوس: يبين هكذا.

الغريب: أوَ لم أتكلّم عن اللاوجود كواحد، في استعمال الفعل المفرد؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وعندما تكلّمت عن اللاوجود كغير موصوف، ومتكَلَّم، ومنطوق، أَلم أُشِر إلى اللاّوجود كواحد، في استعمال كلٍّ من تلك الكلمات في المفرد؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: ونحن نقول مع ذلك، متكلِّمين بدقة، يجب أن لا يكون معرَّفاً لا كواحد أو كثرة، .ويجب أن لا يسمَّى حتى (هو)، لأنّ استعمال ذلك التعبير سيعني ضمناً شكلاً للوحدة أيضاً.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

الغريب: كيف يستطيع أيّ واحد عندئذ، أن يثق بي؟ لأنّني أكون الآن، كما دائماً، غير كفوء لفحص اللاّوجود. ولذلك، كما كنت قائلاً، لا ترنُ إليَّ للتكلّم بالطريقة الصحيحة عن اللاّوجود؛ بل تعالَ، ودعنا نحاول الاختبار نحن وأنت.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: أُبذلْ مجهوداً نبيلاً، كأنّك تمسي فتىً، وحاول أن تتكلم عن اللاوجود في أسلوب صحيح بكل قوتك، وبدون أن تدخل إليه البقاء أو الوحدة أو الكثرة.

ثياتيتوس: إنّها ستكون شجاعة غريبة فيَّ، تلك التي ستدعني أهتم بالعمل الشاقّ هذا عندما أراك هكذا مُخْبَطاً.

الغريب: لا تقل أكثر عن أنفسنا؛ لكن حتّى نجد شخصاً ما أو آخر يستطيع أن يتكلّم عن اللاّوجود بدون عدد، يجب أن نعترف أنّ السوفسطائي يكون محتالاً حاذقاً لا يُستطاع إخراجه من ثقبه.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: وعندما نقول له إنّه يمارس فنّ صناعة مظاهر، فسوف يستغلّ الفرصة التي تقدمها له هذه العبارة، متشبثاً بنا، سيردّ محاورتنا علينا؛ وسيقول عندما نسميه صانع صور، (صلْ ماذا تعني بالصورة مطلقاً؟)، ـ وسأحبّ أن أعرف، يا ثياتيتوس، كيف يمكننا، بالاحتمال، أن نجيب على سؤال الفتى الآتي من بعيد؟

ثياتيتوس: سنخبره عن الصّور التي تكون معكوسة في الماء أو في المرايا بدون شك؛ عن التماثيل أيضاً، والصّور، والنّسخ الأخرى.

الغريب: إنّني أرى، يا ثياتيتوس، أنّك لم تكن أبداً أحد معارف السوفسطائي الشخصيين؟

ثياتيتوس: لِمَ تفكر كذلك؟

الغريب: إنّه سيخلق اعتقاداً أنّ عينيه مغلقتان، أو أنه لا يمتلكهما.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: سيضحك عليك لحد الاحتقار، عندما تخبره في إجابتك عن شيء ما موجود في المرآة، أو في التمثال، أو تخاطبه كما لو أنّ له عينين، وسيتظاهر أنّه لا يعرف شيئاً عن المرايا أو الجداول، أو عن الرؤية على الإطلاق؛ سيقول إنّه إنّما يسأل عن مثال.

ثياتيتوس: ما الذي يعنيه؟

الغريب: الفكرة العامّة الشاملة كلّ تلك الأهداف، التي تتكلّم عنها كأنّها متعدّدة، وتدعوها باسم واحد للصورة مع ذلك، وكما لو كانت هي الوحدة التي كانت كلّها مشتملة تحتها. كيف ستحتفظ بأرضيتك قبالته؟

ثياتيتوس: كيف يمكنني، أيّها الغريب، أن أصف صورة ما عدا كونها شيئاً ما مصنوعة في الشبه الذي للحقيقي؟

الغريب: وهل تعني هذا الشيء الـ« ما » ليكون شيئاً حقيقياً آخر ما، أو ماذا تعني؟

ثياتيتوس: ليس شيئاً حقيقياً بالتأكيد، بل شبه فقط.

الغريب: وتعني بالحقيقي ذلك الذي يكون بحق؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويكون اللاّحقيقي ذلك الذي هو ضد الحقيقي؟

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: لا يكون الشبه حقيقياً بحق إذن، إذا كان ليس حقيقياً، كما تقول؟

ثياتيتوس: لا، بل هو يكون في معنى محدَّد.

الغريب: تعني أنه، ليس في معنى حقيقي؟

ثياتيتوس: نعم؛ إنّه يكون صورة في الحقيقة فقط.

الغريب: ماذا نسمّي إذن، الصورة التي تكون غير حقيقية في الحقيقة بحق؟

ثياتيتوس: نعم، يظهر أنّ اللاّوجود يكون معقداً مع الوجود بغرابة، بهذه الطريقة.

الغريب: بغرابة! عليَّ اعتقاد ذلك. أنظر كيف أجبرنا السوفسطائي المتعدد الرؤوس، أن نعترف بوجود اللاّوجود ضد إرادتنا تماماً.

ثياتيتوس: نعم، إنّني أرى حقاً.

الغريب: إنّ الحقيقة هي أنّك كيف ستحدد فنه بدون الوقوع في التناقض.

ثياتيتوس: كيف تعني، وأين يكمن الخطر؟

الغريب: عندما نقول إنّه يخدعنا بالوهم، وإنّ فنّه يكون كاذباً وخادعاً، هل نعني أنّ أرواحنا قد قُيِّدت بفنّه لتفكِّر باطلاً، أو ماذا تعني؟

ثياتيتوس: لا يوجد شيء آخر ليكون مقولاً.

الغريب: مرّة ثانية، إنّ الرأي الباطل هو ذلك الشّكل للرأي الذي يفكِّر عكس الحقيقة ـ هل ستوافق؟

ثياتيتوس: بكلّ تأكيد.

الغريب: يعني لتقول إنّ الرأي الباطل يفكِّر بما لا يكون؟

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: هل يَعتبر الرأي الباطل أنّ الأشياء التي لا تكون لا تكون، أو أنها تكون في مفهوم محدَّد؟

ثياتيتوس: الأشياء التي لا تكون يجب أن تكون مخمَّنة أنّها توجد في مفهوم محدَّد، إذا ما كانت أيّة درجة للباطل محتملة.

الغريب: ألا يعتقد الرأي الباطل أيضاً أنّ الأشياء التي توجد بالتأكيد الأكثر أنها لا توجد على الإطلاق؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهنا يكون الباطل، مرّة ثانية.

ثياتيتوس: الباطل؟ نعم.

الغريب: وفي أسلوب مماثل، سيُعتبر الافتراض الباطل ليكون واحداً يؤكّد عدم وجود الأشياء التي تكون، ووجود الأشياء التي لا تكون.

ثياتيتوس: ليس هناك طريقة أخرى يستطيع الافتراض الباطل أن ينشأ فيها.

الغريب: لا يوجد؛ لكنّ السوفسطائي سيكذّب تلك التقارير. وكيف يمكن لأيّ إنسان عقلاني أن يوافق عليها، عندما تضاف إلى الاعترافات الموضوعة مسبقاً؟ هل تدرك مغزاه، يا ثياتيتوس؟

ثياتيتوس: طبعاً، إنّه سيقول إنّنا نناقض أنفسنا عندما نجازف بالتأكيد على أنّ الباطل موجودٌ في الرأي وفي الكلمات؛ لأنّ التمسك بهذا، سيجبرنا مرّة ثانية وثانية لنؤكّد وجود اللاّوجود الذي اعترفنا به منذ برهة أنّه مستحيل تماماً.

الغريب: كيف تتذكّر جيداً! وبعدُ فالوقت في عزّه لنجري مناقشة فيما يجب علينا عمله بشأن السوفسطائي؛ لأنّنا إذا أصررنا على البحث عنه في طبقة العمال المزيّفين والسحرة، فإنّك ترى مقابض الاعتراضات والصعوبات التي سترتفع وهي عديدة جداً ومتنوعة.

ثياتيتوس: إنها لكذلك حقاً.

الغريب: لقد ذهبنا خلال جزءٍ لكنه جزء صغير جداً منها، وإنّها غير متناهية حقاً.

ثياتيتوس: إذا كانت تلك هي الحالة، فلا نستطيع القبض على السوفسطائي بالاحتمال.

الغريب: هل سنكون هكذا جبناء، كي نستسلم له؟

ثياتيتوس: سأقول، لا بالتّأكيد، إذا ما استطعنا أن نلقي القبض عليه بشكل طفيف.

الغريب: هل ستسامحني إذن، وكما تدلّ كلماتك ضمناً، أن لا تكون غير مسرور إذا تراجعت قليلاً عن الإمساك بهكذا محاورة قوية؟

ثياتيتوس: سأفعل، لتكن متأكّداً.

الغريب: إنَّ لدي طلباً أكثر إلحاحاً لأقدِّم.

ثياتيتوس: الذي يكون ـ ؟

الغريب: إنّك ستعدني ألاّ تعتبرني كقاتل أحد أبويه.

ثياتيتوس: ولماذا؟

الغريب: لأنّني يجب أن أختبر فلسفة أبي بارميندس، في دفاع عن النفس، وأحاول أن أبرهن بالقوّة الجوهريّة أنّ اللاّوجود يكون في معنى محدّد ما، وأن الوجود، في المقام الآخر، لا يكون.

ثياتيتوس: إنّ محاولة ما من هذا النوع هي ضروريّة.

الغريب: نعم، إنسان أعمى يمكنه رؤية ذلك، كما يقولون، وما لم تكن تلك الأسئلة محدّدة بطريقة واحدة أو بأخرى، فلا أحد يستطيع أن يتفادى الوقوع في مناقضة مضحكة، عندما يتكلّم عن الكلمات الباطلة، الرّأي الباطل، أو الأوثان، أو الصور، أو التقليد، أو المظاهر، أو بشأن الفنون التي تختصّ بها.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: ولذلك يجب أن أجازف وأضع اليد على محاورة أبي؛ لأنّه إذا وجب عليّ أن أكون حريصاً فوق العادة، فسيجب عليّ أن أتخلى عن القضية.

ثياتيتوس: لا شيء في العالم سيحضّنا على أن نفعل هكذا أبداً.

الغريب: لديَّ التماس صغير ثالث أرغب أن أقدمه.

ثياتيتوس: ما هو؟

الغريب: إنّك سمعتني أقول ما قد شعرته وما زلت أشعر به. إنني لا أمتلك الشجاعة لمواصلة هذه المحاورة.

ثياتيتوس: سمعتك تقول ذلك.

الغريب: إنني أرتعد من الفكرة التي قد قلتها، وأتوقّع أنّك ستعتبرني مجنوناً، عندما تسمع عن تغيراتي وتحوّلاتي المفاجئة. دعني ألاحظ لذلك أنّني سأتفحص السؤال في اعتباري لك بشكل كلّي.

ثياتيتوس: لا يوجد أيّ سبب لأن تخاف من أنّني سأنسب لك أيّ عمل غير مناسب، إذا حاولت هذا النقض والبرهان؛ تشجّع، لذلك، وتقدّم.

الغريب: ومن أين سأبدأ بالمشروع الخطر؟ أعتقد أنّ الطريق الذي عليّ أن أسلكه هو -

ثياتيتوس: أيّ طريق؟ دعني أسمع.

الغريب: أعتقد أن من الأفضل، قبل كل شيء، أن نتأمّل النقاط الرئيسيّة التي تعتبر أنها واضحة بنفسها في الوقت الحاضر، خشية الوقوع في اضطراب ما، ونكون جاهزين لأن يُصَدِّقَ بعضُنا بعضاً أيضاً، متخيلين أن نكون واضحين بشأنها تماماً.

ثياتيتوس: قل ما تعنيه بوضوح أكثر.

الغريب: أعتقد أن بارمينايدس، وكل الذين تعهّدوا مع ذلك أبداً أن يقرّروا عدد وطبيعة الموجودات، أعتقد أنهم تكلّموا إلينا بالأحرى بأسلوب خفيف وسهل.

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: كما لو أنّنا قد كنا أطفالاً، كرروا لكلٍّ منهم أسطورته أو قصته؛ - قال واحد إن هناك ثلاثة مبادىء وجدت، وإنه في وقت ما وُجِدَ سجالٌ بين مبادىء محدَّدة منها، وبعدئذ وجد سلام، وتزوجوا ورزقوا أولاداً، وربوهم؛ وتكلم آخر عن مبدأين: الرطب والجاف، أو الحار والبارد، وجعلاهما يتزاوجان ويتعايشان. يقول الآيليون، في جزئنا من العالم مع ذلك، إن كلّ الأشياء تكون عديدة في الإسم، لكنها واحدة في الطبيعة. هذه هي

أساطيرهم، التي تعود لزمن اكسنوفاينز، وحتى أقدم من ذلك. وهناك آيونيون آنئذ، وصقلّيون في أوقات أكثر حداثة، إنّهم آلهة الشعر والجمال الذين توصّلوا إلى استنتاج وهو أن توحُّد هذين المبدأين يكون أضمن، ولتقل إنّ الوجود يكون واحداً ومتعدداً، وإنّهما مثبتين بالكراهية والصداقة معاً، لا ينفصلان قط، لا يلتقيان قط، كما تؤكّد آلهة الشعر والجمال الأكثر صرامة، في حين لا يصر الآلهة الآخرون الألطف على النزاع والسّلام الدائمين، بل يعترفون باسترخائهما وتغيرهما؛ يسود السلام والحبّ تحت رعاية أفروديت(١١) بعض المرّات، وبعدئذ التكاثر والحرب، بسبب مبدأ النزاع، كي تقرر ما إذا كان أيّ منهم تكلّم الحقيقة في كل هذا فذلك شيء صعب. بجانب ذلك على الأقدمين ومشاهير الرجال أن يمتلكوا المهابة، وأن لا يكونوا عرضة لاتّهاماتٍ خطرة هكذا، ويمكن لشيء واحد أن يُقال عنهم بدون إساءة لهم مع ذلك.

ثياتيتوس: أيّ شيء؟

الغريب: إنهم سلكوا طرقهم المتعددة مزدرين أن يراقبوا شعباً مثلنا؛ لم يعطوا اهتماماً، سواءً أخذونا معم، أو تركونا خلفهم.

ثياتيتوس: كيف تعني؟

الغريب: أعني أنّهم عندما تكلّموا عن عنصر واحد، اثنين، أو عناصر أكثر، كانت أو قد أصبحت أو ستصبح، أو عن الحرارة ممتزجة مع البرودة مرة ثانية، مفترضين في جزء آخر ما من عملهم الانفصال والاختلاط، ـ أخبرني، يا ثياتيتوس، هل تفهم ما يعنونه بهذه العبارات؟ عندما كنت إنساناً أفتى، اعتدت أن أتوهّم أنّني فهمت فهماً دقيقياً ما كان معنياً بالعبارات (اللاّوجود)، التي هي موضوعنا الحاضر للتنازع؛ وترى الآن أيّ موقف حرج نحن فيه.

ثياتيتوس: إنّني أرى.

الغريب: ومع ذلك فإنّه لمحتمل أن لا يكون ارتباكنا العقلي فيما يختص بالوجود أقلّ شأناً. يمكننا أن نتوهّم أنّه لا يسبب لنا حيرة، وأنّنا نفهم عندما نسمع الكلمة محكيّة. يمكننا مقابلة هذه بجهلنا عن اللاّوجود، عندما نجهلهما بشكل متساوٍ.

ثياتيتوس: أجرؤ على القول.

الغريب: ويمكن قول الشيء نفسه عن كل العبارات المذكورة آنفاً.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: يمكن أن يؤجّل تأمّل أكثرها؛ لكن من الأفضل أن نبحث الآن عن القبطان الرئيسي لها وقائدها.

ثياتيتوس: عَمَّ تتكلم أنت؟ إنك تعتقد بأنّنا يجب أن نبحث بادىء ذي بدء في ما يعنيه الناس بكلمة « وجود » بشكل واضح.

الغريب: إنك تتعقّبني عن قرب، يا ثياتيتوس. لأنّ الطريقة الصحيحة ستكون، كما أتصور، بأن نستدعي لبين ظهرانينا الفلاسفة الاثنينيين ونستجوبهم، « تعالوا » سنقول لهم: « أنتم، الذين تؤكدون أنّ الحار والبارد أو أيّ مبدأين آخرين هما العالم، ما هو الاصطلاح الذي تستخدمونه لكليهما، وماذا تعنون عندما تقولون إنّ كليهما وكلّ منهما (يكون)؟ هل سنفترض نحن، طبقاً لتصوركم، أنّ هناك مبدأً ثالثاً فوق، وعلى، المبدأين الآخرين، ـ ثلاثة في كل، وليس إثنان؟ لأنّكم لا تستطيعون القول إنّ واحداً من المبدأين الإثنين يكون وجوداً بوضوح، وتنسبون الوجود لكليهما مع ذلك؛ لأنّكم، إذا فعلتم، فأيّ الإثنين يكون معرّفاً بالوجود، وسيتضمّن الآخر؟ وهكذا فهما سيكونان واحداً وليس إثنين ».

ثياتيتوس: حقيقي جداً.

الغريب: لكنك ربّما تعني أن تعطي الإسم « وجود » لكليهما معاً؟

ثياتيتوس: متوقّع تماماً.

الغريب: سنجيبهم: « أيّها الأصدقاء، الجواب هو بوضوح أنّ الاثنين لا يزالان مقررين فيَ واحد إذن ».

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: بما أنّنا متحيرون إذن، أوضحّ لنا ما تعنيه من فضلك، عندما تتكلم عن الوجود؛ إذ لا شكّ أنّك فهمت منذ البداية معناك الخاص على الدوام، في حين أنّنا فكّرنا مرّة أنّنا فهمناك، لكننا الآن في ضيق عظيم. إبدأ بشرح هذه المسألة لنا من فضلك، ولا تدعنا نتوهّم بعد اليوم أنّنا فهمناك، عندما أسأنا فهمك بشكل كُليّ. ليس هناك عدم لياقة إن طلبنا جواباً لهذا السؤال، لا من الثنائيين أو الجمعيين.

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

الغريب: وماذا عن مؤكّدي وحدة أحديّة الكل ـ ألاَ يجب أن نكافح لنتحقق منهم ما يعنون بـ« وجود »؟

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: وهناك شيء ما تدعونه « وجود »[١٢]؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهل الوجود هو الشيء عينه كالواحد، وهل تستعمل الإسمين للشيء ذاته؟

ثياتيتوس: ما سيكون جوابهم، أيّها الغريب؟

الغريب: إنّه لواضح، يا ثياتيتوس، أنّ مَنْ يؤكّد وحدة الوجود كافتراض له، لن يكون في دعة بالكامل لإجابته على هذا السؤال أو أيِّ سؤال آخر.

ثياتيتوس: لِمَ هذا؟

الغريب: ليعترف بإسمين اثنين، وليؤكّد أنّه لا يوجد إلاّ وحدة، فهذا مضحك بالتأكيد؟

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: إضافة إلى ذلك، فإنّ مفكّراً كهذا لا يمكن السّماح له ليقول إنّ هناك أيّ إسمٍ على الإطلاق؛ إنّه لا يستطيع إعطاء أيّ حساب عن طبيعته.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

الغريب: إن تمييز مَنْ الشيء يعني ازدواجية ضمناً.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ومع ذلك فإنّ من يعرّف الإسم بالشيء سيكون مجبراً ليقول إنّه يكون إسماً لا لشيء، أو إذا قال إنّه إسمُ شيءٍ ما، سيلي حينئذ أنّ الإسم يكون الإسم لإسم، ولا لشيء آخر.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: و(الواحد) يقدر أن يشير إلى شيء واحد فقط ـ ذلك لنقول، إلى إسم.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وهل سيقولون إنّ الكلّ يكون غيراً من الواحد الذي يكون، أو الشيء عينه معه؟

ثياتيتوس: سيفعلون لتكن متأكداً، وهم يقولون ذلك حقاً.

الغريب: إذا كان الوجود كاملاً، كما يغني بارمينايدس، كل طريق مماثل إلى إمتلاء جسم كرويّ جميل، متوازن من المركز في كل اتجاه بالتساوي، ويجب ألاّ يُحتاج ليكون لا الأكثر ولا الأقل في أيّ اتجاه، لا على هذا الجانب ولا على ذاك ـ الوجود له مركز وطرفان إذن وممتلكاً هذه، يجب أن يحوز أجزاء أيضاً.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: لا يوجد سبب مع ذلك، لماذا لا يمكن لذلك الذي له أجزاء، أن يمتلك صفة الوحدة في مجموع كلّ الأجزاء، ويمكن لوجود الكلّ والجمع أن يكون واحداً؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لكنّ ذلك الذي تكون هذه حالته لا يستطيع أن يكون وحدة مطلقة؟

ثياتيتوس: لِمَ لا؟

الغريب: لأن ذلك الذي يكون واحداً بحق يجب أن يؤكَّد أنّه غير منقسم بالمطلق، طبقاً للرّأي الصحيح.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: لكنّ هذا الذي لا يتجزّأ سيناقض العقل، إذا كان مصنوعاً من عدَّة أجزاء.

ثياتيتوس: إنّني أفهم.

الغريب: هل سنقول، إن الوجود يكون واحداً وتامّاً، لأنّه يمتلك صفة الوحدة؟ أو هل سنقول إنّ الوجود لا يكون تاماً على الإطلاق؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك لبديلٌ آخر صعب كي تقدِّم.

الغريب: الأكثر حقيقة؛ لأنّ الوجود، ممتلكاً في معنى محدَّد صفة الواحد، ليس مبرهَنا ليكون الشيء عينه كالواحد مع ذلك، ويكون الكل لذلك أكثر من واحد.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وإذا لا يكون الوجود تاماً مع ذلك، من خلال امتلاك صفة الوحدة، ويوجد هكذا شيء كتام مطلق، فالوجود يفتقر شيئاً ما لطبيعته الخاصة؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: سيصبح الوجود مرّة ثانية، حسب هذا الرأي، ممتلكاً خلل الوجود، سيصبح لا وجوداً.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: أبعد من ذلك، سيصبح التام مرّةً أخرى أكثر من واحد، لأنّ الوجود والتام سيمتلك كلّ منهما طبيعته المنفصلة.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: لكن إذا لم يوجد التامّ مطلقاً، ستبقى كل الصعوبات السابقة هي نفسها، وستكون الصعوبة الأبعد، هي أنّ بجانب عدم امتلاك الوجود، لا يمكن للوجود أن يأتي إلى الوجود أبداً.

ثياتيتوس: لِمَ ذلك؟

الغريب: لأنّ ذلك الذي يأتي إلى الوجود يأتي إلى الوجود كتامّ على الدوام، هكذا إنّ ذلك لا يعطي « التام » مكاناً بين الموجودات، لا يستطيع التكلّم عن الجوهر والنشوء كأنّهما موجودان.

ثياتيتوس: نعم، يظهر ذلك أنّه حقيقة بالتأكيد.

الغريب: مرّة ثانية؛ كيف يستطيع ذلك الذي لا يكون تامّاً أن يمتلك أيّة كمية أو عدد؟ لأنّ ذلك الذي يكون ذا رقمٍ محدَّد يجب أن يكون التامّ لذلك العدد بالضرورة.

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: وستكون هناك نقاط رئيسيّة أخرى لا تحصى، كلٌّ منها تسبّبُ متاعب غير محدَّدة لذلك الذي يقول إنّ الوجود يكون إمّا واحداً أو اثنين.

ثياتيتوس: تبرهن هذه الصعوبات التي تتجه نحونا أنّ الاعتراض الواحد يتصل بالآخر، وما تقدَّم منها يشتمل على إرباكٍ أعظم وأسوأ.

الغريب: إننا لبعيدون جداً من كوننا قد أرهقنا المفكرين الأكثر دقة الذين يبحثون في الوجود واللاوجود. لكن دعنا نكون قانعين في تركهم، ونتقدّم لنعاين أولئك الذين يتكلمون بدقة أقل؛ وسنجد كنتيجة للكلّ، أنّ طبيعة الوجود هي أن تُدرَك تماماً كتلك التي للاوجود.

ثياتيتوس: سنذهب الآن إلى الآخرين إذن.

الغريب: يظهر أنّ هناك نوعاً من حرب العمالقة والآلهة جارية بينهم؛ إنّهم يتحاربون مع بعضهم بعضاً بشأن طبيعة الحقيقة.

ثياتيتوس: كيف يكون ذلك؟

الغريب: يسحب بعضهم إلى أسفل كلّ الأشياء من السماء ومن اللامرئي إلى الأرض، وهم يمسكون الصخور والسنديان بأيديهم بشدَّة. إنّهم يقبضون على كل أشياء كهذه، ويؤكدون بعناد، أنّ الأشياء التي يُستطاع لمسها أو مسكها تمتلك وجوداً فقط، لأنهم يعرِّفون الوجود (الحقيقة) والجسم كواحد. وإذا قال أيّ واحد آخر إنّ ما لا يكون جسماً يوجد، فإنهم يستخفون به تماماً، ولن يستمعوا لأية وجهة نظر أخرى.

ثياتيتوس: لقد تقابلت مع رجال كهؤلاء غالباً، وإنّهم لمخاليق رهيبون.

الغريب: وإنّ ذلك هو السبب الذي يدعو أخصامهم لأن يدافعوا عن أنفسهم بحذر من عَلٍ، من خارج العالم اللاّمرئي، مناضلين بقوّة من أن الحقيقة الحقة تكمن في مُثُلٍ محدَّدة واضحة غير فانية؛ يحطمون الأجسام الماديَّة التي يؤكدون على أنّها الحقيقة المطلقة، يحطمونها إلى أجزاء صغيرة بمحاوراتهم، ويثبتون أنّها ليست وجوداً، بل نشوءٌ وحركة. هناك نزاع قائم على الدوام بين الجيشين، يا ثياتيتوس، نزاع لا نهاية له بخصوص تلك المسائل.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: دعنا نسأل كل فرقة بالدور، لتعطي حساباً عن ذلك الذي يسمّونه حقيقة.

ثياتيتوس: كيف سنخرجه منهم؟

الغريب: ستكون هناك صعوبة قليلة، مع أولئك الذين يجعلون الوجود يكمن في المثل، لأنّهم أناس مهذّبون بما فيه الكفاية؛ لكن سيكون هناك صعوبة كبيرة جداً، أو لربّما حتى استحالة مطلقة، في استخراج رأي من أولئك الذين يُنزلون كلّ شيء إلى المادّة. هل سأخبرك ما يجب علينا عمله؟

ثياتيتوس: ماذا؟

الغريب: دعنا نصلحهم بحق، إذا استطعنا؛ لكنْ إذا لم يكن ذلك ممكناً، دعنا

نتخيّلهم أفضل ممّا هم وعلى استعداد ليجيبوا في تطابق مع قوانين المحاورة، وسيكون رأيهم جديراً بأن يُمتلك عندئذ؛ لأنّ ما يعترف به الرجال الأفاضل له وزن أكثر من الذي يعترف به الرجال الأقلّ أهميّة. إضافة إلى ذلك فنحن لسنا محترمي أشخاص، بل باحثون عن الحقيقة.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: دعنا الآن إذن، على إفتراض أنّهم قد تحسّنوا، دعنا نسألهم ليقرروا وجهة نظرهم، وترجمها أنت.

ثياتيتوس: موافق.

الغريب: دعهم يقولون ما إذا كانوا سيعترفون بأنّه يوجد هكذا شيء كحيوانٍ فانٍ.

ثياتيتوس: سيفعلون طبعاً.

الغريب: أو لن يعترفوا بهذا ليكون جسماً له روح؟

ثياتيتوس: سيفعلون بكلّ تأكيد.

الغريب: يعنون القول إنّ الروح هي الشيء الذي يبقى؟

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: أو لن يقولوا إنّ روحاً تكون عادلة وأخرى ظالمة، وإنّ روحاً عاقلة وأخرى غبيّة؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وإنّ الروح العادلة والعاقلة تصبح عادلة وعاقلة بامتلاك العدل والحكمة، والروح المضادّة تكون خاضعة لحالات مضادّة؟

ثياتيتوس: نعم، يفعلون.

الغريب: لكنّ ذلك الذي يمكن أن يكون حاضراً أو يمكن أن يكون غائباً سيكون معترفاً من قبلهم أنّه يوجد بكلّ تأكيد.

ثياتيتوس: مجوّزين أن العدل، الحكمة، والفضائل الأخرى، وأضدادها، مجوّزين أنّها

تبقى، كذلك الروح التي يلازمونها. هل يثبتون أن أيّاً منها مرئيٌّ ومحسوسٌ، أو أنّها جميعها غير مرئيّة؟

الغريب: سيقولون بصعوبة إنّ أيّاً منها يكون مرئيّاً.

ثياتيتوس: إنّهم سيميزون سيقولون إنّ الروح تمتلك جسداً، لكن فيما يخصّ نوعيّات العدل الأخرى، الحكمة، وما شابه، التي تسأل عنها، فإنهم لن يجازفوا لا بإنكار وجودها، ولا بالتأكيد على أنّها تكون كلُّها فانية.

الغريب: يقيناً، يا ثياتيتوس، إنّني أتصوّر تحسّناً كبيراً فيهم؛ فهم الأروميّون الحقيقيون، أطفال أسنان التنين، لن يعوّقهم أيُّ حياءٍ على الإطلاق، بل سيؤكدون بعناد أنَّ لا شيء يكون إذا لم يستطيعوا أن يعصروه بأيديهم.

ثياتيتوس: تلك هي فكرتهم كثيراً جداً.

الغريب: دعنا ندفع بالسؤال إلى الأمام؛ فهم إذا اعترفوا أنّ أيّاً يكون فانياً حتى الجزء الأصغر، فإنّ ذلك لكافٍ؛ يجب عليهم أن يقولوا بعدئذ ما هي تلك الطبيعة المشتركة للفاني وغير الفاني كليهما، وأيّهما يمتلكون في عينهم العقلية عندما يقولون عن كليهما إنّهما « يكونان ». لربّما يمكن أن يكونوا مربَكين، وإذا كانت هذه هي الحال، فهناك احتمال أنّهم يمكن أن يقبلوا فكرتنا فيما يخصّ طبيعة الوجود، بما أنّهم ليس لديهم أيّ شيء يخصّهم كي يقدّموه.

ثياتيتوس: ما هي الفكرة؟ أخبرني، وسنرى قريباً.

الغريب: ستكون فكرتي، أنّ أيّ شيء يمتلك أيّ نوع من القوة ليؤثر في الآخر، أو ليكون متأثراً بالآخر، ولو للحظة واحدة فقط، مهما يكن السبب ضئيلاً، ومهما يكن التأثير طفيفاً، فإنّه يمتلك وجوداً حقيقياً؛ والتمسك أنّ التعريف للوجود هو قوّة بكل بساطة.

ثياتيتوس: إنّهم يقبلون اقتراحك، بما أنّه ليس لديهم الأفضل مما يخصهم ليقدموه.

الغريب: جيّد جداً. لربّما نحن، كذلك هم، يمكننا أن نغيّر أفكارنا يوماً ما؛ أمّا في

الوقت الحاضر، فيمكن اعتبار هذا الاتفاق الذي توطّد معهم أنّه اتفاق ثابت.

ثياتيتوس: موافق.

الغريب: دعنا نذهب إلى أصدقاء المثل بعدئذ؛ ستكون أنت مترجم آرائهم أيضاً.

ثياتيتوس: سأفعل.

الغريب: سنقول لهم: إنكم ستميّزون الوجود (الحقيقة) من النشوء؟

ثياتيتوس: سيجيبون بنعم.

الغريب: وإنكم ستقرّون أنّنا نمتلك اتصالاً بالكون بواسطة الجسم، ومن خلال قوة الإدراك، لكن من خلال الفكر فالاتصال بالحقيقة الحقة، وبواسطة الروح. وستؤكد حقيقة كهذه أنّها ثابتة ونفسها على الدوام، مع أنّ الكون أو الصيرورة تختلف.

ثياتيتوس: نعم؛ ذلك ما سنؤكّده.

الغريب: حسناً، يا أيّها الأسياد المنصفون، ما هو ذلك الاتصال الذي تؤكّدونه لكليهما؟ هل توافقون على تعريفنا الحديث؟

ثياتيتوس: أيُّ تعريف؟

الغريب: قلنا إن الوجود كان فعلاً أو تأثيراً، ناشئاً عن قوّة محدّدة في العناصر التي تقابل بعضها بعضاً، لربّما يمكن أن تخفق أذناك في التقاط جوابهم، الذي أقدّر، لأنّني قد اعتدت سماعه.

ثياتيتوس: وما هو جوابهم؟

الغريب: هم ينكرون أنّ الحقيقة هي ما قد قلناه لتوّنا للأروميين عن الوجود (الحقيقة).

ثياتيتوس: ماذا كان ذلك؟

الغريب: لقد تقرّر من قِبَلنا أنّ أيّة قوة فاعلة أو معانية في درجة مهما كانت طفيفة، تكون تعريفاً كافياً للوجود.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: إنّهم ينكرون ذلك ويقولون إن القوة للفعل أو المعاناة لديها قابلية ما للصيرورة، لكن ذلك ليس قوة خاصّة بالوجود.

ثياتيتوس: ألاَ يوَجد حقيقة فيما يقولون؟

الغريب: نعم؛ لكنّ جوابنا سيكون، أنّنا نريد أن نتحقّق منهم بوضوح أكثر، إن هم اعترفوا أنّ الروح تُعرف بالإضافة إلى ذلك وأنّ الوجود أو الجوهر يكون معروفاً.

ثياتيتوس: لا يمكن الشكّ في أنّهم يقولون ذلك.

الغريب: أو يكون المعروف أو كونه معروفاً فاعلاً أو معانياً، أو كلاهما، أو أنّ الواحد يكون فاعلاً أو معانياً، أو كلاهما، أو أنّ الواحد يكون فاعلاً والآخر معانياً، أو أنّه لا يمتلك أيّة حصة في أيّة منهما؟

ثياتيتوس: بوضوح، إنّ كليهما لا يمتلك أيّة حصة في أيّ منهما؛ لأنهم إذا قالوا أيّ شيء آخر، فهم سيناقضون أنفسهم.

الغريب: إنني أفهم؛ سيجادلون هكذا ـ إذا كان المعروف نوعاً من العمل، سيلي بالضرورة أن كونه معروفاً يكون تأثيراً. وتكون الحقيقة بناء على هذه النظرية، بقدر ما هي معروفة، تكون مفعولاً فوقها بالمعرفة، وهي لذلك في حركة؛ لأنّ ذلك الذي يكون في حالة سكون لا يمكن أن يكون مفعولاً فوقه، كما نؤكّد.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ويا للسّماوات، هل يمكن جعلنا مصدّقين قط أنّ الحركة والحياة والروح والعقل لا تكون حاضرة مع الوجود التام[١٣]؟ أنستطيع أن نتخيّل أنّ الوجود يكون خالياً من الحياة والعقل ويبقى هيكليّة أبديّة بلا معنى جليل؟

ثياتيتوس: سيكون ذلك شيئاً رهيباً لنعترف به، أيّها الغريب.

الغريب: لكن هل سنقول إنّ الوجود له عقل وليس له حياة؟

ثياتيتوس: كيف يكون ذلك ممكناً؟

الغريب: وهل سنقول إنّ كليهما يسكنان في الوجود التامّ، لكن الذي يحتويهما لا يمتلك روحاً؟

ثياتيتوس: وفي أيّة طريقة أخرى يقدر أن يحتويهما؟

الغريب: أو إنّ الوجود له عقل وحياة وروح، لكنّه يبقى غير متحرك بالمطلق مع أنّه يتمتع بالروح؟

ثياتيتوس: تظهر لي كل الإفتراضات الثلاثة أنّها غير منطقيّة.

الغريب: يجب أن نضمّن الحركة تحت الوجود إذن، وذلك الذي يكون متحركاً؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: استنتاجنا إذن، يا ثياتيتوس، هو أنّه إذا لم يكن هناك حركة، فلا يوجد أيُّ عقل في أيّ مكان، أو حول أيّ شيء، أو خاص لأيّ شخص.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: ويتبع هذا بشكل متساوٍ مع ذلك، إذا وافقنا على أنّ كلّ الأشياء هي في حركة ـ بناءً على هذه النظرية فالعقل ليس له وجود أيضاً.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

الغريب: هل تعتقد أن الشيء عينه للحالة والصيغة والموضوع يمكن أن يبقى أبداً بدون مبدأ السكون؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

الغريب: أتستطيع أن ترى كيف يقدر العقل البقاء بدونها، أو يأتي إلى الوجود في أيّ مكان؟

ثياتيتوس: لا.

الغريب: ويجب أن نناضل في كلّ طريق بالتأكيد ضد من سيمحق المعرفة والسبب والعقل، ويتجاسر مع ذلك على الكلام بثقة عن أيّ شيء.

ثياتيتوس: نعم، وبكل قوّتنا.

الغريب: إذن، إن الفيلسوف الذي يمتلك التبجيل الأصدق لهذه النوعيّات، لا يستطيع أن يقبل بأية حال فكرة أولئك الذين يقولون إنّ الكل يكون في سكون، لا كوحدة أو في عدة أشكال. وسيكون هو أصمّ بالمطلق نحو أولئك الذين يؤكّدون الحركة الشاملة، كما يقول الأطفال باستعطاف (إعطنا كليهما)، فإنّ الفيلسوف سيشملهما كليهما، المتحرك وغير المتحرك، في تعريفه للوجود وللكل.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: وبعدُ، ألا يظهر أنّنا قد كسبنا فكرة معقولة عن الوجود؟

ثياتيتوس: نعم بحق.

الغريب: الله يا ثياتيتوس، أعتقد أننا نكون بدأنا الآن نرى الصعوبة الحقيقية للبحث في طبيعة الوجود.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: أوه يا صديقي، ألا ترى أن لا شيء بإمكانه أن يفوق جهلنا، ونتوهّم أنّنا نقول شيئاً ما صالحاً مع ذلك؟

ثياتيتوس: أتصور هكذا، على الأقل؛ وما زلت لا أفهمك تماماً في أيّ خصوص أخفقنا لندرك جهلنا.

الغريب: تأمل ملياً. بعد أن أدّينا هذه الاعترافات، ألا يمكن أن نسأل، بعدل، الأسئلة ذاتها التي كنّا نسألها نحن أنفسنا، لأولئك الذين قالوا إنّ الكل كان حاراً وبارداً؟

ثياتيتوس: ماذا كانت؟ هل ستعيدها إلى ذاكرتي؟

الغريب: سأفعل، لتكن متأكداً، وسأحاول أن أفعل هكذا بوضع أسئلة لك كما فعلت لهم، وسنخلق تقدماً عندئذ.

ثياتيتوس: حقّاً.

الغريب: هل ستقول أنت إنّ السكون والحركة هما في المعارضة الأكثر كلّيّة لبعضهما بعضاً؟

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: وستقول مع ذلك إنّ كليهما أو واحداً منهما يكون بشكل متساوٍ؟

ثياتيتوس: سأفعل.

الغريب: وعندما تعترف أن كليهما أو واحداً منهما يكون، هل تعني أنّهما كليهما أو واحداً منهما يكون في حركة؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

الغريب: أوهل ترغب لتدلّ ضمناً أنّهما كليهما يكونان في سكون، عندما تقول إنّهما يكونان؟

ثياتيتوس: لا بالطبع.

الغريب: تعدّ الوجود إذن كطبيعة ثالثة ما ومميّزة؛ الوجود الذي يكون السكون والحركة مُشتَمَلَين تحته بشكل متشابه ومراقباً ذلك أنّهما يشتركان في الوجود، تعلن أنت أنّهما يكونان.

ثياتيتوس: نحن نبدو بحقّ أنّ لدينا إعلاناً عن أنّ الوجود هو شيء ما آخر، عندما نقول إنّ السكون والحركة تكونان.

الغريب: ليس الوجود هو الإتّحاد للسكون والحركة إذن، بل شيئاً ما متبايناً عنهما؟

ثياتيتوس: يبدو أنّه ذلك.

الغريب: إنّ الوجود إذن، طبقاً لطبيعته الخاصة، ليس في حركة ولا في سكون.

ثياتيتوس: تلك هي الحقيقة الأكثر تأكيداً.

الغريب: أين هو الإنسان لنبحث عنه، ذلك الذي ستكون لديه أيّة فكرة واضحة أو ثابتة عن الوجود في عقله كي يساعدنا؟

ثياتيتوس: أين هو حقاً.

الغريب: أعتقد بصعوبة أنّه يقدر أن يبدو في أيّ مكان؛ لأنّ ذلك الذي لا يكون في حركة يجب أن يكون في سكون بالتأكيد، ومرة ثانية، ذلك الذي لا يكون في سكون يجب أن يكون في حركة؛ غير أنّ الوجود، كما قد بُرهِنَ الآن، يكون مركّزاً خارج هاتين الطبقتين. هل هذا ممكن؟

ثياتيتوس: مستحيل بالمطلق.

الغريب: يوجد هنا حينئذ، شيء آخر يجب أن نحمله في العقل.

ثياتيتوس: ماذا؟

الغريب: عندما سئلنا إلى ماذا سنعزو لقب اللاّوجود، كنّا في الصعوبة الأعظم. هل تتذكّر؟

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

الغريب: أولسنا نحن الآن في صعوبة عظيمة مثلها بشأن الوجود؟

ثياتيتوس: سأقول، أيّها الغريب، إنّنا إذا أمكن في واحدة هي حتّى أكثر صعوبة.

الغريب: لقد سُجّلت المشكلة، ويجب أن نتركها حيث هي الآن؛ وكما يكون الوجود واللاّوجود متورّطين في الإرباك عينه، فهناك أمل أنّه عندما يظهر الواحد بوضوح أكثر أو أقلّ، سيظهر الآخر بشكل متساوٍ؛ وإذا كنّا غير قادرين أن نرى هذا ولا ذاك، تبقى لنا فرصة لأن نشق طريقاً لمحاورتنا بينهما بالقوة، بدون أيّ شكّ.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: دعنا نسأل إذن، كيف توصّلنا إلى إعلان أسماء متعدّدة للشيء عينه؟

ثياتيتوس: إعطِ مثالاً.

الغريب: أعني أنّني نتكلّم عن الإنسان، كمثال، تحت أسماء متعدّدة ـ ذلك أنّنا ننسب له ألواناً وأشكالاً وأعظاماً وفضائل ورذائل، والذي لا نتكلّم عنه

كإنسان فقط في كل تلك الأمثلة وآلاف غيرها، بل نتكلّم عنه كخيِّرٍ أيضاً، وله خصائص أخرى لا يحدّها حصر. وفي الطريقة عينها فإنّ أيّ شيء آخر افترضناه في الأصل ليكون واحداً موصوفاً بنا كأنّه يكون متعدداً، وتحت أسماء متعددة.

ثياتيتوس: إنّ ذلك حق.

الغريب: وهكذا فنحن نقدِّم وليمة دسمة للمبتدئين، سواء أكانوا شبّاناً أو مسنّين؛ إذ لا يوجد شيء أسهل من أن تحاور على أنّ الواحد لا يمكن أن يكون متعدداً، أو المتعدد واحداً؛ وتكون بهجتهم عظيمة في منعنا من أن نقول إنّ الإنسان يكون خيّراً، لأنّهم يُصرّون على أن الإنسان يكون إنساناً، والخيِّر خيّراً. أجرؤ على أن أقول إنّك قد قابلت أشخاصاً من الممكن أنّهم يولون اهتماماً لهكذا قضايا - إنهم رجال مسنّون غالباً، يكون إدراكهم الهزيل مرمياً في إنشداهٍ باكتشافاتهم تلك، التي يظنون أنها قمة الحكمة.

ثياتيتوس: لقد تقابلت، بكلّ تأكيد.

الغريب: دعنا نطرح أسئلتنا عليهم إذن، كما طرحناها على أصدقائنا السابقين، ذلك كي لا نستثني مطلقاً أيّ شخص تأمّل في طبيعة الوجود قطّ.

ثياتيتوس: أيّة أسئلة؟

الغريب: هل سنرفض أن ننسب الوجود للحركة والسكون، أو أيّ شيء لأي شيء، ونعتبره أمراً مفروغاً منه، ذلك بما أنّها لا تمتزج، يجب أن نعلنها في محاورتنا طبقاً لذلك؟ أو أنّنا سنجمعها في طبقة واحدة للأشياء معدَّة مع بعضها بعضاً؟ أو أنّ بعض الأشياء معدَّةٌ والأخرى ليست كذلك؟ أيٌّ من تلك الخيارات، يا ثياتيتوس، سيؤْثِرون؟

ثياتيتوس: ليس لدي أيّ شيء لأجيب عمّا يخصهم.

الغريب: إفترض أنّك تأخذ كل هذه النظريات بالدور، وترى ما هي العواقب التي تتبع من كلّ منها.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: دعنا نعتبره أمراً مفروغاً منه بادىء ذي بدء، أنّهم يقولون لا شيء يمكن أن يكون قادراً على المشاركة في أيّ شيء آخر في أيّة خصوصيّة؛ لا يقدر السكون والحركة أن يشتركا في الوجود على الإطلاق في تلك الحالة.

ثياتيتوس: إنّهما لا يقدران.

الغريب: لكنْ لا يمكن لأيٍّ منهما أن يكون إذا لم يشاركا في الوجود؟

ثياتيتوس: لا.

الغريب: يكون كلّ شيء حينئذ مقلوباً رأساً على عقب بهذا الاعتراف في الحال، كما يكون التعليم للحركة الشاملة وللسكون الشامل، وأيضاً التعليم لأولئك الذين يوزعون الوجود إلى أنواع ثابتة وخالدة؛ لأنّ كل هؤلاء يضيفون فكرة عن الوجود، يؤكّد بعضهم أنّ الأشياء (تكون) في حركة بحقّ، ويؤكد الآخرون أنها (تكون) في سكون حقاً.

ثياتيتوس: هكذا تماماً.

الغريب: مرّة ثانية، فإنّ أولئك الذين يركّبون كلّ الأشياء في وقت ما، ثم يحلّلونها في وقت آخر، سواء أجعلوها في واحدة وخارج الواحدة موجِدين لا نهاية بذلك، أو يقسمونها إلى عناصر محدّدة، ومشكلين خليطاً من هذه؛ سواء أكانوا يفترضون عملية الخلق لتكون متعاقبة أو متواصلة، إنّ أولئك ما هم إلاّ متكلّمون إسفافاً في كلّ هذا إذا لم يكن هناك خليط.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: سيكون الأكثرَ إضحاكاً من الجميع الرجالُ أنفسهم الذين يريدون أن ينفّذوا المحاورة، ويمنعوننا مع ذلك أنّ نسمي أي شيء باسم ذلك الآخر، لأنّه مشترك في خاصيّة ما مع الآخر.

ثياتيتوس: لماذا هكذا؟

الغريب: لماذا، لأنّهم مجبرون أن يستعملوا الكلمات (ليكون)، (منفصل)، (عن

الآخرين)، (في نفسه)، وعشرة آلاف كلمة أكثر، تلك التي لا يقدرون الكفّ عن استعمالها، ولذلك فهم ليسوا بحاجة لأن يكونوا منقوضين بالآخرين، لكنّ أعداءَهم يسكنون في البيت عينه معهم، كما يقول القائل؛ إنّهم يحملون معهم خصماً على الدوام، مثل يوركليس الرائع المتكلّم من بطنه، الذي يناقضهم من بطونهم الخاصّة، ويمكن سماعه بوضوح.

ثياتيتوس: هكذا بالضبط؛ إنّه توضيح حقيقي ودقيق.

الغريب: وبعدُ، إذا افترضنا أنّ كلّ الأشياء لها قوّة المشاركة مع بعضها بعضاً، ماذا سيلي؟

ثياتيتوس: حتى لو إستطعت أن أحلّ تلك الأحجية؟

الغريب: كيف؟

ثياتيتوس: لماذا، لأنّ الحركة نفسها ستكون في سكون، والسكون في حركة مرّة ثانية، إذا ما كانا منسوبَين بعضُهما لبعض.

الغريب: لكنّ هذا يكون مستحيلاً بالمطلق.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: يبقى الإفتراض الثالث فقط آنئذ.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: لأنّه إمّا أن تمتلك كلّ الأشياء مشاركة مع الكلّ بالتأكيد؛ أو لا شيء مع أيّ شيء آخر؛ أو أن تتّصل بعضُ الأشياء ببعض الأشياء والأخرى لا تتّصل.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: ولقد وُجد أن اثنين من هذه الافتراضات الثلاثة مستحيلان.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: كلّ شخص حينئذ، ممّن يرغب أن يجيب بصدق، سيتبنّى الفرضية الثالثة الباقية لاتّصال البعض مع البعض.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: يمكنِ شرح هذا الاتّصال للبعض مع البعض بحالة الحروف؛ إذ هناك حروف لا يلائم بعضها بعضاً، بينما تفعل الأخرى.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: وتكون الأحرف الليّنة هي نوع الرّباط الذي يعّم كل الحروف الأخرى بشكل خاصّ. وهكذا لا تستطيع الحروف الساكنة أن تتصل ببعضها بدون الحروف اللينة.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: لكن هل يعرف كلُ شخص أيّ الحروف سيتوحّد مع غيره؟ أو هل يكون الفنّ مُحتاجاً ليجعل الإنسان قاضياً موثوقاً به لفعل هذا؟

ثياتيتوس: هناك فنٌّ لا بدّ منه.

الغريب: أيّ فنّ؟

ثياتيتوس: فنّ علم النحو والصرف.

الغريب: أوَلاَ يكون هذا صحيحاً للأصوات العالية والمنخفضة أيضاً؟ - أليس موسيقياً من يمتلك الفنّ ليعرف أيّ الأصوات تمتزج، والذي يجهل ذلك ليس موسيقياً؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وسنجد هذا صحيحاً عن الفن أو غيابه بشكل عامّ؟

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: وكما نعترف بالطبقات في أسلوب مماثل ليكون بعضها قادراً على التمازج والآخر غير قادر، ألا يجب على الذي سيري الأنواع التي تمتزج بحقّ، وأيّها الذي سيصدُّ واحدها عن الآخر، ألا يجب عليه أن يتقدم بالعلم في طريقة المحاورة؟ يجب أن يعرف بالعلم أيضاً إذا وُجدت بعض مصطلحات

الوصل الرابطة جمعاً، التي تمكن الأنواع الأخرى أن تمتزج؛ أو لم توجد.

ثياتيتوس: لا بدّ لذلك من علم، لتكن متأكداً، إذا لم أكن مخطئاً، وهذا أعظم العلوم جميعها.

الغريب: كيف سنسمّي هذا العلم؟ بزيوس، ألم نكشف عن علمنا الحرّ النبيل بدون ذكاء، وفي بحثنا عن السوفسطائي ألم ننظر في أمر الفيلسوف عن غير قصد؟

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: ألا يجب علينا أن نقول إنّ التقسيم طبقاً للأنواع، الذي لا يجعل الشيء عينه غيراً، ولا يجعل الغير الشيء عينه، ألا يجب أن نقول إنّ التقسيم هذا هو عمل علم الجدل؟

ثياتيتوس: ذلك ما يجب علينا قوله.

الغريب: إنّ من يقدر أن يقسِّم بحق يكون قادراً أن يرى حينئذٍ بالتأكيد شكلاً واحداً غامراً الكثرة المتفرقة بوضوح، ويرى أشكالاً متباينة محتواة تحت شكل واحد أسمى. ومرّة ثانية يرى شكلاً واحداً محاكاً معها في كلّ تام شاملاً كثيراً كلاً كهذا؛ ويرى أشكالاً عديدة موجودة في انفصال وانعزال أيضاً. هذه هي معرفة الأنواع التي تعيِّن أين يمكنها أن تمتلك مشاركة مع بعضها بعضاً وأين لا يمكنها.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: وستعزو فنّ علم الجدل الصافي والحقيقي للفيلسوف فقط.

ثياتيتوس: من سواه يستطيع أن يكون جديراً بالاحترام؟

الغريب: سنكتشف الفيلسوف في هذه المنطقة إذن، إمّا الآن، أو في أيّ وقت آخر، إذا بحثنا عنه؛ إنّه كالسوفسطائي، لا يُكتشف بسهولة، لكن لسبب مغاير.

ثياتيتوس: لأيّ سبب؟

الغريب: لأنّ السوفسطائي يولّي هارباً إلى ظلام اللاّوجود، الذي تعلّم بالعادة أن يتحسّسه ولا يمكن اكتشافه لظلمة المكان، أليس ذلك صحيحاً؟

ثياتيتوس: يبدو أنّه لكذلك.

الغريب: ويكون الفيلسوف مظلماً من فرط النّور، يجري محادثة مع مثال الوجود بواسطة العقل على الدّوام؛ لأنّ أرواح الكثرة لا تمتلك عيناً تستطيع أن تتحمّل الرؤيا الإلهيّة.

ثياتيتوس: نعم؛ يظهر أنّ ذلك حقيقي كما الآخر.

الغريب: حسناً، يمكن أن يكون الفيلسوف من الآن فصاعداً معتبراً بنا تماماً بشكل أكثر، إذا كنا ميّالين لذلك؛ لكن يجب ألاّ يكون مسموحاً للسوفسطائي بوضوح أن يهرب حتى يتسنّى لنا إلقاء نظرة فاحصة عليه.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: لقد اتفقنا منذ ذلك الحين إذن، أنّ بعض الأنواع يشارك البعض الآخر، وليس لدى الأخرى مثل ذلك، وبعضها لديه مشاركة مع قلة وأخرى مع عديد، وأنّه لا يوجد أيّ سبب لعدم مشاركة بعضها مع الكل. دعنا نلاحق التحققّ الآن، كما تقترح المحاورة، ليس في صلة مع كل المثل، خشية أن تربكنا كثرتها، لكن دعنا نختار قلة من تلك التي تعتبر هي الرئيسية، ونعتبر طبائعها المتعدّدة وقدرتها على المشاركة بعضُها مع بعض، حتى إذا لم نكن قادرين أن ندرك بوضوح تام أفكار الوجود واللاوجود، يمكننا على الأقل أن نعاني نقصاً في تأمّلنا لها، بقدر ما تدخل هي في نطاق تحقّقنا الحاضر، فلربّما تيسّر لنا أن نؤكّد أنّه يوجد شيء ما لا يكون بحقّ، وينجو دون أن يصاب بأذى مع ذلك.

ثياتيتوس: يجب أن نفعل هكذا.

الغريب: إنّ الأجناس الأكثر أهميّة التي قد بحثناها حديثاً من هذه هي الوجود ذاته والسكون والحركة.

ثياتيتوس: نعم، بأبعد مدى.

الغريب: وكما نؤكّد فإنّ اثنين من هذه الأجناس لا يقدر بعضهما مشاركة البعض الآخر.

ثياتيتوس: غير قادرين تماماً.

الغريب: مع أن الوجود يمتلك مشاركة معهما كليهما بالتأكيد لأن كليهما يكون.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: ينشيء ذلك ثلاثة منها.

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

الغريب: ويكون كلّ منها غيراً من الاثنين الباقيين، لكن الشّيء عينه مع نفسه.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: لكنْ حينئذ، ما هو المعنى لهاتين الكلمتين (الشيء عينه) و (غير)؟ أهُما نوعان جديدان غيرٌ من الثلاثة، ومع ذلك هما ممتزجان معها بالضرورة على الدوام، هكذا يجب أن نبحث في خمسة أنواع بدلاً من ثلاثة؛ أو عندما نتكلم عن الشيء عينه والغير، فإنّما نكون متكلّمين بدون إدراك عن واحد من الأنواع الثلاثة الأوّل؟

ثياتيتوس: من المحتمل جداً أن نكون.

الغريب: غير أنّ الحركة والسكون ليسا غيراً ولا الشيء عينه بالتأكيد.

ثياتيتوس: كيف يكون ذلك؟

الغريب: مهما نسبنا إلى الحركة والسكون في المشاركة لا يمكن أن يكون أيٌّ منهما.

ثياتيتوس: لِمَ لا؟

الغريب: لأنّ الحركة ستكون في سكون والسكون في حركة، لأنّ أحدهما، كونه معلناً كليهما، سيجبر الآخر أن يتغيّر إلى المضاد لطبيعته الخاصة، لأنّه مشترك في ضده.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

الغريب: مع ذلك فكلّ منهما يشترك في الشيء عينه وفي الغير بالتأكيد؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: يجب ألاّ نؤكّد أنّ الحركة إذن، أكثر من السكون، هي إمّا الشيء عينه أو الغير.

ثياتيتوس: يجب ألاّ نفعل.

الغريب: لكنْ هل سنتصوّر أنّ الوجود والشيء عينه هما مماثلان؟

ثياتيتوس: محتمل.

الغريب: لكن إذا كان (الوجود) و(الشيء عينه) لا يتباينان في المعنى بأيّة طريقة، ففي قولنا حينئذ إنّ الحركة والسكون يمتلكان وجوداً، يجب أن نكون قائلين إنّهما الشيء عينه أيضاً.

ثياتيتوس: الذي لا يمكن أن يكون بالتأكيد.

الغريب: لا يمكن للوجود والشيء عينه أن يكونا واحداً إذن؟

ثياتيتوس: بالكاد.

الغريب: يمكننا أن نفترض حينئذ أنّ الشيء عينه يكون نوعاً رابعاً يضاف إلى الأنواع الثلاثة الأخرى الآن؟

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: وهل سندعو الغير نوعاً خامساً؟ أو أنّنا سنعتبر الوجود والغير ليكونا اسمين للنوع عينه؟

ثياتيتوس: محتمل جداً.

الغريب: لكنّك ستوافق، إذا لم أكن مخطئاً، على أنّ هناك نوعين للأشياء، بعضها الذي يوجد في حكم حقه الخاص، والآخر يُقال أنّه يكون فيما يتعلّق بشيء ما آخر فقط.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: ويكون الواحد غيراً من تلك الاصطلاحات التي هي نسبيّة إلى غيرٍ على الدوام.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: لكنّ هذه لن تكون الحالة إلاّ إذا وُجد تباين شاسع بين الوجود والغير. لأنّ الغير إذا انتسب لكلا النوعين كالوجود، فإنّه كان قد وُجد آنئذ نوعٌ للغير لم يكن غيراً من الغير، كما يكون هو. نحن نجد بكلّ بساطة أنّه مهما يكن الغير يجب أن يكون بالضرورة ما هو بالنسبة لغير ما.

ثياتيتوس: تلك هي الحالة الحقيقية للقضيّة.

الغريب: يجب أن نعترف حينئذ أنّ الغير يكون كالخامس من أنواعنا المختارة.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وسوف نقول إنّ هذا الذي يكون واحداً قد اخترق كلّ الباقين، لأنّ كُلاًّ يكون غيراً من الباقي على انفراد، ليس بسبب طبيعته الخاصّة، بل لأنّه يمتلك حصّة في شكل الغير.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: دعنا نضع الحالة بإسنادٍ لكلّ من الأنواع الخمسة إذن.

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: هناك حركة بادىء ذي بدء، هي التي نؤكد أنها (غيرٌ) من السكون بالكليّة. فما الآخر الذي نستطيع قوله؟

ثياتيتوس: إنّه لكذلك.

الغريب: ولا تكون سكوناً لهذا السبب.

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

ثياتيتوس: وتكون مع ذلك، لأنّها مشتركة بالوجود.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: مرّة ثانية، تكون الحركة غيراً من الشيء عينه؟

ثياتيتوس: هكذا تماماً.

الغريب: ولا تكون الشيء عينه لذلك.

ثياتيتوس: إنّها لا تكون.

الغريب: كانت الحركة معلنة لتكون الشيء عينه مع ذلك بالتأكيد، لأنّ كلّ الأشياء تشترك في الشيء نفسه.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: يجب أن نعترف بالتقرير عندئذ، بدون تذمرّ، أنّ الحركة تكون الشيء ولا تكون الشيء عينه مع ذلك؛ إذ عندما نستخدم هذه العبارات لها، فإنّ وجهة نظرنا تكون متباينة. نحن ندعوها الشيء عينه بالنسبة لنفسها، لأنّها تشترك في الشيء عينه؛ مع أنّنا لا ندعوها الشيء عينه، لأنّ لها اشتراكاً مع الغير، وأنّها تكون منفصلة عن الشيء عينه نتيجة لذلك، وقد أصبحت ليس ذلك بل غيراً. هكذا نتكلّم عنها بعدل متساوٍ كأنها « ليست الشيء عينه ».

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

الغريب: إذا اشتركت الحركة بالسكون كذلك جوهرياً في أيّة وجهة نظر، لن يكون هناك أيّ سخفٍ في تسمية الحركة ساكنة.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً. إنّها تكون، على فرضية أنّ بعض الأنواع تختلط بعضها مع البعض، ولا تختلط الأخرى.

الغريب: لقد برهنّا سابقاً، أنّ هذه المشاركة تكون طبقاً للطبيعة، قبل وصولنا لهذا الجزء من بحثنا.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: دعنا نتقدّم إذن. ألا يمكننا أن نقول إنّ الحركة هي غيرٌ من الغير، بما أنّه قد بُرهن لنا أيضاً لتكون غيراً من الشيء عينه وغيراً من السكون؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك مؤكّد.

الغريب: تكون الحركة عندئذ غيراً ولا غير أيضاً طبقاً لهذه النظرية؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ما هي الخطوة القادمة؟ هل سنقول إنّ الحركة تكون غيراً من الثلاثة وليست غيراً من الرابعة ـ لأنّنا اتفقنا أنّ هناك خمسة أنواع وفي المجال الذي اقترحنا أن نصنع التحقيق عنه؟

ثياتيتوس: لا نستطيع أن نعترف بالتأكيد أنَّ العديد يكون أقلّ من الذي ظهر على أنّه العدد لتوّه الآن.

الغريب: يمكننا أن نجادل بدون خوف أنّ الحركة تكون غيراً من الوجود إذن؟

ثياتيتوس: بدون الخوف الأقلّ.

الغريب: النتيجة الواضحة أنّ الحركة، بما أنها تشترك في الوجود، تكون بحقّ ولا تكون أيضاً؟

ثياتيتوس: لا شيء يمكن أن يكون أوضح.

الغريب: يوجد اللاّوجود حينئذ بالضرورة في حالة الحركة ولكل طبقة؛ لأنّ طبيعة الغير داخلة في كلّ منها تجعلها غيراً من الوجود، وهكذا غير موجودة. ولذلك يمكننا أن نقول عنها جميعاً إنّها لا تكون بحقّ؛ ومرّة ثانية، إنّها تكون وتكون موجودة، بقدر ما تشترك في الوجود.

ثياتيتوس: يمكننا أن نعتبره هكذا أمراً مفروغاً منه.

الغريب: يمتلك كلّ نوع إذن، كثرةً للوجود ولا نهاية للوجود.

ثياتيتوس: يجب أن نستنتج هكذا.

الغريب: ويمكن أن يقال إنّ الوجود نفسه يكون غيراً من الأنواع الأخرى.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: يمكننا أن نستنتج أنّ الوجود لا يكون إذن، فيما يخصّ أشياء أخرى عديدة كما يكون وجودها؛ لأنّ اللاّوجود لهذه يكون هو نفسه واحداً، ولا تكون الأشياء الأخرى، التي هي غير محدودة في العدد.

ثياتيتوس: ليس ذلك بعيداً من الحقيقية.

الغريب: ولا يجب أن نخالف هذه النتيجة، بما أنها تكون الطبيعة للأنواع ليُشارك بعضها بعضاً. وإذا أنكر أيّ شخص تقريرنا الحاضر (أي، أنّ الوجود لا يكون) دعه يحاورنا بادىء ذي بدء في استنتاجنا السابق (كمثال، بخصوص مشاركة المثل)، ويمكننا متابعة الحوار مع ما يتبع آنئذ.

ثياتيتوس: لا شيء يمكن أن يكون أعدل.

الغريب: دعني أسألك سؤالاً آخر.

ثياتيتوس: أيّ سؤال؟

الغريب: عندما نتكلّم عن اللاّوجود، أفترض أنّنا نتكلّم ليس عن شيء ما مضادٌ للوجود، بل مختلف فقط.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: عندما نتكلّم عن شيء ما كأنه ليس كبيراً، ألا تظهر العبارة لك أنّها تدّل ضمناً على ما يكون صغيراً أكثر ممّا يكون متساوياً؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

الغريب: إذا قيل لهذا السبب، إنّ الإنكار يعني معاكسة ضمناً، سنرفض أن نعترف بهذا. إنّ الأحرف السلبيّة ơo pæe 'μπ ، عندما تضاف في أوّل الكلمات، تعني ضمناً فرقاً في الكلمات ليس إلاّ، وبشكل أصح من الأشياء المعروضة بالكلمات، التي تتبعها.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: هناك نقطة رئيسيّة يجب أن نتأمّلها ملياً، إن لم يكن لديك اعتراض؟

ثياتيتوس: ما هي؟

الغريب: تظهر الطبيعة لي أنها تكون مقسّمة إلى جزئيات بسيطة كالمعرفة.

ثياتيتوس: كيف هذا؟

الغريب: تكون المعرفة واحدة، مثل الغير؛ ومع ذلك فإنّ كل جزء منها لديه مقاطعة خاصة، يمتلك إسماً ما خاصّاً به. كي تحكم من الأسماء، فهناك فنون متعددة، وفروع متعددة للمعرفة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: أوّلاً تكون الحالة مع الأجزاء الطبيعة الغير الشيء عينه، التي هي واحدة أيضاً؟

ثياتيتوس: محتمل جدّاً؛ لكن هل ستخبرني كيف؟

الغريب: يوجد جزء ما للغير مناقض للجمال.

ثياتيتوس: يوجد.

الغريب: هل سنقول إنّ هذا لديه إسمٌ أم لا؟

ثياتيتوس: لديه. إذ مهما دعونا اللاجمال فهو غيرٌ من الجمال، وليس من شيء ما آخر.

الغريب: وبعدُ أخبرني شيئاً آخر.

ثياتيتوس: ماذا؟

الغريب: أيكون اللاّجمال أيّ شيء إلاّ هذا: وجودٌ فُصِلَ عن نوعٍ محدَّد للوجود، ومرّة ثانية، مضادٌ لشيء ما موجود من وجهة نظر أخرى؟

ثياتيتوس: حقّاً.

الغريب: لقد ثبت في النهاية أنّ اللاّجمال يكون مثلاً مضادَّة الوجود للوجود إذن؟

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: لكنّ الجمال يكون أكثر وجوداً في الحقيقي واللاّجمال أقلّ وجوداً في الحقيقة، طبقاً لهذه النظريّة؟

ثياتيتوس: ليس ذلك مطلقاً.

الغريب: ويمكن أن يقال أنّ اللاكبير يوجد بشكلٍ متساوٍ مع الكبير؟

ثياتيتوس: بالتساوي.

الغريب: ويجب أن يوضع العادل بالطريقة عينها، في الرّتبة ذاتها مع اللاعادل ـ لا يمكن أن يقال إنّ الواحد لديه أيّ وجود أكثر من الغير.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: يمكن أن يقال الشيء عينه عن الأشياء الأخرى؛ مشاهدين أنّ الطبيعة للغير تمتلك وجوداً حقيقياً، يجب أن نفترض أنّ الأجزاء لهذه الطبيعة توجد بشكل متساوٍ.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: كما سيبدو آنئذ، فإنّ مضادّة جزء من الغير، وجزء من الوجود بعضهما لبعض، يكون كما بالحقيقة كالوجود نفسه، إذا أمكنني أن أجازف لأقول ذلك، ولا يعني ضمناً مضادة للوجود، بل ما يكون غيراً من الوجود فقط.

ثياتيتوس: ما وراء السؤال

الغريب: ماذا سنسمّيه إذن؟

ثياتيتوس: اللاّوجود، بوضوح؛ وهذه هي الطبيعة التي أجبرنا السوفسطائي أن نبحث عنها بالتحديد.

الغريب: أولم يكن لدى هذا، كما كنت قائلاً، وجوداً حقيقياً كأيّ نوع آخر؟ ألا يمكنني أن أقول إنّ اللاوجود لديه وجود مؤكّد بكلّ ثقة، ولديه طبيعة خاصّة به؟ تماماً كما قد وُجِد الكبير كبيراً والجميل جميلاً، واللاكبير لا كبيراً، واللاّجميل لا جميلاً، وقد وُجد اللاّوجود ليكون ويكون لا وجوداً،

وإنّه ليظن أنّه واحد بين الأنواع العديدة للوجود. أما زلت تشعر، يا ثياتيتوس، بأيّ شيء من هذا؟

ثياتيتوس: لا أشعر بشيء مهما كان.

الغريب: هل تلاحظ أنّ شكّك قد حملنا ما وراء نطاق تعريف بارمينذس؟

ثياتيتوس: في ماذا؟

الغريب: لقد تقدّمنا إلى نقطة رئيسيّة أبعد، وأريناه أكثر مِنَ الذي منعنا البحث فيه.

ثياتيتوس: كيف يكون ذلك؟

الغريب: لماذا، لأنّه يقول ـ

لن يُبرهن على الإطلاق أنّ اللاوجود يكون، واحتفظ أنت بأفكارك بشأن طريقة البحث هذا.

ثياتيتوس: نعم، هو يقول كذلك.

الغريب: في حين أنّنا لم نبرهن فقط أنّ الأشياء التي لا تكون تكون، بل قد رأينا أيّ شكل للوجود يكون الوجود؛ لأنّنا قد أبنّا أنّ طبيعة الغير موجودة، وأنّها موزعة فوق كل الأشياء فيما يتعلّق ببعضها البعض؛ ومهما يكن جزء الغير فإنه مضادّ للوجود. إنّ هذا هو بالضبط ما قد جازفنا بتسميته اللاوجود.

ثياتيتوس: وإننا لمحقّون تماماً بالتأكيد، أيّها الغريب.

الغريب: لا تدع أي شخص يقول إذن، إنّ اللاوجود، الذي جازفنا لنؤكد وجوده الحقيقي، أنّه يكون مضاداً للوجود. لأنّه مثل ما إذا وُجد تضاد للوجود، فلقد قلنا وداعاً لذلك التّساؤل منذ زمن ـ يمكنه أو لا يمكنه أن يكون، أو يمكنه أو لا يمكنه أن يكون قادراً على أن يُعرّف. لكن فيما يتعلق بحسابنا الحاضر عن اللاوجود، دع انساناً يقنعنا بالخطأ، وإذا لم يستطع، فيجب عليه أن يقول أيضاً كما كنا قائلين، أنّ هناك مشاركة للأنواع، وأنّ الوجود، والفرق أو الغير، يعبر ويخترق كلّ الأشياء بشكل متبادل. هكذا كي يشارك

الغير في الوجود، وبسبب هذه المشاركة فهي تكون، ومع ذلك فهي لا تكون في ذلك الذي تشارك، بل غيراً، وإذا كانت غيراً من الوجود، فإنّه لمن الضرورة أنّها ستكون لا وجوداً بوضوح. ويصبح الوجود، مرّة ثانية، من خلال مشاركته في الغير، يصبح نوعاً غيراً من الأنواع الباقية، وكونه غيراً منها جميعاً، لا يكون كلّ واحد منها، ولا يكون كل الباقي. هكذا فإنّه يوجد آلافٌ فوق آلافٍ من الحالات التي لا يكون الوجود فيها بدون شك، وتكون كلّ الأشياء الأخرى، سواءٌ اعتُبِرت منفردة أو مجتمعة، تكون في عدة أوجه، ولا تكون في أوجه متعددة.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: وإذا كان إنساناً شاكّاً في هذا التناقض، يجب أن يفكّر كيف يستطيع أن يجد شيئاً ما أفضل ليقول؛ وإذا ابتهج هو في تحريف محاورة بادىء ذي بدء في جهة واحدة وفي أخرى حينئذ، كمخترع حيلة صعبة، فإنّه لا يكون مؤدّياً استعمالاً ذا قيمة لقواه العقليّة، هكذا سنخبره؛ لأنّ الحيلة ليست ساذجة تماماً وليست صعبة جداً لأن تُكتشف؛ لكنّنا نستطيع أن نخبره عن شيء آخر ما، عن السعي الذي يكون نبيلاً وصعباً أيضاً.

ثياتيتوس: ماذا يكون هذا؟

الغريب: الشيء الذي قد تكلمت عنه سابقاً، ـ أن يَدَعَ هذه الألغاز وشأنها لأنّها لا تتضمّن أيّة صعوبة. يجب أن يكون قادراً أن يتبع وينتقد كل محاورة بالتفصيل. وعندما يقول إنسان إنّ الشيء عينه يكون غيراً في أسلوب ما، أو أن الغير يكون الشيء عينه، عليه أن يفهمه وينقضه من وجهة نظره الخاصة، وفي وجهة النظر عينها التي يؤكّد فيها كلاً من تلك الخاصيّات. لكن ليُري أنّ الشيء عينه يكون غيراً بطريقة ما وفي معنى ما، أو أنّ الغير الشيء عينه، أو الكبير صغيراً، أو الشبيه لا شبيهاً؛ وأن يبتهج في إحضار هكذا تناقضات

مقدَّماً على الدوام، ليس نقضاً حقيقياً، بل الطفل الذي وُلِد جديداً لشخصٍ ما، يكون مبتدئاً ليقترب من مسألة الوجود فقط.

ثياتيتوس: لتكن متأكداً.

الغريب: إنّ محاولة فصل كلّ الموجودات بعضها عن بعض هي، يا صديقي، محاولة بربريّة وغير جديرة بعقل فلسفي ومتعلّم على الإطلاق..

ثياتيتوس: لماذا هكذا؟

الغريب: إنّ المحاولة في الانفصال الشامل هي الإبطال النّهائي لكل الاستنتاجات المنطقية؛ لأنّنا نستطيع أن نصل إلى البحث العقلاني باتحاد المدارك بعضها ببعض فقط.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ولاحظ أنّنا كنا مجاهدين تماماً في خلق مقاومة لهكذا انفصاليين في الوقت المناسب وأجبرناهم أن يعترفوا أنّ شيئاً واحداً يمتزج بالآخر.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

الغريب: لماذا، ليتسنّى لنا أن نؤكّد أنّ المحادثة هي نوع من أنواع الوجود؛ لأنّنا إذا لم نتمكن، فستتبع كل العواقب الأسوأ؛ إنّه لن يكون لدينا فلسفة. فضلاً عن ذلك، فإنّ ضرورة تقرير طبيعة المحادثة تضغط علينا في هذه اللحظة؛ لأنّنا إذا تجرّدنا منها بشكل كلي، لا نستطيع أن نجري محادثة بعد الآن؛ وسنكون مجرّدين منها إذا اعترفنا بذلك أنّه لم يوجد أيّ امتزاج للطبائع على الإطلاق.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً. غير أنّني لا أفهم لماذا يجبُ أن نقرّر طبيعة المحادثة في هذه اللحظة.

الغريب: لربّما سترى بوضوح أكثر بمساعدة التفسيرات التالية.

ثياتيتوس: أيّة تفسيرات؟

الغريب: قد اعترفنا أنّ الوجود يكون واحداً بين الأنواع العديدة منتشراً فوق الوجود ككلّ.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وينشأ من ثمّ السؤال، إن كان اللاّوجود يمتزج مع الرأي واللغة.

ثياتيتوس: كيف هكذا؟

الغريب: إذا لم يمتلك اللاوجود جزءاً من الفرضية، يجب أن تكون الأشياء كلّها حقيقة حينئذ؛ لكن إذا امتلك اللاوجود جزءاً، فسيكون محتملاً وجود الرأي الباطل والكلام الباطل آنئذ، لأنّك لتفكر ولتقول ما لا يكون ـ يكون باطلاً، الذي ينشأ هكذا في منطقة الأفكار والكلام.

ثياتيتوس: إنّ ذلك حقيقي تماماً.

الغريب: وحيث يوجد الباطل يجب أن يكون الخداع بالتأكيد.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وإذا وُجِد الرياء، يجب أن تكون كل الأشياء ممتلئة أشباحاً وصوراً وأوهاماً آنئذ.

ثياتيتوس: لتكن متأكداً.

الغريب: لقد هرب السوفسطائي إلى تلك المنطقة، كما قلنا، وعندما وصل إلى هناك، كذّب الاحتمال المحدَّد للباطل. إنّه حاور، أن لا أحد تصوَّر أن نطق باطلاً؛ بقدر ما لم يشترك اللاّوجود في الوجود.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: وبعدُ، قد ثَبَتَ أنّ اللّاوجود يشترك في الوجود، ولذلك فهو يقدر بالكاد أن يواصل الحرب بهذه الطريقة، لكنّه ربما سيقول إنّ أشكالاً ما تشترك في اللاوجود، وبعضها لا يشترك، وإن اللغة والرأي هما من الطبقة اللّامشاركة. وسيبقى يحارب حتى الموت ضدّ بقاء صانع الصور والفنّ الشبحيّ، الذي

قد وضعناه فيه، لأنّه كما يقول، يكون هكذا شيئاً كالباطل. وبقصد مواجهة هذه المراوغة يجب أن نبدأ التحقيق في طبيعة اللغة، الرّأي، والتصوّرات، كي يمكننا أن نراقب مشاركتها مع اللاوجود. وعندما نجدها، وعند عملنا هذا، يمكن أن نبرهن هكذا أنّ الباطل يوجد؛ وسنسجن السوفسطائي في ذلك المكان، إذا استحق ذلك. وإن لم يستحقّ، سندعه يذهب مرّة ثانية ونبحث عنه في طبقة أخرى.

ثياتيتوس: بالتأكيد، أيّها الغريب، يظهر وجود حقيقة فيما قيل عن السوفسطائي في البداية. إنّه كان من نوع ليس سهل الالتقاط، لأنّه يبدو أنّ لديه دفاعات متعدّدة، رمى بها نفسه، والتي يجب اقتحام كلٍّ منها قبل أن نصل إلى الرجل نفسه. وحتى الآن فلقد اخترقنا بصعوبة دفاعه الأول وهو اللّاوجود للّلاوجود، وآنظر! هنا دفاع آخر؛ إنّ علينا أن نبقى صامدين كي نبيِّن أنّ الباطل يوجد في مجال اللغة والرأي، وسيكون هناك خطٌّ دفاع آخر وآخر بدون نهاية.

الغريب: أيُّ شخص، يا ثياتيتوس، يقدر أن يتقدّم حتى قليلاً عليه أن يبتهج تماماً، فماذا سيفعل الذي يتشاءم من تقدُّم طفيف، إذا لم ينجز أيّ شيء على الإطلاق، أو حتى إذا خاب في جهده؟ لن يفتتح مدينة قلبٍ كسيرٍ كهذا، كما يقول المثل. لكن بما أنّنا قد نجحنا الآن في النقطة الرئيسيّة التي ذكرت، فالإكمال الأكثر هولاً قد اتُّخِذَ، والباقي هو الأسهل والأبسط.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: دعنا قبل كل شيء إذن، كما كنت قائلاً، نحصل على تصوُّر للُّغة والرأي، كي يمكن أن يكون لدينا أسسٌ أوضح بشأن ما إذا كان لدى اللّاوجود أيّ اهتمام بهما، أو إذا ما كان كلاهما حقيقياً على الدوام، وليس باطلاً قط.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: دعنا نتكلّم عن الأسماء الآن إذن، كما تكلّمنا قبلاً عن الأشكال والحروف، لأنّ تلك هي الجهة التي يمكن أن نتوقّع الجواب فيها.

ثياتيتوس: وما هو السؤال قيد النقاش بشأن الأسماء؟

الغريب: أفهم منك الكلمات التي لها معنى يمكن أن تكون متصلة عندما تكون في تسلسل. غير أنّ الكلمات التي لا تمتلك معنى عندما تكون في تسلسل لا يمكن أن تكون متصلة.

ثياتيتوس: ما أنت قائل؟

الغريب: إنّ ذلك ما فكرت أنّك تقصده عندما أعطيت موافقتك؛ لأنّ هناك نوعين من الخصوصيات للوجود معطىً بالصوت.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: واحد منها يدعى أسماء، والآخر أفعالاً.

ثياتيتوس: صفهما.

الغريب: يسمى فعلاً ذلك الذي يدل على عمل.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: والآخر، الذي يكون إشارة واضحة وُضعت على أولئك الذين يفعلون الفعل، نسميه إسماً.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: حينئذ لا يستطيع تعاقب الأسماء بمفردها أن يشكل جملة أبداً؛ ولا يقدر تعاقب الأفعال بدون أسماء كذلك.

ثياتيتوس: إنّني لا أفهمك.

الغريب: أرى أنّك عندما أعطيت موافقتك أنّه كان لديك شيء ما آخر في عقلك. لكن ما قصدت قوله هو أن مجرّد توالي الأسماء أو الأفعال ليس محادثة.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: أعني أنّ الكلمات مثل (يمشي)، (يركض)، (ينام) أو أيّة كلمات أخرى تدل على عمل، مهما حبكت منها معاً، لا تخلق محادثة.

ثياتيتوس: كيف يمكنها؟

الغريب: أو عندما تقول مرّة ثانية (أسد)، (أيّل)، (حصان)، أو أيّة كلمات أخرى تشير إلى أدوات، ولا تقدر أن تصل إلى المحادثة بهذه الطريقة لحبك الكلمات معاً. إنّ الأصوات لا تبلّغ عن تعبير للعمل أو البطالة، أو لوجود أيّ شيء يكون أو لا يكون، حتى تمتزج الأفعال بالأسماء؛ عندئذ تتطابق الكلمات، وتشكل جملة أصغر مجموعة منها، والجمل الأصغر والأقلّ تُشكّل محادثة.

ثياتيتوس: إنّني أسألك مرّة ثانية، ماذا تعني؟

الغريب: عندما يقول أيّ شخص « يتعلم الإنسان »، ألن تسمي هذه الجملة الأبسط والأقل؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: نعم، لأنّه وصل الآن إلى مرحلة إعطاء تصريح عن شيء ما هو الذي يكون، أو يصير، أو قد أصبح، أو سيغدون. وهو لا يسمّي فحسب، بل ينجز شيئاً ما بوصل الأسماء والأفعال؛ ولذلك نحن نقول إنّه يتحدّث؛ ونعطي إسم محادثة (أو جملة) لربط الكلمات هذا.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: في الختام إذن، كما ظهر، هناك أشياء ما يطابق بعضها بعضاً، وأشياء أخرى ليس كذلك. هكذا توجد إشارات صوتية تتحد وتشكل حديثاً، وأخرى لا تفعل.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: هناك مسألة صغيرة أخرى.

ثياتيتوس: ما هي؟

الغريب: يجب أن تمتلك كل جملة ولا تستطيع إلاّ أن تمتلك موضوعاً(١٤).

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ويجب أن تكون من نوعيّة محددة، في تلك الحالة.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: ودعنا نتبصّر فيما نحن بشأنه الآن.

ثياتيتوس: يجب أن نفعل كذلك.

الغريب: إنّني سأردّد جملة لك هي التي يكون الشيء والعمل فيها مجتمعَين، بمساعدة الإسم والفعل؛ وستخبرني أنت عمّن تتكلم الجملة.

ثياتيتوس: سأفعل، إلى أقصى قوّتي.

الغريب: [يجلس ثياتيتوس] - إنها ليست جملة طويلة.

ثياتيتوس: ليست تماماً.

الغريب: عمّن تتكلّم الجملة، ومن هو الفاعل؟ ذلك ما عليك أن تخبره.

ثياتيتوس: تتكلّم عنّي؛ إنني أنا الفاعل.

الغريب: أو هذه الجملة، ثانية -

ثياتيتوس: أيّة جملة؟

الغريب: [ثياتيتوس] الذي أتكلم معه الآن، يكون طائراً.

ثياتيتوس: إنّها جملة أيضاً تلك التي سيعترف كل شخص بها أنّها تتكلم عنّي، وتنطبق عليّ.

الغريب: اتفقنا نحن على أنّ كل جملة يجب أن تمتلك نوعية محددة بالضرورة.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب؛ وما هي النوعية لكلّ من هاتين الجملتين؟

ثياتيتوس: إحداهما باطلة، كما أتصور، والأخرى حقيقية.

الغريب: تقول الحقيقة عنك تلك التي تكون، وكما تكون؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وتقول الباطلة ما هو غيرٌ من الحقيقة؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وتتكلّم لذلك عن أشياء لا تكون، كما لو كانت؟

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: وتقول إنّ الأشياء تكون حقيقة عنك بينما هي لا تكون؛ إذ، كما قلنا، هناك الكثير الذي يكون والكثير الذي لا يكون فيما يتعلق بكلّ شيء أو شخص.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: الجملة الثانية من الجملتين التي انتسبت لك كانت مثلاً للشّكل الأقصر متماسكة مع تعريفنا قبل كلّ شيء.

ثياتيتوس: نعم، كان هذا متضمناً في اعترافنا الحديث.

الغريب: ولقد انتسبت إلى فاعل، في المقام الثاني.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: الذي يجب أن يكون أنت، ولا يقدر أن يكون أيٌّ شخص آخر.

ثياتيتوس: بدون سؤال.

الغريب: ولن تكون جملة على الإطلاق إذا لم يكن هناك فاعل، لأنّنا كما برهنّا، الجملة التي لا تمتلك فاعلاً هي جملة مستحيلة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: هكذا فإنه عندما يكون التباين مؤكّداً كالشيء نفسه، في تقرير ما يخصك، ويكون اللاّوجود، تبدو تركيبة كهذه للأسماء والأفعال أنّها محادثة زائفة بحقّ وصدق بالضبط.

ثياتيتوس: الأكثر صدقاً.

الغريب: ولذلك، فالفكر، والرأي، والتصوّر، قد بُرهنت أنّها توجد كلها الآن في عقولنا كحقيقة وكباطل معاً.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

الغريب: إنّك ستعرف أفضل إذا اكتسبت معرفة عمّا تكون بادىء ذي بدء، وفيما يختلف بعضها عن بعض على التوالي.

ثياتيتوس: اعطني المعرفة التي سترغب منّي أن اكتسب.

الغريب: أليس الفكر والكلام هو الشيء عينه، مع هذا الاستثناء، وهو أنّ الذي يدعى فكراً يكون المحادثة غير المنطوقة للروح مع نفسها.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: غير أنّ جدول الفكر الذي ينساب خلال الشفتين ويُسمع يدعى كلاماً؟

ثياتيتوس: حقّاً.

الغريب: ونعرف نحن أنّه يبقى هناك في الكلام -

ثياتيتوس: ماذا يبقى؟

الغريب: الإثبات والنفي.

ثياتيتوس: نعم، نحن نعرفهما.

الغريب: عندما تأخذ هذه مكاناً في الصّمت وفي العقل فقط، فهل لديك أي إسم آخر لتدعوها به سوى رأي؟

ثياتيتوس: لا يمكن أن يوجد إسم آخر.

الغريب: وعندما يكون الرأي موجوداً، ليس ببساطة، بل بمساعدة الإدراك الحسّي، أيقدر أيّ شخص أن يدعو هذا بأيّ إسم آخر إلا التخيّل؟

ثياتيتوس: لا.

الغريب: مشاهدين أنّ اللغة تكون حقيقية وزائفة، وأنّ الفكر قد أُظهِرَ أنّه محادثة

الروح مع نفسها، والرأي نهاية التفكير، والتخيّل أو الوهم وحدة الحسّ والرأي، فالإستنتاج -هو أن شيئاً منها سيمتلك عنصراً للزّيف كما للحقيقة، بما أنّها مجانسة للُغة؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: هل وعيت عندئذ، أنّ الرأي والكلام الباطل قد اكتُشِفا أقرب ممّا توقّعنا؟ فنحن قد ظهرنا لحد الآن أنّنا قد شرَعنا في عمل شاقّ لن يُنجز أبداً.

ثياتيتوس: إنّني أعي ذلك.

الغريب: دعنا لا نتشجع بشأن المستقبل إذن؛ لكن بما أنّنا قد أتممنا هذا الاكتشاف، إسمح لنا أن نعود إلى الوراء إلى تصنيفنا السّابق.

ثياتيتوس: أي تصنيف؟

الغريب: لقد قسمنا صناعة الصور إلى نوعين؛ أحدهما صناعة الشَبَه، والآخر التخيّليّ أو الوهمي.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وقلنا إنّنا كنّا غير متأكّدين في أيّ مكان سنضع السوفسطائي.

ثياتيتوس: قلنا هكذا.

الغريب: ولقد ابتدأت رؤوسنا بالدوران أكثر وأكثر عندما كان مؤكّداً أنّه لا يوجد هكذا شيء كصورة أو شبح أو مظهر، لأنّه لا يمكن أن يكون هكذا شيء كالباطل لا في الأسلوب ولا الوقت ولا المكان.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: لكن بما أنه قد أُبين الآن أنّ الكلام الباطل والرأي الباطل يكونان، لربّما يوجد تقليد للموجودات الحقيقية، ويمكن أن ينشأ فنّ الخداع عن حالة العقل هذه.

ثياتيتوس: محتمل تماماً.

الغريب: ولقد اعترفنا قبل الآن، في ما تقدّم، أنّ السوفسطائي كان مندساً في واحدة من تقسيمات فنّ صناعة الشبه؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: دعنا نجدد المحاولة إذن، ونأخذ الجزء الأيمن دائماً في تقسيم أيّ نوع، قابضين بشدّة على الذي يقتنيه السوفسطائي، حتّى نجرّده من كلّ ممتلكاته العامة، ونصل لصفته المميّزة أو ما يخصه، يمكننا حينئذ أن نقدّمه في طبيعته الحقيقيّة، لأنفسنا أوّلاً، وإلى الأنفس الجدليّة الشقيقة بعدئذ.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: يمكنك أن تتذكّر أننا قسّمنا كل الفنون في الأصل إلى إبداعيّة وإكتسابيّة.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ولقد وضعنا السوفسطائي في الصنف الاكتسابي، في التقسيمات الجزئية الصغيرة للصيد، المباراة، التجارة، وما شابه.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

الغريب: لكن الآن فإنّ الفنّ التقليديّ قد طوّقه، وواضح لذلك أنّنا يجب أن نبدأ بتقسيم الفنّ الإبداعي؛ لأنّ التقليد هو نوع من إبداع الصوّر كما نؤكّد من ناحية ثانية، وليس للأشياء الحقيقية.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: هناك نوعان للإبداع في المكان الأوّل.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: أحدهما إلهيّ والآخر إنسانيّ.

ثياتيتوس: إنني أتابعك.

الغريب: كل قوّة كانت بسبب وجود الأشياء، ولم تكن موجودة سابقاً، عرّفناها أنّها إبداعيّة، كما يمكنك أن تتذكّر قولنا في الأصل.

ثياتيتوس: إنّني أتذكّر.

الغريب: ناظرين الآن في العالم وكلّ الحيوان والنبات، في الأشياء، التي تنمو على الأرض من البذور والجذور، كما في المواد الأساسيّة التي تشكّل في باطن الأرض المذاب منها والذي لا يذوب، هل سنقول إنّها تأتي إلى الوجود ـ ولم تكن موجودة من قبل ـ بإبداع، أو سنتفق مع الرأي المبتذل عنها؟

ثياتيتوس: ما هو الرّأي؟

الغريب: الرأي القائل إنّ الطبيعة تحضرها إلى الوجود من علّة تلقائية ما وغير عاقلة، أو سنقول إنّها مبدَعة بسبب إلٰهي ومعرفة تأتي من الله؟

ثياتيتوس: إنّني، لربّما بداعي صباي، غالباً ما أتذبذب في وجهة نظري، لكنني عندما أنظر إليك الآن وأرى أنّك تميل إلى إرجاعها لله، فإنني أنزل عند سلطتك.

الغريب: قول نبيل، يا ثياتيتوس، وإذا فكرت أنّك كنت واحداً من أولئك الذين سيغيرون رأيهم بعدئذ، سأتحاور معك بلطف، وأجبرك أن توافق؛ لكنّني كما أتصور فإنّك ستأتي بنفسك وبدون أيّة محاورة مني، لذلك الاعتقاد الذي يجذبك كما تقول، إنّني لن أحبط عمل الوقت. دعني أفترض إذن، أنّ الأشياء التي قيل أنها مصنوعة بالطبيعة هي عمل الفنّ الألهيّ، وأنّ كلّ الأشياء التي يركّبها الإنسان من هذه هي عمل الفنّ الإنساني. وهكذا يوجد نوعان للصّنع والإنتاج، أحدهما إلهي والآخر إنساني.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: قسّم الآن القسمين اللذين نمتلكهما من قبلُ إلى أجزاء صغيرة إذن.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: أعني أنّك يجب أن تصنع قسمة عمودية للإنتاج أو الإبتكار، كما قد صنعت واحدة جانبية سابقاً.

ثياتيتوس: إنّني فعلت كذلك.

الغريب: هناك الآن أربع قطع في الكل إذن: إثنتان منها تشيران لنا وهما إنسانيّتان واثنتان لهما إشارة إلى الآلهة وهما إلهيّتان.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ومرّة ثانية، ففي القسمة التي كانت مفترضة أنّها صُنعت بالطريقة الأخرى، يكون جزء واحدٌ في كلّ قسمة صغيرة مقسماً إلى أجزاء، هو صناعة الأشياء نفسها. غير أنّ الجزأين الإثنين الباقيين يمكن تسميتهما صناعة الصور بدقّة أكثر؛ وهكذا يكون الفنّ الإنتاجي مقسماً إلى جزأين صغيرين مرة ثانية.

ثياتيتوس: أخبرني عن التقسيم مرّة ثانية.

الغريب: إفترض أنّنا نحن، والحيوانات الأخرى، والعناصر التي تُصنع الأشياء منها ـ النار، الماء، وما شابه ـ إفترض أنّنا نعرفها وأنّ كلاً منها وكلها تكون إبداع الله وعمله.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ويوجد صورة لها، ليست هي، بل تماثلها؛ وتكون تلك إبداع مهارة رائعة أيضاً.

ثياتيتوس: ما هي؟

الغريب: المظاهر التي تنشأ عن نفسها في النوم أو في وضع النهار، كالخيال عندما يرتفع الظلام في النار، أو الانعكاس الذي ينشأ عندما يتقابل الضوء في الأهداف الساطعة والناعمة مع ضوءٍ آخر على سطحها الخارجي، ويخلق إدراكاً حسّياً مضاداً لبصرنا العادي.

ثياتيتوس: نعم؛ هذه حقيقة وهي أن هناك هذين الإنتاجين للفنّ الإلٰهي، الهدف والصور المتماثلة.

الغريب: وماذا سنقول عن الفنّ الإنساني؟ ألا نصنع بيتاً واحداً بفن البناء، وآخر بفنّ

الرسم، الذي هو نوع من الحلم أبدعه الإنسان لأولئك الذين هم مستيقظون؟

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: ونتاج آخر للإبداع الإنساني هو ثنائي ويفضي إلى زوجين؛ يوجد الشيء « الذي يختصّ به فنّ صناعة الشيء » والصورة « التي يختصّ التقليد بها ».

ثياتيتوس: إنّني بدأت أفهم الآن، وأنا على استعداد لأعترف أنّ هناك نوعين للإنتاج، وكلاهما ثنائيّ؛ يوجد في القسمة الجانبيّة إنتاج إلهي وإنساني؛ ويوجد في القسمة العموديّة حقائق وإبداع لنوع التشابهات.

الغريب: ودعنا نستعيد إلى الذاكرة أنّ نوع صناعة الصور قد كان جُزْأَها الواحد صناعة التشابه، والآخر الشّبح، إذا أمكن أنّ الزيف يخصّ النوع الحقيقي للوجود بصدق.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وتظهر هذه أنّها الحالة؛ ولذلك سنرقّم الآن النوعين كإثنين، بدون تردّد.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: دعنا الآن نتقدم لنقسّم الشبحي إلى قسمين اثنين حينئذ.

ثياتيتوس: أين سنصنع القسمة؟

الغريب: هناك نوع واحد يُنتج بالأداة، وآخر تكون فيه الأداة خالقة المظاهر نفسها.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: عندما يجعل أيّ شخص شكله أو صوته شبيهاً بشكلك أو صوتك، باستعمال جسده الخاص، يكون التقليد هو الإسم المألوف لهذا الجزء من الفنّ الشبحي.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: دع هذا أنْ يُسَمّى فن التمثيل بالإيماء حينئذ، وأن تُخصَّص له هذه المقاطعة؛ أمّا بالنسبة للتقسيم الآخر فنحن متعبون وسنتخلّى عن ذلك، تاركين مسؤولية إنتاج النوع وإعطاءه إسماً مناسباً لشخص آخر ما.

ثياتيتوس: دعنا نفعل ما تقول: نخصص مجالاً للواحد ونترك الآخر.

الغريب: هناك تمييز أبعد، يا ثياتيتوس، يستحقّ أن نتأمّله مليّاً، وسأخبرك عن سبب ذلك.

ثياتيتوس: دعني أسمع.

الغريب: هناك بعضٌ ممن يقلِّد، عارفاً ما يقلد، وبعض ممّن لا يعرف. وأيّ حظّ من التمييز يمكن أن يكون أعظم من ذلك الذي يفرّق الجهل عن المعرفة بأيّة حال؟

ثياتيتوس: لا يمكن أن يوجد أعظم من ذلك.

الغريب: ألم يكن نوع التقليد الذي تكلّمنا عنه لتوّنا تقليد أولئك الذين يعرفون؟ لأن من سيقلدك سيعرفكَ ويعرف شكلك بالتأكيد.

ثياتيتوس: بالطبع.

الغريب: وماذا ستقول عن شكل أو هيئة العدل والفضيلة بشكل عام؟ ألسنا ندرك نحن تماماً أنّ العديد، غير مالكين معرفة بكليهما، بل نوعاً من الرأي فقط، يحاولون بجد ليجعلوها تظهر أنّ لديهم ذلك الشيء الذي حوله يُمسكون بالرأي هذا، ويعبِّرون عنه بتعصّبٍ قدر ما يستطيعون في القول وفي العمل؟

ثياتيتوس: نعم، إنّ ذلك لشائع تماماً.

الغريب: وهل يخفقون في محاولتهم بشكل دائم ليُظَنُّوا أنهم عادلون، عندما لا يكونون؟ أو أليست الحقيقة عكس ذلك بالتحديد.

ثياتيتوس: العكس بالتحديد.

الغريب: سيُوصف كمقلّد هكذا واحد عندئذ ـ كي يميّز عن الآخر، مثل الجاهل الذي يميَّز عنه الذي يعرف؟

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: أنستطيع أن نجد إسماً ملائماً لكلٍّ منهم؟ إن هذا ليس عملاً سهلاً بوضوح؛ لأنّ الظاهر أنّه كان يوجد بعض الكسل واضطراب الفكر بين

الغابرين، وهذا منعهم حتى من صنع المحاولة لأن يقسّموا الأنواع إلى أجناس. لهذا السبب لا توجد وفرة كبرى للأسماء. سأكون جريئاً مع ذلك، إكراماً للتمييز، لأسمّي التقليد الذي يترافق بالرأي - تقليد المظهر، وذلك الذي يترافق بالمعرفة، نوعاً « تأريخياً » للتقليد.

ثياتيتوس: مُنِح ذلك.

الغريب: إنّ السابقة هي موضوع اهتمامنا الحاضر، فالسوفسطائي صُنِّف مع التقليد حقاً، لكن ليس بين أولئك الذين يمتلكون المعرفة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: دعنا نتفحص مقلّدنا للمظاهر بعدئذ، ونرى ما إذا كان سليماً، مثل قطعة من حديد، أو أنّ شرخاً ما ما يزال فيه.

ثياتيتوس: دعنا نتفحّصه.

الغريب: هناك شرخ جدير بالاعتبار تماماً بحقّ؛ لأنّك إذا نظرت، ستجد أنّ واحداً من النوعين الإثنين للمقلدين هو مخلوق بسيط، يظن أنّه يعرف ذلك الذي يتوهّمه فقط؛ النوع الآخر قد تجوّل بين المحاورات حتى يشكّ ويُخشى أنّه يكون جاهلاً بذلك الذي يتظاهر للآخرين أنّه يعرف.

ثياتيتوس: هناك النوعان الإثنان اللذان تصف بالتأكيد.

الغريب: هل سنعتبر الأول كالمقلد البسيط، والآخر كالمقلد الساخر أو المستتر؟

ثياتيتوس: مناسب تماماً.

الغريب: وهل سنتكلم عن هذا النوع الأخير كأنّ لديه قسمةً أو قسمتين؟

ثياتيتوس: أجب بنفسك.

الغريب: بناء على التأمّل المليّ إذن، يظهر لي أنّه يوجد نوعان اثنان؛ يوجد النوع المستتر الذي يخاطب جمهوراً علانية في حديث طويل، والمستتر الذي يجبر الشخص الذي يتحادث معه أن يناقض نفسه في محادثات قصيرة.

ثياتيتوس: إنّ ما تقوله هو الأكثر حقيقة.

الغريب: وأيُّ مكان ستخصص لصانع الأحاديث الأطول؟ أهو رجل الدولة أو الخطيب الشعبي؟

ثياتيتوس: الأخير.

الغريب: وماذا سنسمّي الآخر؟ أهو الفيلسوف أو السوفسطائي؟

ثياتيتوس: لا يمكن أن يكون الفيلسوف، لأنّه يكون جاهلاً بناءً على وجهة نظرنا؛ لكن بما أنّه يقلد العاقل فسيمتلك إسماً يُشكّلُ بتعديل لكلمة فماذا سنسمّيه؟ إنّني متأكد تماماً أنّني لا أستطيع أن أكون مخطئاً في تسمية السوفسطائي الحقيقي للغاية.

الغريب: هل سنقيّد إسمه كما فعلنا سابقاً، صانعين سلسلة من طرف سلالته الواحدة إلى الأخرى؟

ثياتيتوس: مهما كلّف الأمر.

الغريب: هو، إذن، من يتعقّب سلسلة النّسب لفنّه كما يلي: إنه مُسبِّب مناقضة نفسه، مقلد مظاهر، ومفصول من نوع الفنّ الشبحي الذي هو فرع من صناعة الصور في تلك القسمة الأبعد للإبداع، إنّه التلاعب بالكلمات بغرض الخديعة، إبداع إنسانيّ، وليس إلهياً - أيّ شخص سيؤكّد أنّ السوفسطائي هو من هذا الدم وهذا النسب فهي الحقيقة بالتحديد.

ثياتيتوس: بدون شك.

محاورة جورجياس

علم الكلام

أفكار المحاورة الرئيسيَّة

يفتتح كاليكلس، السوفسطائي، المحاورة بتقديم مثل بديع، وهو أنّ على الإنسان العاقلِ أن يأتي متأخراً إلى العراك وليس إلى الوليمة. ويسأله سقراط، المحاور الرئيسي هنا، إذا كان قد تأخر بالمجيء إلى الوليمة، ويردّ عليه كاليكلس بتأكيد ذلك، وأنّ جورجياس، عالم الكلام، قد عرض لنا العديد من الأشياء الفاخرة والتي لم يسمعها سقراط. ولا ضير في انتهاء ذلك، يا سقراط، فجورجياس هو صديق لي، وسأجعله يقدّم لك عرضاً آخر، إمّا اليوم، أو إذا آثرت ففي وقت آخر.

ويلتقي سقراط، جورجياس، بولس، كاليكلس، وتشايرافون في بيت كاليكلس. ويسأل سقراط، من هو جورجياس، وما هي طبيعة فنّه؟ ويجيبه كاليكلس، لا شيء يمنع يا سقراط من سؤاله بنفسك، وجورجياس سيجيبك بالتأكيد. يسأل تشايرافون بولس، باديء ذي بدء، من هو جورجياس؟ وما ينبغي أن نسمّيه؟ وما هو الفنّ الذي يمتلكه؟ يجيبه بولس، هناك عدة فنون بين بني البشر وهي فنون تجريبيّة، ولها أصلها في الخبرة، فالخبرة تجعل أيّام الرجال تتقدم في مطابقة للفنّ، وعدم الخبرة في مطابقة للصدفة، ويلجأ الأشخاص المتباينون أنفسهم لمختلف الفنون بطرق متفاوتة، والأشخاص الأفضل للفنون الأفضل، أمّا صديقنا جورجياس فهو واحد من أفضل الأشخاص، وفنّه أنبل الفنون.

يعقّب سقراط قائلاً، إنّ بولس قد تعلّم كيف يخرج الحديث الممتاز، غير أنّه لم يفِ بالوعد الذي قطعه لتشايرافون، وبذلك لم يُجب تماماً على سؤال

تشايرافون. ويقول جورجياس لسقراط، لماذا لا تسأله بنفسك، يا سقراط؟ سأفعل يا جورجياس، لكنّني أرى من الكلمات القليلة التي تفوّه بها بولس، أنه اعتنى أكثر بالفنّ الذي يسمّى علم الكلام من عنايته بعلم المنطق، وسبب ذلك أنّ بولس أثنى على جورجياس كأنَّ شخصاً وجد فيه عيباً، لكنّه لم يقل أبداً ما هو فن جورجياس. وبعد أن يسأل سقراط جورجياس ما هو الفنّ الذي يختصّ به، يجيب جورجياس. أنّ فنه هو علم الكلام وأنّه يفخر به جداً. وهل تستطيع أن تجعل الرجال الآخرين علماء كلام؟ نعم، بكلّ تأكيد، يا سقراط. وبماذا يختصّ علم الكلام إذن؟ إنّه يختصّ بالخطابة التي تستعمل الكلمات. نريد أن نعرف، يا جورجياس، بأيٍّ نوع من الخطابة يختص علم الكلام؟ إنّه ينتمي إلى النوع الأعظم وإلى أفضل الأشياء الإنسانية، يا سقراط. إنّني لا أزال في الظلمة وجوابك غامض، يا جورجياس، أخبرني، ما هو ذلك الخير الأعظم الذي توجده أنت للإنسان؟ إنّ الخير الذي أعنيه، يا سقراط، هو الخير الذي يهب الحرية للرجال في أشخاصهم الخاصة، ويعطي القوة للأفراد كي يحكموا في دولهم المتعددة فوق الآخرين. أعني المقدرة على إقناع القضاة في المحاكم بالكلمات، أو أعضاء مجلس الشورى، أو المواطنين في الجمعيّة العامة، أو المستمعين في أيّ اجتماع سياسي آخر. وبهذه القوة ستجعل الطبيب، والمدرّب، ومحصّل المال عبيداً لك، لأنّك أنت القادر على أن تتكلم وتقنع الكثرة.

عرفت معناك، يا جورجياس، تعني أنّ علم الكلام هو باعث الإقناع، وهذا هو تاجه وغايته. لكنّني أريد أن أعرف على وجه التحديد الطبيعة أو المباحث لذلك الإقناع الذي تتحدث عنه. أريد أن أعرف، يا جورجياس، هل علم الكلام وحده هو الذي يجلب الإقناع، أو أنّ الفنون الأخرى لديها التأثير عينه؟ مثلاً، يعلمنا علم الحساب عن خاصيّة العدد ويقنعنا بها، وإقناعه هو عن كميّة الفردي والمزدوج. وهكذا تفعل كلّ الفنون الأخرى وبما يختصّ بها. لذلك، فإن علم الكلام ليس

بصانع الإقناع الوحيد، وما علينا في هذه الحالة إلا مواصلة السؤال، أي إقناع يخلقه علم الكلام، وعن ماذا؟ إن علم الكلام، يا سقراط، هو فنّ الإقناع في المحاكم القانونية والجمعيات العامة، وكذلك عن العادل والظالم. لكن ألا تعتقد، يا جورجياس، أنّ هناك نوعين من الإقناع، الأول هو الذي يكون مصدر الإعتقاد بدون معرفة، والآخر يكون بالمعرفة. ما هو نوع الإقناع الذي يخلقه علم الكلام في محاكم القانون والجمعيات العمومية الأخرى عن العادل والظالم؟ ولا يستطيع أحد أن يفترض أنّ علم الكلام يعلّم عن مسائل كهذه في غاية السّموّ بوقت قصير. ألا تعتقد، يا جورجياس، أنّ من يكون أكثر حذقاً في أيّ فنّ سيعطي النصيحة وليس عالِم الكلام؟ كصانع السفن، وسيّد البنائين، والقائد العسكري والطبيب وما شابه؟ يا سقراط، سأجتهد لأكشف لك القوة المحركة لعلم الكلام في مجملها. أعتقد أنك سمعت، أن بناء الأحواض والجدران وتشييد الموانيء للأثينيين استُنبطوا طبقاً لنصائح ثيموستوكلس جزئياً، وكذلك لنصائح بريكلس وليس لاقتراحات البنائين. وستلاحظ، يا سقراط، أنّه عندما يُعطى قرار في مسائل كهذه فعلماء الكلام هم المستشارون، وهم الرجال الذي يتصرفون في النقاط الأساسية.

دعنا نحدد موضوع بحثنا، يا جورجياس، كي نتمكّن من الحصول على الحقيقة التي يجب أن تكون رائدنا في كل مجال، وسأسألك، هل تعني أنّ الإنسان سيتعلم منك كي يحصل على إصغاء الجماهير في أيّ موضوع يطرحه، وهذا لا يتمّ بالتعليم وإنّما بالإقناع؟ وأنّه سيمتلك قوة إقناع أكثر ممّا للطبيب حتى في مسائل الصحة؟ نعم، يا سقراط، يكون ذلك مع الأكثرية. تعني لتقول مع الجهلة، يا جورجياس، وليس مع الذين يعرفون. والاستنتاج هو أنّ الجاهل يقنع الجهلة ولا يقدر أن يقنع العارفين في كل علم وكل فنّ. وإذا كان هذا أقصى ما يمكن لعالم الكلام أن يقدّمه، فهل يتشابه جهله هذا بجهله عن العادل والظالم، الوضيع والشريف، وما شابه؟ أتوسّل إليك بجديّة قصوى، يا جورجياس، أن تمزّق

القناع وتطرحه جانباً، وتشرح لي القوة الفعّالة لعلم الكلام. إنّني أفترض، يا سقراط، أنّ التلميذ إذا لم ينل الفرصة ليعرفها مسبقاً، فسيتعلم منّي هذه الأشياء بالمثل. بما معناه أن الذي أجعله عالم كلام يجب إمّا أن يعرف طبيعة العادل والظالم مسبقاً، أو أنّ عليه أن يتعلمها منّي. ونتيجة ذلك، هي أنّ عالم الكلام ينبغي أن يكون عادلاً، ويفعل ما هو عدل، ولن يرضى عمل الظّلم على الإطلاق. لكنك، يا جورجياس، تناقض نفسك فيما تقوله الآن وما قد قلته سابقاً.

ويتدخل بولس، عالم الكلام، لنجدة جورجياس شبيهه، فينكر ما قاله جورجياس، ويؤكد أنّه كان خجولاً عندما نفى أنّ عالِم الكلام عرف العادل والشريف والخيِّر، وعندما اعترف أنّ أيّ شخص ممّن أتى إليه وهو يجهلها فسيعلمه إيّاها وانبثق من هذا الاعتراف تناقض حينئذ. وهل يستطيع أن يعترف أيّ واحد منا، يا سقراط، أنّه لا يعرف قط، أو أنّه لا يقدر أن يعلّم طبيعة العدل؟ ويردُّ سقراط، بحلمه المعروف وبطبيعة نفسه الشفافة، أنّ الإنسان في حياته يزوِّد نفسه بالأصدقاء ويلد الأطفال، ذلك أنه عندما يتقدّم في السن فجيل شابّ يكون موجوداً ويساعده ويقيله من عثاره، وهذا ما نريده الآن منك، يا بولس، شرط أن تختصر أسئلتك وإجاباتك، وآدحض خصمك ودعه يدحضك في تطابق لِما هو حقيقي. حسناً، إنّني سأسألك، يا سقراط، كما فعل جورجياس من قبلُ، ما هو علم الكلام؟ هل تعني أيّ نوع من الفنّ يا بولس؟ إنه ليس فنّاً على الإطلاق في نظري، بل هو كما قلت أنت في إحدى كتاباتك، وتقول هناك إنّك شكّلت فنّاً، وهو نوع من الحذق العملي في إنتاج نوع من البهجة والإرضاء، وهو عادة تمرينيّة ليس لديها أيّ شيء من الفن، لكنّها تأتي إلى العقل الماكر والجسور بذكاء طبيعي في التعامل مع الرجال، وإنني ألخّص ذلك تحت كلمة « تملّق »، وهو جزء شبحيّ أو مزيّف من علم السياسات، وهو رديء وخسيس. إنّ فنّ علم السياسة يعتني بالروح، وفنّ الطبّ بالجسم، ويوجد في فنّ العلوم السياسيّة الجزء التشريعي، الذي

يطابق الألعاب الرياضية، كما يطابق العدل فن الطب. وبما أنّه يوجد للعلوم الآن فنّانِ اثنان يعتنيان بالجسم، وإثنان بالروح ولخيرهما الأسمى، فإنّ فنّ الكذب المستعار للتملّق يرتكز على العمل التخميني وليس على المعرفة، وهو لا يولي أيّ اهتمام لمصالح الرّجال الأسمى، بل يحتال بالحماقة وبإغراء اللّذة الحاضرة ويضلهم بالاعتقاد أنّه هو الاعتبار الأرفع لهم، ويفترض أن الطهو شبيه بعلم الطب. ويدعي أنه يعرف أيّ غذاء هو الأفضل للجسم. وهذا النوع من التملّق، يا بولس، يكون ذا نفسية سافلة، ويهدف إلى اللّذّة بدون أيّ تفكير بالأفضل، وهو لا يستطيع أن يعطي أيّ حساب عن طبيعة الأشياء، ولا أن يشرح سببها، ولا يمكننا أن نسمّي النشاط اللاعقلاني فنّاً، ولذلك فإنّ علم الكلام مثل التزيين، ماكر، باطل، دنيء، ضيّق الفكر، ويعمل بخداع ويجعل الرجال تتأثر بالجمال المزوّر وبإهمال الجمال الحقيقي الذي تهبه الألعاب الرياضيّة. ولذلك أقول، كما يكون التزيين للألعاب الرياضية، هكذا يكون علم الكلام لسنّ الشرائع، وكما هو الطّهو إلى الدواء، هكذا يكون علم الكلام إلى العدل. وعالم الكلام والسوفسطائي متلائمان للاختلاط معاً في نفس منطقة النشاط، وفيما يختص بالأهداف عينها.

ويسأل بولس: هل تعتقد، يا سقراط، أنّ علم الكلام تملّقٌ؟ لا، يا بولس، إذا لم تستطع التذكّر وأنت في سنّك هذه، فمتى ستقدر عليه؟ قلت إنّ علم الكلام جزء من التملّق، وعلماء الكلام ليس لهم أيّ اعتبار في دولهم على الإطلاق، وليس لهم أيّة قوة مادّية أو معنويّة، وهم لا يفعلون الأفضل كما يظنون، بل هم يفعلون الشرّ لأنّ عملهم ليس مبنيّاً على المعرفة. هل يظهر الرجال لك، يا بولس، أنّهم يشاؤون كلّ شيء يفعلون، أو أنّهم يشاؤون تلك الغاية الأبعد لذلك الشيء الذي يفعلون؟ وكمثال، عندما يتناولون الدواء بأمر الطبيب، هل يشاؤون شرب الدواء والألم الناتج عنه، أو الصحّة في سبيل ذلك الذي يشربون؟ إنّ كل عمل غايته الخير وليس الشرّ، العدل وليس الظلم، وعلينا ألاّ نفعل الظلم ولا نقاسيه،

ولكن إذا خُيِّرنا علينا اختيار مقاساته على فعله، لأنّ من يفعل الظلم يكون تعيساً وشقيّاً وسينال العقاب، ولا يمكنه أن يكون سعيداً. والسعادة كلها تكمن في قضية التعليم الحقيقي والعدل. ومن يتعرض للعقاب والجزاء سيتخلّص من خبثه وشروره وسيكون أقلَّ شقاء، ومن لم ينزل به القصاص سيزداد خبثه وشقاؤُه. وما علينا إلاَّ أن نؤكّد أنّ الشريف هو الخيِّر وهو السار والنافع.

إنّ أعظم شرّ يحيط بالإنسان هو الفقر، وشرّ الجسم هو الضعف والمرض والتشويه. وشرّ الروح هو الظلم والجهل والجبن وما شابه. إذن، شرّ العقل هو الظلم، والجسد المرض، والوضع الفقر، وشرّ الروح والظلم هما أكثرهما عاراً. هناك فنون تحرِّرنا من كلّ هذه الآفات، ففنّ تحصيل المال، مثلاً، يحرِّرنا من الفقر، وفنّ الطبّ من المرض، وفنّ العدل من المعصية والظلم. لكن هناك شيء سارّ هو الذي يبزُّ كونك مُشفىً من المرض وهو أن لا يعتلَّ جسمك قطّ. وكذلك فإنّ من لا يمتلك رذيلة في روحه له المكان الأوّل في ميزان السعادة، ومن تلقى الغطة والزجر والعقاب له المكان الثاني، بما أنّ روحه قد تخلصت من الرذيلة. ويعيش أسوأ حياة من يرتكب أعظم الجرائم، وينجح في الهرب من الزجر والتصحيح والعقاب؛ وهذا ما ينجزه المستبدّون وعلماء الكلام والمسيطرون الآخرون في الدول.

وبعد أن اتفق على كلّ هذا سقراط الفيلسوف، وبولس عالم الكلام، يسأله سقراط: أين هي الفائدة العظمى لعلم الكلام، يا بولس، بعد كل البراهين التي قدّمناها، وبعد تلك الحقائق التي أبنّاها؟

بعد ذلك، يأتي كاليكلس، وهو عالم كلام ثالث وسوفسطائي، ليسأل سقراط إذا ما كان جادّاً أم هازلاً فيما يقول؟ لأنّك إذا كنت جادّاً، يا سقراط، وأنّ ما تقوله حقيقيّ، أفلا تعتقد أنّ الحياة الإنسانية بجملها تُقلب رأساً على عقب، ونكون فاعلين عكس ما يجب علينا عمله؟ ويجيبه سقراط، إنّ ما سمعته وستسمعه من كلمات ما هو إلاّ صدى الفلسفة التي هي حبّي، وهي ليست متقلّبة

الأطوار، بل هي ثابتة على الدوام وهي المعلم الذي تدهشك كلماته الآن. أمّا أنت فحبيبك هو ديموس الأثيني ولا يعجبك ما أقوله لأنه عكس ما يقوله حبيبك، وإذا أردت أن تدحضها فافعل ذلك وإلاّ فستكون حياتك كلها متنافرة. ويرد كاليكلس باتهام سقراط بأنه خطيب منظّم، ويهيم على وجهه في المحاورة، كما أنّه يتوخّى البلاغة وأنّه أوقع بولس كما جورجياس في أحبولة، وأنّ بولس استحيا أن يقول ما يفكر به ولزم الصمت. وأنت تتظاهر، يا سقراط، أنّك متقيّد بتقصي الحقيقة وتلجأ إلى التصوّرات المبتذلة للحقّ، تلك التصورات التي تستحقّ الإعجاب بالاصطلاح وليس بالطبيعة، وبما أنّ الاصطلاح والطبيعة يناقض أحدهما الآخر، ومن ثمّ، إذا كان الشخص كثير الحياء وجباناً في قول ما يفكر به، فإنّه مجبر على أن يناقض نفسه. لذلك، فإنت تلجأ إلى كلّ منهما عندما تجد نفسك في مأزق ويبدو أنّك ستخسر الجولة في الحوار، وتعرف أنت أنّ ما ينتج عنهما ومنهما متناقض، ونقدر أن نرى ذلك بوضوح من مجمل الأعمال والتطوّرات في الحياة الإنسانية. فالقانون هو اصطلاح سنّه الضعفاء، وكتبوا فيه ما كتبوا، أمّا الطبيعة فلقد حبت الإنسان القوّة كي يحطّم كل قانون كُتِب، ويملي رأيه ويفرض إرادته على الضعفاء والأدنى منه وغير ذلك كثير. أمّا الفلسفة التي تتكلم عنها فإنّها إنجاز جميل إذا تابعها الإنسان باعتدال في السنّ المناسبة، لكن إذا استمرّ في متابعتها إلى آخر حياته، فسيجهل تلك الأشياء التي يعرفها السيّد والإنسان المميّز بالضرورة، وهي خرابٌ للحياة الإنسانيّة إذا طال أمد درسها بدون تناسب، وسيصبح من يدرسها جاهلاً بقوانين الدولة، باللغة التي يجب استعمالها في التعامل بين الإنسان والإنسان، وكذلك بملذات ورغبات الجنس البشري والاخلاق الإنسانية بشكل عام. وأناس من هذا النوع يبدون مضحكين عند تنصيبهم في مجال السياسة أو العمل، وأشعر أنّ من يواصل دراسة الفلسفة إلى أقصى مداها، كما قلت، أشعر أنّه يستحقُّ الجلّد وأحبّ أن أضربه، لأنّني أرى أنه أصبح مخنّثاً. وأنت، يا سقراط، لا تقدر أن تفعل

ما يفعله كلّ الرجال في الساحات العامة، وفي محاكم العدل، أو أن تقدّم نصيحة للغير، ولن تعرف ما تفعله، فوق كل ذلك، إذا ما ساقك أحدهم إلى السجن متّهِماً إياك بأقسى تهمة، ستقف هناك متثائباً، ولا تمتلك كلمة تتفوّه بها للدفاع عن نفسك، ويمكن أن يُحكم عليك بالموت، إذا ما طالب خصم كهذا عديم القيمة وسافل إنزال العقوبة بك وهي الإعدام. أيّة حكمة في فنّ يحوّل الإنسان ذا الكافاءات إلى الوهن ولا يقدر أن ينقذ نفسه ولا ينقذ الآخرين في أعظم الأخطار، حتّى إذ سلم من ذلك فإنّ أقلّ شيء يتلقاه هو الصفع على الأذنين بُعيد إفلاته من العقوبة. خذ بنصيحتي، يا سقراط، « ولا تدحض أحداً بعد اليوم، تعلّم فنّ العمل الممتاز، واكتسب شهرة الحكمة، لكن اترك للآخرين إتقانها، لأنّها ستمنحك الفقر والعَوَز لك ولمن يسكن معك ».

إنّني اكتشف الحجر الذي به يُختبر الذهب، يا كاليكلس، هذا إذا كانت روحي مَصُوغة من هذا المعدن، ولقد وجدت الجائزة فيها. أقول لك ذلك، لأنّني أعتبر أنّ الإنسان إذا ما أجرى تجربة كاملة على حياة الروح الخيِّرة والشريرة، عليه أن يحوز نوعيّات ثلاثاً: المعرفة، الرّضا، والصراحة، وأنت تمتلكها كلها. وهي نوعيات لم تكن لدى جورجياس وبولس الرجلين العاقلين. وأنت تلقّيت ثقافة ممتازة ومنها نصيحتك لي بشأن هذا الموضوع، وبشأن قضايا هي موضوع اللحظة الأعظم. وبما أنّك عارف، وراض، وصريح سنصل إلى الاستنتاج الصحيح، وبما أنّ كلانا يرغب في الحصول التامّ على الحقيقة، وكيف ستكون أخلاقية الإنسان، وما هي مساعيه، وإلى أيّ بُعدٍ عليه أن يذهب فيها. وإذا وجدتني غير راضٍ بكلماتك، وغير فاعلٍ ذلك الذي قبلت به فيما بعد، أخضِعْني وكأنّي غبيٌّ مطلق، ولا تنصح المخلوق الذي لا قيمة له أبداً مرّة ثانية.

والآن أخبرني، يا كاليكلس، ماذا تعنيان أنت وبيندار بالعدل الطبيعي؟ ألا تعنيان أنّ الأقوى يجب أن يستولي على أملاك الأدنى بالقوّة، إنّ الأفضل يجب أن

يحكم الأردأ، وأن يمتلك النبيل أكثر من الحقير؟ وهل تعتقدان أنّ الأفضل والأسمى والأقوى متشابهون في نظرك أم مختلفون؟ إنّني أؤكّد لك، يا سقراط، أنّهم متشابهون، وأثبت كذلك أنّ قوانين الأكثرية هي قوانين الأسمى، وهي القوانين الصالحة بالطبيعة. لكنّ الكثرة، يا كاليكلس، تعتقد أنّ العدل هو المساواة، وأنّ فعل الظلم هو أكثر خزياً من معاناته، فلِمَ تصمتُ ولا تجيبني على سؤالي؟ نعم، يا سقراط، إنّ رأي الأكثريّة هو كما تقول. إذن هذا ما يؤكّدُ بالطبيعة وبالاصطلاح، يا كاليكلس، في معنى العدل. وهنا يغيِّر كاليكلس رأيه فيما قاله سابقاً، ويلجأ إلى قول آخر وهو أنّه عنى بالأسمى الشيء عينه كالأفضل، وأنّ الأفضل هو الأكثر امتيازاً والأعقل هو الذي يجب أن يحكم، وهذا ما سميته العدل الطبيعي، يا سقراط. وإنني أعني بالأسمى والأعقل الحكماء السياسيين الذين يفهمون كيف تدار الدولة، والصناديد في أن ينفذوا ما يصمّمونه، ولا يعتريهم الوهَن من عَوَزهم للعزم. لكن ألا ترى ما أنت مقدِّمه في المحاورة، يا كاليكلس، عرّفت الأفضل والأسمى، بادىء ذي بدء أنّه الأقوى، ثم الأعقل، والآن تقول إنّه الأكثر شجاعة. قل لي مرّة واختصر الجميع، مَنِ اللذان تؤكّد أنّهما الأفضل والأسمى، وبماذا؟ لقد أخبرتك مسبقاً، يا سقراط، أنّني أعني أولئك الذين هم عقلاء وشجعان في إدارة الدول، والعدل يتألف في أن يتملكوا أكثر من رعاياهم. وماذا عن هؤلاء الحكّام، يا كاليكلس، هل هم حكامٌ أو رعايا في مفهوم خاص، وهل سيكونون معتدلين وأسياد أنفسهم، ويسيطرون على ملذاتهم وشهواتهم الخاصّة، ويحكمون فوق أنفسهم؟ ما هذه البراءَة، يا سقراط، أنت تعرِّف الاعتدال بالغباوة، وكيف يستطيع أيّ إنسان يكون خادماً لأيّ شيء أن يكون سعيداً؟ لا وألف لا. فالسّعيد هو من سيعيش ويسمح لرغباته أن تكبر إلى أقصى حد، وأن لا يؤدبها، بل أن يكون شجاعاً ويمدّها بكل شيء وأن يرضي كلّ ما تشتاق إليه، وهذا ما أؤكّد أنّه العدل الطبيعي والنبل، وقلائل هم الذي يبلغونه. ولهذا يلومون

الرجل القويّ لأنّهم يستحون بضعفهم. ومن هنا يقولون إنّ الإفراط دنيء، وبذلك فهم يُذلُّون الطبائع الأنبل. وبما أنّهم عاجزون عن الوصول إلى إشباعٍ كاملٍ لملذّاتهم، يثنون على العدل والاعتدال بسبب ما يعتريهم من جبن. وابن الملك الذي يستطيع أن يفعل ما يريد ويمتلك امبراطورية واسعة، أيّ شرٍّ يمكن أن يمارسه أكثر من الاعتدال والعدل؟ بدل أن يتمتّع بكل الخيرات التي يقدر عليها. وأؤكد بملء فمي أنّ الترف والإفراط وملء الشهوات لأقصى حد، إذا ما تجهّزت بالوسائل، هي الفضيلة والسعادة، وهذه حقيقة لا مَراء فيها، وكل ما تبقّى فمجرّد ألعابٍ صبيانيّة، اتفاقات مناقضة للطبيعة، كلام غبي للرجال ولا تساوي شيئاً.

هناك حريّة نبيلة، يا كاليكلس، فيما تقول. إنّك تعلن بشكل صريح ما يعتقد به باقي الناس، لكنّني استعطفك كي تواصل الحوار، ذلك كي يمكن أن يكون الحكم على الإنسان الحقيقيّ بيّناً. تقول أنت إنّ الشهوات يجب ضبطها في الإنسان المحسّن بحقّ، لكن علينا أن ندعها تنمو إلى أقصى مدى وأن نشبعها بأيّة طريقة، وهذه هي الفضيلة في نظرك. إنّ هذه الحياة التي تتصورها هي رهيبة حقّاً، ولقد سمعت فيلسوفاً يقول، إنّ الجاهل هو غير المطّلع وغير الناضج، وأسمى الروح بالوعاء، وقارن مكان الجاهل فيها بوعاءٍ مليءٍ بالثقوب لأنّه لا يستطيع أن يشبع أبداً. ويقول، إنّ هؤلاء الأشخاص الناضجين هم الأكثر شقاء، وكونهم شهوانيين فذلك ناشىء عن الذاكرة السيئة وعَوَز الإيمان؛ وحياتهم شبيهة بحياة الكواسر وغراب البحر، وهل حياة المأبوبين إلاّ حياة مرعبة، دنسة، ومريعة؟ وهل ستقول إنّهم سعداء أيضاً، يا كاليكلس، إذا ما حصلوا على ممّا يريدون؟ وهل ستقول إنّ اللّذة والخير هما الشيء عينه؟ وهل اللّذّة والمعرفة الشيء عينه أو هما مختلفتان؟ وهل الشجاعة تختلف عن اللّذة؟ ودعنا نتذكر بأنّك تعترف أنّ اللذة والخير هما الشيء عينه، وأنّ المعرفة والشجاعة مختلفتان بعضهما عن بعض وعن الخير. وبرغم صمتك وعدم إجابتك، على ما تقوله المحاورة، إنّني أؤكّد لك، بعدما اعترفت أنت

به مسبقاً، أؤكّد أنّ الخيّر لا يكون الشيء عينه كالسّارّ، أو الشرّ الشيء عينه كالمؤلم، وأنّ الشجعان والعقلاء هم أخيارٌ بالتأكيد، والأغبياء والجبناء هم الأشرار، والأخيار يفرحون لوجود الخير فيهم، والأشرار يتألمون ويحزنون لوجود الشرّ فيهم، والأخيار يلازمهم الفرح، والأشرار يلازمهم الحزن والألم. لقد ظهر بشكل جلي وبعد أن أخذت المحاورة أقصى مداها أنّ الخيّر والسّار هما الشيء عينه يا كاليكلس.

يا سقراط، لقد استمعت لما تقول وقدّمت الاعترافات لك، ولاحظت أنّ أيّ شخص إذا منحك شيئاً ما في اللعب، فأنت تريد الاحتفاظ به كالطفل، ولن تعيده إليه، لكنّك هل تفترض بحقّ أنّني أنفي أو ينفي أيّ إنسان آخر، أنّ بعض الملذات صالحة والأخرى سيئة؟

كم أنت غير عادل، يا كاليكلس، في معاملتك لي. تقول شيئاً في وقت ما، وتقول عكسه في وقت آخر، وذلك كي تضلّلني. لقد فكّرت بادىء ذي بدء، أنّك صديقي ولن تخدعني، غير أنّني أرى خطئي الآن؛ ومع ذلك، فما عليّ إلا أن أخلق الأفضل من العمل السّيء، كما قالوا قديماً، وأن أستخلص ما أستطيع الحصول عليه منك. ولكن بعد اعترافك هذا اتفقت وإيّاك على أنّه يوجد هكذا شيء كالخير، وهكذا شيء كاللذة، وأنّ اللّذة ليست الشيء عينه كالخير، وأنّه يوجد لكل منهما مسعى وعمليّة محدّدة للاكتساب، إحداهما تطلب الخير، والأخرى اللذة. وأنت وافقت بمنّة على وجود نشاطات أخرى لها عمل في الروح، وتتخذ ترتيبات مسبقة لفائدتها الأعلى، وأخرى تزدري هذه الفوائد، وتعتبر اللذة الروحية فقط، لكنها لا تتبصّر في أيٍّ منها تكون صالحة وأيّهما سيئة، وهذا هو نوع الشيء الذي أسمّيه تملّقاً سواء أكان يختص بالروح أو الجسم أو أيّ شيء آخر يُستخدم بقصد اللذة. ويوجد تملّق في عمل المأساة وفي الغناء والموسيقى والشعر، وكذلك في الكلام الذي يوجّه إلى الجمعيات العموميّة في كل مكان، وقائلوه لا يقصدون تحسين المواطنين به، بل يميلون إلى إعطائهم

اللذّة، ناسين الخير العام من تفكيرهم بمصالحهم الخاصة، لاعبين بالشعب كما يلعبون بالأطفال.

واعترفت أنت بعد ذلك بكلّ صراحة، يا كاليكلس، أنّ بعضاً منهم لديه اهتمام حقيقي بالشعب فيما يقولون، في حين يكون الآخرون على عكسهم. وهذه ازدواجية تعترف بها لعلم الكلام، فواحده مجرّد مداهنة وخطاب حماسي شائن، أمّا الجزء الآخر فنبيل يهدف إلى تحسين أخلاق المواطنين، ويكافح ليقول ما هو الأفضل، سواء لقي الترحيب من الحضور أم لم يلقه. والخطيب الحقيقي هو الذي يكون أميناً ويفهم فنه، يرسّخ عينيه على تحسين أرواح الرجال في ما يقدمه لهم، ويهدف إلى زرع العدل والاعتدال وكلّ فضيلة فيها، ورفع الظلم والإفراط وكلّ رذيلة.

إنّني لا أعي كلمة ممّا تقول، يا سقراط، ولقد أجبتك حتى الآن من لطفي لجورجياس فقط...

لكنّنا يجب أن نضع رأساً للمحاورة، وأن لا ندَعها تهرب بدون رأس، لذلك أجبني كي نتمكّن من إنجاز ذلك، ولا تكن صعباً يا كاليكلس...

حسناً، سأتقدم كي أنجز المحاورة بنفسي، لأنك انقطعت عن إجابتي. إن اكتشاف الحقيقة هو خير عامّ. وإذا وجد أحدُهم أنّني أتكلم باطلاً، فما عليكم إلا أن تتدخّلوا وَتدحضوني.

إنّني لا أزال أؤكّد، كما أبنتُ لكل من جورجياس وبولس، أنّ السّار ليس الشيء عينه كالصالح، وأنّنا نكون أخياراً عندما تكون فضيلة ما حاضرة فينا. وتأتي هذه الفضيلة إلى الروح ليس بالصدفة بل كنتيجة للنظام والحقيقة والفنّ الذي أُضفي عليها. وأنّ الروح التي تمتلك نظاماً هي روح متناسقة ومعتدلة، والروح المعتدلة هي الروح الخيِّرة، والروح المفرطة هي الغبيّة والشريرة. أمّا الروح المعتدلة فتفعل ما هو لائق وما يرضي الآلهة والرجال، والإنسان العادل هو معتدل وشجاع

وتقيّ. ويخبرنا الفلاسفة، يا كاليكلس، أنّ المشاركة والصداقة والنظام والاعتدال والعدل يربط السماء والأرض والآلهة والرجال معاً، وأنّ هذا الكون يُدعى منظّماً ونظاماً لذلك، وليس فوضى واضطراباً، لكنك مع كونك فيلسوفاً، تبدو لي أنّك لم تلاحظ هذا أبداً. إنّك لم تتصوّر قوة المساواة الهندسيّة بين الآلهة والرجال كليهما. لقد فكرت أنّك يجب أن تزرع التباين والإفراط، لأنّك لا تعتني بالهندسة، وأحبّ أن أثبت لك في هذا السياق أن لا أحد يفعل الخطأ بمحض إرادته، بل عكس ذلك، والفيلسوف لا يخاف الموت نفسه، بل يخاف أن يفعل الأخطاء للآخرين. أمّا ثواب من يعيش طوال حياته في العدل والتقوى فسيذهب إلى الجزر المباركة، ومن يفعل الظلم فإلى الجحيم.

لذلك، فما علينا جميعاً إلاّ الذهاب إلى القضاة في ذلك اليوم وأرواحنا ممتلئة عدلاً وتقىً ومعرفة للحقيقة واستعمالاً لعلم الكلام في الطريق الصحيح والفضيلة. دعنا نسلك هذا الطريق سويّاً، ونحضّ كلّ الرجال على سلوكه، وليس الطريق الذي رسمته أنت عندما حاورتنا. فطريقك ذاك لا يستحقّ أيّة قيمة، يا كاليكلس.

محاورة جورجياس

علم الكلام

اشخاص المحاورة:

كاليكلس   بولس
جورجياس   تشايرافون
سقراط

المشهد: بيت كاليكلس.

كاليكلس: الإنسان العاقل، كما يقول المثل، يأتي متأخّراً إلى العراك، لكن ليس إلى الوليمة.

سقراط: وهل نحن متأخرون في مجيئنا إلى الوليمة؟

كاليكلس: نعم، وإنّها لوليمة سارّة؛ لأنّ جورجياس قد عرض لنا لتوّه العديد من الأشياء الفاخرة.

سقراط: إنّها ليست غلطتي، يا كاليكلس؛ يجب أن نضع اللوم على صديقنا تشايرافون؛ لأنّه جعلنا نضيّع الوقت سدىً في الساحة العامة.

تشايرافون: لا ضير في ذلك، يا سقراط. إنّ النائبة التي سببتُها سأصلحها أيضاً؛ فجورجياس صديق لي، وسأجعله يعطيك عرضاً آخر إما اليوم، أو إذا آثرت، ففي وقت آخر.

كاليكلس: ما هي المسألة، يا تشايرافون؟ هل يريد سقراط أن يسمع جورجياس؟

تشايرافون: نعم، كان ذلك قصدنا من المجيء.

كاليكلس: تعال إلي بيتي، إذن، فجورجياس باقٍ معي وسيعرض لك ما تريد.

سقراط: جيّد جداً، يا كاليكلس؛ لكن هل سيجيب على أسئلتنا، لأنّني أريد أن أسمع منه ما هي وظيفة فنّه، وما هو ذلك الذي يعترف به ويعلّمه. يمكنه، كما ستقترح أنت « يا تشايرافون » أن يؤجِّل عرضه العامَّ هذا إلى وقت آخر ما.

كاليكلس: لا يوجد شيء مثل سؤاله، يا سقراط؛ وكانت هذه النقطة في الحقيقة واحدة من النّقاط الرئيسيَّة التي أوردها في خطابه. لقد قال لتوّه الآن، إنّه يمكن لأيِّ شخص في بيتي أن يطرح السؤال، وإنّه سيجيبه.

سقراط: كم هو محظوظ! هل ستسأله يا تشايرافون؟

تشايرافون: ماذا سأسأله؟

سقراط: إسأله من يكون.

تشايرافون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني سؤالاً مثل هذا الذي يمكن استخلاصه منه، وهو إذا ما كان صانع أحذية، فجواب ذلك أنّه إسكافي. هل تفهم؟

تشايرافون: أفهم، وسأسأله: أخبرني، يا جورجياس، هل يكون كاليكلس محقّاً في القول إنّك تأخذ على نفسك أن تجيب على أيِّ سؤال؟

جورجياس: حقيقي تماماً، يا تشايرافون. لقد قلت شيئاً مثل ذلك لبرهة خلت؛ ويمكنني إضافة أن سنين عديدة انقضت لم يسألني فيها شخصٌ سؤالاً جديداً.

تشايرافون: إذن فأنت لن تجد صعوبة في الإجابة؟

جورجياس: لذلك، يا تشايرافون، تستطيع أن تُعدَّ التجربة.

بولس: نعم، بحق، وإذا أحببت، يا تشايرافون، يمكنك أن تحاول معي أيضاً، لأنّني أظنّ أنّ جورجياس قد تعب، لأنّه تكلّم لوقت طويل.

تشايرافون: وهل تعتقد، يا بولس، أنّك تقدر على الإجابة أفضل من جورجياس؟

بولس: وماذا سيهمّ إذا جاوبتك جيّداً بما فيه الكفاية؟

تشايرافون: لا شيء البتّة. وستجيب أنت إذا أحببت.

بولس: إسأل.

تشايرافون: هذا هو سؤالي: إذا ما كان لدى جورجياس مهارة أخيه هيروديكوس، ماذا يجب علينا أن نسمّيه؟ ألاَ يجب أن يحوز الإسم الذي أُعطي لأخيه؟

بولس: بالتأكيد.

تشايرافون: سنكون محقّين إذا دعوناه طبيباً إذن؟

بولس: نعم.

تشايرافون: وإذا امتلك مهارة اريستوفون بن أكلاوفون، أو مهارة أخيه بوليفتوتوس، فما يجب علينا أن نسمّيه؟

بولس: مصوّر يد، بجلاء.

تشايرافون: لكن، ماذا نسمي الأشياء كما هي - ما هو الفنّ الذي هو ماهر فيه؟

بولس: أوه، يا تشايرافون، توجد عدة فنون بين أبناء البشر، وهي فنون تجريبيّة، ولها أصلها في الخبرة؛ فالخبرة تجعل أيّام الرجال تتقدّم في مطابقة للفنّ، وعدم الخبرة في مطابقة للصدفة؛ ويلجأ الأشخاص المتباينون أنفسهم لمختلف الفنون بطرق متفاوتة، والأشخاص الأفضل للفنون الأفضل. وأنّ صديقنا جورجياس هو واحد من أفضل الأشخاص، والفنّ الذي يستعمله هو الأنبل.

سقراط: لقد تعلّم بولس كيف يخرج الحديث الممتاز، يا جورجياس؛ غير أنّه لا يفي بالوعد الذي قطعه لتشايرافون.

جورجياس: ما الذي تعنيه، يا سقراط؟

سقراط: أعني أنّه لم يُجِب تماماً على السؤال الذي طُرِح.

جورجياس: لِمَ لا تسأله بنفسك إذن؟

سقراط: لكنّني أفضّل أن أسألك أكثر، إذا ما كنت مهيّأ لتجيب. إنّني أرى، من الكلمات القليلة التي تفوّه بولس بها، أنّه اعتنى بالفنّ الذي يُسمّى علم الكلام أكثر من عنايته بعلم المنطق.

بولس: ما الذي جعلك تقول هذا، يا سقراط؟

سقراط: لأنه، يا بولس، عندما سألك تشايرافون ما هو الفنّ الذي يعرفه جورجياس، أثنيت عليه كأنّك كنت تجيب شخصاً ما ممّن وُجد فيه عيب، لكنّك لم تقل أبداً ما هو ذلك الفنّ.

بولس: لماذا، ألم أقل إنّ فنّه هو أنبل الفنون؟

سقراط: نعم، فعلت، لكن لم يسأل أحد ما هي نوعية فنّ جورجياس؛ إنّ السؤال هو ماذا يكون فنه؟ وبأيّ إسم نصف جورجياس؟ وأستعطفك أن تخبرنا الآن، كما أجبت تشايرافون بجمال وبكلمات قليلة جداً عندما بدأ السؤال، وآمل أن تخبرنا ما هو هذا الفنّ، وما يجب علينا أن نسمّي جورجياس. أو على الأصح، هل ستبلغنا أنت بنفسك، يا جورجياس - بماذا سنناديك وما هو الفن الذي تختصّ به؟

جورجياس: إنّ فنّي هو علم الكلام، يا سقراط.

سقراط: سأناديك عالم كلام إذن؟

جورجياس: نعم، يا سقراط، وواحداً جيّداً أيضاً، إذا ما كنت ستناديني بذلك الذي، في اللغة الهوميروسيّة، (لَفَخْرٌ لي أن أكون ذلك).

سقراط: إنّني أرغب فعل هذا.

جورجياس: صَلِّ بعدئذ إفعل.

سقراط: أيمكننا القول إنّك قادر على أن تجعل الرجال الآخرين علماء كلام؟

جورجياس: نعم، ذلك ما أصرّح به بالضبط، ليس في أثينا فقط، بل في كل مكان.

سقراط: وهل ستتابع الأسئلة وتجيب عليها، يا جورجياس، كما نفعل في الوقت الحاضر، وتحتفظ لمناسبة أخرى بأسلوب الحديث الطويل الذي كان قد حاوله بولس؟ هل ستحافظ على وعدك، وتجيب على الأسئلة التي سأسألك إياها بشكل قصير؟

جورجياس: إنّ بعضَ الأجوبة، يا سقراط، هي أحاديث طويلة بالضرورة، لكنني سأفعل أفضل ما أقدر لجعل أجوبتي مختصرة قدر الإمكان. إن جزءاً من اختصاصي هو أنني قادر أن أكون مُختصِراً مُفيداً كأيٍّ شخص يمكنه عمل ذلك.

سقراط: إنّ هذا لهو المطلوب، يا جورجياس؛ أَظهِر الطريقة الأقصر الآن، والأطول في وقت ما آخر.

جورجياس: حسناً، سأفعل؛ وستقول إنّك لم تسمع أبداً بإنسان يستعمل كلمات أقلّ بالتأكيد.

سقراط: جيّد جداً إذن، بما أنك تعلن أنّك عالم كلام، وصانع علماء كلام، دعني أسألك، بماذا يختصّ علم الكلام؟ يمكنني أن أسأل بماذا يختص فنّ الحياكة، وستجيب (ألن تفعل؟) بصنع الألبسة؟

جورجياس: نعم.

سقراط: وتهتمّ الموسيقى بتركيب الألحان.

جورجياس: إنها لكذلك.

سقراط: أوه يا جورجياس، كم يعجبني إيجاز أجوبتك الفائق!

جورجياس: حسناً، يا سقراط، أعتقد أنّني بارع في ذلك.

سقراط: إنني مسرور لسماع ما تقول؛ أجبني عن علم الكلام في أسلوب مماثل؛ بماذا يختص علم الكلام؟

جورجياس: بالخطابة.

سقراط: أيُّ نوع من الخطابة، يا جورجياس؟ أهي خطابة كالتي تعلّم كيفية شفاء المريض؟

جورجياس: لا.

سقراط: لا يختص علم الكلام بكل أنواع الخطابة إذن؟

جورجياس: لا بالتأكيد.

سقراط: ومع ذلك فإن علم الكلام يجعل الرجال قادرين على الكلام.

جورجياس: نعم.

سقراط: وأن تفهم ذلك الذي يتكلمون عنه؟

جورجياس: طبعاً.

سقراط: لكن هل فنّ الطبّ، الذي ذكرناه منذ برهة، يجعل الرجال قادرين على فهم المريض والكلام عنه؟

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: يعالج فنّ الطبّ الخطابة أيضاً.

جورجياس: نعم.

سقراط: الخطابة التي تهتمّ بالأمراض.

جورجياس: هكذا بالضبط.

سقراط: أوَلاَ تعالج الألعاب الرياضية أيضاً المقالة التي تختص بحالة الجسد الجيّدة والسيئة؟

جورجياس: حقيقي تماماً.

سقراط: ويكون الشيء عينه حقيقياً، يا جورجياس، عن الفنون الأخرى: ـ تعالج كلّها المقالة التي تخصّ المواضيع التي تقوم بها تلك الفنون، تعالجها كلاً على حدة.

جورجياس: بوضوح.

سقراط: لماذا إذن، إذا سميت علم الكلام الفنّ الذي يعالج الخطابة، وتعالجها كل الفنون الأخرى كذلك، لماذا لا تسميها فنون علم الكلام؟

جورجياس: لأنّ معرفة الفنون الأخرى، يا سقراط، تختص كليّة تقريباً بنوع ما من العمل اليدوي. لكنْ لا يوجد نشاطٌ جسدي كهذا في علم الكلام يعمل عمله وينجز أغراضه كافّة من خلال وسيلة الخطابة، ولذلك فأنا مُبرّر في آدّعاءِ أنّ علم الكلام يعالج الخطابة.

سقراط: إنّني لست متأكّداً ما إذا كنت أفهمك كليّة، لكنّني أجرؤ على القول إنّني سأعرف أفضل قريباً؛ أجب على سؤالي من فضلك: - هل تجيز أنّ هناك فنوناً؟

جورجياس: نعم.

سقراط: بما أنّ الفنون عموماً، تختصّ بالفعل بجزئها الأكبر، وتحتاج لقليل الكلام أو لا تستلزمه؛ ويمكن للفعل أن يتقدم بصمت في الرسم، وصنع التماثيل، وفي عدة فنون أخرى؛ وافترض أنّك ستقول عن فنون كهذه إنّها لا تقع ضمن مقاطعة علم الكلام.

جورجياس: إنّك تتصوّر معناي بالتّمام، يا سقراط.

سقراط: لكنْ هناك فنون أخرى تعمل من خلال وسيلة اللغة بشكل كامل، ولا تحتاج للفعل، أو أنّها تحتاج لقليل منه جداً، وكمثال، فنون علم الحساب، الحساب، الهندسة، لعب الشطرنج، وفنون عديدة أخرى؛ ويكون الكلام في بعضها متساوياً في الامتداد مع العمل بقدر غير قليل، غير أنّ العنصر الشفهيّ يكون أكبر في أكثرها - إنّها تعتمد على الكلمات بشكل كامل في ممارستها وإتمامها. وإنّني آخذ معناك وهو أن علم الكلام هو فنٌّ من هذا النوع الأخير؟

جورجياس: بالضبط.

سقراط: ومع ذلك فإنّني لا أعتقد أنّك تعني حقّاً تسمية أيّ من هذه الفنون علم كلام؛ مع أنّ التعبير الدقيق الذي استعملته كان، إنّ علم الكلام هو الفنّ الذي يعمل عمله وينجز أغراضه كاملة من خلال وسيلة الخطابة. ويمكن أن يقول لك الخصم الراغب في الانتقاد: « وهكذا، يا جورجياس، أنت تسمّي علم الحساب علم كلام »؟ غير أنّني لا أعتقد أنّك حقاً تدعو أنّ كلاً من علم الحساب أو علم الهندسة علمَ كلام.

جورجياس: أنت محقّ تماماً، يا سقراط، لفهمك ما أعني.

سقراط: حسناً، إذن، دعني أحوز الآن ما تبقّى من جوابي - مع ملاحظة أنّ علم الكلام هو واحد من تلك الفنون التي تعمل باستعمال الكلام بشكل رئيسي، وهناك فنون أخرى تستعمل الكلمات أيضاً.أخبرني ما هو الموضوع الذي يعالجه علم الكلام باستعماله الكلمات: إفترض أنّ شخصاً يسألني عن بعض الفنون التي قد ذُكرتها لتوّي؛ يمكنه أن يقول: « يا سقراط، ما هو علم الحساب؟ » وعليّ أن أجيبه، كما أجبتني، أنّ علم الحساب هو واحد من تلك الفنون التي تحقق أغراضها من خلال الكلام. وسيتقدم بعدئذ ليسأل: « كلمات عن ماذا؟ » وعليّ أن أجيب، عن الأعداد المفردة والمزدوجة، كوجود العديد من كلا النوعين. وإذا سأل ثانية: « ما هو فنّ الحساب؟ » عليّ أن أقول، إنّه أيضاً واحد من الفنون التي تحقق أغراضها بالكلمات بشكل إجمالي. وإذا قال بعدها: « بماذا يختصّ هو؟ » عليّ أن أقول، كالكَتَبَةِ في الجمعية العامة، أنّه « في كلّ الوجوه الأخرى مهما كانت » يشبه علم الحساب، كونه مختصاً بالموضوع عينه أي الأعداد المفردة والمزدوجة، لكنه يختلف بقدر اعتباره لقربها العددي لأنفسها وبعضها لبعض. وافترض ثانية، أنّني كنت لأقول في جواب على سؤال آخر إنّ علم النجوم يستعمل أيضاً الكلمات فقط - سيسألني: « الكلمات عن ماذا،

يا سقراط؟ » وعليّ أن أجيب، كلمات عن حركات النجوم والشمس والقمر، وعن سرعتها النسبيّة.

جورجياس: أنت ستكون محقّاً تماماً، يا سقراط.

سقراط: وبعدُ دعنا نأخذ منك، يا جورجياس، حقيقة علم الكلام الذي ستعترف به (ألن تفعل ذلك؟) أنّه واحد من تلك الفنون التي تعمل دائماً وتتمّ كل غاياتها بواسطة الكلمات؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: الكلمات التي تفعل ماذا؟ سأسأل، إلى أيّ نوع من الأشياء تنتمي الكلمات التي يستعملها علم الكلام؟

جورجياس: إلى النوع الأعظم، يا سقراط، وإلى أفضل الأشياء الإنسانيّة.

سقراط: ذلك الجواب هو غامض مرة ثانية، يا جورجياس؛ إنّني لا أزال في الظلمة. أجرؤ على القول إنّك سمعت الرجال يغنون في الحفلات الأغنيّة القديمة للشراب التي يعدد المغنون فيها خيرات الحياة، قائلين إنّ الصحة هي الأولى، يليها الجمال، وتأتي الثالثة، كما يقول كتاب الأغنيّة، وهي الثروة المحصلة بأمانة.

جورجياس: نعم، أعرف الأغنية، لكن ما هو مبتغاك؟

سقراط: أعني أنّ منتجي تلك الأشياء الذين يثني عليهم مؤلف الأغنية، ذلك لتقول، الطبيب، المدرّب، ومحصّل المال، سيأتون إليك في الحال، وسيقول لك الطبيب أولاً: « أوه، يا سقراط، إنّ جورجياس ما هو إلاّ خادعٌ لك، لأنّ فنّي يختصّ بالخير الأعظم للرجال وليس فنه ». سأقول له، من أنت؟ وهو سيجيب، « إنّني طبيب » سأقول له: وماذا تعني؟ هل تعني أنّ فنّك ينتج الخير الأعظم؟ سيجيب: « بالتأكيد » « أوليست الصحّة هي الخير الأعظم؟ أيّ خير أعظم يمكن للإنسان أن يكتسب، يا سقراط؟ » وسيأتي

المدرِّب بعده ويقول: « إنّني سأتعجب كثيراً، يا سقراط، إذا أمكن لجورجياس أن يُظهر خيْرًا أكثر في فنّه ممّا أستطيع أن أبيّنه في فنّي ». سأقول له ثانية، من أنت، أيّها الصديق الأمين، وما هو عملك؟ سيجيب: « إنّني مدرِّب » « وعملي هو أن أخلق الجمال والقوة في أجسام الرجال ». وعندما انتهيت من المدرِّب، ها قد وصل محصّل المال وهو، كما أتوقّع، سيستخفّ بهم جميعاً. سيقول: « تأمّل يا سقراط، أيمكن لجورجياس أو لأيّ شخص آخر أن ينتج خيراً أعظم من الثروة »؟ حسناً، سنقول له أنت وأنا، وهل أنت خالق ثروة؟ سيجيب « نعم ». ومن أنت يا « محصّل المال »؟ هل تعتبر أنّ الغنى هو خير الإنسان الأعظم؟. « طبعاً »، سيكون جوابه. وسنواصل أسئلتنا؛ نعم؛ لكن صديقنا جورجياس يناظر في أنّ فنّه ينتج خيراً أعظم من فنك. وسيكون حينئذ متأكداً من أن يواصل ويسأل: « أيّ خير؟ دع جورجياس يجيبني ». أريدك الآن يا جورجياس أن تتصوّر أنّ سؤالهم هذا يسألونك هم إيّاه، وأسألك هذا السؤال أنا كذلك. ما هو الخير الأعظم للإنسان، كما تقول، والذي أنت مُوجدَه؟ أجبنا.

جورجياس: إنّ الخير الأعظم بحقّ، يا سقراط، هو ذلك الذي يعطي الحريّة للرّجال في أشخاصهم الخاصّة، ويعطي القوة للأفراد كي يحكموا في دولهم المتعددة فوق الآخرين.

سقراط: وكيف تعتبر أن يكون هذا؟

جورجياس: أعني المقدرة لأن تقنع القضاة في المحاكم بالكلمات، أو الأعضاء في مجلس الشورى، أو المواطنين في الجمعية العامة، أو المستمعين في أيّ اجتماع سياسيّ آخر. ستجعل بهذه القوّة الطبيب عبدك حقاً والمدرِّب عبدك، وستجد محصِّل المال الذي تكلّمت عنه، ستجده يجمع الكنوز، ليس لنفسه، بل للآخرين، لأنّك أنت القادر أن تتكلم وأن تقنع الكثرة.

سقراط: أعتقد الآن، يا جورجياس، أنّك قد اقتربت جداً من شرح ما تتصوّره أنّه فنّ علم الكلام؛ وتعني، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ علم الكلام هو صانع الإقناع، يمتلك هذا العمل ولا آخر غيره، وأن هذا هو تاجه وغايته. هل تعرف أيّ تأثير آخر لعلم الكلام زيادة على أنّه ينتج الإقناع في روح المستمع؟

جورجياس: لا، فالتعريف يظهر لي جيّداً تماماً، يا سقراط؛ إنّ هذا التأثير هو حاصل علم الكلام وجوهره.

سقراط: إصغ إليّ إذن، يا جورجياس، إنّني متأكّد أنّه إذا وُجد قطُّ الإنسان الذي يشارك في بحث عن أيّ شيء لمعرفة الحقيقة عن الموضوع من محبة صافية، فأنا هو، وعليّ أن أقول الشيء ذاته عنك.

جورجياس: ما هو الآتي، يا سقراط؟

سقراط: سأخبرك. أؤكّد لك أنّني لا أعرف على وجه التحديد طبيعة أو مباحث ذلك الإقناع الذي تتكلم عنه، والذي يمنحه علم الكلام. إن لديّ شكاً بشأن الأوّل والآخر كليهما؛ وبرغم ذلك، فأنا سأسألك: ما هي هذه القوة المقنعة، في نظرك، التي يهبها علم الكلام، وبشأن ماذا؟ لِمَ أسألك الآن، إذا كان لديّ أيّ شكّ، بدلاً من أن أخبرك؟ ليس إرضاءً لك، بل لكي تمضي المحاورة قدماً في أسلوب كهذا يكون أكثر قدرة لأن يلقي الضوء على موضوعنا. وأريدك أن تعتبر ما إذا كنت محقاً في طرح هذا السؤال الأبعد: إذا سألتك، « أيّ نوع من رسّام اليد زيوكسيس؟ » وقلتِ أنت، « إنه رسّام الأشكال »، ألن أكون محقاً في أن أسأل، « أيّ نوع من الأشكال، وأين تجدها؟ ».

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: وسيكون السّؤال لماذا يجب أن أبرّز في هذا السؤال الثاني هو؛ أنّه يوجد رسّامون يدويون آخرون بجانب الذي يرسم عديداً من الأشكال الأخرى؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: لكن إذا لم يوجد أحدٌ إلاّ زيوكسيس الذي رسمها، فحينها ستكون قد أجبت بجودة محققة.

جورجياس: هكذا تماماً.

سقراط: أريد أن أعرف عن علم الكلام بالطريقة عينها. أيكون علم الكلام الوحيد الذي يجلب الإقناع، أو أنّ الفنون الأخرى لديها التأثير عينه؟ أعني: هل من يعلّم أيّ شيء يقنع الرجال بذلك الذي يعلّمه أوْ لاَ؟

جورجياس: إنّه يقنع، يا سقراط ـ لا يمكن إيجاد خطأ بشأن ذلك.

سقراط: دعنا نعود للفنون التي تكلمنا عنها الآن: ـ ألاَ يعلّمنا علم الحساب وعالمو الحساب خاصيّة العدد؟

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: ويقنعنا بها لذلك.

جورجياس: نعم.

سقراط: يكون علم الحساب إذن كما يكون علم الكلام صانع الإقناع؟

جورجياس: بوضوح.

سقراط: وإذا سألَنا أحدٌ ما نوع الإقناع، وعن ماذا، ـ سنجيب، إقناع الذي يعلّم عن كميّة الفردي والمزدوج؛ وسنكون قادرين أن نبيّن أنّ كل الفنون الأخرى التي تكلمنا عنها لتوّنا هي صانعة الإقناع، ومن أيّ نوع، وعن ماذا؟

جورجياس: نعم.

سقراط: إنّ علم الكلام ليس بالصانع الوحيد للإقناع إذن؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: مشاهدين عندئذ أنّ الفنون الأخرى تقدم الإقناع كما يقدمها علم الكلام، يحقُّ لنا إذن أن نسأل السؤال عينه كما في حالة رسّام اليد: أيّ إقناع

يكون علم الكلام صانعه، وعن ماذا؟ أو هل أنّ إضافة هذا السؤال غير عادلة؟

جورجياس: أعتقد، أنّه عدل بما فيه الكفاية.

سقراط: إذا صادقت على السؤال حينئذ، يا جورجياس، فما هو الجواب؟

جورجياس: أجيب، يا سقراط، أنّ علم الكلام هو فنّ الإقناع في محاكم القانون والجمعيّات العامة الأخرى، كما قلت منذ برهة وَجيزة، وعن العادل والظالم.

سقراط: وكان ذلك، يا جورجياس، ما اشتبهت فيه أنه وجهة نظرك عن طبيعة ومقاطعة إقناعك؛ ولن أجعلك تندهش مع ذلك إذا ما وجدتني عما قريب أكرّر ما يبدو أنّه سؤال بسيط؛ لأنّني، كما أقول، لا أسأل كي أدحضك، لكن كي يمكن للمحاورة أن تتقدّم بالتسلسل، وذلك لئلاّ يعتاد أحدنا على مراقبة كلام الآخر بالرّيبة والسعي لإحباطها. أريدك أن تحسّن وجهة نظرك الخاصة بطريقتك الخاصة، في مطابقة مع فرضياتك.

جورجياس: أعتقد أنك محقّ تماماً، يا سقراط.

سقراط: دعني أطرح سؤالاً آخر عندئذ؛ يوجد هكذا شيء مثل (قد تعلّم؟)

جورجياس: نعم.

سقراط: ويوجد أيضاً (قد آمن)؟

جورجياس: نعم.

سقراط: وهل يكون (قد تعلّم) الشيء عينه مثل (قد آمن)، وهل التعليم والاعتقاد هما الشيء عينه؟

جورجياس: إنّهما ليسا الشيء عينه في حكمي، يا سقراط.

سقراط: وحكمك هو الحق، كما يمكنك أنّ تتحقق بهذه الطريقة: إذا ما كان شخص سيقول لك: « أيوجد، يا جورجياس، اعتقاد باطل كما يوجد اعتقاد حقّ؟ »، ستجيب، أنّه يوجد، إذا لم أكن مخطئاً.

جورجياس: نعم.

سقراط: حسناً، لكنْ أتوجد معرفة باطلة كما توجد معرفة حقيقية؟

جورجياس: لا.

سقراط: لا، حقّاً؛ وهذا يبرهن ثانية أنّ المعرفة والاعتقاد يختلفان.

جورجياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: ومع ذلك فإنّ أولئك الذين تعلّموا كما أولئك الذين اعتقدوا هم مقتنعون؟

جورجياس: هكذا بالضبط.

سقراط: هل سنحسب نوعين من أنواع الإقناع عندئذ: الأول هو الذي يكون مصدر الاعتقاد بدون معرفة، كما يكون الآخر بالمعرفة؟

جورجياس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: وما هو نوع الإقناع الذي يخلقه علم الكلام في محاكم القانون والجمعيّات العامة الأخرى عن العادل والظالم؟ هل هو نوع الإقناع الذي يهب الاعتقاد بدون معرفة، أو ذلك الذي يمنح المعرفة؟

جورجياس: إنّه بوضوح، يا سقراط، ذلك الذي يعطي اعتقاداً فقط.

سقراط: كما يبدو، فإنّ علم الكلام إذن هو صانع الإقناع الذي يخلق اعتقاداً عن العادل والظالم، لكنّه لا يعطي تعليماً عنهما؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: ولا يعلّم علم الكلام المحاكم القانونيّة أو الجمعيات العامة الأخرى عن أشياء عادلة وظالمة، لكنّه يخلق اعتقاداً عنها؛ لأنّ أحداً لا يفترض أنّ باستطاعته أن يعلم كثرة عظيمة بشأن مسائل غاية في السموّ بوقت قصير؟

جورجياس: لا بالتأكيد.

سقراط: تعال إذن، ودعنا نرى ماذا تعني بعلم الكلام حقّاً؛ لأنّني لا أعرف ما هو معناي الخاصّ حتى الآن. عندما تجتمع الجمعيّة العامة لتنتخب طبيباً أو صانع

سفن أو أي صانع آخر، فهل سيأخذون بنصيحة عالم الكلام؟ لا بالتأكيد، لأنّه يجب أن يتمّ اختيار الأكثر حذقاً في كل انتخاب. وعندما تُبنى الحيطان ثانية، أو الموانىء أو الأحواض، سيعطي النصيحة سيّد البنائين وليس عالم الكلام. أو عندما يُستدعى القادة لتنظيم وترتيب المعركة، أو لأخذ الموقع، فسينصح العسكري حينئذٍ وليس عالم الكلام؛ فماذا تقول، يا جورجياس؟ بما أنّك تصرّح أنّك عالم كلام وليس صانع علماء الكلام، إنّني لا أستطيع أن أفعل أفضل من تعلّم طبيعة فنّك إلاّ منك. وهنا دعني أؤكد لك أنّني أهتمّ بمصلحتك كاهتمامي بمصلحتي تماماً. إذ من المحتمل أن يرغب واحدٌ أو أكثر من هؤلاء الشبّان الحاضرين في أن يصبحوا تلاميذك. وفي الحقيقة أنّني أرى بعضاً منهم، وعدداً لا يستهان به أيضاً، ممّن لديه هذه الرغبة، غير أنّهم لا يسألونك كونهم حيّيون جداً. ولذلك عندما أستجوبك، أريدك أن تتخيّل أنهم يستجوبونك هم. سيقولون لك: « ما النّفع من مجيئنا إليك يا جورجياس؟ » و« عن ماذا ستعلمنا لننصح الدولة؟ » « هل ستعلمنا عن العدل والظلم فقط، أو عن تلك الأشياء الأخرى التي ذكرها سقراط منذ برهة أيضاً؟ » حاول أن تجيبهم من فضلك.

جورجياس: أحبّ طريقتك في قيادتنا، يا سقراط، وسأجتهد لأكشف لك القوة المحرّكة لعلم الكلام في مجملها. أعتقد، أنّك سمعت، أنّ علم بناء الأحواض والحيطان للأثينيين وتشييد الموانىء استُنبط طبقاً لنصائح ثيموستوكلس جزئياً، وكذلك لنصائح بركليس، وليس لاقتراحات البنّائين.

سقراط: ذلك هو التقليد، يا جورجياس، عن ثيموستوكلس، وسمعت خطاب بركليس بنفسي عندما أشار علينا ببناء الحائط الأوسط.

جورجياس: وستلاحظ، يا سقراط، أنّه عندما يُعطى قرار في مسائل كهذه فعلماء الكلام هم المستشارون، وهم الرجال الذين ينتصرون في النّقاط الأساسيّة.

سقراط: ذلك ما يدهشني، يا جورجياس، والسبب لماذا أثابر في السؤال عن ماهيّة القوّة المحركة لعلم الكلام، الذي يظهر لي على الدوام، عندما أنظر إلى المسألة بهذه الطريقة، السبب هذا هو أعجوبة عظيمة.

جورجياس: أعجوبة، حقاً، يا سقراط، إذا عرفت فقط كيف يشمل علم الكلام ويحوي نفوذه كل الاختصاصات الأخرى تقريباً. دعني أقدّم لك مثالاً مذهلاً عن هذا. لقد كنت في مناسبات عديدة مع أخي هيروديكوس أو مع بعض الأطبّاء الآخرين لأرى واحداً من مرضاه، لم يسمح للطبيب أن يعطيه الدواء، أو يستعمل السكين أو الكيّ معه؛ ولقد أقنعته أن يفعل إكراماً لي ما لم يفعله إكراماً للطبيب باستعمال علم الكلام فقط. وأقول إنّه إذا ما ذهب عالم الكلام والطبيب إلى أيّة مدينة، وكان عليهما أن يتحاورا في الجمعية العمومية للمواطنين أو في أيّة جمعية عمومية أخرى كتلك التي سينتخب فيها أطباء للدولة، فلن يكون لدى الطبيب أيّ حظّ في ذلك، بل سيختارهم الذي يقدر على الكلام إذا رغب؛ وفي مباراة مع إنسان ما لأيّة مهنة أخرى، فإنّ لدى عالم الكلام القوة كي يختاره الجميع أكثر من أيّ إنسان آخر، لأنّ باستطاعته أن يتكلّم بإقناع أكثر إلى الجماهير وهذا ما لا يستطيع أحد منهم فعله، وهكذا عن أي موضوع. هكذا تكون طبيعة وقوة فنّ علم الكلام! ومع هذا، يا سقراط، يجب استعمال علم الكلام كأيّ فنّ تنافسيّ، ليس ضد كل شخص، بسبب أنّ الرجل قد تعلّم كيف يتغلب على صديقه أو عدوّه كليهما في الملاكمة أو المصارعة أو استعمال السلاح، لذلك عليه أن يضرب، يطعن، أو يذبح أصدقاءه. إفترض ثانية أنّ رجلاً قد تدرّب في مدرسة المصارعة وأنّه ملاكم شديد البراعة، - يتقدم ويسدد ضربة بقوته الممتلئة عزيمة إلى أبيه أو أمه أو لأحد أقاربه أو أصدقائه؛ إنّ ذلك ليس سبباً كي يلحق المقت بالمدربين أو أسياد لَعِبِ الحِكَم بالسّيف أو يطردون من

المدينة؛ لا بالتأكيد. فهم علّموا فنّهم لغرض صالح، كي يُستعمل ضد الأعداء وصانعي الشرّ في الدفاع عن النفس، وليس في المبادأة بالشرّ؛ بهذا يكون تلامذتهم قد أساؤوا استعمال تعليماتهم، وحوّلوا قوتهم الخاصة ونشاطهم للشر. لكن أساتذتهم ليسوا أشراراً بسبب ذلك، وليس الفنّ مسؤولاً، أو سيّئاً في ذاته، عليّ أن أقول بالأصح إنّ أولئك الذين يستعملون الفنّ خطأً عليهم يقع اللوم، وتُعتبر المحاورة عينها صالحة فيما يخصّ علم الكلام؛ لأنّ عالم الكلام يستطيع أن يتكلّم ضدّ كلّ الرجال وفي أيّ موضوع، بالاختصار، إنّه يقدر أن يقنع الجماهير أفضل من أيّ رجل آخر عن أي شيء يرضيه، لكن ليس عليه لذلك أن يغشّ الطبيب أو أيّ إنسان ذي مهنة عن سمعته الحميدة لمجرد أنّه يمتلك القوة؛ بل عليه أن يستعمل علم الكلام بعدل، كما يستعمل قدراته الرياضية أيضاً. وإذا استعمل فنّه وقدراته لأهداف شرّيرة بعد أن أصبح عالماً للكلام، فلا يجب أن يُرمى معلمه بالمقت أو يُطرد بسبب ذلك بكل تأكيد. لأنّ معلمه أعطاه إيّاه كي يستعمله للخير غير أنّ التلميذ يسيء استعماله: إنّ من يسيء استعمال الفنّ يجب مقته وطرده من المدينة، بل وأن يُنفَّذ حكم الإعدام به، وليس بمعلمه.

سقراط: أنت مثلي، يا جورجياس، لديك خبرة عظيمة في الجدال، ولا شكّ أنك لاحظت، كما أعتقد، أنّ الفرقاء لا يستسهلون أن يُحدِّد بعضهم لبعض مواضيع البحث التي بدأوها وأن تصل مقابلاتهم إلى نهاية طبيعيّة بعد أن تمتّعوا ببعض التنوير المتبادل؛ بل إنّ التنافر هو عرضة لأنّ ينشأ - لقد قال شخص ما إن الآخر لم يتكلم بحقّ أو وضوح؛ وحينئذ يستولي عليهم الغضب ويبدأون بالخصام، ويتصور الفريقان كلاهما أن أخصامهم يحاورون من شعور شخصيّ وغيرة من أنفسهم فقط، وليس من أيّ اهتمام بالسؤال موضوع البحث. وينتهي الحوار بعض الأحيان في منظر معيب: إنهم يتفرقون

بشكلٍ مهين ومشين مما يجعل شركاءهم في المحاورة يشمئزّون من أنفسهم تماماً ومن سماعهم أشخاصاً كهؤلاء. لماذا أقول هذا؟ لماذا، لأنّني لا أقدر إلاّ أن أشعر أنّك تقول الآن ما لا يناسب أو يطابق ما قلته سابقاً عن علم الكلام. وإنّي لخائف أن أوجّه لك هذا، خشية أن تظنّ أنّني أتكلّم، ليس من غيرة في اكتشاف الحقيقة، بل من حسدٍ لك. وبعدُ إذا كنت واحداً من نوعي، عليّ أن أستنطقك، وإلاّ فسأدعك لوحدك. وستسأل، ما هو نوعي؟ إنّني واحد من أولئك الذين هم على استعداد تامّ لأن يُدحضوا إذا قلت أيّ شيء مغاير للحقيقة، ومستعدّ جداً أن أنقض أيّ واحد آخر يقول ما ليس حقاً، وعلى المستوى نفسه من الاستعداد لأن تُفنّد أقوالي كما أقوال الآخرين؛ لأنّي أعتقد أنّ هذا هو الربح الأكبر للإثنين، تماماً كما يكون الربح الأكبر كونك قد أُنقِذت من شرّ عظيم جداً من أن تنقذ الآخرين. لأنّي أتصوّر أنّه لا يوجد شرّ يمكن للإنسان أن يتحمله هو أعظم من الرأي الخاطىء عن المسائل التي نتكلّم فيها. وإذا طلبت أن تكون واحداً من نوعي، دعنا نخرج البحث إلى النور، أما إذا فعلت ذلك، فلا يهمك، وسنجد نهاية له.

جورجياس: إنّني أطالب، يا سقراط، لأكون الإنسان الذي إليه تشير تماماً؛ لكن لربّما علينا أن نراعي شعور الحاضرين، لأنني قبل مجيئك أعطيت عرضاً طويلاً مسبقاً، وإذا واصلنا الحوار يمكن أن يأخذ معنا وقتاً طويلاً. ولذلك أعتقد أنّ علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ألاّ نعيق قسماً ما من الحاضرين في حين أنّ لديهم عملاً آخر سيقومون به.

تشايرافون: أنتما تسمعان هتاف الحاضرين، يا جورجياس ويا سقراط، والذي يُظهر رغبتهم بسماعكما؛ وفيما يخصني، لا قدرت السماء أن أقوم بأيّ عمل ذي

إلحاح وأهميّة كالذي سيعدني من بحثٍ في هكذا أهميّة ومؤكدٍ بجدارة حقيقية.

كاليكلس: بحق الآلهة، يا تشايرافون، مع أنّني قد حضرت العديد من المناقشات، أشكّ أنّني كنت مسروراً من قبلُ كما أنا الآن، ولذلك إذا ما واصلتم بحثكم طوال اليوم سأكون أفضل حبوراً.

سقراط: يمكنني أن أقول بصدق، يا كاليكلس، أنّني على استعداد لمواصلة البحث، إذا ما كان جورجياس.

جورجياس: بعد كل هذا، يا سقراط، سأكون مُعاباً إذا رفضت، خاصة بعد أن قطعتُ وعداً لأن أجيب كلَّ القادمين؛ إبدأ إذن، في تجاوب مع رغبات الرفاق، واسألني أيّ سؤال ترغب.

سقراط: دعني أخبرك إذن، يا جورجياس، ما الذي يفاجئني في كلماتك؛ ولو أنّني تجرأت لأقول أنّك ربّما كنت محقاً، وربّما لم أفهم ما عنيت. أنت تقول إنّك تستطيع أن تجعل أيّ إنسان سيتعلّم منك، عالم كلام؟

جورجياس: نعم.

سقراط: هل تعني أنّك ستعلّمني كيف يحصل على إصغاء الجماهير في أيّ موضوع يطرحه، وهذا لا يتم بالتعليم وإنما بالإقناع؟

جورجياس: هكذا بالضبط.

سقراط: قلت أنت، في الحقيقة إنّ عالم الكلام سيمتلك قوة إقناع أعظم من الطبيب حتى في مسألة الصحة؟

جورجياس: نعم، ـ يكون ذلك مع الأكثرية.

سقراط: تعني لتقول، مع الجهلة؛ لأنّه مع أولئك الذي يعرفون لا يمكن افتراض أنّ لديه قدرات أعظم للإقناع؟

جورجياس: حقاً يقيناً.

سقراط: لكن إذا كان لديه قوة أكثر للإقناع من الطبيب، فهو سيمتلك قوة أكبر من الذي يعرف؟

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: مع أنه ليس طبيباً: ـ أيكون هو؟

جورجياس: لا.

سقراط: ويجب على مَن ليس بطبيب أن يجهل ما يعرفه الطبيب، بوضوح؟

جورجياس: بجلاء.

سقراط: عندما يكون عالم الكلام أكثر إقناعاً من الطبيب حينئذ، فالجاهل يكون أكثر إقناعاً مع الجاهل منه مع الذي يمتلك معرفة؟ ـ أليس ذلك هو الإستنتاج؟

جورجياس: في الحالة المفترضة: نعم.

سقراط: ويتمّ إثبات الشيء عينه عن صلة علم الكلام وعالم الكلام بكل الفنون الأخرى الباقية. فهو لا يحتاج لأن يعرف الحقيقة عن الأشياء، بل عليه أن يكتشف طريقة ما لإقناع الجهلة بأنّه يمتلك معرفة أكثر من أولئك الذين يعرفون؟

جورجياس: نعم، يا سقراط، أليست هذه راحة كبرى؟ ـ أن لا تتعلّم الفنون الأخرى، سوى علم الكلام فقط، وأن لا تكون مع ذلك أدنى مرتبة من الذين تعلموها بأية طريقة؟

سقراط: سواء أكان عالم الكلام أدنى مرتبة بسبب ذلك أم لا، فإنّه سؤال سيختبره فيما بعد إذا ما كان سيؤدّي مساعدة لبحثنا. لكنّني أفضّل أن أبدأ بالسؤال ما إذا كان هو شبيهاً بجهله عن العادل والظالم، الوضيع والنبيل، الخسيس والشريف، كمثل جهله عن الطبّ والفنون الأخرى أمْ لا، أعني، هل يعرف أيّ شيء في الحقيقة ما يكون خيراً وشرّاً، خساسة وشرفاً، عدلاً وظلماً

فيها؛ أو أنّه وجد طريقة مع الجهلة فقط لإقناعهم أنّه، كونه مثلهم جاهلاً، يعرف عن هذه الأشياء أكثر من أي شخص آخر؟ أو أنَّ على التلميذ أن يعرف هذه الأشياء ويأتي إليك عارفاً لها قبل أنّ يتمكن من اكتساب فنّ علم الكلام؟ وإذا كان القادم الجديد جاهلاً، فأنتم، أعني أساتذة علم الكلام، لن تعلّموه، أليست هذه مهنتكم؛ لكنكم ستجعلونه يظهر للكثرة أنّه يعرفها، عندما يكون غير عارفٍ بها؛ وليظهر أنّه رجل خيِّر عندما لا يكون. أو أنكم عاجزون أن تعلموه علم الكلام البتّة، ما لم يعرف حقيقة هذه الأشياء بادىء ذي بدء؟ ماذا سيقال عن كل هذا؟ أتوسّل إليك بجديّة قصوى، يا جورجياس، أن تمزّق القناع وتطرحه جانباً وتشرح لي القوة الفعّالة لعلم الكلام، كما قلت أنّك ستفعل.

جورجياس: حسناً، يا سقراط، أفترض أنّ التلميذ إذا لم يَنَلْ الفرصة ليعرفها، فسيتعلم منّي هذه الأشياء بالمثل.

سقراط: لا تقل أكثر، فهناك أنت مصيب؛ وهكذا فالذي تجعله عالم كلام يجب إمّا أن يعرف طبيعة العادل والظالم مسبقاً، أو يجب أن يكون قد تعلمها منك.

جورجياس: بكل تأكيد.

سقراط: حسناً، أليس مَنْ تعلّم فنّ النجارة نجّاراً؟

جورجياس: نعم.

سقراط: والذي تعلّم فنّ الموسيقى موسيقياً؟

جورجياس: نعم.

سقراط: والذي تعلّم فنّ الطبّ طبيباً، في نمط مماثل؟ والذي تعلّم أيّ شيء مهما كان فهو ذلك الذي تصنعه معرفته.

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: وفي الطريقة عينها، فمن تعلّم ما هو العدل فهو عادل؟

جورجياس: لتكن متأكداً.

سقراط: ومن يكن عادلاً يُفترض به أن يفعل ما هو عدل؟

جورجياس: نعم.

سقراط: يجب أن يكون علم الكلام عادلاً إذن، ويجب على الإنسان العادل أن يفعل ما يكون عدلاً؟

جورجياس: يظهر أنّ ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: بالتأكيد، فالإنسان العادل عندئذ، لن يرضى أن يفعل الظلم مطلقاً؟

جورجياس: لا بالتأكيد.

سقراط: ويجب أن يكون عالم الكلام عادلاً طبقاً للمحاورة؟

جورجياس: نعم.

سقراط: ولذلك فلن يكون مستعّداً لأن يفعل الظلم على الإطلاق؟

جورجياس: يظهر أنّه لن يفعل.

سقراط: لكن هل تتذكر ما قلته منذ برهة أنّ المدرِّب لن يُتّهم أو يُنفى إذا ما أدى الملاكم الاستعمال الخاطىء لفن الملاكمة؟ وفي أسلوب مماثل، إذا ما قام عالم الكلام باستعمال علمه خطأ وظلماً، فلن يقع اللّوم أو الاتهام على معلّمه، الذي لا يستحقّ النفي، بل لصانع الخطأ نفسه الذي أوجد الاستعمالَ الفاحشَ الخطأِ لعلم كلامه. إنّه هو الذي سيُبعَد ـ ألم يُقلْ ذلك؟

جورجياس: نعم، لقد قيل.

سقراط: لكنّنا نؤكّد الآن أنّ عالم الكلام السالف الذكر لن يفعل الظلم مطلقاً؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: ولقد قيل في الابتداء تماماً، يا جورجياس، إنّ علم الكلام قد تعامل بالخطابة ليس عن الأرقام المفردة والمزدوجة بل عن العادل والظالم؟ ألم يُقل هذا؟

جورجياس: نعم.

سقراط: فكّرت في وقت من الأوقات، عندما سمعتك تقول هكذا، أنّ علم الكلام، الذي يناقش عن العدل بشكل دائم، من المحتمل ألاّ يكون شيئاً ظالماً. لكنك عندما أضفت، بعدها بقليل، أنّ عالم الكلام يمكن أن يؤدّي استعمالاً سيئاً لعلم الكلام لاحظت بدهشة التناقض الواضح الذي وقعت فيه، وقلت إنّك إذا فكّرت أنت، كما فعلت أنا، أنّه كان هناك كسب في كونك مدحوضاً، فستوجد منفعة في استمرارية السؤال، وأما إن كان لا فسأغادر المكان حالاً. وكما ترى بنفسك، لقد تمّ الاعتراف أثناء استقصاءاتنا أنّ عالم الكلام يكون عاجزاً عن القيام باستعمال علم الكلام ظلماً، أو أن يعزم على فعل الظلم. بناءً على كلمتي، يا جورجياس، سنحتاج لجلسة طويلة كي نحصل على الحقيقة في كل هذا.

بولس: وهل تعتقد بجديّة، حتى أنت، يا سقراط، فيما تقوله الآن عن علم الكلام؟ ماذا! لأنّ جورجياس خجل من أن ينكر أنّ عالم الكلام عرف العادل والشريف والخيّر، واعترف أنّ أيّ شخص ممّن أتى إليه وهو يجهله أنّه سيعلمه إياه، وانبثق خارج هذا الاعتراف تناقض عندئذ. وأنت مقتنع تماماً بالوصول لهذه النتيجة، بما أنّك قدت المحاورة مستنداً إلى هكذا أرضيّة خيانيّة بأسئلتك! وهل سيعترف أيّ واحد أنّه لا يعرف قط، أو لا يستطيع أن يعلّم، طبيعة العدل؟ الحقيقة أن هناك افتقاراً في الأخلاق لجلب المحاورة إلى ممرٍّ ضيّق كهذا.

سقراط: يا بولس الشهير، إنّ السبب الذي من أجله نجهّز أنفسنا بالأصدقاء والأولاد هو أنّنا عندما نتقدم في السنّ ونكبو، فجيل شابّ يمكن أن يكون موجوداً ويركّزنا على أرجلنا مرة ثانية في كلماتنا وفي أعمالنا. وبعدُ، إذا تعثرنا أنا وجورجياس، فأنت هنا كي تقيلنا من عثارنا ـ إنه لواجبك حقّاً ـ وأنا

من ناحيتي أتعهّد بسحب أيّ خطأ يمكن أن تعتقد أنّني وقعت فيه، بشرط واحد.

بولس: ما الشرط؟

سقراط: أن تقلّص، يا بولس، التطويل في الكلام الذي انغمست به في البداية.

بولس: ماذا! هل تعني أنّه لا يمكنني أن أستعمل العديد من الكلمات كما يحلو لي؟

سقراط: لتعتقد فقط، يا صديقي، أنّك قدمت في زيارة إلى أثينا، التي هي الدولة الأكثر حرّيةً للكلام في هيلاس، وأنّك لدى وصولك، ستجرّد من قوة الكلام هذه، فإنّ ذلك سيكون صعباً حقاً. لكنْ تأمّل حالتي حينئذ ـ ألن أكون بدوري مُعاملاً بقسوة محقّقة، إذا أعددت خطاباً طويلاً ورفضت أن تجيب على ما أسألك، ألا أكون مجبراً على البقاء والاستماع لك، ولا يمكنني أن أغادر المكان؟ إنّني أقول بالأوْلى، إذا كان لديك اهتمام حقيقي في الحوار، أو أن تكرّر تعبيري السابق، أو إذا تملّكتك أيّة رغبة في وضعه على قدميه، إنّني أقول لك أن ترجع إلى أيّ تقرير يعجبك، واسأل بدورك وأجب عندئذ، مثلما فعلت أنا وجورجياس، إدحض خصمك ودعه يدحضك. فأنا أفترض أنّك ستطالب بمعرفة ما يعرفه جورجياس. ألاَ تفعل ذلك؟

بولس: نعم.

سقراط: وأنت، مثله، ستدعو أيّ شخص ليسألك عن أيّ شيء يحلو له، وستعرف كيف ستجيبه؟

بولس: لتكن متأكداً.

سقراط: حسناً جداً إذن؛ إسأل أو أجِبْ، مثلما تفضّل.

بولس: سأسأل؛ وأجبني أنت، يا سقراط. سأسألك السؤال عينه، الذي افترضت أنّ جورجياس عاجزٌ عن الإجابة عليه: ما هو علم الكلام؟

سقراط: هل تعني أيّ نوع من الفنّ؟

بولس: نعم.

سقراط: لنقُل الحقيقة، يا بولس، إنّه ليس فنّاً على الإطلاق، في نظري.

بولس: ما هو علم الكلام برأيك، إذن؟

سقراط: إنّه شيء، كالذي قرأته في أحد كتبك، تقول أنت أنّك شكلت فنّاً.

بولس: أيّ شيء؟

سقراط: عليّ أن أقول إنّه نوع من الحذق العملي.

بولس: هكذا تعتقد أنّ علم الكلام حذق عمليّ.

سقراط: تلك هي وجهة نظري، لكنّك يمكن أن تكون ذا تفكير آخر.

بولس: حذق عمليّ في ماذا؟

سقراط: في إنتاج نوع من البهجة والإرضاء.

بولس: وإذا كنت قادراً على إرضاء الجنس البشري، ألا يجب أنّ يكون علم الكلام شيئاً جميلاً؟

سقراط: ماذا تقول، يا بولس؟ هل حصلت مني تواً على تعريف علم الكلام، لكي تتقدم وتسأل ما إذا كنت أعتقده شيئاً جميلاً؟

بولس: ألم أسمعك تقول إنّ علم الكلام كان نوعاً من الحذق العملي؟

سقراط: هل ستقدم إرضاءً طفيفاً لي، أنت الشديد الرغبة لترضي الآخرين؟

بولس: سأفعل.

سقراط: هل ستسألني، أيّ نوع من أنواع الفنّ يكون الطّهو؟

بولس: أيّ نوع من أنواع الفنّ يكون الطّهو؟!

سقراط: إنّه ليس فناً على الإطلاق، يا بولس.

بولس: ماذا إذن؟

سقراط: عليّ أن أقول إنّه نوع من الحذق العملي.

بولس: حذقٌ في ماذا؟ أرغب في أن تشرحه لي.

سقراط: حذق في إنتاج نوع من البهجة والإرضاء، يا بولس.

بولس: أيكون الطّهو وعلم الكلام سواسية إذن؟

سقراط: لا، إنّهما جزآن مختلفان فقط للمهنة عينها.

بولس: لأيّة مهنة؟

سقراط: إنّني خائف لأنّ الحقيقة يمكن أن تبين سَمِجة؛ وأتردد في الإجابة مخافة أن يتصوَّر جورجياس أنّني أهزأ من مهنته الخاصة، لأنّه سواء يكون ذلك أو لا يكون فنّ علم الكلام الذي يمارسه جورجياس لا أقدر أن أخبر بحق: ولا يظهر شيء ممّا قاله لتوّه الآن ما فكره عن فنّه، لكنّ علم الكلام الذي أعنيه هو جزء من كلٍّ غير موثوق به.

جورجياس: جزء من ماذا، يا سقراط، قل ما تعني، ولا تهتمّ بي قط.

سقراط: في رأيي إذن، يا جورجياس، أنّ الكل الذي يكون علم الكلام جزءاً منه هو عادة تمرينيّة لا تملك أيّ شيء من الفنّ فيها، لكنّها تأتي إلى العقل الجسور والماكر بذكاء طبيعيّ في التعامل مع الرجال. أُلخّص هذه الممارسة تحت كلمة (تملّق)؛ ويظهر لي أنّه يمتلك أجزاء أخرى عديدة، أحدها هو الطهو، الذي يمكن النظر إليه على أنه فنّ، لكنّه كما أؤكّد، هو مهارة عمليّة أو تواتر فقط وليس فنّاً. والجزء الآخر هو علم الكلام، وأما فنّ الكساء والسفسطة أو التضليل فهمَا اثنان آخران. يوجد هكذا أربعة فروع، وأربعة أشياء مختلفة في تطابقها. ويمكن لبولس أن يسأل، إذا أحبّ، لأنّه لم يكن قد أُخبِر لحدّ الآن، أيّ جزء من التملق هو علم الكلام: إنّه لم يرَ أنّني لم أُجِبهُ حتى الآن عندما تقدّم ليسأل سؤالاً أبعد ما إذا كنت أعتقد أن علم الكلام شيء جميل؟ لكنّني لن أخبره ما إذا كان علم الكلام شيئاً جميلاً أو لاَ، حتى يتلقّى جوابي أوّلاً على سؤال: « ما هو علم الكلام؟ » إنّ ذلك لن

يكون محقاً، يا بولس. غير أنّي سأكون سعيداً لأجيب، إذا ما سألتني، أيّ جزء من المداهنة هز علم الكلام؟

بولس: سأسأل، وأجبني أنت، أيّ جزء من المداهنة هو علم الكلام؟

سقراط: هل ستفهم جوابي؟ إنّ علم الكلام .طبقاً لوجهة نظري جزء شبحيٌّ أو مزَيَّفٌ من علم السياسات.

بولس: وهل هو نبيل أو خسيس؟

سقراط: خسيس، عليَّ أن أقول لأنّني أسمّي ما يكون رديئاً خسيساً ـ إذا كنت لأجيب على افتراض أنّك تفهم ما أقول.

جورجياس: حقاً، يا سقراط، لا أستطيع القول إنّني أفهمك .

سقراط: لا أتعجب لذلك، يا جورجياس؛ لأنّني لم أوضح نفسي بعد، وصديقنا بولس، بما أنّه مُهْرٌ بالإسم ومُهرٌ بالطبيعة، فهو شابٌّ عجول[١٥]

جورجياس: لا تكترث له، لكن اشرح لي ماذا تعني بالقول إن علم الكلام هو جزء تزييفيٌّ من علم السياسات.

سقراط: إنّني سأحاول، إذن، أن أشرح نظريّتي عن علم الكلام، وإذا ما كنت مخطئاً، فصديقي بولس سيدحض قولي. يمكننا أن نحسب وجود الأجساد والأرواح؟

جورجياس: طبعاً.

سقراط: وستقبل ما هو أبعد من ذلك وهو وجود حالة جيّدة لكلّ منها؟

جورجياس: نعم.

سقراط: أيّة حالة يمكن أن لا تكون جيّدة بحقّ، بل جيّدة في المظهر فقط؟ أعني أنه يوجد أشخاص عديدون يظهرون وكأنهم في صحّة ممتازة، والذين سيدرك الطبيب أو المدرّب فقط أنّ صحتهم ليست ممتازة وبكل سهولة.

جورجياس: حقاً.

سقراط: ولا يُطبَّق هذا على الجسد فقط، بل على الروح أيضاً؛ ويمكن أنّ يوجد في كليهما ما يعطي مظهر الصّحة وليس حقيقتها؟

جورجياس: نعم بالتأكيد.

سقراط: وسأجتهد الآن لأشرح لك ما أعنيه بوضوح أكثر. بما أنّ الروح والجسد اثنان، فهُما يمتلكون فنّانِ مناسبان لهما؛ هناك فنّ العلوم السياسيةِ الذي يعتني بالروح، ويعتني فنٌّ آخر بالجسم، لا أعرف له معنىً مفرداً، ويمكن أن نصفه أنّه يمتلك قسمين اثنين، الألعاب الرياضية أحدها، والآخر الطب. ويوجد في العلوم السياسيّة الجزء التشريعي، الذي يطابق الألعاب الرياضية، كما يطابق العدل فنّ الطبّ. ويلتقي الجزآن في كل حالة ببعضهما، كونهما يخصّان الموضوع عينه - يتخطى العدل سنّ القوانين، ويتخطى فن الطب الألعاب الرياضية لكن بفارق. ويعدُ بسبب وجود هذه التقسيمات الأربعة للفنون، إثنان منها يعتنيان بالجسم واثنان بالروح ولخيرهما الأسمى، فإنّ فنّ الكذب المستعار للتملّق، متصورين هذا - أعني ليس من خلال المعرفة، بل بعمل تخميني - إن فنّ الكذب هذا يقسم نفسه لأربعة أجزاء ويتطرق بنفسه لكلّ جزء من التقسيمات الأربعة، ويتظاهر أنه يكون ذلك الذي انسلّ فيه، غير مولٍ أيّ اهتمام بأسمى مصالح الرجال، إنه يحتال بالحماقة وبإغراء اللذّة الحاضرة ويضلّ الرجال بالاعتقاد أنّه يكون الاعتبار الأرفع لهم. يفترض أنّ الطهو شَبَهٌ بعلم الطب، ويدّعي أنّه يعرف أيّ غذاء هو الأفضل للجسم، وإذا ما دخل الطبيب والطاهي في مباراة كان الأطفال قضاتها، أو الرجال الذين ليست لديهم معرفة أكثر من الأطفال، كي يقرروا أيٌّ منهما يفهم أكثر بجودة الغذاء ورداءَته. فسيجوع الطبيب حتى الموْت حينئذ. أعتبر أنّ هذا هو التمّلق، يا بولس، وأنه ذو نوعية سافلة، فأنا مقدِّم لك نفسي الآن، لأنها تهدف إلى اللذّة بدون أيّ تفكير إلى الأفضل، ولا أسمّي علم الكلام

فنّاً، بل نوع من المهارة التمرينيّة، لأنّه لا يستطيع أن يعطي أي حساب عن طبيعة الأشياء التي يقدّمها لأيّ شخص، ولذلك لا يمكنه أن يشرح سبب تقديم كلٍّ منها. وإنّني لا أقدر أنْ أدعو النشاط الّلاعقلاني فنّاً، لكنّك إذا حاججت كلماتي، فأنا على استعداد لأن أحاور دفاعاً عنها.

أؤكد عندئذٍ، أن الطهو تملقٌ يأخذ شكل الدواء؛ وأن التزيين تملّقٌ في أسلوب مماثل يأخذ شكل الألعاب الرياضيّة، وهو ماكر، باطل، دنيء، ضيقّ الفكر، يعمل بخداع بمساعدة الخطوط، والألوان، وطلاءات الجلد، ولبس الثياب، ويجعل الرجال تتأثّر بالجمال المزوَّر بإهمال الجمال الحقيقي الذي تهبه الألعاب الرياضيّة.

لن أكون مُتعِباً بالأحرى، وسأقول لذلك فقط، على غرار علماء الهندسة، (لأنني أعتقد أنّكم ستتمكّون من متابعتي بهذا الوقت) - كما هو التزيين للألعاب الرياضيّة، هكذا يكون علم الكلام لسَنِّ الشرائع، وكما هو الطّهو إلى الدواء، هكذا يكون علم الكلام إلى العدل. ما أعنيه هو هذا: بينما يكون هذا هو الفرق الطبيعي بين علم الكلام والسفسطة، وبسبب ارتباطهما القريب مع ذلك فعالم الكلام والسوفسطائيّ متلائمان للاختلاط معاً في نفس منطقة النشاط وفيما يختص بالأهداف عينها؛ إنهما لا يعرفان ما سيخلقان من نفسيهما، ولا يعرف الرجال الآخرين ما سيخلقون منهما. إذ لو ترأّس الجسم فوق ذاته، ولم يكن تحت هداية الروح، ولم تميِّز الروح بين الطهو والدواء بل نُصِّب الجسم قاضياً لهما، وكان حكم التقاضي لمسرّات الجسد الذي أعطي بهما، ستسود حينها كلمة أناكساكوراس، تلك الكلمة التي تُلِمُّ بها جيّداً، يا صديقي بولس، ستسود طولاً وعرضاً. « التشوّش » سيأتي ثانية، وسيختلط الطهو، والصحّة، والدواء في حجم غير مميَّز. وبعد فلقد أخبرتك فكرتي عن علم الكلام، الذي يكون، في علاقته بالروح، ما

تكون علاقة الطهو بالجسد. ربّما خالفت في إعدادي حديثاً طويلاً، في حين لم أسمح لك أن تفعل ذلك. لكنّني أعتقد أنني معذور، لأنّك لم تفهمني، ولم تستطع تلقّي أيّة منفعة عندما تكلمت بإيجاز، بل احتجت للشرح. وإذا أظهرتُ أنا عدم قدرة متساوية كي أفهمك، آمل أن تتكلم بطولٍ متساوٍ؛ لكنّني إذا قدرت على فهمك، دعني أمتلك منفعة فهمي هذا، كما يكون عدلاً فقط: وبعدُ يمكنك أن تفعل ما تريده لإجابتي.

بولس: ماذا تعني؟ هل تعتقد أنّ علم الكلام تملّق؟

سقراط: كلا، قلت إنّه جزء من التملق؛ إذا كنت لا تقدر أن تتذكّر وأنت في سنّك هذه، يا بولس، فماذا ستفعل عمّا قريب؟

بولس: وهل يُحتقر علماء الكلام في الدول، بحجّة أنّهم متملّقون؟

سقراط: هل هذا سؤال أو بداية حديث؟

بولس: إنّني أسأل سؤالاً.

سقراط: إذن فجوابي هو أنهم ليس لهم اعتبار على الإطلاق.

بولس: ليس لهم اعتبار؟ أليس لديهم سلطان واسع في الدول؟

سقراط: ليس إذا عنيت بالقول إنّ السلطان هو خير لمالكه.

بولس: وهذا هو ما أعنيه بالقول.

سقراط: إذا كان هذا ما تعنيه، إذن، فهم يمتلكون القوّة الأقلّ من كلّ المواطنين.

بولس: ماذا! ألاَ يشبهون المستبدّين؟ فهم يقتلون ويسلبون وينفون أيّ شخص يرغبون؟

سقراط: إنّني عند كلمتي، يا بولس، فأنا لا أستطيع أن أفهم في كلّ إلقاء تقوم به، سواء أأبديت رأياً خاصاً بك، أو سألتني سؤالاً.

بولس: إنّي أسألك سؤالاً.

سقراط: نعم، يا صديقي، لكنّك سألت سؤالين فوراً.

بولس: سؤالان؟ كيف؟

سقراط: لماذا، ألمَ تقل لتوّك إنّ علماء الكلام يشبهون المستبدّين، وإنّهم يقتلون ويسلبون وينفون أيّ شخص يريدون؟

بولس: فعلت.

سقراط: حسناً إذن، إنّني أقول لك إن هناك سؤالين في واحد، وسأجاوب على كليهما، وأخبرك، يا بولس، أنّ علماء الكلام والمستبدين يملكون أقلّ سلطة ممكنة في الدول، كما قلت منذ برهة؛ لأنّهم لا يعملون شيئاً يريدونه فعلاً، بل ما يعتقدونه الأفضل فقط.

بولس: أوليست تلك سلطة عظيمة؟

سقراط: قل (لا) على الأقلّ، يا بولس.

بولس: أقول (لا)! لكنّني أقول (نعم).

سقراط: كلا، أهكذا تساعدني - ! لكن لست أنت، لأنّك تقول إنّ السلطة العظيمة هي صالحة للذي يمتلك القوة.

بولس: إنّني أفعل.

سقراط: وهل ستؤكد أنّه إذا فعل الغبيّ ما يظنّه الأفضل، فهذا يكون صالحاً، وهل ستسمّي هذا قوة عظيمة؟

بولس: عليّ أن لا أفعل ذلك.

سقراط: يجب إذن أن تبرهن أن عالِم الكلام لا يكون غبياً، وأنّ علم الكلام هو فنّ وليس تملّقاً - وهكذا فسوف تدحضني؛ لكن إذا تركتني بدون نقض، لماذا، فعلماء الكلام الذين يفعلون ما يحسبون أنّه الأفضل في الدول، وكذلك المستبدون، لن يكون لديهم أيّ شيء كي يقوموا بتهنئة أنفسهم عليه، إذا، وكما تقول، أنّ السلطة هي صالحة حقاً، لكنّك تعترف في الوقت عينه أنّ عمل ما يظنه الواحد أنّه الأفضل بدون إدراك يكون شرّاً.

بولس: إنّني أعترف بذلك.

سقراط: كيف يمكن لعلماء الكلام إذن، أو للمستبدّين، أن يكون لديهم سلطة عظمى في الدول، ما لم يستطع بولس دحض سقراط، وما لم تبرهن له أنّهم يفعلون ما يشاؤون؟

بولس: هذا الشخص -

سقراط: أقول إنّهم لا يفعلون كما يشاؤون؛ ادحضني الآن.

بولس: لماذا، ألم تقل مسبقاً إنّهم يفعلون ما يظنونه الأفضل؟

سقراط: ولا أزال على قولٍ كهذا.

بولس: وإنهم يفعلون كما يشاؤون بالتأكيد؟

سقراط: أكذبها.

بولس: لكنّهم يفعلون ما يظنونه الأفضل؟

سقراط: نعم.

بولس: إنّ ذلك، يا سقراط، شيء فظيع ومضحك.

سقراط: كلمات جيدة، يا بولس الصالح، كما يمكنني أن أقول بأسلوبك الخاص المميّز. لكن إذا كان لديك أسئلة لتطرحها فاطرحها عليّ، وبرهن أنّني على خطأ؛ وإلاّ ستجيبني عندما أسألك؟

بولس: حسناً جداً، إنّني على استعداد لأن أجيبك كي أتمكّن من معرفة ما تعني.

سقراط: هل يظهر لك أن الرجال يشاؤون كلّ شيء يفعلون، أو أنّهم يشاؤون تلك الغاية الأبعد لذلك الشيء الذي يفعلون؟ وعندما يتناولون الدواء، كمثال، بأمر الطبيب، فهل يشاؤون شرب الدواء والألم الناتج عنه، أو الصحّة في سبيل ذلك الذي يشربون؟

بولس: الصحة، بوضوح.

سقراط: أو عندما يقوم الرجال برحلة أو يرتبطون بعمل، لا يشاؤون ذلك الذي

يفعلونه في وقته؛ إذ من ذا الذي يرغب أن يقاسي الأخطار ويتعرض لمشاكل الرحلة؟ ـ لكنهم يشاؤون امتلاك الثروة في سبيل أنّهم يقومون برحلة.

بولس: بالتأكيد.

سقراط: أليست كلّ الأشياء إمّا خيِّرة، شرّيرة، أو وسطاً ـ لا خيِّرة ولا شريرة؟

بولس: لتكن متأكداً، يا سقراط.

سقراط: وستسمّي الحكمة والصحة والثروة وما شابه خيرات، وأضدادها شروراً؟

بولس: سأفعل.

سقراط: والأشياء التي ليست خيّرة ولا شرّيرة هي تلك التي تشارك في وقت ما بطبيعة الخير، وفي وقت ما بما للشرّ، أو بما ليس لكليهما، كالجلوس، والسير، والعَدْو، والإبحار؛ أو ثانية كالأخشاب، الأحجار، وما شابه: ـ هذه هي الأشياء التي تسمّيها لا خيِّرة ولا شرّيرة؟

بولس: هكذا بالضبط.

سقراط: أتكون تلك الأشياء الحياديّة معمولة في سبيل الخير، أو الخير في سبيل الحياديّة؟

بولس: الحياديّة في سبيل الخير، بوضوح.

سقراط: وعندما نسير فنحن نسير في مبتغى الخير، وبحجّة أنّ من الأفضل أن نسير، وعندما نقف فنحن نقف في سبيل الخير بالتساوي؟

بولس: نعم.

سقراط: وإذا سنحت الفرصة لنقتل إنساناً، أو ننفيه أو نجرّده من ممتلكاته، فلأن ذلك سيفضي بنا إلى الخير، كما نعتقد؟

بولس: بدون ريب.

سقراط: الرجال الذين يفعلون أيّاً من هذه الأشياء، فإنّما يفعلونه بقصد الخير؟

بولس: نعم.

سقراط: أوَلم نعترف أنّ في عمل شيء ما في سبيل شيء ما آخر، فنحن لا نشاء تلك الأشياء التي نفعلها، بل نشاء ذلك الشيء الآخر في سبيل الذي نفعله؟

بولس: الأكثر حقيقة.

سقراط: نحن لا نشاء إذن أن نقتل إنساناً أو ننفيه أو نجرّده من ممتلكاته ببساطة، بل نشاؤها إذا ما أفضت إلى خيرنا، وإلاّ فلن نشاءها؛ لأنّنا سنشاء ما هو خير لنا، كما تقول، لكنّ ذلك الذي ليس بخير ولا شرّ، أو شرٌّ ببساطة، فنحن لا نشاؤه. لماذا أنت صامت، يا بولس؟ ألست على حق؟

بولس: إنّك على حق.

سقراط: دعنا نتابع تلك المسلّمات. إذا قتل أيُّ شخص، سواء كان مستبداً أو عالم كلام، واذا قتل شخصاً أو نفى آخر وجرّده من متلكاته، بحجّة أنّ الفعل يكون لمصالحِهِ الخاصّة في حين أنّه عكس ذلك حقاً، فهل يمكن أن يقال إنّه يفعل ما يتراءى أفضل له؟

بولس: نعم.

سقراط: لكن هل يفعل ما يشاء إذا فعل ما هو شرٌّ؟ لماذا لا تجيب؟

بولس: حسناً، لا أفترض ذلك.

سقراط: إذن، إذا ما كانت السلطة العظيمة خيراً كما تبيح، فهل سيمتلك واحد كهذا سلطة عظيمة في الدولة؟

بولس: لن يفعل.

سقراط: لقد كنت محقّاً في قولي عندئذ وهو أنّ الإنسان يمكن أن يفعل ما يتراءى خيراً له في الدولة، وأن لا يمتلك سلطة عظيمة، ولا يفعل ما يشاء؟

بولس: كأنّك، يا سقراط، لا تحبّ أن تمتلك سلطة لعمل ما يتراءى لك خيراً في الدولة، بالأحرى من لا يريد ذلك؛ إنّك لن تكون غيوراً عندما ترى أيّ شخص قاتلاً أو نافياً أو ساجناً الذي ترغب، أوه، لا!

سقراط: هل تعني فعل ذلك، بعدل أو بظلم؟

بولس: إنه سيحسد في كلتا الحالتين من يفعله.

سقراط: إمتنع عن ذلك، يا بولس!

بولس: لماذا تقول « امتنع »؟

سقراط: لأنّ عليك أن لا تحسد الذي لا يُحسد والتّعيس، بل أن تشفق عليهم فقط.

بولس: وهل الذين أتكلم عنهم تعساء؟

سقراط: نعم، إنهم تعساء بالتأكيد.

بولس: وهكذا تعتقد أنّ من يذبح أيّ شخص يرغب، ويذبحه بعدل، هو تعيسٌ يرثى له؟

سقراط: لا، لا أقول عنه ذلك؛ لكنّني لا أعتقد أنه يُحسد على ما فعل.

بولس: ألم تقل لتوّك الآن إنّه يكون تعيساً؟

سقراط: نعم، يا صديقي، إذا قتل الآخر ظلماً، وسيستحق الشفقة في تلك الحالة أيضاً؛ ولن يُحسد إذا ما قتله بعدل.

بولس: ستسمح على كل حال أنّ من يُعْدمَ ظلماً هو تعيس، ويستحقّ الشفقة.

سقراط: ليس بهذا المقدار، يا بولس، للذي يقتله، وليس بهذا المقدار للذي قُتِل بعدل.

بولس: كيف يمكن أن يكون ذلك، يا سقراط؟

سقراط: يمكن أن يكون ذلك وحسناً جداً، بقدر ما يكون فعل الظلم أعظم الشرور.

بولس: لكن أيكون هو الأعظم؟ أليست مقاساة الظلم شرّاً أعظم؟

سقراط: لا بالتأكيد.

بولس: وهل تفضّل مقاساة الظلم على فعله؟

سقراط: عليّ أن لا أحبّ الاثنين، لكن إذا وجب الاختيار بينهما، فإنّني سأقاسي بدلاً من فعله.

بولس: لا ترغب في أن تكون مستبدّاً إذن؟

سقراط: إذا كنت تعني بالمستبدّ الذي أعنيه فلا.

بولس: أعني، وكما قلت سابقاً، سلطة أن تفعل كل ما تراه خيراً لك في الدولة، القتل، الطرد، فاعلاً ما ترغبه بكلّ شيء.

سقراط: يا صديقي العزيز، إستمع لي الآن، وطبّق على نفسك ما أقول. إفترض أنّني أذهب إلى الساحة العامّة وقت الازدحام حاملاً مدية تحت ذراعي. وأقول لك يا بولس، لقد اكتسبت قوة خارقة لتوّي، وأصبحت مستبدّاً؛ لأنّني أعتقد أن أياً من أولئك الرجال الذين ترى يجب أن يُنفَّذ به الموت حالاً، وأنّ ذلك الرجل لا تساوي حياته شيئاً؛ وإذا ما كنت مهيّأ لأحطّم رأسه أو أمزق رداءه، وسيصبح رأسه محطماً وثوبه ممزقاً في لحظة. هكذا هي سلطتي العظيمة في هذه المدينة. وإذا لم تصدّقني، وقد أريتك المدية، من المحتمل أنّك ستجيبني: يا سقراط، يمكن لأيّ شخص أن يحوز السلطة العظيمة بهذه الطريقة ـ يمكنه أن يحرق أيّ بيت يريد، كذلك أحواض وسفن الاثينيين، وكلّ قواربهم الأخرى، سواء كانت خاصة أو عامة ـ لكن هل تعتقد أنّ هذا العمل المجرد كما تفكر به هو أفضل سلطة عظيمة؟

بولس: كلاّ ليس عملاً كهذا بالتأكيد.

سقراط: وهل تستطيع أن تخبرني لماذا تستهجن قوة كهذه؟

بولس: إنّني أستطيع.

سقراط: لماذا إذن؟

بولس: لماذا، لأنّ مَن يفعل ما تقول سيتأكد من العقاب.

سقراط: وهل العقاب شرّ؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: وهل ستعترف مرة ثانية، يا سيّدي الصالح، أنّه إذا عمل الإنسان، فاعلاً ما يعتقد أنّه مناسب ينقلب لمصلحته، يكون خيراً؟ وهذا هو معنى القوة العظيمة أيضاً؟ وإلاّ، فإنّ سلطته شرٌّ وليست بسلطة. لكن دعنا ننظر في المسألة بطريقة أخرى: ـ ألم نعترف أنّ الأشياء التي تكلمنا عنها، كإنزال الموت، والنفي، والتجريد من الممتلكات، هي صالحة بعض المرّات وليس صالحة مرّات أخرى؟

بولس: بدون ريب.

سقراط: يمكن أن نفترض أنّني اتّفقت وإياك بشأن ذلك؟

بولس: نعم.

سقراط: أخبرني، إذن، متى تقول إنّ تلك الأعمال تكون صالحة؟ أي مبدأ تضع؟

بولس: أفضّل، يا سقراط، أن تجيب على ذلك السؤال.

سقراط: حسناً، يا بولس، بما أنّك تفضل أن تحوز الجواب منّي، أقول إنّها صالحة عندَما تكون عادلة، وشرّيرة عندما تكون ظالمة.

بولس: وهل أنت هكذا صعب لأن تُنقَضْ، يا سقراط! ماذا، حتّى الطفل يمكنه نقض ذلك التقرير.

سقراط: سأكون ممتنّاً جدّاً للطفل آنئذ، وممتنّاً لك بشكل متساوٍ إذا ما دحضتني وأنقذتني من غبائي، وآمل أن تدحضني، ولا حاجة لأن تتضايق من فعل الخير لصديق.

بولس: نعم، يا سقراط، ولست بحاجة لأن أعود للتاريخ الغابر لهذا الغرض؛ والأحداث التي وقعت منذ أيّام قليلة مضت كافية لأن تدحضك، ولتبرهن أنّ رجالاً عديدين من الذين يرتكبون الخطأ هم سعداء.

سقراط: أيّة أحداث؟

بولس: أفترضك ترى، أن آرتشيلوس بن برديكاس هو حاكم مقدونيا الآن؟

سقراط: أسمع أنّه كذلك على أيّة حال.

بولس: وهل تعتقد أنّه سعيد أو شقيّ؟

سقراط: لا أستطيع القول، يا بولس، لأنّني لم أُقِمْ أيّة علاقة معه قط.

بولس: ألست متأكّداً في الحال، وبدون مقابلته، أنّه رجل سعيد؟

سقراط: لا، بالتأكيد الأكثر.

بولس: إذن بوضوح، يا سقراط، لن تقول إنّك تعرف حتى ما إذا كان الملك العظيم سعيداً؟

سقراط: وإنّني سأتكلّم الحق؛ فأنا لا أعرف كيف يقف في قضية التعليم والعدل.

بولس: ماذا! وهل تكمن السعادة كلها في هذا؟

سقراط: نعم، حقّاً، يا بولس، تلك هي عقيدتي؛ فالرجال والنساء النبلاء والأخيار هم أيضاً سعداء، كما أؤكّد، والظالمون والأشرار هم الأشقياء.

بولس: إذن. وطبقاً لمذهبك، فالّذي نتكلّم عنه، آرتشيلوس، شقيّ؟

سقراط: نعم، يا صديقي، إذا كان خبيثاً.

بولس: لا أقدر أن أكذّب أنّه خبيث، لأنّه لا يمتلك أيّ لقب للعرش الذي يحتله الآن، كونه فقط ابن امرأة كانت عبدَة ألسيتاس أخي برديكاس؛ وكان هو نفسه عبد ألسيتاس لذلك في حقّ دقيق؛ وإذا عنى هو عمل ما يكون صحيحاً فما عليه إلا إن يبقى عبده، وعندها سيكون سعيداً، في تطابقٍ مع معتقدك. لكنّه الآن شقيّ لا يمكن وصفه، لأنّه كان مذنباً في أعظم الجرائم: ففي المقام الأوّل استدعى عمّه وسيّده، ألستياس، ليأتي إليه، متظاهراً أنّه سيردّ إليه العرش الذي كان اغتصبه برديكاس، وبعد أن استضافه وابنه الإسكندر، الذي كان ابن عمه، ومن مجايليه تقريباً، وبعدَ أن سقاهما حتّى الثمالة، رماهما في عربة وحملهما بعيداً أثناء الليل، وذبحهما؛ وأزاحهما من

طريقه، وبعد أن فعل كلّ تلك الآثام لم يدرِ تماماً أنّه أكثر الرجال شقاءً وغير نادم. لقد كان لديه أخٌ أصغر منه كذلك، طفل لا يتجاوز عمره السنين السبع، كان هذا الإبنَ الشرعيَّ لبرديكاس، وتختصّ به كل حقوق المملكة؛ غير أن آرتشيلوس، على أيّة حال، لم تكن لديه النيّة في تربيته كما يجب وفي ردِّ المملكة له؛ لم تكن تلك فكرته عن السعادة؛ لكنّه بعد فترة قصيرة رمى به في بئر وأغرَقه، وأعلن لأمّه كليوباترا أنّه سقط في البئر إثر تعقبه للإوزة، وأنّه قد قُتِل. وبعدُ وبما أنّه أعظم مجرمي مقدونية كلها، يمكن افتراضه أنّه أكثرهم شقاء وليس أسعدهم، وأجرؤ على القول إنّ العديد من الأثينيين، وأنت على رأسهم، سيفضّلون أن يكونوا أيَّ مقدونيٍّ آخر إلاّ آرتشيلوس!

سقراط: في بداية بحثنا تماماً، يا بولس، أَثنَيتُ على تدريبك الممتاز؛ لأنّ هذا ما يظهر لي، في علم الكلام، غير أنّني ظننت أنّك لم تَعطِ انتباهاً متساوياً للعقلانيّة. وهذا كما أفترض نوعٌ من الحوار الذي توهّمت أنّ الطفل يمكنه أن يدحضني به، والذي يوقفني منقوضاً عندما أقول أن الرجل الظالم لا يكون سعيداً. لكن، يا صديقي العزيز، أين هو النقض الذي تتكلم عنه؟ إنّني لا أقدر أن أعترف بكلمة واحدة ممّا قلت.

بولس: يكون لأنّك لا ترغب في ذلك؛ بل يجب عليك أن تفكّر كما أفعل.

سقراط: يا صديقي البسيط، أنت تحاول أن تنقضني بعلم الكلام، كما يفكر الرجال أن يدحضوا الآخرين في المحاكم القانونيّة. فهناك يفكر فريقٌ أنّه يمكنه أن يدحض الآخر عندما يأتي على عجل بعددٍ من الشهود الذين لهم سمعة حسنة كبرهان لادّعاءاتهم، بينما ليس لدى خصمهم سوى برهان واحد فقط أو لا شيء على الإطلاق. غير أنّ هذا النوع من البرهان ليس له أيّة قيمة حين تكون الحقيقة هي الهدف؛ يمكن للرجل أن يُحلَّف غالباً بالعديد

من الشهود الملفّقين الذين يمتلكون الاحترام الهوائي العظيم، وسيكون بجانبك كل شخص تقريباً، أثينياً أو غريباً لا فرق، إذا ما كنت ستحضر الشهود في تفنيد تقريري؛ ـ يمكنك أن تستدعي نيخياس بن نيكراتوس، ودع أخاه، الذي نظم الصفّ المثلث والذي وقف على تخوم ديونيسوس، دعه يأتي معه؛ أو يمكنك أن تستدعي ارستقراط بن سكيليوس، الواهب تلك التقدمة الشهيرة التي هي في معبد دلفي، استدعِ، إذا شئت، كل عائلة بركليس، أو أيّة عائلة أثينية مهمّة تختارها، ـ هم سيقفون بجانبك: أنا بقيت لوحدي فقط ولن أوافق على ما تقول، لأنّك لا تقنعني، مع أنك قد أحضرت العديد من الشهود الزائفين ضدّي، على أمل أن تخرجني من ممتلكاتي، والتي هي الحقيقة. لكنني لا أعتبر أنه لا يوجد أيّ شيء له قيمة كلامية ذات مضاء قد تؤثر عليّ، وبواسطته لتحل المشاكل التي بحثناها ما لم أستطع استدعاء شاهد واحد فقط، أعني، نفسك الخاصة، ليدعم قضيتي؛ حتى أنت لن تدعمها، ما لم تجعلني شاهدك الأوحد الوحيد؛ ولا يهمك باقي العالم. إنّ هناك طريقتين للنقض، الأولى هي التي تخصك وتخص باقي العالم بشكل عامّ. لكن ما يخصني فهو من نوع ثانٍ ـ دعنا نقارنهما، ونرى فيما يختلفان. لأنّنا، حقاً، نكون في قضية بشأن مسائل خطيرة، ويمكن أن يقال إن الجهل بها عار كما يقال أنّ المعرفة شريفة؛ كي تعرف أو لا تعرف من يكون سعيداً، ومن لا يكون، هذا هو السؤال الحاسم. وسأبدأ لذلك بالقضية التي نبحثها الآن، وأسألك إن كنت لا تعتقد أنّ الإنسان الذي يكون ظالماً ويفعل الظلم يستطيع أن يكون سعيداً، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّك تعتقد بأن آرتشيلوس ظالم ومع ذلك فهو سعيد؟ هل نفهم أنّ هذا هو رأيك؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: بل أقول إنّ هذا مستحيل. هنا النقطة الرئيسيّة الوحيدة التي نتجادل فيها: جيّد جداً. وهل تعني أيضاً، أنّه إذا ما نزل به الجزاء والعقاب فسيبقى سعيداً؟

بولس: لا بالتأكيد، ففي تلك الحالة سيكون الأكثر شقاء.

سقراط: وعلى الجانب الآخر، إذا لم يعاقب الظالم سيكون سعيداً حينئذ، طبقاً لك؟

بولس: نعم.

سقراط: لكن في رأيي، يا بولس، أنّ الظالم ومرتكب الظّلم شقيّ على أيّة حال، ـ وأكثر شقاء، على كل حال، إذا لم يُعاقب ولم ينزل به القصاص لظلم أعماله، وأقلّ شقاء إذا عوقبَ وتلقّى القصاص على يد الآلهة والرجال.

بولس: إنّك تقدّم مذهباً غريباً، يا سقراط.

سقراط: سأحاول أن أجعلك تتفّق معي، أوه يا صديقي، فأنا أعتبرك كصديق، تلك هي النقاط الرئيسيّة التي نتجادل فيها إذن ـ ألاَ تكون هي؟ لقد قلتُ أنا إنّك إذا فعلت الظلم فذلك أسوأ من أن تقاسيه؟

بولس: هكذا بالضبط.

سقراط: وقلتَ أنت العكس؟

بولس: نعم.

سقراط: وقلتُ أنا أيضاً إنّ الخبثاء هم الأشقياء، ونقضتني أنت؟

بولس: فعلت بالتأكيد الأكثر.

سقراط: في رأيك الخاصّ، يا بولس.

بولس: ورأي صحيح، أيضاً.

سقراط: سنرى. قلتَ أنت أيضاً أنّ فاعل الخطأ يكون سعيداً إذا لم يُعاقب؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: وأكّدتُ أنا أنّه الأكثر شقاءً، وأنّ أولئك الذين يُعاقَبون هم أقل شقاء - هل أنت ذاهب لتدحض هذه الفرضية أيضاً؟

بولس: إنّ هذه الفرضية هي أصعب للنقض من الأخرى، يا سقراط!

سقراط: قل على الأصحّ، يا بولس، مستحيل نقضها؛ فمن ذا الذي يقدر أن ينقض الحقيقة؟

بولس: ما الذي تعنيه؟ هل تعني أنّ الإنسان سيكون أسعد عندما يكتشف أنّه يجعل من نفسه مستبداً في محاولة ظالمة، وعندَ اكتشافه، يُعذَّب، يشوَّه، تُفقأ عيناه، وبعد أن أُنزِل عليه كل نوع من أنواع الأذى، وبعد أن رأى زوجته وأطفاله يقاسون ما يشبه ذلك، يتمّ قتله بالخازوق أخيراً أو يُطلى بالقطران، أو يُحرق حيّاً، بدلاً من أنّه إذا تمكن من الهرب وأصبح مستبداً، واستمّر خلال حياته كلّها فاعلاً ما يحبه وقابضاً على زمام الحكومة، ومحسوداً أو موضع عجب من المواطنين والغرباء على حدّ سواء؟ أتكون تلك هي المفارقة التي لا يمكن نقضها، كما تقول؟

سقراط: هناك مرة ثانية، يا بولس النبيل، أنت تخلق « بعابع » بدلاً من أن تنقضني. ولقد استدعيت كلّ الشهود ضدّي الآن تماماً. لكنْ نشّط ذاكرتك من فضلك قليلاً؛ هل تقول: « في محاولة ظالمة ليجعل من نفسه مستبدّاً »؟

بولس: نعم، إنّني فعلت.

سقراط: فإنّني أقول عندئذ أنّ كليهما لن يصبح أسعد من الآخر أبداً، - لا الذي اكتسب الاستبداد، ولا الذي عانى من المحاولة، لأن أيّاً من الشقيّين لا يمكن أن يكون أسعد. غير أنّ الذي يهرب ويصبح مستبدّاً هو أكثر الاثنين تعاسةً. أتضحك، يا بولس؟ حسناً، هذا نوع جديد من النّقض، - عندما يقول أيُّ شخص أيَّ شيء، فبدلاً من دحضه تضحك عليه.

بولس: لكن ألا تعتقد، يا سقراط، أنّك قد نُقضت بما فيه الكفاية، حين تقول ما لا يَسمح به أيُّ كائن بشري؟ إسأل أيَّ شخص هنا؟

سقراط: أوه يا بولس، إنّني لست إنساناً عامّاً، وعندما كنت في مجلس الشورى، آخر السنة تحديداً، وكان دور قبيلتي لتتسلم الرئاسة، وكان من واجبي أن أدوِّن الأصوات، فلقد تعرضت للضحك أثناءَها، لأنني لم أعرف كيف أدوِّنها. وبما أنّني أخفقت في ذلك حينها، عليك أن لا تطلب إليَّ أن أعُدَّ شهادات الرفاق الآن؛ لكن إذا لم يكن لديك محاورة أفضل من الأعداد، فافعل ما كنت قد اقترحته لتوِّي الآن ـ دعني أقول بدوري، وحاول أنت ذلك النوع من البرهان الذي نحن بحاجة له، كما أعتقد؛ لأنّني أعرف كيف أُورِد شاهداً واحداً لحقيقة كلماتي، وما هو إلاّ الشخص الذي أتحاور معه؛ وأعرف كيف سأستلم شهادته. لكن ليس لديَّ أيّ شيء أفعله مع العالم الرحب، وحتى لن أوجّه نفسي لذلك العالَم. أيمكنني أن أسأل عندئذ ما إذا كنت ستجيب بدورك وتقدِّم كلماتك لوضعها في البرهان؟ لأنّني أعتقد أنّك وأنا وكل إنسان يؤمن بالتأكيد، أنّ فعل الظلم حينئذ لهو أعظم شرّاً من معاناته. وأن يُعاقَب من يفعله من أن لا يُعاقب.

بولس: وعليَّ أن أقول إنّه لا أنا، ولا أيّ إنسان يؤمن بذلك: هل أنت نفسك، كمثل، ستقاسي الظلم بدلاً من أن تفعله؟

سقراط: نعم، وأنت أيضاً؛ وأيُّ شخص سيفعل ذلك.

بولس: العكس تماماً؛ لا أنت، ولا أنا، ولا أيّ إنسان سيفعل ذلك.

سقراط: لكن هل ستجيب؟

بولس: سأفعل، لتكن متأكّداً؛ لأنّني فضولي وأحبّ أن أعرف ما لديك لتقوله.

سقراط: أجبني إذن، وستعرف. دعنا نفترض أنّني أنطلق من البداية: أيُّ الاثنين هو الأسوأ في رأيك، يا بولس: أن تفعل الظلم أو أن تقاسيه؟

بولس: عليَّ أن أقول إنّ المعاناة أسوأ.

سقراط: وأيُّهما العار الأكبر؟ أجبني.

بولس: فعلُه.

سقراط: كونه العار الأكبر ألا يكون لذلك الشرّ الأعظم؟

بولس: لا بالتأكيد.

سقراط: يبدو لي أنك تقصد، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ الشريف لا يكون الخيِّر نفسه، أو أنّ الشائن كالشرّ؟

بولس: لا بالتأكيد.

سقراط: دعني أسألك سؤالاً: عندما تتكلم عن الأشياء الجميلة، كالأجسام، والألوان، والأشكال، والأصوات، وطرق الحياة، ألا تسميها جميلة في دلالة دائمة على مقياس ما؟ خذ الأجسام أوّلاً: ألا تسمّيها جميلة إما لأغراض استعمالها التي تختصّ بها، أو للذّةِ التي تهز مشاعر المتفرج عندما يراها؟ هل بإمكانك أن تعطي أيّ حساب آخر للجمال الشخصي؟

بولس: إنّني لا أستطيع.

سقراط: وستقول عن الأشكال والألوان إنّها جميلة بشكل عام، إمّا بسبب اللذّة التي تمنحها، أو لاستعمالها، أو لكليهما؟

بولس: نعم، عليّ أن أقول ذلك.

سقراط: والأصوات، والموسيقى بشكل عامّ ستسمّيها جميلة للسبب عينه؟

بولس: سأفعل.

سقراط: مرّة ثانية، فإنه لا يوجد في حيِّز القوانين والتقاليد جمالٌ خارج حدود إفادتها، أو لذّتها، أو كليهما؟

بولس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: أوَلاً يمكن أن يقال الشيءُ ذاتُه عن جمال المعرفة؟

بولس: لتكن متأكداً، يا سقراط؛ وإنّي أصادق تماماً على تعريفك للجمال بالاستشهاد باللذّة والخير.

سقراط: ويمكن تعريف العاهة أو العار بالمقياس المضادّ للألم والشرّ بالتساوي؟
بولس: بدون شكّ.
سقراط: إذن فعند وجود شيئين جميلين ويكون أحدها أكثر جمالاً، فإنّ سبب ذلك هو لأنّه يتجاوز الآخر في واحد من هذين أو في كليهما؛ ذلك لنقول، في اللذة أو الاستعمال أو كليهما؟
بولس: حقيقي تماماً.
سقراط: ومن الشيئين الاثنين المشوّهين، فإنّ ذلك الذي يتجاوز العاهة والعار، يتجاوز إما في الألم أو الشرّ ـ ألاَ يجب أن يكون ذلك؟
بولس: نعم.
سقراط: حسناً الآن، ماذا كانت الملاحظة التي أبديتها لتوّك، بشأن عمل ومقاساة الخطأ؟ ألم تقل إنّ مقاساة الخطأ أكثر شرّاً، وفعل الخطأ أكثر خزياً؟
بولس: إنّني فعلت.
سقراط: إذن، إذا كان فعل الخطأ أكثر خزياً، فهو كذلك إمّا لأنه أكثر ألماً ويغالي في الألم، أو أنّه يغالي في الشرّ، أو في كليهما؛ ألا يتبع ذلك أيضاً؟
بولس: طبعاً.
سقراط: دعنا حينئذ، بادىء ذي بدء، نعتبر إذا ما كان فعل الظلم يتجاوز المعاناة في الألم المترتب عليه. هل يعاني الذي يؤذي أكثر من الذي يتلقى الأذى؟
بولس: لا، يا سقراط؛ ولا بالتأكيد.
سقراط: فهما لا يتجاوزان في الألم إذن؟
بولس: لا.
سقراط: لكن إذا لم يكن في الألم، فليس في كليهما آنئذ؟
بولس: لا بوضوح.
سقراط: إنّهما يستطيعان أن يتجاوزا في الآخر إذن فقط؟

بولس: نعم.

سقراط: ذلك يُقال، في الشرّ؟

بولس: حقاً.

سقراط: سيتجاوز فعل الظلم في الشّر عندئذ، وسيكون لذلك شراً أعظم من مقاساة الظلم؟

بولس: بوضوح.

سقراط: لكن ألم تتفق مسبقاً أنت والعالم أنّ فِعْلَك الظلم أكثر خزياً من مكابدتك له.

بولس: نعم.

سقراط: ولقد اكتُشِف الآن أنّه أكثر شرّاً؟

بولس: حقاً.

سقراط: وهل تفضّل شرّاً أعظم أو عاراً أكبر على واحدٍ أقلّ؟ أجب، يا بولس، ولا تخف؛ لأنّه لن يحلّ بك أيُّ أذى إذا ما سلّمت نفسك بنبلٍ إلى يد المحاورة الشافية كما تسلّمها للطبيب، وقل لي إمّا (نعم) أو (لا).

بولس: عليّ أن أقول(لا).

سقراط: وهل سيفضّل أيّ إنسان آخر شرّاً أكبر على الأقل؟

بولس: لا، ليس طبقاً لهذه الطريقة التي تعرض القضية بها، يا سقراط.

سقراط: لقد قلت بحقّ أنا حينئذ، يا بولس، إنّه لا أنت، ولا أنا، ولا أيّ إنسان، سيفضل فعل الظّلم على مقاساته؛ لأنّ فِعْلَكَ الظلم هو أعظم الشرين.

بولس: ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: أنت ترى، يا بولس، أنّك عندما تقارن نوعا النقض، أنت ترى كم هما غير متشابهين. إنّ كل الرجال، ما عداي، يتبعون طريقتك في التفكير؛ لكن تسليمك وشهادتك المفردة كفاية لي، ـ ولا أحتاج لأيّة شهادة أخرى؛

أرضى بها، وأنا على استعداد لأن أهمل الباقي. وبعد فكفاية من هذا، دعنا نتقدم الآن إلى موضوعك الثاني الذي لم نتفق فيه، الذي هو، ما إذا كانت الشرور الأعظَم للإنسان المذنب هي أن يقاسي العقاب، كما افترضت أنت، أو ما إذا كان الهرب من العقاب هو الشرّ الأعظم، كما افترضت أنا. تأمّل ملياً: ـ ستقول أنت إنّ مقاساة العقاب هو إسم آخر لكونك قد أُصْلِحْتَ بعدل عندما ارتكبت الخطأ؟

بولس: سأفعل.

سقراط: ولن تسمح بأن تكون كل الأشياء العادلة شريفة بمقدار ما هي عادلة؟ من فضلك أن تتأمل ملياً، وتخبرني عن رأيك.

بولس: نعم، يا سقراط، أعتقد أنّها كذلك.

سقراط: تأمّل مليّاً مرّة ثانية: ـ حيث يوجد الفاعل، ألا يجب أن يوجد المفعول فيه أيضاً؟

بولس: سأقول هكذا.

سقراط: أولاَ يقاسي المفعول فيه ذلك الذي يفعله الفاعل، أوليس لدى المعاناة نوعيّة العمل؟ أعني، وكمثل، أنّه إذا ضرب الرجل، يجب وجود شيء ما هو الذي ضُرِب؟

بولس: نعم.

سقراط: وإذا ضرب الضارب بعنف أو بسرعة، فذلك الذي ضُرِب سيُضربُ بعنف وسرعة؟

بولس: حقاً.

سقراط: وتكون معاناة الذي ضُرِب من الطبيعة عينها كما يكون الفعل لمن يضرب؟

بولس: نعم.

سقراط: وإذا أحرق الرجلُ، فهناك شيء هو الذي يحترق؟

بولس: بدون ريب.

سقراط: وإذا أحرق زيادة أو هكذا ليسبب ألماً، فسيكون الشيء المحترق محترقاً بالطريقة عينها؟

بولس: بحق.

سقراط: وإذا قُطع، فيُعتبر الحوار عينه، ـ سيكون هناك شيء ما مبتور؟

بولس: نعم.

سقراط: وإذا ما كان القطع كبيراً وعميقاً أو كذاك الذي يسبب ألماً، فستكون معاناة من الجرح بالطريقة عينها؟

بولس: إن ذلك لجلي.

سقراط: إذن فستوافق بشكل عامّ على الفرضية العالميّة والتي كنت قد أثبتُّها لتوّي، أنّ تأثير المفعول فيه يتجاوب مع فعل الفاعل؟

بولس: أوافق.

سقراط: إذن، وبما أنّهُ تمّ الاعتراف بهذا، فدعني أسأل إذا ما كان المعاقَب معاناةً أو فعلاً.

بولس: معاناةٌ، يا سقراط؛ لا شك في ذلك.

سقراط: وتشمل المعاناة الفاعل؟

بولس: بالتأكيد، يا سقراط؛ وهو المعاقِب.

سقراط: وهو الذي يعاقِب بحقّ، يعاقِب بعدل؟

بولس: نعم.

سقراط: ولذلك فهو يفعل بعدل؟

بولس: يفعَل بعدل.

سقراط: إنّ من يُعاقَب ويقاسي الجزاء، يعانيه بعدل؟

بولس: إنّ ذلك لبيِّن.

سقراط: ولقد اعترفنا بأنّ ذلك الذي يكون عادلاً يكون شريفاً؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فالمعاقِبُ يفعل ما يكون شريفاً، ويقاسي المعاقَب ما يكون شريفاً؟

بولس: صدقاً.

سقراط: وإذا ما كان شريفاً، فحينها يكون خيراً، لأنّ الشريف يكون إمّا ساراً أو نافعاً؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ من يُعاقَبْ يُقاسِ ما يكون خيراً؟

بولس: يبدو هكذا.

سقراط: فهو منتفعٌ حينئذ؟

بولس: نعم.

سقراط: أعني في المعنى بعبارة « منتفع »، أنّ روحه تتحسن، إذا ما عُوقِب بعدل؟

بولس: بدون ريب.

سقراط: إنّ من يُعاقَب يتخلّص من شرّ روحه عندئذ؟

بولس: نعم.

سقراط: ألا يتخلّص من أعظم الشرور إذن؟ أنظر إلى المسألة بتلك الطريقة: ففيما يخصُّ حالة الإنسان، هل ترى أيَّ شرٍّ أعظم من الفقر؟

بولس: لا يوجد شرٌّ أكبر.

سقراط: مرّة ثانية، سوف تقول إنّ الشرّ في هيكل الإنسان الجسماني هو الضعف والمرض والتشويه، وما شابه؟

بولس: سأفعل.

سقراط: ألا تتخيّل أنّ الروح تمتلك بعض الشر الخاص بها بشكل مماثل؟

بولس: طبعاً.

سقراط: وستسمّي هذا الظلم والجهل والجبن، وما شابه؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: هكذا إذن، فإنّ الشرور التي هي ثلاثة في العقل، والجسد، والوضع، عيّنت مقابلها ثلاثة شرور مماثلة: الظلم، والمرض، والفقر؟

بولس: حقاً.

سقراط: وأيّ الشرور هو الأكثر عاراً؟ أليس أكثرها جميعها عاراً هو الظلم، وشرّ الروح بشكل عام؟

بولس: إنّه الأكثر بكثير.

سقراط: وإذا كان الأكثر عاراً، فهو حينها الأسوأ أيضاً؟

بولس: ماذا تعني، يا سقراط؟

بولس: أعني أنّ ما يكون الأكثر خزياً قد تمّ الاعتراف به أنّه هكذا، بدون استثناء، لأنّه هو الأكثر ألماً، أو إيذاءً، أو كليهما.

بولس: بالتأكيد.

سقراط: ولقد قَبِلنا أنّ الظلم وكلّ الشرور في الروح هي الأكثر خِزياً؟

بولس: لقد قبلنا بذلك.

سقراط: وهي الأكثر خِزياً إمّا لأنّها الأكثر ألماً أو تُسبّب الألم المفرط، أو الأذى الأكثر، كليهما.

بولس: بدون ريب.

سقراط: وهكذا أن تكون ظالماً وعاصياً، وجباناً، وجاهلاً، فذلك أكثر ألماً من أن تكون فقيراً ومريضاً.

بولس: لا، يا سقراط؛ فالألم لا يظهر لي أنّه يتبع من مقدماتك.

سقراط: إذن وبما أنّ شرّ الروح هو أكثر الشرور خزياً، لكنه (كما تحاور) لا

يكون هكذا بسبب ألمه. فالسبب يجب أن يكون ضرراً ما هائلاً وشرّ، ذا عِظَمٍ خارقٍ للطبيعة.

بولس: بوضوح.

سقراط: وأُسلّم بأنّ الأعظم في الأذى سيكون الأعظم في الشرور؟

بولس: نعم.

سقراط: إنّ الظلم والمعصية إذن، وبشكل عام فساد الروح، هي أعظم الشرور؟

بولس: إنّ ذلك لجلي.

سقراط: وبعدُ، ما هو الفنّ الموجود الذي يعتقنا من الفقر؟ أليس فنّ حيازة المال؟

بولس: نعم.

سقراط: وما هو الفنّ الذي يحرّرنا من المرض، أليس هو فن الطبّ؟

بولس: بدون شكّ.

سقراط: وماذا عن الرذيلة والظلم؟ إذا كنت لا تقدر أن تجيب حالاً، إسأل نفسك، إلى أين نذهب بالمرضى، ولمن نأخذهم؟

بولس: إلى الأطبّاء، يا سقراط.

سقراط: ولمن نذهب بالأشخاص الذين يرتكبون الظلم أو المعاصي؟

بولس: تعني، إلى القضاة.

سقراط: الذين سيعاقبونهم.

بولس: نعم.

سقراط: أليس الذين يعاقبون الآخرين، يعاقبونهم وفق قاعدة محدّدة للعدل؟

بولس: بجلاء.

سقراط: يحرّر فنّ حيازة المال الإنسان من الفقر إذن؛ فنّ الطب من المرض؛ والعدل من المعصية والظلم؟

بولس: إن ذلك لجلي.

سقراط: أيّ هذه الثلاثة أفضل عندئذ؟

بولس: هل ستعددها؟

سقراط: حيازة المال، الطب، والعدل.

بولس: العدل، يا سقراط، يبزّ الاثنين الآخرَين ببعيد.

سقراط: وإذا كان العدل هو الأفضل، فسيهب اللذّة الأعظم أو المنفعة أو كِليهما؟

بولس: نعم.

سقراط: لكن أيكون الشّفاء شيئاً ساراً، وهل أولئك المتعافون مبتهجون؟

بولس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: شيء نافع إذن؟

بولس: نعم.

سقراط: نعم لأنّ المريض يُنقَذ من شرٍّ كبير؛ وصبره على الألم يستحقّ الاهتمام، ويصبح معافىً؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: وهل سيكون الإنسان أسعد في حالة جسده، الذي شُفي، أو الذي لم يعتَلّ جسده قط؟

بولس: إنه ذلك الذي لم يفقد صحّته أبداً بوضوح.

سقراط: نعم؛ لأنّ السعادة لا تكمن في كونك منقذاً من الشرور بالتأكيد، بل في عدم امتلاكك لها على الإطلاق.

بولس: حقاً.

سقراط: وافترض حالة شخصين يمتلكان شرّاً في جسميهما أو في روحيهما، وأنّ واحداً منهما قد عُولجَ وتخلّص من الشرّ، وآخر لم يُعَالَج، بل استبقى على الشرّ. فأيٌّ منهما هو الأكثر شَقاء؟

بولس: إنّه الذي لم يُعَالَج، بوضوح.

سقراط: أوَلم نقل إن العقابَ خلاصٌ من أعظم الشرور، التي هي الرذيلة؟

بولس: حقّاً.

سقراط: لأنّ العدل يُطهِّرنا، ويجعلنا أكثر عدلاً، وهو الدواء لرذيلتنا؟

بولس: حقاً.

سقراط: إذن، يمتلك المكانَ الأوّلَ في ميزان السعادة مَنْ ليس لديه رذيلة في روحه؛ لأنّ هذا قد أُبين أنّه أعظم الشرور؟

بولس: بوضوح.

سقراط: ويمتلك هو، المكان الثاني، كونه قد تخلَّص من الرذيلة؟

بولس: حقاً.

سقراط: ذلك لنقول، أنّه هو من تلقَّى العِظةَ والزّجر والعِقاب؟

بولس: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ الذي يكون ظالماً ولم يتخلّص من ظلمه، يعيش العيشة الأسوأ؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: والذي يعيش الأسوأ، هو مَنْ يرتكب أعظم الجرائم. والذي، كونه أكثر الرجال ظلماً ينجح في الهرب من الزّجر والتصحيح أو العقاب. وهذا كما تقول قد أنجزه آرتشيلوس والمستبدون وعلماء الكلام والمسيطرون الآخرون(١٦)؟

بولس: يظهر هكذا.

سقراط: ألاَ يمكن لطريقة تصرّفهم، يا صديقي، أن تُقارَن بسلوك شخص ألمَّت به أسوأ الأمراض ومع ذلك يسعى جاهداً كي لا يدفع الغرامة للطبيب جزاء آثامه التي تسبب بها قوامُه، ولن تعود له الصحّة ثانية، لأنّه يخاف ألم الكيّ أو القطع، كالطفل. أليست تلك حالة مطابقة؟

بولس: نعم، بحق.

سقراط: سيظهر وكأنّه لم يعرف طبيعة الصحّة والنشاط الجسدي. وإذا كنا محقين، يا بولس، في استنتاجاتنا الحاليّة، فهم في حالة مشابهة لحالة الذين يكافحون للإعراض عن العدل، والذين يرون أنّه مؤلم، لكنهم يَعْمَون عن المنافع التي تنساب منه، متجاهلين كم تكون الروح المريضة رفيقاً أكثر شقاءً بكثير من الجسم المريض؛ أقول الروح التي هي فاسدة وصالحة ودنسة. ومن ثمّ فهم يفعلون كلّ ذلك الذي يستطيعون كي يتفادوا العقاب، ولكي يتجنبوا كونهم معتقين من أكبر الشرور؛ فإنهم يجهّزون أنفسهم بالمال والأصدقاء، ويهذّبون إلى أقصى حد قدراتهم الإقناعيّة. لكن إذا ما كانت استنتاجاتنا صحيحة، يا بولس، فهل ترى ما هو الآتي، أو أننا سنرسم العواقب في شكل ما؟

بولس: إذا تفضّلت.

سقراط: أليست الحقيقة أنّ الظلم، وعمل الظلم، هما أعظم الشرور؟

بولس: يبدو أنه قد بُرهِنَ ذلك.

سقراط: وأبعد من ذلك، فإنّ مقاساتك للعقاب هي الطريقة لَعتْقِكَ من الشرّ؟

بولس: على ما يظهر.

سقراط: وأن لا تقاسي العقاب، هو أن تُبقي الشرّ فيك؟

بولس: نعم.

سقراط: ارتكابك الخطأ، إذن، هو الثاني في ميزان الشرور؛ لكن أن تفعَلَ الخطأ ولا تُعاقَب فهو أوّل الشرور وأعظمها جميعاً؟

بولس: يبدو ذلك.

سقراط: حسناً، أوَلم تكن هذه هي النقطة الرئيسيّة في الخصام، يا صديقي؟ أنت اعتبرت آرتشيلوس سعيداً، لأنّه كان مجرماً جدّ كبير وغيرَ مُعاقب. أنا اعتبرت، في المقابل، أنّه هو أو أيّ شخص آخر مثله من الذين يرتكبون

الأخطاء، يكونون ويجب أن يكونوا، أكثر الرجال شقاء وبؤساً؛ وأنّ فاعل الظلم يكون أكثر شقاء من الذي يعانيه وبثبات؛ وأنّ من يهرب من العقاب أكثر شقاء من الذي يقاسيه - ألم يكن ذلك ما قلته؟

بولس: نعم.

سقراط: ولقد برهنّاه ليكون حقيقياً؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: حسناً، يا بولس، لكنْ إذا كان هذا حقيقياً، فأين هي الفائدة العظمى لعلم الكلام؟ إذا اعترفنا بما قد قيل لتوّه الآن، فكلّ إنسان عليه أن يحرس نفسه وفي كل طريق ضدّ فعل الخطأ، لأنّه سيقاسي شرّاً كبيراً بذلك؟

بولس: حقاً.

سقراط: وإذا فعل هو الخطأ، أو أيّ شخص يحظى باهتمامه، فيجب أن يذهب حيث سيعاقب في الحال بكل طيبة خاطر. سيهرع إلى القاضي، كما لو كان ذاهباً إلى الطبيب، كي لا يتمكن ظلمه من أن يصبح مزمناً، ويصبح بالتالي سرطان الروح الذي لا يُستطاع شفاؤه. ألاَ يجب أن نسمح بهذا الاستنتاج، يا بولس، إذا ما كانت افتراضاتنا السابقة ستُثبّت: هل يتناغم معه أيّ استنتاج سابق آخر؟

بولس: لذلك، يا سقراط، لا يمكن وجود إلاّ جواب واحد.

سقراط: إنّ علم الكلام إذن، ليس بذي نفع لنا، يا بولس، في مساعدة الإنسان ليعتذر عن ظلمه الخاصّ، أو ظلمه لوالديه وأصدقائه، أو لأطفاله أو بلاده. لكنه يمكن أن يكون ذا فائدة لأيِّ شخص يوقف ذلك بدلاً من الاعتذار حيث يجب أن يعتذر - نفسه فوق الجميع، وفي الدرجة التالية عائلته أو أيّ من أصدقائه الذين يمكنهم أن يفعلوا الخطأ؛ عليه أن يُحضر الجور إلى النور وأن لا يكتمه. وهكذا يمكن لفاعلي الخطأ أن يقاسوا العقاب ويعودوا وحدة

متكاملة. عليه أن يجبر نفسه والآخرين أن لا ينكمشوا عن العقاب، بل أن يستدعوا الطبيب ويُجروا العمليّة بالسكين أو بالحديد المحمّى بعد أن يغلقوا عيونهم كالرجال الشجعان، غير هيّابين الألم، على أمل الحصول على ما هو خيِّر وشريف. إنّ مَنْ فعل أشياء تستحقّ الجلد يجب أن يسمح لنفسه أن يُجلَدْ، وإذا استحق التقييد، أن يُقيّد، وإذا استحق الغرامة أن يُغرّم، وإذا استحق الموت، أن يموت، كونه أوّل من يتّهم نفسه وأقرباءه، ودعه يستعمل علم الكلام لهذه الغاية، كي يمكن لأعمال ظلمه وظلمهم أن تظهر جلية. ولربّما يمكنهم هم أنفسهم أن يتخلّصوا من الظلم، الذي هو أعظم الشرور. هل ستقول (نعم) أو (لا) لذلك؟

بولس: يظهر غريب جداً ما قلته لي، يا سقراط، مع ذلك فإنّه يتفق مع مقدماتك.

سقراط: أليست هذه هي النتيجة، إذا لم تُنقض هذه المقدّمات؟

بولس: نعم؛ إنّها لكذلك بكلّ تأكيد.

سقراط: ومن وجهة النظر المضادة، إذا ما كان واجبنا إيذاء الغير حقاً، سواء كان عدوّنا أم لم يكن (بشرط أن لا يؤذينا ذلك العدو ـ علينا أن نحترس ضد ذلك الإحتمال) ـ إذا آذى عدوي شخصاً ثالثاً حينئذ، فسيلي ذلك أنّني سأحاول أن أمنع أيّ شخص من أن يعاقبه، في كلّ نوع من أنواع الطرائق بالقول كما بالعمل، أو أن يظهر أمام القاضي. وإذا ما وقف أمام القاضي عليّ أن أكافح كي يفلت منه، وأن لا يقاسي العقاب. وإذا ما سرق مبلغاً كبيراً من المال، دعه يحتفظ بما سرق وينفقه على مَا لَهُ وعليه بقطع النظر عن الدّين والعدل. وإذا ما فعل أعمالاً تستحقّ الموت، فدعه يعيش، بل بالأحرى أن يخلد في خبثه؛ أو إذا لم يكن هذا ممكناً، فدعه يُسمح له بالعيش طالما يستطيع على أية حال، باقياً كما هو. يمكن أن يكون علم الكلام نافعاً لهذا الغرض، يا بولس، غير أنّ نفعه صغير، إذا كان له نفع،

للذي ليس في نيّته ارتكاب الظلم؛ لم يكن هناك أيّ نفع كهذا الذي اكشتفناه في بحثنا السابق، على الأقل.

كاليكلس: أخبرني، يا تشايرافون، أيكون سقراط جاداً أو مازحاً؟

تشايرافون: عليَّ أن أقول، يا كاليكلس، أنه يكون في أقصى غايات الجدية. غير أنه لا يوجد ما يشبه سؤاله بنفسك.

كاليكلس: سأفعل ذلك بالتأكيد الأكثر. أخبرني، يا سقراط، هل أنت جادٌّ، أو هازل فيما قلته؟ لأنّك إذا ما كنت جادّاً، وكان ما تقوله حقيقياً، ألن تكون حياة الإنسانيّة مقلوبة رأساً على عقب بمجملها؟ أولاً نكون فاعلين، كما يبدو، عكس ما يجب علينا عمله في كلّ شيء؟

سقراط: أوه يا كاليكلس، إذا لم يكن هناك شعور مشترك ما بين الجنس البشري، كيفما اختلف في الأشخاص المتباينين ـ أريد أن أقول، إذا كان شعور كل إنسان خاصاً بنفسه ـ لن يكون من السهل على الإطلاق أن نوصل تعابيرنا لبعضنا بعضاً. إنّني أُورِدُ هذه الملاحظة لأنّني أتصوّر بأنّك وأنا أيضاً نمتلك شعوراً مشتركاً. كلانا عاشقان، وكلانا لدينا حبيبان كلٌّ على حدة. أنا حبيب ألسيبيادس بن كلينياس، وحبيب الفلسفة، وأنت حبيبك ديموس الأثيني، وديموس هو ابن بيريلامبس. وبعد، فأنا ألاحظ، ومع كل حذقك، أنك لا تجرؤ أن تعارض خليلك لا في كلامه ولا رأيه؛ بل كما يتغيَّر هو تتغيَّر أنت، إن كان تغيّرك إلى الوراء أو إلى الأمام. عندما ينكر ديموس الأثيني أيّ شيء تقوله في الجمعية العموميّة تتّجه نحو رأيه، وتفعل الشيء نفسه مع ديموس، الإبن الشابّ اللطيف لبيريلامبس. لأنّك لا تمتلك القوّة كي تقاوم كلمات وأفكار محبوبك؛ وإذا ما عبَّر الشخص عن الدهشة لغرابة ما تقول من وقت لآخر عندما تكون تحت تأثيره، فمن المحتمل أنّك ستجيبه، إذا ما كنت أميناً، أنّه طالما لم يتوقفوا عن قول ما يقولون، فلن تتوقف أنت

عن ترديدها. يجب أن تفهم أنَّ كلماتي هي صدىً أيضاً، وعليك أن لا تندهش منها؛ وإذا أردت إسكاتي، أَسِكت الفلسفة التي هي حبّي. إنّها تخبرني على الدوام ما أنا مبلِّغك إيّاه، يا صديقي؛ وهي ليست متقلبة الأطوار كحبّي الآخر، لأنّ ابن كلينياس يقول شيئاً اليوم وآخر غداً، ولكنّ الفلسفة ثابتة على الدوام. إنّها المعلِّم الذي تدهشك كلماته الآن، ولقد سمعتها بنفسك. هي التي يجب أن تدحض، يا كاليكلس، أو أَبِنْ لنا، كما قلتُ أنا، وهو أن تفعل الظلم وتهرب من العقاب، ليس الأسوأ من كل الشرور؛ أو إذا ما تركت كلامها غير منقوض، فإنّني أقسم لك، أنّ كاليكلس لن يكون واحداً مع نفسه أبداً، بل إنّ حياته ستكون متنافرةً بمجملها. ومع ذلك، يا صديقي، سأفضِّل أن يكون عودي غير متناسق، وأنّ لا يوجد للموسيقى في الجوقة التي أقدِّم؛ نعم، أو أنّ مجموعة الجنس البشري لن تتفق معي، وستعارضني، مفضِّلاً ذلك على أن أكون متنافراً مع نفسي، وأُناقضها.

كاليكلس: إنّك لخطيب منظِّم، يا سقراط، ويبدو أنّك تهيم على وجهك في المحاورة، وإنّك تتوخّى البلاغة في خطابتك بهذه الطريقة لأنّ بولس قد وقع في الخطأ عينه الذي اتُّهم به جورجياس: لأنه قال إنّك عندما سألت أنت جورجياس، ما إذا كان، وإذا أتى إليه شخص ما يريد أن يتعلَّم علم الكلام، ولم يعرف العدل، هل سيعلِّمه إيّاه، وأجاب جورجياس في تواضع منه، أنه سيفعل لأنه فكّر أنّ الجنس البشري بشكل عام سيكون غير راضٍ إذا أجاب بلا؛ وحينئذٍ ونتيجة لهذا القبول كان جورجياس مجبراً أن يناقض نفسه، ذلك أنّ كون العدل هو نوع من الشيء الذي يسرّك. وإذ ذلك فبولس سخر منك بحقّ، كما أعتقد؛ غير أنه هو نفسه قد وقع في الفخّ عينه. لا أقدر أن أقول الشيء الكثير عن ذكائه عندما سلّم لك أنّ فعل الظلم هو

أكثر قبحاً من مقاساته، لأنّ هذا كان الإدخال الذي من خلاله أوقعته في أحبولة بدوره؛ ولأنّه كان حيياً أيضاً ليقول ما يفكّر، فلقد التزمَ الصمت مطلقاً. إنّ الحقيقة، يا سقراط، هي أنّك أنت الذي تتظاهر أنّك متقيدٌ بتقصّي الحقيقة، تلجأ الآن إلى التصورات المبتذلة للحق، تلك التصورات التي تستحقّ الإعجاب بالاصطلاح، وليس بالطبيعة. إنّ الاصطلاح والطبيعة هما في اختلاف بعضهما مع بعض؛ ومن ثمّ، إذا كان الشخص كثير الحياء وجباناً لأن يقول ما يفكر به، فإنّه مُجبرٌ أن يناقض نفسه. وبما أنّك تدرك هذا اللطف، فإنّك تلعب بسرعة وتخسر في حوارك. وعندما يقرّر المتكلم حالته على أساس الاصطلاح، فإنّك تتطرّق إلى السؤال المركّز على قانون الطبيعة. وإذا تكلم هو عن قانون الطبيعة، تنسلُّ إلى الاصطلاح. كمثال، لقد فعلت ذلك في هذا البحث بالتحديد حول فعل ومقاساة الظلم. عندما تكلّم بولس عن الشائن بالاصطلاح، واصلت تتبّع الحوار من وجهة النظر الطبيعيّة؛ فمقاساة الظلم بقانون الطبيعة هو أكبر عاراً لأنه أعظم شراً؛ لكن فعل الظلم بالاصطلاح هو أكثر خزياً. لأن مقاساة الظلم ليست بجزء من الإنسان، بل من العبد، الذي يكون الموت له أفضل من الحياة؛ بما أنّه قد وُطِىءَ بالأقدام وأُنزل به الأذى، ولم يستطع أن يدفع الأذى عن نفسه، أو عن أيّ شخص آخر يهتمّ به. إنّ السبب، كما أتصوّر، هو أنّ الذين يسنّون القوانين ضعفاء بغالبيتهم. فهم يسنون القوانين ويوزعون الثناءات والذمّ بالنظر إلى أنفسهم وإلى منافعهم الخاصة. وهم يرعبون النوع الأقوى من الرجال، وأولئك الذين يستطيعون الحصول منهم على أفضل ما يريدون، كي لا يتمكنوا في الحصول على الأفضل منهم؛ ويقولون إنّ المصلحة الشخصيّة الطموحة هي عيب وظلم، ما معناه، أنّ كلمة الظلم، هي رغبة الإنسان أن يمتلك أكثر من جيرانه؛ وأشتبه أنهم سيكونون جدُّ جذلين بالمساواة، لأنّهم

يعرفون دونيّتهم. ولذلك فإنّ الاجتهاد الساعي للتملك أكثر من الجميع قيل إنّه يكون بالاصطلاح عيباً وظلماً، وسمّي ظلماً[١٧]، في حين أنّ الطبيعة عينها توعز أنّه يكون عدلاً أن يمتلك الأفضل أكثر من الأردأ، الأقوى من الأضعف. وتبيِّن الطبيعة أنّ العدل، يكمن في حكم الأسمى للأدنى وامتلاكه أكثر منه في طرق متعددة، يظهر ذلك بين الرجال كما بين الحيوانات، وحقّاً بين مجمل المدن والسلالات. لأنّه على أيّ مبدأ للعدل غزا دارا بلاد اليونان، أو أبوه بلاد السكيثيين؟ (ولسنا لنتكلم عن أمثلة أخرى لا يحدّها حصر). لا، لكنّ هؤلاء الرجال، إنّني أقترح ذلك، فعلوا في هذه الطريقة، كما أشتبه، في تطابق مع طبيعة العدل. نعم، وبالسماء، طبقاً لقانون الطبيعة، ومع هذا، لربّما، ليس طبقاً للقانون الذي نشرّع؛ فنحن نهيِّئ أفضل وأقوى أولادنا منذ فترة ينوعهم فصاعداً، ونروِّضهم كما ندجّن أشبال الأسد، ـ نخضعهم بالتعاويذ والرقيات، قائلين لهم إنّ عليهم أن يقنعوا بالمساواة، وأنّ المتساوي يكون شريفاً وعادلاً. غير أنّه إذا ما وُجِد الإنسان المولود بقدرة كافية، فسيزعزع كلّ ذلك ويقتحمه، إلى أن يتخلّص منه؛ إنّه سيدوس كل معادلاتنا وتعاويذنا وطلاسمنا بالأقدام، وكذلك كل قوانينا التي هي ضدّ الطبيعة. سيقوم العبيد بالعصيان ويصبحون أسياداً علينا، وسيلمع نور العدل الطبيعي ويتألّق. لقد عزّز بيندار الذي أقوله، كما أعتقد، في قصيدة له عندما أشار إلى « القانون مَلِكُ الجميع، للفانين كما للخالدين »[١٨]؛ هذا، كما أنّه يقول: « يجعل القوّة حقاً، فاعلاً العنف باليد الأعلى، كما أستنتج من مآثر هرقل، لأنّ بدون شرائها ـ ».

إنّ هذا هو الشيء شبيه بما يقول. انني لا أعرف القصيدة عن ظهر قلب؛ لكن معناها هو أنّه بدون شرائها، وبدون أن تُعطى له، فإنّه ساق ثيران جيريون وذهب بها بعيداً، كون ذلك هو قانون الطبيعة الحقيقي في أن

تكون ثيران وكل ممتلكات الأضعف والأدنى للأقوى والأعلى بشكل مناسب. كما يمكنك أن تتأكّد منها كونها حقيقية، إذا ما كنت ستترك الفلسفة وترتقي إلى الأشياء الأعلى. لأنّ الفلسفة، يا سقراط، إذا ما تابعها الإنسان باعتدال وفي السنّ المناسب، فإنّها إنجاز أنيق، لكنها خراب للحياة الإنسانية إذا ما طال أمد درسها بغير تناسب. حتى إذا كان لدى الإنسان أجزاء جيّدة، يبقى أنّه إذا حمل الفلسفة إلى حياة متأخّرة، سيجهل تلك الأشياء التي يجب أن يعرفها السيّد والإنسان المميّز بالضرورة. فهو غير خبير بقوانين الدولة، وباللغة التي يجب استعمالها في التعامل بين الإنسان والإنسان، سواء أكانت تلك اللغة خاصّة أو عامّة، وهو جاهل بالكليّة بملذّات ورغبات الجنس البشري والأخلاق الإنسانيّة بشكل عامّ. وأناس من هذا النوع يبدون مضحكين عندما يُنَصَّبون في مجال السياسة أو العمل. كما أتصوّر السياسيين في أن يكونوا، عندما يشرعون بالظهور في ساحة الحوار والدراسة، لأنّه، وكما يقول يوريبايدس: «كل إنسان يلمع في ذلك، ويتابع ذلك، ويخصّص القسم الأكبر من يومه لذلك، الذي يتفوق فيه»[١٩]، لكنّه يتحاشى ويغض من شأن أيّ شيء يكون هو الأدنى فيه، ويثني على ما يكون ضدّه في محاباة مع نفسه، لأنّه يعتقد أنّه يثني على نفسه بهذا الشكل. أمّا المبدأ الحقيقي فهو أن يوحدهما. ويكون بعض الفلسفة شيئاً ممتازاً، كجزء من التعليم، ولا يوجد أيّ عار إذا تابع الإنسان هكذا دراسة عندما يكون فتيّاً؛ لكن عندما يواصلها في حياة متأخرة، سيصبح شيئاً مضحكاً جداً. وإنّني أشعر نحو الفلاسفة كشعوري نحو أولئك الذين يلثغون ويقلدون الأطفال، وأنا أحبّ أن أرى الطّفل الصغير، الذي لم يكتمل سنّه بعد كي يتكلّم بوضوح، يلثغ في كلامه؛ وهناك مظهر للرشاقة والحريّة في نطقه، والتي تكون طبيعية بالنسبة لسنوات طفولته. لكن عندما أسمع بعض

المخلوقات الصغيرة تنطق كلامها بعناية، فإنّني أغضب؛ ويكون صوتها غير مقبول، ويطرق أُذُنَيَّ وكأنّه خَنَّة العبودية. وهكذا عندما أرى الرجل يلثغ، أو أراه يلعب كالطفل، يظهر سلوكُه لي مضحكاً ومخنّثاً ويستحقّ الجلد. ولديَّ الشعور نفسه نحو طلاّب الفلسفة؛ عندما أرى شابّاً ملتزماً بها هكذا أحب ذلك حقاً ـ تظهر لي الدراسة تلك أنّها أخلاقية وطالبها يمتلك تعليماً حرّاً، وأعتبر أنَّ من يهمل الفلسفة شخص سافل، لن يتوق إلى شيء عظيم ونبيل. لكنّ إذا رأيته يواصل الدراسة في حياة متأخرة دون ترك لها، أحبّ أن أضربه، يا سقراط، لأنّني أعتبر أن شخصاً كهذا مقضيّ عليه أن يصبح مخنّثاً. وكما قلت، حتّى مع أنه يمتلك أجزاء جيدة وطبيعيّة، إنّه يفر من المركز المليء بالبشر، من مكان البيع والشراء اللذين فيهما تصبح الرجال مميّزة، كما يقول الشاعر، بل يزحف إلى زاوية طوال بقية حياته، ويتكلّم همساً مع ثلاثة أو أربعة شبّان معجبين، لكنه لا يتكلم بشجاعة قط، وبهمّة الإنسان الحر. وبعد، فإنّني ميّال لك يا سقراط، ويمكن مقارنة شعوري نحوك بشعور زيثوس نحو أمفيون، في تمثيليّة يوربيايدس، والتي كنت قد ذكرتها لتوّي. فأنا مهيّأ لأن أقول لك أكثر ما قاله زيثوس لأخيه، ذلك أنّك، يا سقراط، غير معتنٍ بالأشياء التي عليك أن تعتني بها؛ وأنّ [تقلّدك شكل تلميذ المدرسة الغبي، فإنّك تمسخ روحاً نبيلة بالطبيعة بشكل مضحك: فأنت لا تقدر أن تحاور لقضيّة في محاكم العدل بصواب، أو تدرك ما يمكن أو ما يجب اتّباعه، أو أن تقدّم مشورة شجاعة بالنيابة عن الغير][٢٠]. وعليك أن لا تغضب، يا عزيزي سقراط، فأنا أتكلّم من منطلق إرادة خيِّرة نحوك. وإذا سألتك إذا ما كنت خجِلاً من حالتك الحاضرة، التي أَثبتُ أنّها ليست حالتك فقط بل حالة كل أولئك الذين يغوصون في الفلسفة أبداً بعمق أكثر. فلنفترض أنّ شخصاً ما ساقك أو ساق أيّ واحد من نوعك إلى

السجن، معلناً أنّك فعلت الخطأ في حين لم تفعله، يجب أن تسمح لنا بها فإنّك لن تعرف ماذا ستفعل عندئذ؛ - وستقف هناك دائخاً ومتثائباً، وليس لديك كلمة تتفوّه بها. وعندما تمثل أمام المحكمة، حتّى إذا كان مُتَّهِمُكَ عديم القيمة وسافلاً، فستموت إذا ما كان ميّالاً للمطالبة بإنزال عقوبة الإعدَام بك. ومع ذلك، يا سقراط، فأيّة حكمة هناك في « فنٍّ يحوّل الإنسان ذو الكفاءَات إلى الوهن »[٢١]، غير قادرٍ أن يدافع عن نفسه أو ينقذها وينقذ الآخرين عندما يكون في أعظم الأخطار، بل يتركه ليجرّده أعداؤه من كلّ حقوقه، ويذهب ليعيش طريد القانون في مدينته بكلّ بساطة؟ - إنّه إنسان يمكن أن يُصفع على الأذنين بُعَيْدَ إفلاته من العقوبة، إذا ما أمكنني استعمال هذا التعبير. خذ نصيحتي، إذن، يا صديقي الصالح (ولا تدحض أحداً بعد اليوم، تعلّم فنّ العمل الممتاز، واكتسب صيت الحكمة. لكنْ أترك للآخرين إتقانها)، سواء وُصِفوا كأشياء غبيّة أو مضحكة: (لأنّها ستمنحك الفاقة ولمن يسكن معك). إنقطع، إذن، عن المفاخرة بتوافه هذه الكلمات، وتباهَ بإنسان الجوهر والشرف، والبركات العديدة الأُخرى.

سقراط: إذا ما كانت روحي مصُوغةً من الذهب، يا كاليكلس، ألا يجب أن أفرح لاكتشاف واحد من تلك الأحجار التي تُختبر بها، وللواحد الأفضل احتمالاً بالتحديد الذي يمكنني أن أُحضر إليه روحي هذه؟ وإذا وافق الحجر وأنا في التصديق على تدريبها، عليّ أن أعرف حينئذ أنّني كنت في حالة مقنعة، ولست بحاجة إلى أيّ اختبار آخر.

كاليكلس: ما هو معناك، يا سقراط؟

سقراط: سأخبرك، أعتقد أنّني وجدت فيك جائزة كهذه.

كاليكلس: لماذا؟

سقراط: لأنّني متأكّد أنّك إذا اتفقت معي في أيّ من الآراء التي تشكلها روحي،

فقد وجدت الحقيقة أخيراً حقّاً. فأنا أعتبر أنّ الإنسان إذا ما صنع تجربة كاملة عن حياة الروح الخيِّرة والشريرة، يجب أن يمتلك نوعيّات ثلاثاً: المعرفة، الرِضا، الصراحة، والتي تمتلكها أنت كلها. إن العديد ممّن قابلتهم غيرُ قادرين أن يمتحنوني، لأنهم لم يكونوا عقلاء مثلك؛ وآخرون كانوا عقلاء، غير أنّهم لم يريدوا أن يخبروني الحقيقة، لأنّه لم يكن لديهم الإهتمام عينه بي كاهتمامك أنت؛ وهذان الغريبان الاثنان، جورجياس، وبولس، هما رجلان عاقلان بدون شك وصديقان حميمان لي غير أنّهما ليسا صريحين بما فيه الكفاية، وهما حييّانِ كذلك. لماذا يكون حياؤهما كبيراً هكذا، ولِمَ انقادا ليناقضا نفسيهما، أوّلُهما جورجياس وبعده بولس، في وجود جمع كبير، وعلى قضايا هي موضوع اللحظة الأعظم. لكنك أنت تمتلك كلّ النوعيّات التي يفتقر لها هذان. الاثنان؛ قد تلقيت ثقافة ممتازة، كما يشهد بذلك العديد من الأثينيين؛ وإنّك صديقي، هل سأخبرك لماذا أعتقد ذلك؟ أعرف أنّك أنت، يا كاليكلس، وكذلك تايسندر من أفيدناي، وأندرون بن أندريوتون، ونوسيكايدس، من الدِّيم الأتيكيّة الكولاروغسيّة، أعرف أنّكم درستم معاً جميعاً: لقد كنتم أربعة، وقد سمعتكم مرّة ينصح واحدكم الآخر فيما يخص البعد الذي يجب أن يصله تتبّع الفلسفة. وكما أعرف، فلقد توصّلتم إلى نتيجة وهي أنّ دراسة الفلسفة يجب أن لا تتقدّم كثيراً جدّاً وبالتفصيل، وحذّر واحدكم الآخر أنْ لا تكونوا عقلاء فوق اللزوم؛ كنتم خائفين من أن جهلكم بها يمكّن العقل من أن يدمركم. وعندما أسمعك الآن تقدّم إليّ النصيحة عينها والتي أعطيتها إلى أصدقائك الأكثر خصوصية حينئذ، فإنّ لديّ دليلاً كافياً على سلامة طويّتك نحوي. وإنّني متأكّد من طبيعة صراحتك وتهيّبك عن الإحجام كونك متأكّداً من نفسك، وتعزّز التأكيد بحديثك الأخير. حسناً إذن فإنّ

الاستدلال في الحالة الحاضرة يكون بوضوح، هو أنّك إذا اتفقت معي في المحاورة بشأن أيّة نقطة رئيسيّة، فهذه النقطة سنكون قد اختبرناها كفاية، ولا حاجة لإخضاعها لأيّ امتحان أبعد. لأنّه لا يمكن أن يكون باستطاعتك الاتفاق معي، لا من قلّة المعرفة ولا من فائض الحشمة، ولا مع ذلك في رغبة منك لأن تخدعني، لأنّك صديقي، كما تخبرني أنت بنفسك. ولذلك فعندما أتفق وإيّاك، فالنتيجة ستكون نيل الحقيقة الكاملة. وبعدُ، لا يوجد أيّ تساؤل أنبل، يا كاليكلس، من ذلك الذي تنتقدني لفعله، ـ ماذا يجب أن تكون أخلاقيّة الإنسان، وما هي مساعيه، وإلى أيّ بُعدٍ عليه أن يذهب فيها، في سِني الشباب والنضج كليهما؟ ولتكن متأكداً من أنني إذا أخطأت في تصرّفي الخاصّ فلا أخطىء عمداً، بل من الجهل. لا تنفك عن إنذاري عندئذ، بما أنك قد بدأت الآن، حتى أكون قد تعلّمت ما هو هذا الذي عليّ التدرّب عليه بوضوح، وكيف يمكنني أن أناله. وإذا وجدتني راضياً بكلماتك، وغير فاعل ذلك الذي قبلت به فيما بعد، أخضعني وكأنّي غبيّ مطلق، ولا تنصح المخلوق الذي لا قيمة له أبداً مرّة ثانية. أخبرني إذن ثانية، ماذا تعني أنت وبيندار بالعدل الطبيعي: ألا تعنيان أنّ الأقوى يجب أن يستولي على أملاك الأدنى بالقوّة، وأنّ الأفضل يجب أن يحكم الأردأ، وأن يمتلك النبيل أكثر من الحقير؟ هل تتصور العدل خلافاً لذلك، أو أنّني محقّ في تذكُّري؟

كاليكلس: نعم؛ ذلك ما قلت، وما زلت أجزم به.

سقراط: وهل تعني بالأفضل وكأنّه الأسمى نفسه؟ لأنّني لم أستطع تفسير ما قلته ذلك الوقت ـ ما إذا عنيت بالأسمى الأقوى. وأنّ الأضعف عليه أن يطيع الأقوى. وأبنتَ كي تضمّن ذلك عندما قلت إنّ المدن الكبيرة تهاجم الصغيرة تطابقاً مع الحقّ الطبيعي، لأنها أفضل وأقوى، كأن الأسمى والأقوى

والأفضل هم أنفسهم؛ أو ما إذا يمكن أن يكون الأدنى الأضعف أيضاً، والأسمى الأردأ. أو سواءٌ أحُدّدَ الأفضل بالطريقة عينها كما يُحدَّد الأسمى: ـ هذه هي النقطة الرئيسيّة التي أريدها أن تتوضّح. أيكون الأسمى والأفضل والأقوى متشابهين أو مختلفين؟

كاليكلس: أقول بصراحة إنّهم متشابهون.

سقراط: تكون الكثرة بالطبيعة إذن أسمى من الواحد، ضدّ من يسنّون القوانين، كما كنت قائلا؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ قوانين الأكثرية هي قوانين الأسمى إذن؟

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: فهي قوانين الأفضل آنئذ؛ لأنّ النّوع الأسمى هو أفضل ببعيد، كما قلت؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وبما أنّه الأسمى، فإنّ القوانين التي يسنُّها هي الصالحة بالطبيعة؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أوليست الكثرة من الرأي، كما قلت مؤخّراً، هي ما يؤكد أنّ العدل هو المساواة، وأنّ فعلك الظلم هو أكثر خزياً من معاناتك له؟ ـ أيكون هذا أو لا يكون؟ أجبني، يا كاليكلس، ولا تستسلم لهجوم الخجل. هل تعتقد الكثرة بذلك أم لا؟ ـ عليّ أن أستعطفك لتجيبني، كي أتمكّن من تحصين نفسي بموافقة حاذق كهذا إذا ما وافقتني.

كاليكلس: نعم؛ إنّ رأي الأكثرية هو ما تقول.

سقراط: لا يؤكّد الاصطلاح فقط إذن بل تؤكّده الطبيعة أيضاً وهو أن فعل الظّلم أكثر عاراً من مقاساته، وأنّ العدل هو المساواة؛ وهكذا تظهر أنّك قد أخطأت في تأكيدك السابق، عندما اتهمتني وقلت إنّ الطبيعة والاصطلاح

هما متضادان، وأنّني، عارفاً بهذا، كنت لاعباً ثابتاً ومسيّاً بهما، ألجأ إلى الاصطلاح عندما تكون المحاورة في الطبيعة، وإلى الطبيعة عندما تكون المحاورة في الاصطلاح؟

كاليكلس: هذا الرجل لن ينفك عن التكلم بالسفاسف. ألا تستح، في سنّك، يا سقراط، الإمساك عن الكلمات وعن الضّحك بالسرّ على بعض الهفوات الشفهيّة؟ ألا ترى أنّني أعني بالأسمى الأفضل: ألم أستمرّ قائلاً لك إنّ الأفضل والأسمى هما متماثلان في وجهة نظري؟ هل تتصوّر أنّني أقول، إنّه إذا ما اجتمع معاً، العبيد الرّعاع والأشخاص الصعب وصفهم، الذين لا يصلحون لأيّ نفع، ما عدا، لربّما، قوتهم الجسديّة، فهل تتصوّر أنّني أقول، إنّه بالحرف الواحد يكون اجتماعهم قوانين؟

سقراط: يا للعجب! أهذا هو خطّك، يا صديقي وفيلسوفي؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: إنّني بدأت أشكّ لبعض وقت مضى، يا صديقي الصالح، أنّك استعملت كلمة (أسمى) في ذلك النّوع من المعنى؛ وإذا سألتك مرّة ثانية، فما ذلك إلاّ لأنّني قلق لأعرف ماذا تعني بها بالتأكيد. أنت لا تعتقد بالتأكيد أنّ رجلين اثنين أفضل من واحد، أو أنّ عبيدك أفضل منك لأنّهم أقوى؟ إبدأ مرّة ثانية، من فضلك، وأخبرني من هو الأفضل، وإذا لم يكن الأقوى؛ وسأسألك، يا سيّدي العظيم، أن تكون ألطف في تعليمك قليلاً، أو أنّني سأضطر إلى مغادرة مدرستك.

كاليكلس: إنّك تهكّميّ.

سقراط: لا، وحق البطل زيثوس، يا كاليكلس، وحق الذي بمساعدته قد تفوّهت بكلمات تهكميّة عديدة ضدّي منذ برهة، ولست أنا الذي فعلت ذلك: - أخبرني، من تعني بالأفضل إذن؟

كاليكلس: أعني الأكثر امتيازاً.

سقراط: ألا ترى بأنّك أنت نفسك تستعمل كلمات فارغة، ولا تشرح شيئاً؟ ـ هل ستخبرني ما إذا كنت تعني بالأفضل والأسمى الأعقل. وإلاّ، فمن تعني؟

كاليكلس: أعني الأعقل، بالتأكيد الأكثر.

سقراط: يمكن لإنسان واحد عاقل عندئذ، أن يكون أسمى من عشرة آلاف غبي طبقاً لك، ولذلك يجب أن يحكمهم، وعليهم أن يكونوا رعاياه، وأن يمتلك أكثر ممّا يمتلكون. هذا هو ما أعتقد أنك عنيت (وعليك أن لا تفترض أنّني ملتقط كلمات)، إذا سمحتِ للواحد أن يكون أسمى من عشرة آلاف؟

كاليكلس: نعم؛ ذلك ما عنيت، وذلك هو ما أتصوّر أنّه العدل الطبيعي. إن الأفضل والأعقل يجب أن يحكما ويملكا أكثر من الأدنى.

سقراط: قف هناك، ودعني أسألك ماذا ستقول في هذه الحالة: دعنا نفترض أنّنا نكون كلّنا معاً كما نحن الآن؛ يوجد العديد منا، وأنّ لدينا مخزناً عاماً كبيراً للّحم والشراب، وهناك كل أنواع الأشخاص في رفقتنا يمتلكون درجات متنوعة من القوة والضعف، وأنّ واحداً منا هو أعقل في مسائل الغذاء من كل الباقين، كونه طبيباً، وربما يكون أقوى من البعض وليس هكذا قوياً كالغير منا ـ ألن يكون هو كذلك، أعني الأفضل منّا نحن أيضاً، كونه الأعقل، وأسمى منّا في مسألة الغذاء هذه؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: هل سيكون لديه هو عندئذ حصّة من اللحم أكثر من بقيتنا، لأنّه الأفضل؟ أو، أنّه سيمتنع عن إنفاقها أو استعمال حصّة غير مناسبة منها لشخصه الخاص، بما أن لديه أمر توزيعها جميعاً نظراً لسلطته؟ إنّه سيمتنع عن ذلك تحت طائلَة العقوبة، ويكون قانعاً في أنّ حصّته سوف تتجاوز تلك التي للبعض وأقلّ من حصة للآخرين، وأنّه إذا ما كان هو أضعف الكلّ،

فهو كونه أفضل الكلّ، يجب أن يمتلك الحصة الأصغر من الجميع، يا كاليكلس: ـ أليس هذا هو السؤال، يا صديقي؟

كاليكلس: أنت تتكلم عن اللّحم والشراب والأطبّاء والسفاسف الأخرى؛ إنني لا أتكلم عنها.

سقراط: حسناً، لكن هل تعترف أنّ العاقل هو الأفضل؟ أجبني ب(نعم) أو (لا).

كاليكلس: نعم.

سقراط: أوَ لاَ يجب أن يمتلك الأفضل حصّة أكبر؟

كاليكلس: ليس من اللحم والشراب.

سقراط: أفهم. لربّما يمتلك من المعاطف إذن ـ على حائك المعاطف الأحذق أن يكون لديه أوسع معطف، وأكبر عدد منها، وأن يتجوّل في أفضلها وأحلاها؟

كاليكلس: كلام فارغ عن المعاطف.

سقراط: إذن بوضوح فالأحذق والأحسن في صناعة الأحذية، يجب أن يمتلك الأحسن من الأحذية؛ ولسوف يسير حيث يشاء وهو ينتعل الأوسع منها، وأن يحوز أكبر عدد منها؟

كاليكلس: هَلْسٌ عن الأحذية! بأيّة سفاسف تستمرّ متكلماً!

سقراط: أو، إذا لم يكن هذا معناك، لربّما ستقول إن الفلاّح العاقل والماهر والحقيقي عليه أن يحوز بالحقيقة الحصة الأكبر من البذار، وأن يكون لديه أكبر قدر منه لزرع أرضه؟

كاليكلس: كيف تستمرّ في التكلّم بالطريقة عينها دائماً، يا سقراط!

سقراط: نعم، يا كاليكلس، وعن الأشياء عينها أيضاً.

كاليكلس: نعم، تعرف السماء! أنت تتكلّم دائماً عن الأساكفة وقصّاري الأقمشة والطبّاخين والأطبّاء، كأنّ لهم ما يعملونه في محاورتنا.

سقراط: لكن لماذا لا تخبرني في ماذا يجب أن يكون الإنسان أسمى وأعقل كي يتمكن من امتلاك حصّة أكبر بعدل؛ أنت لا تقبل الاقتراح، ولا تقدّم اقتراحاً؟

كاليكلس: إنّني أخبرتك مسبقاً، أعني بالأسمى، في المقام الأوّل، ليس الأساكفة أو الطباخين بل الحكماء السياسيون الذين يفهمون إدارة الدولة، والذين ليسوا حكماء فقط، بل صناديد أيضاً وقادرون على أن ينفّذوا تصاميمهم، وليسوا بأولئك الرجال الذين يعتريهم الوَهَن من افتقارهم للعزم.

سقراط: أترى الآن، يا كاليكلس الأكثر امتيازاً، كيف يكون اتّهامي لك مختلفاً عن اتهامك الذي ترميني به. أنت تلومني بأنّني أقول الشيء عينه دائماً؛ لكنّني ألومك لعدم قولك الشيء عينه أبداً عن الأشياء عينها، لأنّك عرّفت الأفضل والأسمى على أنّه الأقوى مرّة، ومن ثمّ الأعقل مرّة ثانية، والآن تقدّم نظرية جديدة. فلقد أعلنت أن الأسمى والأفضل هو الأكثر شجاعة. أرغب أن تخبرني، يا صديقي الصالح، مرّة وتختصر الجميع، مَنْ تؤكّد أنّه الأفضل والأسمى، وفي ماذا يكونان الأفضل؟

كاليكلس: لقد أخبرتك مسبقاً أنّني أعني أولئك العقلاء والشجعان في إدارة الدّول. ويقضي العدل بأن يمتلكوا أكثر من رعاياهم.

سقراط: لكن يا صديقي، ماذا عن أنفسهم؟ هل هم حكماء أو رعايا في مفهوم خاص؟

كاليكلس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنّ كل إنسان هو حاكم نفسه الخاصّ؛ لكن لربّما تعتقد أنت أنّه لا حاجة له ليحكم نفسه؛ بل هو مُحتاجٌ له ليحكم الآخرين فقط؟

كاليكلس: ماذا تعني « بحاكم نفسه »؟

سقراط: شيء بسيط بما فيه الكفاية؛ تماماً كما يقال بشكل عامّ، إنّ الإنسان عليه أن يكون معتدلاً وسيّد نفسه، وحاكم ملذّاته وشهواته الخاصّة.

كاليكلس: ما هذه البراءة! أأنت تعرّف الاعتدال بالغباوة!

سقراط: لا: - يستطيع أيّ شخص أن يرى أنّ ذلك ليس ما أعنيه.

كاليكلس: نعم، إنّه يكون حقّاً؛ إذ كيف يستطيع أيّ إنسان خادمٌ لشيء ما أن يكون سعيداً؟ بل على العكس من ذلك، أنا أؤكد بوضوح أنّ من سيعيش بحقّ عليه أن يسمح لرغباته أن تكبر إلى منتهاها، وأن لا يؤدّيها. لكنّها عندما تنمو إلى أقصى مدى فعليه أن يمتلك الشجاعة والذكاء لأن يمدّها بكل شيء وأن يرضي كل ما تشتاق له. هذا ما أؤكد أنّه هو العدل الطبيعيّ والنّبل، ولا يستطيع العديد، على كل حال، أنّ يبلغوا إلى هذا؛ وهم يلومون الرجل القويّ لأنّهم يستحون بضعفهم الخاص الذي يرغبون إخفاءَه، ومن هنا يقولون إنّ الإفراط دنيء. وكما كنت قد أشرت مسبقاً، فهم يذلّون الطبائع الأنبل، وبما أنهم عاجزون عن الوصول إلى إشباع كامل لملذّاتهم، يثنون على الاعتدال والعدل بسبب ما يعتريهم من جبن. فإذا ما كان رجل إبناً لملكٍ في الأصل، أو كانت لديه الطبيعة القادرة على كسب امبراطورية أو دولة استبداديّة أو مملكة، فأيّ شيء يمكن أن يكون أكثر حقارة أو شرّاً من الاعتدال والعدل - أقول، لرجل مثله، يمكنه أن يتمتع بكلّ الخيرات وبحريّة، ولا يوجد أيّ رجل كي يقف في طريقه ويمنعه من ذلك، ومع ذلك فلقد اعترف هو بنفسه أن الاصطلاح والمبرّر واستهجان الرجال الآخرين أنّها الأسياد عليه؟ - ألاَ يجب أن تجلب له تلك النزوات الجميلة للعدل والاعتدال ورطة تعيسة، عندما لا يقدر أن يحابي خواصّ أصدقائه على أعدائه حتّى إذا كان حاكما في مدينته؟ لا، يا سقراط، أنت تصرّح أنك نذير للحقيقة، والحقيقة هي كالتالي: - إنّ الترف والإفراط وملء الشهوات، إذا ما تجهزت بالوسائل، فهي الفضيلة والسعادة - وكل ما تبقّى فما هي إلاّ مجرّد ألعاب صبيانيّة، اتفاقات مناقضة للطبيعة، كلام غبي للرجال، ولا تساوي شيئاً[٢٢].

سقراط: هناك حريّة نبيلة، يا كاليكلس، في طريقة اقترابك من المحاورة؛ إنّك تعلن الآن على الملأ ما يعتقد به العالم الباقي، لكنك لا تحب أن تقوله، وعليّ أن أستعطفك كي تثابر وتواصل الحوار، ذلك كي يمكن أن يكون حكم حياة الإنسان الحقيقي بيّناً. أخبرني، عندئذ: ـ تقول أنت، أليس كذلك، إنّ الشهوات يجب أن تُضبَطَ في الإنسان المحسِّن بحق، لكن علينا أن ندعها تنمو إلى أقصى مدى وأن نشبعها بطريقة أو بأخرى، وأنّ هذه هي الفضيلة؟

كاليكلس: نعم؛ إنّني أفعل.

سقراط: إذن فأولئك الذين لا يريدون شيئاً لا يقال إنّهم سعداء بحقّ؟

كاليكلس: لا، حقّاً، لأنّ الأحجار والرجال الميتين سيكونون أسعد الجميع عندئذٍ.

سقراط: غير أنّ الحياة تصبح بحقّ شيئاً رهيباً طبقاً لنظريتك؛ وأعتقد حقاً أنّ يوريبايدس يمكن أن يكون محقّاً فيما يقول: « من يعرف إذا ما كان الموت حياةً والحياة موتاً؟ » ولربّما نحن موتى بحقّ. لقد سمعت فيلسوفاً يقول إنّنا موتى حقيقةً في هذه اللحظة. وأنّ الجسم هو قبرنا(٢٣) وأنّ القسم من الروح الذي هو مقرّ الرغبات مُعرَّض لأن يُقذف بالكلمات ويُرهقُ صعوداً ونزولاً؛ ولقد اخترع شخص ذكيّ ما، ولربّما كان من إيطاليا أو صقليّة وممن يلعبون بالكلمة، اخترع كناية أسماها الروح ـ بسبب طبيعتها السّاذجة والسريعة التأثّر ـ أسماها وِعاءً، وأسمى الجاهل بغير المطّلع وغير الناضج، وقارن مكان الجاهل في الأرواح الذي تستقرّ فيه الرغبات، كونه الجزء المفرط وغير القانع، قارنه بوعاء مليءٍ بالثقوب، لأنّه لا يستطيع أن يشبع أبداً. إنّه يخالفك في طريقة التفكير، يا كاليكلس، فهو يعلن أنّ من بين كل الأرواح في مثوى الأموات، يعني العالم غير المرئي. يعلن أنّ هؤلاء الأشخاص المبتدئين أو الناضحين هم الأكثر شقاء، وأنّهم يجلبون الماء إلى القارب،

الممتلىء بالثقوب، يجلبونه في مصفاةٍ مخرومٌة بالمثل. أما المصفاة كما أكّد لي مُخبِّري، فهي الروح، ولقد قارن هو روح الجاهل بمصفاة لأنّها ملآنة بالثقوب، أما كونها شهوانيّة فذلك ناشىء عن الذاكرة السيّئة وعوز الإيمان. إنّ هذه التصورات غريبة بما فيه الكفاية، لكنّها تبيِّن المبدأ الذي سأحاول جاهداً برهنته لك، إذا ما استطعت؛ وذلك كي تغيّر تفكيرك، وتختار الحياة المنظّمة وتكفي نفسها بما تمتلكه لحاجاتها اليوميّة، بدلاً من حياة الإفراط والشره. هل تركت كلماتي أيّ انطباع عليك، وهل أنت ستقبل بالرّأي القائل إنّ الحياة المنظّمة هي أسعد من المفرطة والشرهة؟ أو أنّني أخفقت في إقناعك؟ وهل تصرّ على رأيك نفسه، مهما كانت الرموز العديدة ذات المغزى التي أتلوها عليك؟

كاليكلس: كلامك الأخير، يا سقراط، أكثر شبهاً بالحقيقة.

سقراط: حسناً، سأخبرك عن صورة أخرى أتت من المدرسة عينها: ـ دعني ألتمس منك أن تتأمل مليّاً إلى أيّ بعد ستقبل هذا كحساب عن حيوات المتدلين والمسرفين في شكل كهذا. ثمّة رجلان، وكلاهما لديه عدة براميل خشبيّة؛ الرجل الأول براميله سليمة وملآنة، أحدها متلىء نبيذاً، الآخر عسلاً، الثالث حليباً، بجانب براميل متعددة ممتلئة بسوائل أخرى، وتكون الجداول التي تملأها قليلة وشحيحة، أمّا هو فيستطيع الحصول عليها ملآنة بمقدار كبير من العناء والصعوبة. لكنّه عندما تمتلىء براميله لمرّة واحدة فلا تمتلكه حاجة لملئها بأكثر من ذلك، وليس لديه مشاكل أبعد من تلك بشأنها أو أن يعتني بها. أمّا الرجل الآخر، فيمكنه الحصول على جداول، بطريقة مماثلة، وليس بدون صعوبة مع ذلك، لكنّ براميله ناضحة وغير سليمة، ولذلك فهو مُجبر على ملئها ليل نهار، وإذا توقّف للحظة، فإنّه لفي كرب وألم شديدين. هكذا تكون حياتهما الخاصة بهما: ـ وبعدُ، فهل ستقول إنّ حياة المفرط أسعد من

حياة المعتدل؟ هل قرّبتك كلماتي إلى التوافق والاتفاق من أنّ حياة المعتدل أفضل، أمْ أنّها لم تَفِ بالغرض؟

كاليكلس: إنها لم تفِ بالغرض، يا سقراط، إنّ الرجل الذي ملأ نفسه ما عادت لديه أيّة لذّة بعد الآن؛ وهذا ما قلته منذ فترة. إنّ حياته كالحجر، لأنّه لا يمتلك الفرح ولا الحزن بعد امتلائه. لكن لذّة العيش تتوقف على الحصول على التدفق الأكبر المستطاع.

سقراط: لكنّك أكثر ما تصبّ، فالتدفق أكثر؛ ويجب أن تكون الثقوب واسعة كي يتسرّب السائل.

كاليكلس: بدون ريب.

سقراط: إنّ الحياة التي تصفها الآن ليست حياةً للرجل الميت، أو للحجر، بل للكاسر وغراب البحر. هل تعني شيئاً ما كهذا، إنّ الرجل عليه أن يجوع، وعندما يجوع عليه أن يأكل؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وعليه أن يعطش، وعندما يعطش عليه أن يشرب؟

كاليكلس: نعم، ذلك ما أعنيه؛ عليه أن يحوز على الرغبات جميعها، وأن يتمكّن من إشباعها، ويفعل هكذا، ويعيش في إرضائها بغبطة وسعادة.

سقراط: نفيس، ممتاز؛ استمرّ كما ابتدأت، ولا تستحِ؛ أنا عليّ أن أتخلّص من الحياء أيضاً. وهل ستخبرني قبل كلّ شيء، ما إذا كانت الحياة السعيدة تتضمّن امتلاك الحِكّة، ورغبة في الحكّ، وفرصة للحكّ غير محدُودة، وأن تمضي كل وقتك في هذه المهنة؟

كاليكلس: أيّ مخلوق غريب أنت، يا سقراط! إنك خطيب غوغائي مُنظّم.

سقراط: أهكذا أخفت بولس وجورجياس، وقدتهما إلى الحياة؟ غير أنك لن تستحي ولن تكون مُكرّساً، لأنّك رجل شجاع، والآن، أجب على سؤالي.

كاليكلس: أجيبك، أنه حتّى الذي سيحكّ سيعيش بسرور.

سقراط: وإنْ بسرور، فبسعادة أيضاً عندئذ؟

كاليكلس: لتكن متأكداً.

سقراط: وإذا ما اقتصر الحكّ على الرأس هل سأتابع السؤال[٢٤]؟ وأريدك أن تتأمّل ملياً هنا، يا كاليكلس، كيف ستجيب إذا ما ضغطت عليك عواقبه، وبخاصة إذا سئلت في المرجع الأخير، ما إذا كانت حياة المأبونين مرعبة، دنسة، مريعة؟ أو أنك ستجازف وتقول إنّهم سعداء أيضاً، إذا ما حصلوا على فيض ممّا يريدون فقط؟

كاليكلس: ألا تستحي، يا سقراط، من إدخال مواضيع كهذه في المحاورة؟

سقراط: حسناً، يا صديقي الفاخر، هل أنا أدخلت هذه المواضيع، أم الذي قال بدون أيّة لياقة إنّ كل الذين يحشون اللذة وبأيّة طريقة، هم سعداء؟ وسأبقى أسألك ما إذا كنت تقول إنّ اللذة والخير هما الشيء عينه، أو إذا كانت هناك لذّة ليست خيراً

كاليكلس: حسناً إذن، أقول إنّهما الشيء عينه، بقصد الاستقامة.

سقراط: إنّك تخرق الاتفاق الأصلي، يا كاليكلس، ولن تكون بعد الآن رفيقاً أقبل به في البحث عن الحقيقة، إذا قلت ما هو مناقض لرأيك الحقيقي.

كاليكلس: لماذا، هذا ما تفعله أنت أيضاً، يا سقراط.

سقراط: إنّ كلانا يفعل الخطأ إذن. يبقى، يا صديقي العزيز، أنّني أحبّ أن أسألك كي تتأمّل ملياً إذا ما كانت اللذة، من أيّ مصدر انبثقت، هي الخير. فإذا كانت هذه حقيقة، فيجب أن تلي العواقب العديدة المخجلة التي قد أُوعِزَ لها بظلام، وكذلك ستلي عواقب أخرى متعدّدة.

كاليكلس: إنّ ذلك رأيك فقط، يا سقراط.

سقراط: وهل تتمسك أنت، يا كاليكلس، بجدية بما تقول؟

كاليكلس: إنّني أفعل حقّاً.

سقراط: هل سنتقدم في المحاورة إذنْ، بضمانة أنّك جادّ فيما تقول؟

كاليكلس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: حسناً، إذا رغبت في التقدّم، حدِّد سؤالي هذا ـ إفترض، أنّه يوجد شيء ما، هو الذي تسمّيه معرفة؟

كاليكلس: يوجد ذلك.

سقراط: أو لم تقل لتوّك، أنّه يوجد هكذا شيء كالشجاعة المترافقة مع المعرفة.

كاليكلس: قلت هذا.

سقراط: وتكلمت عن الشجاعة والمعرفة وكأنّهما شيئان مختلفان بعضهما عن بعض؟

كاليكلس: تكلّمت بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل تقول إنّ اللذّة والمعرفة هما الشيء عينه، أو مختلفتان؟

كاليكلس: إنّهما مختلفتان، أوه يا رجل الحكمة.

سقراط: وهل تقول إنّ الشجاعة اختلفت عن اللذّة؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: حسناً، إذن، دعنا نتذكّر أن كاليكلس الأكارنيان يقول إنّ اللذّة والخير هما الشيء عينه؛ لكنّ المعرفة والشجاعة ليستا الشيء عينه، لا مع بعضهما بعضاً ولا مع الخير؟

كاليكلس: وماذا يقول صديقنا سقراط من فوكستون؟ هل يُسلّم بهذا، أوْ لاَ؟

سقراط: لا يسلّم؛ وكذلك يفعل كاليكلس، عندما يراقب نفسه بصدق. أفترض، أنّك ستعترف أنّ الحظّ السعيد والنحس يُضادّ بعضهما بعضاً؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وإذا كانا مضادّين بعضهما لبعض، فإنَّ أحدهما يستثني الآخر حينئذ،

كالصحّة والمرض؛ ولا يستطيع الإنسان امتلاكهما كليهما، أو التخلص منهما، في الوقت عينه؟

كاليكلس: ماذا تعني؟

سقراط: خذ حالة أيّة علّة جسديّة. يمكن أن يشتكي الإنسان من ألم في عينه يُدعى رمداً؟

كاليكلس: لتكن متأكّداً.

سقراط: لكنّه عندها لا يستطيع أن يمتلك العينين كلتيهماصحيحتين وسليمتين في الوقت عينه بالتأكيد؟

كاليكلس: لا بالتأكيد.

سقراط: ستكون تلك عجيبة ومضحكة بدون ريب؟

كاليكلس: ستكون للغاية.

سقراط: إنّني أفترض أنّه امتلكهما وتخلّص منهما بالدور؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وأنّهمَا الشيء عينه مع القوّة والضعف؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أو مع السرعة والبطء؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: أوَلاً يمتلك هو الخير والسعادة، وضدّهما الشرّ والشقاء، في تغيير مماثل؟[٢٥]

كاليكلس: إنّه يمتلكها بدون ريب.

سقراط: إذا وجدنا عندئذ الشيء الذي يحوزه الإنسان ولا يحوزه في الوقت عينه، ألا يمكن أن يكون ذلك شرّاً أو خيراً بوضوح؟ هل اتفقنا؟ لا تجبني بدون تأمّل من فضلك.

كاليكلس: أوافق بالكليّة.

سقراط: عُدِ الآن إلى ما قبلناه سابقاً: ـ هل قلت إنّك جعت، أعني حالة الجوع المجرّدة، كانت سارّة أو مؤلمة؟

كاليكلس: قلت إنّها مؤلمة، لكنْ إذا أكلت عندما تجوع فإنّها لسارّة؟

سقراط: إنّني أعرف؛ يبقى أنّ الجوع الحقيقيّ يكون مؤلماً؛ ألست محقّاً؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: والعطش مؤلم أيضاً؟

كاليكلس: نعم، للغاية.

سقراط: أأحتاج إلى إيراد أيّة دلائل أكثر، أو أنّك ستوافق على أنّ كل الحاجات أو الرغبات تكون مؤلمة؟

كاليكلس: إنّني أوافق، ولذلك فأنت لا تحتاج إلى تقديم أمثلة أكثر.

سقراط: جيّد جداً، وستعترف كذلك، أنّك عندما تعطش وتشرب، فتلك مسرّة؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وكلمة (عطشان) في الجملة التي تفوهت بها لتوّك، تدل على الألم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وتعبّر كلمة (شارب) عن اللذّة، وعن إشباع الحاجة؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وتكمن اللذّة في فعل الشرب؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: عندما تكون عطشان؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وفي الألم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: هل ترى الاستنتاج: - أنّ اللذة والألم حادثان في وقت واحد، عندما تقول إنّك عطشان، وتشرب؟ أو لا تكونان متزامنتين، ألا يؤثّران على الجزء عينه في الوقت عينه؛ سواء أوقع التأثير على الروح أو الجسم؟ - أمّا أيٌّ منهما يكون متأثّراً فلا يمكن افتراضه أنّه بذي أيّة عاقبة. أليس ذلك حقاً؟

كاليكلس: إنّه لحقّ.

سقراط: تقول أيضاً إنّه ليس باستطاعة الإنسان أن يمتلك حظّاً سعيداً ونحساً في الوقت عينه؟

كاليكلس: نعم. إنّني أفعل.

سقراط: لكنّك اعترفت أنّه عندما يكون الإنسان في الألم يمكنه أن يحوز اللذّة أيضاً؟

كاليكلس: بوضوح.

سقراط: ليست اللذّة الشيء عينه كالحظّ السعيد إذن، وليس الألم الشيء عينه كالحظّ المشؤوم، ولذلك ليس الخير الشيء عينه كالسّارّ؟

كاليكلس: إنني أرغب بمعرفة ما تعنيه مُماحكتك، يا سقراط؟

سقراط: أنت تعرف، يا كاليكلس، لكنّك، تتظاهر أنّك لا تعرف. تقدّم، مع ذلك، وستعرف حينئذ أيّ صوفيٍّ تكون أنت في عِظَتك لي. ألا ينقطع الإنسان في أن يكون عطشان ومن لذّة الشرب عندما يشرب في الوقت عينه؟

كاليكلس: لا أفهم ما أنت قائل.

جورجياس: لا، يا كاليكلس، لو لأجل خاطرنا فقط؛ فنحن سنحبّ أن نسمع نتيجة المحاورة.

كاليكلس: نعم، يا جورجياس، لكنّ سقراط هو هكذا على الدوام؛ إنّه يستمرّ في طرح أسئلة بَخْسَة وتافهة ويحاور.

جورجياس: ماذا يهمّ؟ إنّ ذلك ليس شأنك، يا كاليكلس، لتقدّر قيمتها. دع سقراط يحاور بأسلوبه الخاص.

كاليكلس: حسناً إذن، يا سقراط، إطرح هذه الأسئلة التافهة، ما دام جورجياس يرغب سماعها.

سقراط: أغبطك، يا كاليكلس، لأنّك قد اطّلعت على الأسرار العظيمة قبل أن تطّلع على الأسرار الأقلّ شأناً. إنّني اعتقدت أنّ هذا لم يكن مسموحاً به. لكن إبتدىء الآن بالإجابة حيث توقفت. ألاَ يتوقّف الإنسان عن العطش، وعن الحصول على لذّة الشرب، في اللحظة عينها؟

كاليكلس: حقاً.

سقراط: وإذا جاع الإنسان، أو تملكته أيّة رغبة أخرى، ألا ينقطع عن الرغبة واللذّة في اللحظة عينها؟

كاليكلس: حقيقيّ للغاية.

سقراط: إنّه ينقطع عن الألم واللذّة في اللحظة عينها إذن؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: لكنّه لا ينقطع عن الخير والشرّ في اللحظة عينها، كما اعترفت. هل أنت مُصِرٌّ على التَمَسُّكِ بما قلت؟

كاليكلس: نعم، إنّني فاعل؛ لكن ما هو الإستنتاج؟

سقراط: لماذا، يا صديقي، الاستنتاج هو أنّ الخير لا يكون الشيء عينه كالسّارّ، أو الشرّ الشيء عينه كالمؤلم. هناك انقطاع عن اللذّة والألم في اللحظة عينها. لكن ذلك لا ينطبق على الخير والشرّ، لأنهما مختلفان. كيف تستطيع اللذّة أن تكون الشيء عينه كالخير، أو يكون الألم كالشرّ؟ وأريدك أن تنظر إلى المسألة من وجهة نظر أخرى، أعتقد أنّها مغايرة لرأيك الخاصّ بشكل مماثل: أليس الأخيار أخياراً لأنّهم يمتلكون حضوراً للخير فيهم، كما يكون الجميلون أولئك الذين يمتلكون حضوراً للجمال فيهم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وهل تسمّي الأغبياء والجبناء رجالاً أخياراً؟ لأنك قلت لتوّك الآن إنّ الشجعان والعقلاء هم الأخيار ـ ألن تقول هكذا؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: أوَ لَم ترَ أبداً طفلاً غبيّاً فرحاً؟

كاليكلس: نعم، إنّني رأيت.

سقراط: ورجلاً غبيّاً أيضاً؟

كاليكلس: إفترض هكذا؛ لكنْ إلامَ تهدف؟

سقراط: لا لشيء خاصّ، إذا كنت ستجيب فقط.

كاليكلس: نعم، إنّني فعلت.

سقراط: أو لَم ترَ إنساناً مدركاً جذلاً أو محزوناً قطّ؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أيّهما الأكثر فرحاً أو حزناً: العاقل أو الغبيّ؟

كاليكلس: أعتقد أنّهما على قدم المساواة، في ذلك الخصوص.

سقراط: كفاية. أو لم ترَ الجبان في معركة أبداً.

كاليكلس: تأكّد من ذلك.

سقراط: وأيّهما يفرح لمغادرة العدوّ أرض المعركة أكثر: الجبان أو الشجاع؟

كاليكلس: عليّ أن أقول، إنهما كليهما متشابهان: أو هكذا تقريباً على الأقلّ.

سقراط: لا عليك؛ يفرح الجبان إذن، وليس الشجاع فقط؟

كاليكلس: بدرجة كبيرة.

سقراط: ويظهر أنّ الغبيّ يفعل ذلك؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وهل يتألم الجبناء عند اقتراب عدوّهم، أو أنّ الشجعان يتألّمون أيضاً؟

كاليكلس: كلاهما يتألّمان.

سقراط: وهل هما يتألمان بشكل متساوٍ؟

كاليكلس: عليَّ أن أتصوَّر أنّ الجبناء أكثر تألّماً.

سقراط: أولاً يُسرّان أكثر عند مغادرة الأعداء؟

كاليكلس: أجرؤ على القول.

سقراط: أيكون الأغبياء والعقلاء والجبناء والشجعان كُلّهم مسرورين ومتألمين، كما قلت، وفي درجة متساوية تقريباً؛ أو يكون الجبناء أكثر مسرّةً وألماً من الشجعان؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: لكنّ الشجعان والعقلاء هم أخيارٌ بالتأكيد، والأغبياء والجبناء هم الأشرار؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: يكون الأخيار والأشرار مسرورين ومتألّمين في درجة متساوية تقريباً عندئذ؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أيكون الفريقان كلاهما أخياراً وأشراراً في درجة متساوية تقريباً حينئذ؟ أو أنّ لدى الأشرار ميزة للخير أكثر؟

كاليكلس: إنّني لا أعرف حقّاً ماذا تعني.

سقراط: لماذا، ألا تتذكّر قولك إنّ الأخيار كانوا أخياراً لأنّ الخير كان حاضراً فيهم، والأشرار كانوا كذلك بسبب حضور الشرّ؛ وأنّ الملذات كان خيِّرة والآلام شريرة؟

كاليكلس: نعم، إنّني أتذكّر.

سقراط: أليست تلك اللذّات أو الخيرات حاضرة في أولئك الذي يبتهجون - إذا ابتهجوا؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: إذن أولئك الذين يفرحون يكونون أخياراً لأنّ الخيرات حاضرة فيهم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وأولئك الذين يتألّمون يمتلكون الشرّ أو الحزن حاضراً فيهم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وهل ستصرّ على القول بأنّ الشرّير يكون شرّيراً بسبب حضور الشرّ؟

كاليكلس: إنّني أفعل.

سقراط: إذن، إنّ أولئك الذين يفرحون يكونون أخياراً، وأولئك الذين يكونون في الألـم أشراراً؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وتتنوّع درجات الخير والشرّ بدرجات اللذّة والألـم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: هل يمتلك الإنسان العاقل والغبيّ، الشجاع والجبان، الحبور والألم في درجات متساوية تقريباً؟ أو ستقول إنّ الجبان يمتلك أكثر؟

كاليكلس: إنني سأقول إنّه يمتلك.

سقراط: ساعدني إذن كي نخرج الإستنتاج الذي يتبع من تسليماتنا؛ لأنّه شيء جيّد أن نكرّر ونستعرض ما هو صالح مرتين وثلاثاً، كما يقولون. نحن نسمح للإنسان العاقل والشجاع في أن يكون الإنسان الخيّر؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وأن يكون الرجل الغبيّ والجبان والشرير؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: والذي يمتلك الفرح هو الخيّر؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: والذي يمتلك الألـم هو الشرّير؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: الخيِّر والشرِّير كلاهما يمتلكان الفرح والألم، لكن، لربّما، يمتلك الشرِّير أكثر منهما؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ألا يجب أن نستنتج آنئذ أنّ الرجل الشرير يكون كالخيِّر وشرّيراً كالخيِّر، أو حتّى أفضل؟ - ألا يكون استنتاجاً أبعد مع ما تقدّم من بحث بشكل متساوٍ، إنّه يتبع من التأكيد وهو أنّ الخيِّر والسارّ هما الشيء عينه - أيمكن تكذيب هذا، يا كاليكلس؟

كاليكلس: لقد استمعت لما تقول وقدّمت الاعترافات لك، يا سقراط؛ وألاحظ أنّ الشخص إذا منحك أيّ شيء في اللعب، فأنت، كالطفل، تريد الاحتفاظ به ولن تعيده له. لكن هل تفترض بحقّ أنّني أو أنّ أيّ إنسان آخر ينفي أن بعض اللذات تكون صالحة وأن الأخرى سيئة؟

سقراط: واحسرتاه، يا كاليكلس، كم أنت غير عادل! أنت تعاملني كما إذا كنت طفلاً بالتأكيد. تقول في وقت ما شيئاً، وتقول عكسه في وقت آخر، وذلك كي تضلّلني. ولقد فكّرت مع ذلك بادىء ذي بدء أنّك كنت صديقي، ولن تخدعني إذا ما قدرت على هذا. لكنّني أرى الآن أنّني كنت مخطئاً؛ وبعدُ افترض أنّني يجب أن أخلق الأفضل من العمل السّيىء، كما قالوا قديماً، وأن أستخلص ما أستطيع الحصول عليه منك - حسناً إذن، يمكنني الافتراض أنّ بعض اللذّات تكون صالحة والأخرى سيئة، كما أفهم مما تقوله.

كاليكلس: نعم.

سقراط: إنّ اللذّات الصالحة مربحة، والسّيئة ضارّة؟

كاليكلس: لتكن متأكّداً.

سقراط: وتكون المربحة تلك التي تفعل خيراً ما، والضارّة تلك التي تفعل شرّاً ما؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: تعني عندئذ بهكذا لذّات مثل اللذّات الجسديّة كالأكل والشرب، التي كنا قد ذكرناها لتوّنا ـ أنت تقول إنّها تلك التي تعزّز الصحّة، أو القوّة، أو أيّ امتياز جسمانيّ آخر. تقول إنّها صالحة، وإنّ السّيئة تلك اللذات ذات التأثيرات المضادّة؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: وهناك آلامٌ صالحة وآلامٌ سيئة بالطريقة عينها؟

كاليكلس: لتكن متأكّداً.

سقراط: أولاً يجب أن نختار ونستعمل اللذّات والآلام الصالحة؟

كاليكلس: بدون ريب.

سقراط: لكنّنا لن نختار ونستعمل السّيئة؟

كاليكلس: بوضوح.

سقراط: لأنّك، إذا تذكرت، فلقد اتفقنا أنا وبولس أنّ كل الأعمال يجب أن تُفعل لغرض الخير. وهل ستتّفق معنا في القول إنّ الخير هو غاية كل أعمالنا، وإنّها يجب أن تتمّ كلها لغرض الخير، وليس الخير لغرضها؟ هل ستضيف صوتاً ثالثاً إلى صوتينا؟

كاليكلس: إنّني سأفعل.

سقراط: اللذّة إذن، مثل أيّ شيء آخر، تُنشَدُ لذلك الغرض الذي يكون خيراً، ولا يُطلب ذلك الذي يكون خيّراً بقصد اللذة؟

كاليكلس: لكن أيستطيع الإنسان أن ينتقي اللذّات التي تكون صالحة والتي تكون سيّئة، أو أنّ عليه أن يمتلك معرفة خاصّة لكل حالة؟

كاليكلس: يجب أن يمتلك معرفة كهذه.

سقراط: دعني أُذكّرك الآن بما قلته لجورجياس وبولس؛ قلت لهما، كما يمكن أنّك لم تنسَ ذلك، إنّ هناك بعض العمليّات التي لا تتخطى اللذّة وتنتج عدم

معرفتها بشيء من الأفضل والأسوأ فقط؛ بينما توجد العمليّات الأخرى التي تميّز بين ما هو خيِّر وما هو شرّير. وإنني اعتبرت ذلك طهواً، وهذا لا أسمّيه فنّاً بل حِذقاً عمليّاً فقط، وكان هذا من النوع السابق، الذي يختصّ باللذّة، بينما كان فنُّ الطبّ من النوع الذي يختصّ بالخير. وبعدُ، يجب أن أستعطفك باسم الصداقة، يا كاليكلس أن لا تفكّر بأنّك يجب أن تمازحني، ولا أن تجيبني اعتباطيّاً، وبما يناقض رأيك الحقيقيّ، ولا أن تحسب ما أقوله وكأنّه دُعابَة مرّة ثانية؛ لأنّك ستراقِب أنّنا نتحاور بشأن طريقة الحياة الإنسانيّة، وأيّ سؤال يمكن أن يكون أكثر خطورة من هذا، الإنسان يمتلك أيّ إدراك على الإطلاق؟ ـ ما إذا كان سيقتفي أثر نمط ذلك الطريق للحياة الذي تحثّني على سلوكه، ويفعل ما تدعوه الجزء الرّجوليّ بشأن التكلّم في الجمعية العموميّة، ومتعهّداً لعلم الكلام، منغمساً في الشؤون العامة، على نمط الطُّرّق الشائعة الآن؛ أو إذا ما كان سيتتبّع الحياة الفلسفيّة؛ ـ وبماذا يختلف الطريق الأخير من الطريق السّالف. لكن لربّما قد يكون أفضل أن نميّزها بادىء ذي بدءٍ، كما فعلت سابقاً، وعندما نصل إلى اتفاق على السؤال، إذا ما كان هناك فرق حقيقي بينهما، علينا أن نتأمّل أين يكمن ذلك الفرق، ومن ثمّ أيّاً من الطريقين سنختار. مع ذلك، لربّما أنت لا تفهم ماأعينه حتّى الآن؟

كاليكلس: لا، إنّني لا أفهم.

سقراط: سأشرح ما أعنيه بوضوح أكثر عندئذ، مع ملاحظة أنّنا قد اتفقنا أنت وأنا أنّه يوجد هكذا شيء كالخير، وأنّه يوجد هكذا شيء كاللذّة، وأنّ اللذّة ليست الشيء عينه كالخير، وأنّه يوجد لكلٍّ منهما مسعى وعمليّة محدّدة للاكتساب، إحداهما لطلب اللذّة، الأخرى لطلب الخير ـ إنّني أرغب أن تخبرني ما إذا كنت تتّفق معي إلى هذا الحد ـ هل تتفق؟

كاليكلس: إنّني أفعل.

سقراط: سأتقدّم إذن، وأسأل ما إذا كنت تتّفق معي، وتعتقد أنّني تكلّمت الصدق، عندما قلت أيضاً لجورجياس وبولس أنّ الطهو هو حذق عمليّ في رأيي، وليس فنّاً على الإطلاق؛ بينما يكون الطبّ فناً. أوضحت أنّ الطبّ قد اعتبر طبيعة المرِيض وسبب العلاج الذي يقدّمه له، وبإمكانه تدبير كلّ أعماله. من جانب آخر، فإنّ الطهو نفسه يختصّ باللذّة، وثانياً يركّز كلّ انتباهه عليها. إنه يذهب رأساً إلى نهايتها بكلّ بساطة غير معتبرٍ طبيعةَ اللذّة ولا سببها؛ ولا يستعمل الحساب أيّاً كان بشكل عمليّ في طريقته اللاعقلانيّة هذه، بل يعمل بالخبرة والروتين، ويحتفظ بتذكّر ما فعله عادة عند إنتاجه اللذّة بالضبط. وأريدك أن تتأمّل مليّاً، باديء ذي بدء ما إذا كنت تعتقد أنّ تقريري هذا سديد، وما إذا وُجِدَتْ هناك نشاطات أخرى لها عمل في الروح ـ بعضها نشاطات فنيّة، تتخذ ترتيبات مسبقة لفائدة الروح الأعلى؛ وأخرى مزدريّة الفوائد، ومعتبرة، كما في حالة متوازية، اللذّة الروحيّة فقط، وكيف يمكن اكتسابها، لكنّها غير متبصرة أيّة لذّات تكون صالحة وأيّها سيّئة. توجد هكذا نشاطات في رأيي، يا كاليكلس، وهذا هو نوع الشيء الذي أسمّيه تملقاً، سواء أختصّ بالجسم أم بالروح أم بأي شيء آخر يُستخدم بقصد اللذّة وبدون أيّ اعتبار للخير والشرّ. وإنّني أرغب لأن تخبرني الآن إذا ما كنت تتفق معنا في هذا التصوّر، أو تختلف.

كاليكلس: إنّني لا أختلف، بل على العكس، أتفق معكم؛ لأنّني سأحضر المحاورة إلى النهاية الأقرب في ذلك الطريق، وسأولي صديقي جورجياس منّة.

سقراط: أو يكون هذا التصوّر حقيقياً لروح واحدة، أو الإثنتين أو أكثر؟

كاليكلس: حقيقي لإثنتين أو أكثر بالتساوي.

سقراط: يمكن للرجل أن يبهج جمعيّة عموميّة بكاملها، وليس لديه أي اعتبار لمنافعهم الأعلى مع ذلك؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أتستطيع أن تخبرني ما هي المساعي التي تبهج الجنس البشري - أو بالأحرى دعني أسألك وأجبني أنت، إذا كنت تفضل، أيٌّ منها ينتمي إلى النوع السارّ، وأيّها لا ينتمي؟ ماذا تقول أنت عن لعب القيثار، في المكان الأوّل؟ ألا يبدو ذلك أنّه فنّ ينشد اللذّة فقط، يا كاليكلس، ولا يفكّر بأيّ شيء آخر؟

كاليكلس: إنّني أسلّم بذلك.

سقراط: أليس الشيء نفسه حقيقيّاً عن كل الفنون المتشابهة، ولنأخذ كَمَثَلٍ، فنّ العزف على القيثار في المهرجانات؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وماذا تقول عن فنّ الترنيم وعن القصائد الحماسيّة؟ - أليست من الطبيعة ذاتها؟ هل تتصوّر أنّ سينيسياس بن ميليس يعتني بما سيؤول إلى تحسين أخلاق سامعيه، أو بما سيعطي اللذّة للجمهور؟

كاليكلس: ليس هناك أي خطأ بشأن سينيسياس، يا سقراط.

سقراط: وماذا تقول عن أبيه، ميليس لاعب القيثار؟ عندما غنّى بالقيثار، هل تفترضه أنه سما ببصره إلى الخير الأعلى؟ ولربّما يقال حقاً إنّه يعتبر حتّى اللذة الأعظم بالكاد بما أنّ أغنيته كانت توجيه ضربة إلى سامعيه؟ ألن تقول في الحقيقة، إنّ كل موسيقى القيثار والقصائد الحماسيّة قد استُنْبِطَتْ لغرض اللذّة بشكل عامّ؟

كاليكلس: عليّ أن أقول ذلك.

سقراط: وكما لعروس شعر المأساة، تلك الشخصيّة الأوغوسطيّة الموقّرة - ماذا تكون تطلّعاتها؟ أيكون كل قصدها أن تعطي اللذّة فقط إلى المشاهدين، أو أنّها تكافح لتمنع لسانها عن كل ذلك الذي يلذّهم ويسحرهم لكنه فاسد؟ لتعلن

ذلك، في الكلام والأغنية. إنّ الحقيقة مفيدة لكنها غير سارّة، وسواء رحّبوا بها أم لم يفعلوا؟ - ما موقع طبيعة القصيدة المأساة في حكمك؟

كاليكلس: لا يمكن أن يوجد شكّ، يا سقراط، أنّ المأساة أدارت وجهها نحو اللذّة ولإرضاء الحضور.

سقراط: أليست هذا النوع من الشيء، يا كاليكلس، الذي وصفناه لتوّنا كأنه مداهنة؟

كاليكلس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: حسناً إذن، إفترض أنّنا نجرّد كل القصائد من الإيقاع واللحن والوزن سيبقى الكلام هناك؟[٢٦]

كاليكلس: لتكن متأكّداً.

سقراط: ويوجّه هذا الكلام إلى جمهورٍ شعبيّ؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: يكون الشعر نوعاً من أنواع الكلام العامّ حينئذ؟

كاليكلس: حقاً.

سقراط: لقد اكتشفنا الآن إذن نوعاً من علم الكلام الذي يوجّه إلى جمهور من الناس، نساءً، وأطفالاً، رجالاً أحراراً وعبيداً. وهو لا يلائم حاسّة تذوّقنا كثيراً لأنّنا وصفناه وكأنّه يمتلك طبيعة التملّق.

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: جيّد جداً، وماذا تقول عن علم الكلام الآخر الذي يوجّه إلى الجمعيّة العموميّة الأثينيّة، وللجمعيات العموميّة، للرجال الأحرار في الدول الأخرى؟ هل يظهر علماء الكلام لك أنّهم يهدفون دائماً إلى ما هو الأفضل؟ وهل يقصدون تحسين المواطنين بكلامهم، أو أنّهم هم أيضاً، كباقي الجنس البشري، يميلون إلى إعطائهم اللذّة، ناسين الخير العامّ نتيجة تفكيرهم

بمصلحتهم الخاصّة، لاعبين بالشعب كما يلعبون بالأطفال، ومحاولين إرضاءهم فقط، لكنّهم لا يعتبرون أبداً ما إذا سيكونون أفضل أو أردأ بما يقولون؟

كاليكلس: لا يُسلِّم السؤال بجواب بسيط. هناك البعض منهم الذين لديهم اهتمام حقيقي بالشّعب فيما يقولون، في حين يكون الآخرون، هكذا كما تصف.

سقراط: إن هذا كفاية لي. إذا كان علم الكلام ازدواجياً أيضاً، سيكون قسم واحد منه مجرّد مداهنة وخطاب حماسيّ شائن؛ أمّا الجزء الآخر فنبيل، يهدف إلى تحسين أرواح المواطنين، ويكافح ليقول ما هو الأفضل، سواء ألقي الترحيب من الحضور أم لا. لكنّك لم تعرف قطّ علم كلام كهذا؛ أو إذا فعلت، وتقدر أن تشير إلى أيّ عالم كلام يكون من هذا الطابع، أخبرني من هو؟

كاليكلس: إنّني خائف حقّاً، لأنّني لا أستطيع أن أخبرك عن أيِّ عالمٍ كهذا بين الخطباء الأحياء في الوقت الحاضر.

سقراط: حسناً إذن، أتستطيع أن تذكر أيَّ شخص من الجيل السابق، الذي تسبب له الأثينيون ليقولوا إنّه حالما يبدأ بإلقاء خطاباته يمهّد لها بذكر الفضيلة؟ لأنّني، حقاً، لا أعرف إنساناً كهذا.

كاليكلس: ماذا! ألم تسمع أبداً أنّ ثميستوكلس كان رجلاً صالحاً، وكذلك سايمون وميليتيادس وبريكلس الذي مات منذ عهد بعيد، والذي سمعته بنفسك؟

سقراط: نعم، يا كاليكلس، إنّهم كانوا رجالاً صالحين، إذا، وكما قلت في البدء، كانت الفضيلة تكمن في إشباع رغباتنا الخاصّة وتلك التي للآخرين؛ وإن لم يكن ذلك، وإذا كما كنا قد أُجبرنا لنعترف، أنّ إقناع بعض الرغبات تجعلنا أفضل، وتجعلنا الأخرى أسوأ، فما علينا إلاّ أن نرضي الأولى وليس الأخرى،

وهناك فنٌّ في تمييزها، وحينها لا أستطيع أن أسمّي واحداً من رجال الدول هذه والذي يمكنني أن أنسب إليه أخلاقاً كهذه.

كاليكلس: ستجد واحداً، إذا بحثت بصواب.

سقراط: إفترض أنّنا سنتأمّل مليّاً بهدوء تامّ ما إذا كان أيٌّ من هؤلاء كما وصفت. ألن يتكلّم الإنسان الصالح، الذي يقول كل ما يقوله، بالنظر إلى الأفضل، ويتكلم بالاستناد إلى قاعدة ما وليس اعتباطياً؛ تماماً كما يكافح كل الفنّانين الآخرين ليعطوا شكلاً معيّناً لعملهم، بدلاً من الاختيار الجزافي كما يستعملون له. أنظر إلى رسّام اليد، البنّاء، صانع السفن، وإلى أيّ ذي حرفة تحبّ؛ إنّك ترى كيف يرتّب كلّ شيء بانتظام، ويجبر الجزء الواحد أن يتناسق ويتطابق مع الجزء الآخر، حتى يُشيِّدُ كُلاً منظماً ومرتّباً، يشبه المرء الذي تكلمنا عنه سابقاً، والذي يعطي نظاماً وتناسقاً إلى الجسم. هل تنكر هذا؟

كاليكلس: لا؛ إنّني على استعداد لأعترف به.

سقراط: إذن البيت الذي يسوده النظام والتناسق يكون صالحاً؛ وذلك الذي يكون فوضوياً، طالحاً؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ويكون الشيء نفسه حقيقياً عن باخرة؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الجسم الإنساني؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وماذا ستقول عن الروح؟ هل ستكون الروح الخيّرة تلك التي تعمّها الفوضى، أو تلك التي يوجد فيها التناسب والنظام؟

كاليكلس: يتبع الآخر من تسليماتنا السابقة.

سقراط: وما هو الإسم الذي قد أعطي لتأثير التناسق والنظام في الجسم؟

كاليكلس: أفترض أنّك تعني الصحة والقوة؟

سقراط: نعم، إنني أفعل؛ وما هو الإسم الذي ستعطيه لتأثير التناسق والنظام في الروح؟ حاول واكتشف إسماً لهذا كما أعطيت للآخر.

كاليكلس. لماذا لا تعطي الإسم بنفسك، يا سقراط؟

سقراط: حسناً، إنّني سأفعل، إذا ما أردت بالأحرى ذلك؛ وقل ما إذا كنت توافقني وإلاّ، فلا تدعها تمرّ بل حاورني. (الصحيّ) كما أتصوّر، هو الإسم الذي أُعطي إلى النظام القياسي للجسم، من حيث تأتي الصحة وكل مميّزات الجسم الأخرى. أليس ذلك حقيقة؟

كاليكلس: حقاً.

سقراط: ويكن (القانوني) و(القانون) الإسمين اللذين قد أُعطِيا للنظام المتناسق ولعمل الروح. وهذان يجعلان الرجال قانونيّين ونظاميّين. وهكذا نمتلك نحن الاعتدال والعدل. أليس كذلك؟

كاليكلس: لك ذلك.

سقراط: أوليس الخطيب الحقيقي الذي يكون أميناً ويفهم فنّه، يرسّخ عينيه على هذه الأشياء في كل الكلمات التي يوجّهها إلى أرواح الرجال، وفي كل أعماله كذلك، في الذي يقدّمه وفي الذي يتلقّاه على حدٍّ سواء؟ ألن يكون هدفه أن يزرع العدل في أرواح مواطنيه، ويرفع الظلم؛ أن يزرع الاعتدال ويزيل الإفراط، أن يزرع كل فضيلة ويبعد كل رذيلة؟ ألا توافق على هذا، يا كاليكلس؟

كاليكلس: إنّني أوافق.

سقراط: إذْ أيّ نفع هناك، يا كاليكلس، في إعطاء جسم الإنسان المريض المعتلّ الصحّة سيئة كمية من الطعام أو الشراب الأكثر لذّة أو أيّ شيء سارّ آخر،

وهذا إذا أخضعناه للتقويم فيمكن أن يكون سيّئاً حقّاً له كما أنّك لم تُعطِه أيَّ شيء، أو يمكن أن يكون مردوده حتى أسوأ على الجسم، أليس ذلك حقيقياً؟

كاليكلس: لن أقول (لا) لها.

سقراط: لأنه لا ربح برأيي في حياة الإنسان إذا كان جسدُهُ في مأزق سيّىء. في تلك الحالة فإنّ حياته كلها سيملأُها المرض أيضاً: ألست محقّاً فيما أقول؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: عندما يكون الإنسان في صحّة جيّدة سيسمح له الأُطبّاء بشكل عامّ أن يأكل عندما يجوع، وأن يشرب عندما يعطش، وأن يشبع رغباته كما يحب. لكنه عندما يمرض سيسمحون له بصعوبة أن يشبع رغباته مطلقاً. هل ستعترف حتى بذلك؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أليست المعاملة عينها مناسبة للرّوح، يا سيّدي الصالح؟ يجب لرغباتها أن تُراقَب، بينما تكون هي في حالة سيّئة وعديمة النفع ومفرطة وظالمة وغير مقدّسة، ويجب منعها من عمل أيّ شيء لا يؤول إلى تحسينها الخاصّ. ماذا تقول نعم أوْ لا؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ستكون هكذا معاملة أفضل للرّوح نفسها؟

كاليكلس: لتكن متأكّداً.

سقراط: وما قصاصها إلاَّ أنْ تكبح جماحها عن رغبات الأكل والشراب؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: إنّ الكبح والقصاص حينئذ أفضل للروح من الإفراط أو غيّاب المراقبة التي فضّلتها لتوّك الآن؟

كاليكلس: إني لا أفهمك، يا سقراط، وأرغب أن تسأل واحداً يحسن ذلك.

سقراط: هنا يكون السيد الذي لا يستطيع الصّبر على أن يصبح متحسّناً، أو أن يُخضِعَ نفسه لذلك القصاص المحقّ الذي تتكلّم عنه المحاورة!

كاليكلس: إنّني لا أعي كلمة ممّا تقول، ولقد أجبت حتى الآن من لطفي إلى جورجياس فقط.

سقراط: ماذا سنفعل عندئذ؟ هل سنفضّ المحاورة في وسطها؟

كاليكلس: ستحكم على هذا بنفسك.

سقراط: حسناً، لكنّ الشعب يقول بأنه « لا يمكن أن تُترك قصة من نصفها بحقّ، وبدون أن تُنجز؛ يجب أن يوضع لها رأسٌ، كي لا تتمكّن من الهرب بدون رأس »(٢٧). كذلك أجبني على أسئلتي المتبقّية من فضلك وركّز الذهن على محاورتنا.

كاليكلس: كم أنت عاتٍ، يا سقراط! خذ نصيحتي، واسقط المحاورة، أو أحضر شخصاً ما آخر كي يحملها معك.

سقراط: لكن من هو الآخر الذي يريد ذلك؟ إنّني أرغب في إنهاء المحاورة.

كاليكلس: ألا تستطيع أن تنهيها بدون مساعدتي، إمّا أن تتكلّم بدون انقطاع، وإلاّ فاسألْ نفسك وأجبها.

سقراط: أيجب أنْ أقول مع أبيخارموس، (رجلان تكلما سابقاً، لكن الآن سيكفي واحد)؟ أفترض أنّه لا توجد أية مساعدة على الإطلاق. وإذا كنت سأستمرّ في التساؤل بنفسي، سأشير بأنّه عليّ، أوّلاً، بل علينا جميعاً أن نمتلك الطموح لنعرف ما يكون حقيقيّاً وما يكون باطلاً في هذه المسألة، لأنّ اكتشاف الحقيقة هو خير عام. وسأتقدم لأحاور الآن طبقاً لتصوّري الخاص. وإذا ما اعتقد أيٌّ منكم أنّني أقبل من نفسي باستنتاجات باطلة، فما عليكم إلاّ أن تتدخلوا وتدحضوني، لأنّني لا أتكلّم من أيّة معرفة لما أقول، بل أنا

مستقْصٍ كأنفسكم. ولذلك، إذا ما قال خصمي أيّ شيء ذا قوة، سأكون أوّل من يتفق معه. وما القصد من مواصلتي الكلام إلاّ افتراضي أنّ المحاورة يجب إتمامها. لكن إذا فكّرتم خلاف ذلك، فلنغادر المكان ويسلك كلّ منّا طريقه.

جورجياس: أعتقد، يا سقراط، أنّه لا يجب علينا أن يذهب كل منا في طريقه حتى ننجز المحاورة. ويبين هذا لي أنّه رغبة بقية الرفاق. وأحبّ شخصيّاً أن أسمع ما عندك بكلّ تأكيد.

سقراط: أنا أيضاً، يا جورجياس، أحبّ مواصلة الحوار مع كاليكلس، ويمكنني إعطاؤه عندئذ (آمفيون بن زيوس) في ردٍّ على (زيثوسه). لكن بما أنّك، يا كاليكلس، لا تريد أن تتابع المحاورة، آمل منك أن تسمع، وقاطعني إذا ظهرتُ لك أنّني على خطأ. وإذا ما دحضتني، فلن أغضب منك كما فعلت معي، بل سأنقشك كأكبر الأفاضل على لوحات روحي.

كاليكلس: يا رفيقي الصالح، لا تهتمّ لأمري، بل واصل ما بدأته.

سقراط: إستمع إليّ، عندئذ، بينما ألخِّص شرح المحاورة: - هل السارّ هو الشيء عينه كالصالح؟ إنّه ليس الشيء عينه. لقد اتفقنا أنا وكاليكلس بشأن ذلك. وهل يتابع السّارّ في سبيل الخير؟ أو الخير في سبيل السّارّ، ويكون ذلك سارّاً في حضور الذي يسرّنا، ويكون ذلك خيّراً بحضور الذي نكون به أخياراً؟ لتكن متأكّداً - أو نكون نحن أخياراً، وتكون كل الأشياء الخيّرة مهما كانت خيّرة، عندما تكون فضيلة ما حاضرة فينا أو فيها؟ ذلك هو إعتقادي، يا كاليكلس، لكنّ الفضيلة في كل شيء، سواء كان روحاً أو جسماً، أداة أو مخلوقاً، عندما تُعطى لها بأفضل الطّرق تأتي إليها ليس بالصدفة بل كنتيجة للنظام والحقيقة والفنّ الذي أُضفي عليها. ألست محقاً؟ إنّني أؤكّد أنّي كذلك. أو ليست الروح التي تمتلك نظاماً خاصاً بها أفضل من تلك

التي ليس لها نظام؟ إنّها أفضل بكلّ ثبات. والروح التي تمتلك نظاماً هي متناسقة؟ طبعاً. وتكون تلك التي هي سنظمة معتدلة أيضاً؟ بدون ريب. والروح المعتدلة هي خيِّرة؟ لا أستطيع أن أعطي أيّ جواب آخر، يا عزيزي كاليكلس، فهل لديك جواب آخر تعطيه؟

كاليكلس: واصل، يا رفيقي بالصالح.

سقراط: سأنتقل لأضيف حينئذ، أنّ الروح المعتدلة إذا كانت هي الروح الخيّرة، فالروح التي تكون في الحالة المضادّة، تلك هي الغبيّة والمفرطة، وأنّها هي الروح الشريرة

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: أوَلن يفعل الإنسان المعتدل ما يكون لائقاً، بالنسبة إلى الآلهة والرجال كليهما؛ ـ لأنّه لن يكون معتدلاً إذا لم يفعل ذلك. سيفعل ما هو لائق بالتأكيد. وسيفعل ما يكون عادلاً في علاقته بالرجال الآخرين؛ وسيفعل ما يكون مقدّساً في علاقته بالآلهة. ومن يفعل ما يكون مقدّساً وعادلاً يجب أن يكون هو عادلاً ومقدّساً؟ حقيقي تماماً. ألا يجب أن يكون الإنسان شجاعاً؟ لأنّ واجب الإنسان المعتدل هو أن يتبع أو يتفادى ما لا يجب، بل ما يجب، سواء أكانوا رجالاً أو أشياء أو لذّات أو آلاماً، وأن يتحمّل بصبر عندما يجب؛ ولذلك، يا كاليكلس، كون الإنسان المعتدل كما قد وصفنا، فهو كذلك عادل وشجاع ومقدّس أيضاً، ولا يمكنه أن يكون غير إنسانٍ خيّر بالكمال، ولا يمكن للإنسان الخيّر أن يفعل خلافاً لما هو حسن وكامل مهما كان عمله؛ والذي يفعل حسناً يجب أن يكون سعيداً ومباركاً بالضرورة، والرجل الشرير الذي يفعل الشرّ، شقيّاً. وبعدُ فإنّ الأخير هذا هو الذي صفّقت له ـ المفرط الذي هو الضدّ للمعتدل. هكذا هو موقفي، وأثبت أنّ هذه الأشياء حقيقيّة؛ وإذا كانت حقيقيّة، أؤكد حينئذ ما هو أبعد

من ذلك، وهو أن الذي يرغب في أن يكون سعيداً يجب أن يلاحق ويمارس الاعتدال ويهرب بعيداً من الإفراط بقدر ما سيحمله ساقاه. كان أفضل له أن ينظِّم حياته كيَ لا يحتاج إلى العقاب؛ لكن إذا كان هو بحاجة إلى العقاب، أو كان أيٌّ من أصدقائه، سواء كان فرداً خاصّاً أو مدينة، يجب أن يحقّ العدل حينها وعليه أن يقاسي العقاب، إذا ما سيكون سعيداً. يظهر هذا لي أنّه القصد الذي يجب أن يمتلكه الإنسان في حياته، والإتجاه الذي عليه أن يوجّه نحوه مجمل طاقاته وطاقات الدولة، لكي يمكنه أن يمتلك الاعتدال والعدل حاضراً معه وأن يكون سعيداً، ليس متألّماً من شهواته كونها غير مكبوحة الجماح، وفي أن يشبعها في رغبة ليس لها نهاية سالكاً طريق اللّصوص. ولا يكون واحد كهذا صديقاً لله أو الإنسان، لأنّه غير قادر على المشاركة، ومن لا يستطيع المشاركة فهو غير قادر على الصداقة أيضاً. ويخبرنا الفلاسفة، يا كاليكلس، أنّ المشاركة والصداقة والنظام والاعتدال والعدل تربط السماء والأرض والآلهة والرجال معاً، وأنّ هذا الكون يُسمّى منظماً ونظاماً لذلك، وليس فوضى واضطراباً، يا صديقي. لكنّك مع كونك فيلسوفاً تبدو لي أنّك لم تلاحظ هذا أبداً. إنّك لم تتصوّر قوّة المساواة الهندسيّة، بين الآلهة والرجال كليهما؛ لقد فكرت أنّك يجب أن تزرع التباين أو الإفراط، لأنّك لا تعتني بالهندَسَة. حسناً، إذن، إمّا يجب أن تُدحض الفرضيّة وهي أنّ السعيد يصبح سعيداً بامتلاك العدل والاعتدال، والشقيّ شقيّاً بامتلاكه الرذيلة، أو إذا قُبلت كحقيقة، فماذا ستكون النتائج؟ إنّ كلّ العواقب التي رسمتها قبلاً، يا كاليكلس، والتي سألتني عنها، سواء في جديّة عندما قلتُ إنّ الإنسان يجب أن يتّهم نفسه وابنه وصديقه إذا ما فعل أيّ شيء خطأ، وإنّ عليه أن يستعمل علم الكلام لهذه الغاية - كل هذه النتائج هي حقيقيّة. وذلك الذي فكّرت أنّ بولس

اقتيد ليعترف به من اتضاعه يكون حقيقياً. أعني، أن تفعل الظلم، هو أكثر خزياً من أن تقاسيه، هو أسوأ في الدرجة عينها؛ والموقف الآخر الذي اعترف به جورجياس من حيائه، طبقاً لِما قاله بولس، وهو أنَّ من سيكون عالم كلام بحق يجب أن يكون عادلاً وأنْ يمتلك معرفة العدل، كانت نتيجتها حقيقيّة أيضاً.

وبعدُ، فإنّ هذه الأشياء كونها كما قلنا، دعنَا نتقدم إلى المكان التالي لنتأمّل مليّاً ما إذا كنت محقاً، برميك في فمي أنّني غير قادر أن أساعد نفسي أو أيّاً من أصدقائي أو أقاربي، أو أن أنقذهم من الخطر الأقصى عند تعرّضهم له، وأنّني في مقدارٍ آخر كخارج عن القانون الذي يمكن أن يفعل له أيّ شخص ما يجب ـ يمكنه أن يصرخ في أذني بكلام جريء، وكما تقول، حالة كتلك هي قمّة العار. أمّا جوابي على ما قلته فهو نفسه الذي رددته غالباً في السابق، غير أنّ بإمكاني أن أردّده مرّة ثانية أيضاً. أبلّغك، يا كاليكلس، أنه إذا لُطِمتَ على الأذنين بشكل خاطىء ليس أسوأ إشانة يمكن أن تحلّ بالإنسان، ولا إذا قُطّعت محفظة نقودي وجسدي، بل إنّ شتمي وذبحي ومن يخصّني بدون حق هو أكثر شرّاً وأكثر عاراً ببعيد لمن قام به؛ نعم، وتجريدي واستعبادي وسلبي وأذيتي وأذية من يخصني في أيّة طريقة على الإطلاق، كلّها أكثر خزياً وشرّاً لمرتكب الخطأ بشكل بعيد منه إليّ أنا المُعاني. إنّ هذه الحقائق، التي قد أُظهِرت مسبقاً كما قرّرتها في البحث السابق، يبدو أننا ثبتناها وركزناها الآن، إذا ما أمكنني استعمال التعبير الجسور بدون ريب. تم تثبيتها في كلمات كأربطةٍ من الحديد والماس ـ هكذا تظهر من محاورتنا الحاضرة على الأقلّ. وما لم تنقضها أنت أو أيّ بطل ما آخر أكثر إقداماً مع ذلك، فإنّه لا يمكن أن يكون ما قلته أنت أكثر حقيقة من الذي أقرّره الآن، لأنّ موقفي كان دائماً أنّني أجهل

كيف تكون هذه الأشياء. غير أنني لم أقابل الذي يستطيع أن يقول خلاف ما أقول، بأكثر ممّا تستطيعه أنت، ولا يبين مضحكاً. ما يزال هذا موقفي. وإذا كان ما أقوله هو الحق، ويكون الظلم أعظم الشرور لمرتكبه، ويوجد بالاحتمال مع ذلك شرّ أعظم من كل هذه الشرور(٢٨)، لعدم مقاساة الرجل الظالم العقاب. ماذا يكون ذلك الدفاع عن النفس ـ النقيصة التي ستجعل الإنسان مضحكاً حقاً؟ ألا يجب أن يكون ذلك الذي يتفادى أعظم الشرور الإنسانيّة؟ أو لن يكون أكثر من كل الدفاعات عاراً والذي سيترك الإنسان عند امتلاكه له غير قادر أن يدافع عن نفسه أو عائلته أو أصدقائه ضدّ هذا الشرّ؟ ـ وسيأتي تالياً ذلك الذي لا يقدر أن يتجنَّبَ أعظم شرّ آتٍ؛ ثالثاً ذلك الذي لا يستطيع أن يتفادى أعظم شرّ ثالث؛ وهكذا عن الشرور الأخرى. مثلما يكون عِظَمَ الشرّ هكذا يكون الشرف لكونك قادراً على تجنبها في درجاتها المتعددة، والعار هو كونك غير قادر على تجنّبها. أليست محقًّا، يا كاليكلس؟

كاليكلس: نعم، حقيقيّ تماماً.

سقراط: باصرين عندئذ أنّ هذين الشرّين يوجدان، فعل الظلم ومعاناة الظلم ـ ونؤكّد أنّ فعل الظلم هو أعظم، ومقاساته أقلّ شرّاً ـ فبأية أدوات يستطيع الإنسان النجاح للحصول على الفائدتين، الأولى عدم فعل الظلم والأخرى عدم مقاساته؟ أيجب أن تكون لديه القوة، أو العزيمة فقط، للحصول عليهما؟ قصدي أن أسأل ما إذا كان الإنسان سيهرب من مقاساة الظلم إذا ما كانت لديه العزيمة فقط كي يهرب، أو أنّه يجب تجهيز نفسه بالقوّة؟

كاليكلس: يجب أن يجهّز نفسه بالقوة؛ إنّ ذلك لواضح.

سقراط: وماذا تقول عن فعل الظلم؟ هل العزيمة كافية فقط، وهل ستمنعه تلك عن فعل الظلم، أو أنّ عليه أن يجهّز نفسه بالقّوة والفنّ لهذه الغاية أيضاً، بما أنّه

سيبقى يمارس الظلم إذا لم يدرس ولم يتمرّن؟ يمكنك أن تقول بالتأكيد، يا كاليكلس، إن كنت تعتقد أنّ بولس وأنا كنّا محقّين عندما اعترفنا[1] قبلاً أنّ لا شخص يفعل الخطأ إرادياً كاستنتاج حتميّ، غير أنّ الجميع يفعلون الخطأ ضد إرادتهم؟

كاليكلس: مُنِحَتْ، يا سقراط، كي يتسنى لمحاورتك أن تنتهي.

سقراط: كما سيظهر، إذن، يجب أن تكون القوّة والفنّ مجهّزين كي يمكننا أن لا نفعل الظلم.

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: وأيّ فنّ سيحمينا من مقاساة الظلم، إذا لم يكن بالكامل، فبقدر الإمكان مع ذلك؟ أريد أن أعرف ما إذا كنت تتفق معي؛ لأنّني أعتقد أنّ فنّاً كهذا هو فنّ الحاكم أو المستبدّ أو الموالي للحكومة الموجودة.

كاليكلس: حسناً قيل، يا سقراط؛ وراقب من فضلك كم أكون مستعدّاً لأن أُثني عليك عندما تتكلّم كلاماً ذا معنى.

سقراط: فكّر وأخبرني ما إذا كنت توافق على رأي آخر لي: يبدو كل إنسان لي أنّه أكثر صداقة لمَن هو أكثر شبهاً به: الشبيه إلى الشبيه، كما يقول صوفيٌّ غابر. هل ستوافق على هذا؟

كاليكلس: ينبغي عليّ.

سقراط: لكن عندما يكون المستبد همجيّاً وغير مثقّف، يمكن توقّع أنه يخاف أيّ شخص هو أسمى منه في الفضيلة، ولن يكون قادراً أبداً أن يبادله المحبة تماماً.

كاليكلس: إنّ ذلك حقيقيّ مرّة ثانية.

سقراط: الصديق الوحيد الذي يستحقّ الذّكر عندئذ، الذي يستطيع الصديق حيازته، سيكون واحداً من الخلُق عينه، وله نفس المحبّة والكراهية، ويريد أن

يكون تابعاً وخاضعاً له في الوقت عينه؛ إنّه الإنسان الذي سيتملك سلطة في الدولة، ولن يؤذيه أحدٌ بالإفلات من العقاب: ـ أليس ذلك هكذا؟

كاليكلس: بلى.

سقراط: وإذا ابتدأ الإنسان الشابّ في تلك الدولة، يعتبر كيف يمكنه أن يصبح قوياً هكذا كي يحمي نفسه من الظلم، سيبدو أن هذا هو الطريق ـ إنّه سيعوِّد نفسه، من شبابه فصاعداً، أن يشعر بالحزن والفرح على الفُرَصِ عينها كما يشعر سيّده، وسيجاهد كي يصبح مثله قدر الإمكان؟

كليكلس: نعم.

سقراط: وسيكون قد أنهى بهذه الطريقة الغاية لأن يصبح رجلاً عظيماً ولا يقاسي الظلم، كما ستقول أنت وأصدقاؤك؟

كاليكلس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لكن هل سيهرب من عمل الظلم أيضاً؟ ألا يجب أن يكون العكس هو الصحيح، إذا ما كان شبيه المستبدّ في ظلمه، وأن يتأثر به؟ كما أراها، فإنّه سيوجّه نفسه لتحسين قدرته كي يفعل الخطأ قدر الإمكان بدون أن يُعاقب لعمله الخاطىء.

كاليكلس: نعم.

سقراط: وبتقليد سيّده وبالقوة التي اكتسبها ألن تصبح روحه بالتالي سيئة وفاسدة، وهكذا ستحلّ به أعظم الشرور؟

كاليكلس: إنّك تجد وسيلة، يا سقراط، كي تقلب كل شيء رأساً على عقب، بطريقة ما أو بأخرى. ألا تعرف أنّ من يقلِّد المستبدّ سيقتل من لا يقلده ويستولي على ممتلكاته، إذا ما كان لديه عقل؟

سقراط: ممتاز، يا كاليكلس، فأنا لست أصمّ، وإنّني سمعت ذلك منك ومن بولس ومن كل رجل في المدينة تقريباً مرّات عديدة، غير أنّني أرغب منك أن

تسمعني أيضاً. نعم، إنّه سيقتله إذا كان لديه عقل - الرجل السيّء سيقتل الإنسان الخيّر والمحق.

كاليكلس: أولاً يكون ذلك عدلاً ما يجعل الواحد حانقاً؟

سقراط: لا، ليس لإنسان ذي إدراك، كما تُظهر المحاورة: هل تعتقد أنّ كلّ اهتماماتنا ينبغي أن توجّه إلى إطالة الحياة لأقصى مدى، وإلى دراسة تلك الفنون التي ستنقذنا من الخطر وقت الحاجة؛ مثل فنّ علم الكلام ذلك الذي ينقذ الرجال في المحاكم القانونيّة، والذي تنصحني أن أزرعه؟

كاليكلس: نعم، بحقّ، ونصيحة جيّدة تماماً أيضاً.

سقراط: حسناً، يا صديقي، لكن ماذا تفكر بالسباحة؟ أتكون تلك بفنّ ذي ادّعاء كبير؟

كاليكلس: لا حقًّا.

سقراط: ومع ذلك، فإنّ السباحة تنقذ الإنسان من الموت بكلّ تأكيد، عندما يكون في وضع يحتاج فيه لهكذا معرفة. وإذا استخففت أنت بالسباحين، سأخبرك عن فنّ آخر وأعظم، ألا وهو فنّ قائد السفينة، الذي لا ينقذ أرواح الركاب فقط، بل ينقذ أجسادهم وممتلكاتهم في أقصى الأخطار أيضاً، تماماً كعلم الكلام. ويكون فنّه متواضعاً وغير واثق كثيراً من نفسه مع ذلك. إنّه لا يمتلك هوائيات أو تظاهراً بعمل أيّ شيء غير عاديّ، ويطلب أقلّ من ربع دراخما، مقابل الإنقاذ عينه الذي يعطيه المتوسّل، وذلك إذا أحضرنا من آيجينيا إلى أثينا، أو دراخمتين على الأكثر للرحلة الأطول من بونتوس أو مصر، عندما يكون قد أنقذ المسافر وزوجته وأطفاله وأمتعته، كما كنت قد قلت لتوّي، وبعد أن ينزلهم إلى البرّ بأمان في البيرايوس. هذا هو المبلغ الذي يطلبه في مقابل هبة كبيرة كهذه، وهو من يكون سيّد الفنّ، وقد فعل كل هذا وهو يتابع سيره ويدور حول شاطىء البحر بباخرته بسلوك غير محسوب

تماماً. إنّني أتصوّر، أنّه يكون قادراً على تأمّل ذلك الذي لا يمكن الإفصاح عنه، وهو أيًا من رفاقه المسافرين قد أفاد وأيّهم قد أذى، في عدم السماح لهم بالغرق، يعرف هو أنّهم يكونون الشيء عينه تماماً عندما أنزلهم إلى البر كما عندما صعدوا إلى السفينة، وليس بمقدار ضئيل أفضل لا في أرواحهم ولا أجسادهم. وهكذا فهو يعرف أنّه إذا أُصيب الإنسان بأمراض جسديّة عُضال سيشفق عليه فقط إذا ما تمكّن الشفاء منها، ولا يكون قد انتفع به لأنّه قد أُنقذ من الغرق، فورتيورياً آخر الذي تمتلكته أمراض روحيّة غير قابلة للشفاء، التي هي أكثر نفاسةً من الجسد، عليه أن لا يجعل أمد حياته طويلاً، ولن يربح أيّ شيء بالإنقاذ من البحر، أو المحاكم القانونيّة، أو أيّة مهالك أخرى. إنّه متأكد من أنّ الإنسان المسيء أفضل له أن لا يعيش، لأنه لا يستطيع أن يعيش حسناً(٢٩).

وهذا هو السبب الذي من أجله لا يُعجب قائد السفينة بنفسه عادة، مع أنّه منقذنا، أكثر بكثير من المهندس، الذي لا يكون بفعاليّة قوّته الإنقاذية متخلّفاً عن القائد العسكري على الإطلاق، وهذا المهندس لا يدع قائد السفينة أو أيّ شخص آخر وحيداً، لأنّه ينقذ مدناً بكاملها بعض المرّات. هل هناك أيّة مقارنة بينه وبين المحتجّ؟ وإذا كان هو يتكلم، يا كاليكلس، في أسلوبك المتّسم بالمبالغة الحمقاء، فإنّه سيدفنك تحت جبل من الكلمات، معلناً ومؤكّداً أنّه يجب علينا جميعاً أن نكون صانعي محرّك، وأن لا مهنة أخرى جديرة تستحقّ أن نفكّر بها. إنّ دعواه ستكون قويّة بما فيه الكفاية. برغم ذلك فأنت تزدريه وتزدري فنه، وتسمّيه صانع محرّك بسخرية، ولن تسمح لواحدة من بناتك أن تتزوّج إبنه، أو أن تزوّج ابنك لابنته. ومع ذلك، معتبراً أسس إجلالك لنفسك، فبأيّ عدل تسخر من صانع المحرّك هذا، ومن الآخرين الذين ذكرتهم لتوّي؟ إنّني أعرف أنّك ستقول: « أنا أفضل، وذو

ولادة أفضل ». لكن إذا لم يكن الأفضل كما أقول، والفضيلة تكمن في أن ينقذ الإنسان نفسه وما يخصّه فقط، كيفما يمكن أن تكون أخلاقه، فإنّ رأيك السافل عندئذ عن صانع المحرّك، وعن الطبيب وعن فنون الإنقاذ الأخرى، يدعو إلى الإضحاك. أوه يا صديقي! أريدك أن ترى أنّ النبيل والخيّر يمكن أن يكون بالاحتمال شيئاً ما مغايراً عن الإنقاذ وكونك منقذاً: ـ ألاَ يمكن أن يكون هو الإنسان بحقّ ذلك الذي يجب أن ينقطع عن الاهتمام بالعيش لوقت محدَّد، ويقيم مؤونة صغيرة في حياته؟ ألا ينبغي أن يترك كلّ ذلك لله، يعترف بذلك (كما تقول النساء) أنّه لا يمكن لإنسان أن يهرب من القضاء والقدر، ويتأمل ملياً بعد ذلك في أيّة طريقة يستطيع أن يمضي مدته المعيّنة؟ أينبغي له أن يتقدم ليشابه نفسه إلى المجتمع الذي يعيش في ظلّه؟ أيجب عليك أنت، كمثال، أن تصبح شبيهاً قدر المستطاع بالشعب الاثيني، إذا قصدت أن تعيش بنعمهم الوفيرة، وتصبح قوّة في الدولة؟ أريدك أن تفكر وترى إذا ما كان هذا لمنفعة كلّ منا؛ لا ينبغي علينا أن نخاطر بكلّ ما هو غالٍ عندنا بالانتخاب لهذه السلطة، السلطة السياسيّة، وهكذا معرّضين أنفسنا إلى القضاء والقدر الذي قيل إنّه يحلّ بالنساء اللواتي يُنزلن القمر من السماء، وهنّ الساحرات الصقليّات. لكن إذا افترضت أنّ أيّ إنسان سيريك الفنّ كي تصبح عظيماً في هذه المدينة، ومع ذلك ليس متحقّقاً بنفسك من طرائقها، سواء أكانت للأفضل أو للأسوأ، أستطيع أن أقول آنئذ إنّك مخطىء فقط، يا كاليكلس. لأنّ من يشاء أن يخلق أيّ تقدم حقيقيّ في محبة الآلهة الأثينيين، نعم، أو لحبيبة بيريلامبس التي سُمّيت تيمّناً بهم، يجب أن يكون مثلهم بالطبيعة، وليس مقلّداً فقط. هو من سيجعلك مثلهم إذن، يجعلك كما ترغب، رجل دولة وخطيباً، لأنّ كل إنسان يكون مسروراً عندما يُحكى معه بلغته ونفسيته الخاصّة، ولا

يحب أيّ أسلوب آخر. لكنك يمكن أن تكون، يا كاليكلس الحلو، ذا عقلية أخرى. هل لدينا أيّة تعليقات؟

كاليكلس: تظهر لي كلماتك، يا سقراط، بشكل أو بآخر، جيدة؛ لكنّني لست مقتنعاً تماماً مع ذلك، مثلي مثل بقيّة العالم(٣٠).

سقراط: إنّ سبب ذلك، يا كاليكلس، هو حبّك لديموس الذي يقيم في روحك وهو خصم لي. لكن إذا ما عدنا لهذه المسائل عينها، وتأمّلناها أكثر بشكل تامّ، يمكن أن تقتنع بذلك كله. من فضلك، إذن، أن تتذكّر أنّه يوجد عمليتان، سواء لتدريب الروح أو الجسم؛ وكما قلنا، نعالجها في إحداهما بالنّظر إلى اللذة، وفي الأخرى بالنظر إلى الخير الأعلى، وحينها فنحن لا ننغمس فيها بل نقاومها. أليس ذلك هو التمييز الذي رسمناه؟

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: والتي كانت اللذّة غرضها كانت مداهنة سافلة تماماً: ـ أليس ذلك استنتاجاً آخر من استنتاجاتنا؟

كاليكلس: حقيقيّ جداً، ليكن هكذا، إذا ما أردت حيازته.

سقراط: والأخرى كان غرضها في التحسين الأعظم لذلك الذي رعته، سواء أكان جسماً أو روحاً؟

سقراط: أوَ لاَ ينبغي أن تكون لدينا الغاية عينها لغرضنا في معاملة مدينتنا ومواطنينا؟ ألاَ يجب أن نحاور ونجعلهم خيّرين قدر الإمكان؟ لأنّنا قد اكتشفنا مسبقاً أنّه ليس هناك نفع في أيّة خدمة أخرى لهم إذا كانت هذه ناقصة. ولا يكون عقل أولئك الذين يرغبون الحصول على الثروة، أو المنصب، أو أيّ نوع آخر من القوة، لا يكون عقلهم نبيلاً وخيّراً. أينبغي أن نقول ذلك؟

كاليكلس: نعم، بالتأكيد، إذا أحببت.

سقراط: حسناً إذن، إذا ما قصدت أنت وأنا، يا كاليكلس، الشروع في عمل عام ما، وشجّع واحدنا الآخر لأن نأخذ على عاتقنا بناء المباني، وإقامة الحيطان، وتشييد الأحواض والمعابد من الأحجام الكبيرة. ألا يجب علينا أن نمتحن أنفسنا بادىء ذي بدء، إذا ما كنا نعرف أو نجيد فن البناء، ومن علّمنا؟ ألاَ يلزم أن يكون ذلك ضرورياً، يا كاليكلس؟

كاليكلس: حقاً.

سقراط: علينا أن نعتبر، في المقام الثاني، إذا ما كنا قد شيّدنا أيّ بيت خاصّ قط، إمّا لنا أو لأصدقائنا، وسواء كان هذا البناء الذي يخصنا جميلاً أو بشعاً؛ وإذا وجدنا بعد الاعتبار أنّه كان لدينا بناؤون صالحون وسامون، وكنّا ناجحين في إقامة العديد من المباني الجميلة، ليس بمساعدتهم فقط بل وبدونها، وبمهارتنا الخاصّة بدون معين. يمكن أن يتقدّم الرجال ذوي الإدراك في تلك الحالة لبناء الأعمال العامّة. لكن إذا لم يكن لدينا أيّ أستاذ ليرينا، سوى عدد من الأبنية العديمة القيمة أو لا شيء على الإطلاق، سيكون مضحكاً فينا أن نحاول ممارسة الأعمال العامّة حينئذ بالتأكيد، أو أن يشجع واحدنا الآخر أن نتكفّل بإنهائها، أليس ذلك حقيقياً؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: ألاَ يثبت الشيء عينه في كل الحالات الأخرى؟ إذا ما كنت أنت وأنا مُرَشَّحَين لوظيفة طبيب دولة، وشَجّع واحدنا الآخر أن يتّخذ موقفاً، كوننا طبيبين كفوءين، ألا ينبغي أن أسأل عنك، وأن تسأل أنت عنّي؟ حسناً، لكن ماذا عن سقراط نفسه، هل هو بصحّة جيدة؟ وهل عُرِف عنه أنه شفى أيّ شخص، أكان عبداً أو إنساناً حرّاً؟ وعليّ أن أسأل التساؤلات عينها عنك. وإذا توصّلنا إلى الاستنتاج، أنّه لم يطرأ أيّ تحسن على أي شخص قطّ بالنسبة لحذقنا في الطب، أيّة سخافة فاضحة حينئذ، يا كاليكلس، لتعتقد أنّنا

أو أيّ إنسان آخر ينبغي أن يكون هكذا أحمق كي ينصّب أطباء دولة ويشجع الآخرين أمثالنا ليفعلوا الشيء نفسه، بدون أن يكون قد بلغ أقصى المِران الخاص بادىء ذي بدء، غالباً بنتائج وسط، وغالباً بنجاح، وهكذا نكتسب خبرة الفنّ أليس هذا، كما يقولون، كيف تبدأ صناعة الجرّة الكبيرة عندما تتعلّم فنّ صناعة الخزف؟ ألن يكون سلوك كهذا عملاً أحمقاً؟

كاليكلس: حقّاً.

سقراط: وبعدُ، يا صديقي، بما أنّك ابتدأت مسبقاً لتكون رجلاً شعبيّاً، وأنك تحذّرني وتلومني لأنّني لست واحداً منهم، لنفترض أحدنا سأل الآخر أسئلة قليلة، دعني أرى، هل جعل كاليكلس أيّاً من المواطنين أفضل؟ أكان هناك أبداً أيّ رجل كان فاسداً مرّة، أو ظالماً، أو غبيّاً، وأصبح صالحاً ونبيلاً بمساعدة كاليكلس؟ إذا ما وُجِدَ رجل كهذا، مواطناً أو غريباً، عبداً أو حراً، أخبرني، يا كاليكلس، إذا ما طرح إنسان عليك تلك الأسئلة، فبماذا ستجيب؟ من ينبغي أن تقول أنّك قد جعلته أحسن بزمالته لك؟ يمكن أنّك قد فعلت مآثر صالحة من هذا النوع كشخص خاصّ، قبل أن تتقدّم في الحقل العامّ. لِمَ تتردّد في الإجابة؟

كاليكلس: إنّك مخاصم، يا سقراط.

سقراط: لا. إنّني أسألك، ليس من حبّ الخصام، بل لأنّني أريد أن أعرف حقّاً بأيّة طريقة تفكر كيف يجب أن تدار الشؤون العامة بيننا - وسواء إذا ما توليت إدارتها، فهل لديك أيّ هدف آخر غير تحسين المواطنين؟ ألم نعترف مرات ومرّات عديدة متكررة أنّ ذلك هو واجب الرجل الشعبيّ؟ نعم، لقد قلنا هكذا؛ إذا كنت لن تجيب بنفسك فما عليّ إلاّ الإجابة عنك. لكن إذا كان هذا ما ينبغي للإنسان الخيّر أن ينجزه لمنفعة دولته الخاصة، إسمح لي أن أذكّرك بأسماء أولئك الذين ذكرتهم لتوّك: بريكلس، وسايمون،

وميليتيادس، وثيميستوكلس، وأن أسألك ما إذا كنت ما تزال تعتقد أنّهم كانوا مواطنين صالحين.

كاليكلس: إنّني أفعل.

سقراط: لكن إذا كانوا صالحين، فإنّ كلاً منهم كان جاعلاً المواطنين أفضل بدلاً من الأسوأ، حينئذ بوضوح؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ولذلك عندما تكلّم بريكلس في الجمعية العموميّة، كان الاثينيون أسوأ وقبل أن يلقي فيهم خطاباته الأخيرة؟

كاليكلس: على الأرجح.

سقراط: لا، يا صديقي (الأرجح) ليست الكلمة الصحيحة الاستعمال هنا؛ لأنّه إذا كان هو مواطناً صالحاً، فإن الاستنتاج لأكيد.

كاليكلس: وأيُّ فرقٍ يفعل ذلك؟

سقراط: لا شيء؛ أريد أن أعرف ما هو أبعد فقط، وهو ما إذا كان مفترضاً أنَّ بريكلس قد جعل الأثينيين أفضل، أو على العكس أنه قد أفسدهم؛ لأنّني أسمع أنّه كان أول من أعطى الشعب أجراً، وجعلهم كُسالى وجبناء، وشجّعهم على حبّ الكلام والمال.

كاليكلس: سمعت ذلك أنت، يا سقراط، من ملاكمينا الإسبرطيين السابقين.

سقراط: غير أنّ ما أنا ذاهب لأخبرك إيّاه الآن ليس مجرّد تقولات، بل شيء معروف منك ومنّي جيداً: فبادىء ذي بدء كان بريكلس يُعَدُّ في منزلة سامية، وكانت أخلاقه غير متّهمة بأيّ حكم أثيني. كان هذا زمن لم يكونوا صالحين تماماً ـ علاوة على ذلك عندما جعلهم صالحين ونبلاء فيما بعدُ، فإنّهم أدانوه بالسّرقة في نهاية حياته بالضبط، وكادوا أن يحكموا عليه بالموت، معتبرينه كأنّه شقيّ بشكل جليّ.

كاليكلس: حسناً، كيف يبرهن ذلك رداءة بريكلس؟

سقراط: لماذا، بكلّ تأكيد، أنت ستقول إنّه كان مديراً سيئاً للحمير أو الأحصنة أو الثيران، التي قد تسلمها، لا ترفسه ولا تنطحه ولا تعضّه في الأصل، وحوّلها شرسة بما فيه الكفاية لتفعل كل هذه الخِدَع؟ ألا يجب أن يكون مديراً سيئاً لأية حيوانات ذلك الذي تسلّمها لطيفة، وحوّلها أعتى ممّا كانت عندما تسلّمها؟ فماذا تقول؟

كاليكلس: سأفعل لك مِنَّة بقول (نعم).

سقراط: وهل ستمنّ عليّ بقول ما إذا كان الإنسان حيواناً؟

كاليكلس: إنه حيوان بالتأكيد.

سقراط: أوَ لم يكن بريكلس، راعي الرجال؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وإذا كان هو راعياً سياسياً صالحاً، ألا يجب أن تصبح الحيوانات التي كانت رعاياه أكثر عدلاً، وليس أكثر ظلماً؟

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: أليس الرجال العادلين أَماجد، كما يقول هوميروس؟ ـ أو أنّك تعتقد عكس ذلك؟

كاليكلس: أوافق.

سقراط: ومع ذلك فلقد جعلهم أكثر وحشيّة ممّا استلمهم حقّاً، وضربت همجيّتهم أوّل ما ضربت نفسه؛ وهو آخر شخص يرغب معاناتها؟

كاليكلس: أتريدني أن أتفق معك؟

سقراط: نعم، إذا تبين لك أنّني أتكلم الحقيقة.

كاليكلس: مُنِحَتْ إذن.

سقراط: لم يكن بريكلس، بناءً على هذا التصور إذن، رجل دولة صالحاً؟

كاليكلس: هذا صحيح، بناءً على تصوّرك.

سقراط: لا، إنّ هذا تصورك، بعد الذي اعترفت به. خذ حالة سايمون، مرّة ثانية. ألَمْ يطرده الأشخاص ذاتهم الذين كان خادمهم، وذلك كي لا يمكنهم أن لا يسمعوا صوته لعشر سنين؟ وفعلوا الشيء عينه تماماً بثيميستوكلس، مضيفين عليه قصاص النفي؛ وصوّتوا بوجوب رمي ميلتيادس، بطل معركة ماراثون، في حفرة الموت، وقد أُنقذ من هذا العقاب من قِبَل ألبريتانيس فقط. وإذا كان أولئك رجالاً صالحين بعد ذلك حقّاً، كما تقول، فلا ينبغي أن تحدث لهم تلك الأشياء قطّ، لأنّ سائقي العربة الأخيار ليسوا الذين يحتفظون بمقاعدهم بادىء ذي بدء، وبعدئذ، وبعدما روّضوا أحصنتهم، وأصبحوا سائقي عربات بشكل أفضل، طُرِحوا خارج عرباتهم. إنّ هذه ليست الطريقة لا في قيادة العربات ولا في أيّة مهنة، فماذا تعتقد؟

كاليكلس: ينبغي أن لا أعتقد ذلك.

سقراط: حسناً، لكن إذا هكذا، فإنّ الحقيقة هي كما قلت سابقاً، إنّ أيّ شخص في الدولة الأثينيّة لم يُظهر نفسه أنّه رجل دولة صالح. لقد اعترفت أنّ هذا كان حقيقياً لرجال دولتنا الحاضرين، لكنّك نفيتها عن الأشخاص السابقين، واخترت أولئك الذين كنت عنهم باحثاً؛ وفوق ذلك فلقد ظهر أنّهم ليس بأفضل من حكامنا الحاضرين. ولذلك، إذا كانوا علماء كلام، فهم لم يستعملوا لا الفنّ الحقيقيّ لعلم الكلام (أو فهم لا ينبغي أن يسقطوا خارج الحضوة) ولا شكل المداهنة له.

كاليكلس: لكن بالتأكيد، يا سقراط، إن أيّ إنسان حيّ لا يداني ما حقّقوه من انجازات قطّ.

سقراط: أوه، يا صديقي العزيز، إنّني لا أقول أيّ شيء ضدهم فيما يتعلق بخدمات رجال الدولة، ولا أعتقد أنّهم كانوا أكثر خدمة من أولئك الذين هم أحياء

الآن بالتأكيد، وأفضل قدرة على أن يرضوا رغبات الدولة. لكنْ كتحويل تلك الرغبات وعدِم السماح لها في أن تسلك طريقها، واستعمال السلطات التي لديهم، سواء بالإقناع أو القوة، في تحسين رفاقهم المواطنين، هذا التحسين هو الهدف الرئيسي للمواطن الصالح الحقيقي، فأنا لا أرى أنّهم كانوا في هذه الجهات أسمى بقليل من رجال دولتنا الحاليين. ولا أعترف مع هذا أنّهم كانوا أكثر مهارة في تجهيز البواخر وبناء الجدران وأحواض السفن، وكل ذلك. أنت وأنا لدينا طريقة مضحكة في الحوار، لأنّنا كنّا خلال الوقت كلّه الذي تجادلنا فيه، كنّا كمن يدور في حلقة مفرغة على الدوام، عائدين للنقطة عينها ويسيء واحدنا فَهْمَ الآخر. لقد سلّمت بذلك واعترفت أكثر من مرّة، إذا لم أكن مخطئاً، أن هناك نوعين من النشاطات التي لها صلة بالجسم، واثنين لهما صلة بالروح: أحدهما وزاري، ويقدّم الغذاء لأجسادنا إذا جاعت، ويعطيها الماء إذا عطشت، ويجهزها بالكساء والأغطية والأحذية وكل ذلك الذي ترغبه إذا أصابها البرد. إنّني أستعمل الصور عينها عن قصد كما فعلت سابقاً، كي يمكنك أن تفهمني أفضل. ويمكن لمورّد السّلع أن يزوّدها إمّا بالكميّة أو بالتجزئة، أو يمكنه أن يصنع أيّاً منها. إن الخبّاز، أو الطاهي، أو الحائك، أو صانع الأحذية، أو الحمّال، وفي عمله هكذا، كونه كما هو، فإنّه يفترض نفسه كما يفترض الآخرون أنّ يمدّ الجسد بشكل طبيعي؛ كما يفترضه كلّ شخص، ذلك هو الذي لا يعرف أنّه يوجد فنّ آخر - فن الرياضة وفنّ الطب - اللذان هما من يمدُّ الجسد في الحقيقة. وهذان الفنّانِ يجب أن يكونا الرئيس لكل الفنون الأخرى، وأن يستعملا نتائجها طبقاً للمعرفة التي لديهما، وهي ليس لديها من حقيقة التأثيرات الصالحة أو السيئة للّحم والشراب على الجسم. إنّ كل الفنون الأخرى حقيرة وخادمة للأعمال البسيطة ودنيئة في تعاملها مع الجسم، أمّا

فنّ الرياضة. وفنّ الطب فيجب أن يكونا أسياداً عليها كما يجب. وبعدُ، عندما أقول إنّ كل هذا قول حقيقيٌ عن الروح بشكل متساوٍ، تبدو أنّك تعرف وتفهم وتسلّم بكلماتي، وتأتي مردِّداً حينئذ ومن ثمّ بعد وقت قصير: «أليس لدى الدولة مواطنون أخيار ونبلاء؟». وعندما أسألك من هم، وأيُّ نوع من المرشحين السياسيين تقدِّم، فكأنّني سألتك عن الألعاب الرياضيّة، ومن يكون أو قد كان مدرّبون ممتازون؟ - وأجبتني أنت بكل جديّة أن ثيريون الخبّاز، ميثاكيوس الذي كتب كتاب الطهو الصقلي، وسارامبوس تاجر الخمور: أنّ هؤلاء هم من يمدّ يد العون إلى الجسد، وهم بلغوا الدرجة الأُولى في فنّهم؛ لأنّ الأوّل ينتج الأرغفة البديعة، والثاني الصحون الممتازة، والثالث النبيذ النفيس؛ ويظهر هؤلاء لي أنهم في موازاة دقيقة مع رجال الدّولة الذين ذكرتهم. وبعدُ فأنت لست مسروراً جملةً إذا قلت لك إنّك، يا صديقي، لا تعرف أيَّ شيء عن الألعاب الرياضيّة؛ وأمّا تلك التي تكلّمني عنها ما هي إلاّ أعمال وضيعة فقط، تؤمّن لشهوات الأكل والشرب التي لا تمتلك بشأنها أفكاراً مترفّعة وصالحة، يمكنها على الأرجح أن تملأ وتسمِّن أجساد الرجال وتكسب موافقتهم، مع أنّ النتيجة هي أنّهم يفقدون اللحم الذي ابتدأوا به على المدى الطويل؛ وفوق ذلك فإنّ هؤلاء ولبساطتهم، لن ينسبوا أمراضهم وهزالهم إلى مسامريهم، ولكن عندما اعترفوا أنّ تُخمتهم، بغضّ النظر عن الصحّة التي لديهم، تجلب لهم في السنوات المتعاقبة قصاص المرض الذي يلازمهم، ويتّهمون ويلومون من حدّث وكان بقربهم في ذلك الوقت وقدّم لهم النصيحة، وسينزلون به أذى إذا ما استطاعوا؛ بينما يتقدمون ليثنوا على الرجال الذين كانوا مسبّبي ضررهم. وإنّ ذلك، يا كاليكلس، هو ما تفعله الآن تماماً: تمدح الرجال الذين أولموا للمواطنين وأشبعوا رغباتهم. يقول الشعب إنّ هؤلاء الرجال جعلوا المدينة

عظيمة، غير ملاحظين حالة التورّم والتقرّح في الدولة التي هي منسوبة لرجال الدولة المتقدمين في العمر هؤلاء؛ لأنّهم ملأوا المدينة بالموانىء وأحواض السفن والحيطان والإيرادِ وكلّ أنواع سقْطُ المتاع، ولم يتركوا مكاناً للعدل والاعتدال. وعندما تقع أزمة الفوضى، فسيلوم الشعب مرشدي الساعة، ويثنون على ثيميستوكلس وسايمون وبريكلس، الذين هم مسبّبو نكباتهم الحقيقيون. وإنْ لم تكن حذراً يمكن أن يغيروا عليك وعلى صديقك السيبيادس، عندما يفقدون ليس مكتسباتهم الجديدة فقط، بل ممتلكاتهم الأصليّة أيضاً، ليس لأنّك مسبّب بلاياهم هذه، مع أنّك قد تكون عوامل مساعدة لها. يوجد تمثيل غير ذي معنى للذي أراه مستمرّاً اليوم، كما استمرّ (هكذا أُخبرت) مع رجال الدولة السالفين، عندما تعامل الدولة أيّاً من رجال دولتنا كجناة. أسمع منهم احتجاجات ساخطة عن الأذى المفترض الذي ارتُكِبَ بحقّهم قائلين: « بعد كل خدماتنا العديدة للدولة، أينبغي أن نهلك ظلماً على يديها! ». هكذا تدور القصة، ولا يكون كل صراخهم إلاّ كذباً؛ لأنّه لا يمكن لرجل الدولة في أيّ وقت أن تقدّمه للموت ظلماً، مدينةٌ هو رئيسها. أعتقد، أنّ حالة رجل الدولة المزعوم، تشبه تماماً جدّاً حالة السوفسطائي المزعوم؛ لأنّ السوفسطائيين، مع أنّهم رجال عقلاء في طرق أخرى، فهم مذنبون مع ذلك في هذا النموذج الغريب من الحماقة؛ يزعمون أنّهم أساتذة للفضيلة. فهم سيتّهمون رفاقهم غالباً بأنّهم يسبّبون لهم الأذى، وأنّهم يغدرون بهم عندما يأتي وقت الدفع، ولا يبدون أي عرفان بالجميل لخدماتهم الثمينة. وبعدُ فأيّ شيء يمكن أن يكون أكثر سخرية من أنّ الرجال الذين أصبحوا عادلين وأخياراً، والذين قد تمّ استئصال الظلم منهم، والذين قد زُرِع العدل فيهم من قِبَلِ أساتذتهم، يلزم أن يفعلوا بظلم بسبب الظلم الذي لا يوجد فيهم؟ أيمكن لأيّ شيء أن يكون أكثر لا عقلانية،

يا صديقي، من هذا؟ أنت، يا كاليكلس، تجبرني على أن أكون خطيباً غوغائياً، لأنك لا تجيبني.

كاليكلس: وأنت الإنسان الذي لا يستطيع أن يتكلم، ما لم يوجد شخص ما ليجيب!

سقراط: أفترض أنّني أستطيع؛ في هذه اللحظة، على أيّة حال، فالأحاديث التي أصفها هي طويلة بما فيه الكفاية لأنّك ترفض أن تجيبني. لكنّني أستحلفك باسم الصداقة، أن تخبرني: ألا يظهر لك وجود تناقض كبير في قولك أنّك قد جعلت الإنسان صالحاً، ومن ثمّ تلومه بعدئذ لكونه سيّئاً عندما جعلته أنت نفسك الإنسان الصالح الذي هو؟

كاليكلس: نعم، إنه يظهر لي هكذا.

سقراط: ألم تسمع مطلقاً أساتذتنا للتعليم المناقبي متكلّمين بهذا الأسلوب المتناقض؟

كاليكلس: نعم، لماذا التكلّم عن رجالٍ لا يصلحون لأيِّ شيء؟

سقراط: ينبغي بالأحرى أن أقول، لِمَ التكلّم عن الرجال الذين يصرّحون أنّهم حكام، ويعلنون أنهم مكرسون لتحسين المدينة، ويلقون فوق ذلك خطبة مؤثرة عندما تسنح الفرصة ضدّ ما تتفوه به المدينة من سفالة. هل تعتقد أنّ هناك فرقاً بين أحدهم والآخر؟ يا صديقي، وكما قلت لبولس، إنّ السوفسطائي وعالم الكلام، هما نفساهما، أو تقريباً نفساهما. لكنك تتوهّم بجهل أنّ علم الكلام هو شيء كامل، وأنّ السوفسطائي شيء يُزدرى به؛ بينما الحقيقة هي أنّ السوفسطائية هي بقدرٍ ما أسمى من علم الكلام كما يكون التشريع لممارسة القانون، أو التمارين الرياضيّة إلى الدواء. إنّ الخطباء والسوفسطائيين وهذا ما أميل للاعتقاد به، هم الطبقة الوحيدة الذين لا يمكنهم أن يشتكوا عن الضّرر الناجم لهم من القيّمين على تعليمهم، بدون إدانة أنفسهم بالنّفَس عينه لعدم فعلهم الخير لأولئك الذين يدّعون أنّهم أفادوهم. أليست هذه حقيقة؟

كاليكلس: إنها بالتأكيد.

سقراط: إذا كانوا هم محقين في القول إنّهم يجعلون الرجال أفضل، فهم بالتخمين عندئذ الطبقة الوحيدة التي بإمكانها أن تؤدّي خدماتها قبل أن تتقاضى أجراً. في حين أنّ الإنسان إذا استفاد بأيّة طريقة أخرى، إذا، كمثال، قد علّمه المدرِّب الركض، فيمكن له أن يخدع المدرِّب بالاحتمال ويختلس أتعابه، ذلك إذا ترك المدرِّب المسألة له بدلاً من أن يسدِّد الألعاب سلفاً ويحصِّل المال (قدر الإمكان) في الوقت عينه مثلما أعطي السرعة في أداء الخدمات؛ لأنّ الرجال لا يفعلون بظلم بسبب أيّ نقص في السرعة، بل بسبب الظلم.

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: ومن يزيل الظلم لا يمكنه أن يكون في خطر مِن أن يُعامل بظلم. إنّه الوحيد الذي يقدر أن يترك أتعاب خدماته لتلاميذه، إذا ما كان قادراً حقاً أن يجعلهم صالحين. ألست محقّاً؟(٣١)

كاليكلس: نعم.

سقراط: لقد وجدنا السبب اذن لماذا لا يوجد عار في إنسان يتلقى أتعاباً والذي استُدْعِيَ لينصح عن فن النباء أو عن أي فن آخر.

كاليكلس: نعم، إنّها تشبهها.

سقراط: لكن عندما تكون النقطة الأساسية، كيف يمكن للإنسان نفسه أن يصبح أفضل، وأن يحكم عائلته ودولته بشكل أنسب، كي تقول حينها إنّك لن تعطي نصيحة مجانيّة فذلك يُعتبر عاراً؟

كاليكلس: حقّاً.

سقراط: ولماذا؟ لأنّ منافع كهذه تتطلّب رغبة لتكافئها فقط، وهذا يكون تبياناً صالحاً إلى هذا الحدّ من أنّ المنفعة قد أُعطيت في وقت يكون المحسن قد تلقّى الدفع بالمقابل؛ وإلاّ فلا. ألست هذه حقيقة؟

كاليكلس: إنّها كذلك.

سقراط: إذن أية خدمة تدعوني كي أؤدّيها للدولة؟ قرّر لأجلي. هل سأكون طبيب الدولة الذي سيناضل ويجاهد ليجعل الأثينيين بصحة جيدة قدر الإمكان؟ أو هل سأكون خادماً ومداهناً في الدولة؟ أجبني بحقّ، يا كاليكلس: الحقّ أقول إنّك يجب أن تنتهي كما ابتدأت، قائلاً ما تفكر به بصراحة. وبعْدُ كن صادقاً معي.

كاليكلس: أقول إنّ عليك أن تكون خادماً في الدولة.

سقراط: هكذا، أيّها السيّد النبيل، تدعوني لأكون مداهناً؟

كاليكلس: ميشينيّ[٣٢]، يا سقراط، أو ما يسرّك. لأنّك إذا رفضت، ستكون العواقب ـ

سقراط: لا تكرّر القصّة القديمة ـ إنّ من سيحبّ سيقتلني؛ لأنّني سأكرّر عندها الإجابة القديمة. إنّه سيكون رجلاً شرّيراً وسيقتل الإنسان الخيّر؛ ولا تردّد أنّه سيجردني من ممتلكاتي، لأنّني سأجيب عندها مرّة ثانية أنّ المال لن يكون بذي نفع له، بل إنّه سيستعمل بخطأ ذلك الذي أخذه بخطأ، وإذا بخطأ، فبدناءة، ثم أذى.

كاليكلس: كم أنت واثق من نفسك، يا سقراط، من أنّك لن تصل أبداً إلى أيّ أذىً كهذا! يبدو أنّك تعيش في بلد آخر، ولا يمكن جلبك إلى محكمة عدل، لربّما من قِبَل شخص سيّىء الذكر وغد وسافل.

سقراط: يجب أن أكون غبيّاً عندئذ، يا كاليكلس، إذا كنت لا أعرف أنّه يمكن لأيّ إنسان أن يعاني أيّ شيء في الدولة الأثينيّة. وإذا ما أُحضِرتُ إلى المحاكمة وتعرضت للأخطار التي تتكلّم عنها، فإنّ من سيحضرني لها سيكون وغداً نذلاً ـ إنّني متأكّد من ذلك تماماً، إذ ما من إنسان صالح سيتّهم البريء. لا ولن أكون مندهشاً إذا ما حُكِمَ عليّ بالموت. هل سأخبرك لِمَ أتوقّع هذا؟

كاليكلس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: أعتقد أنّني الأثيني الوحيد أو تقريباً هكذا، الحيّ الذي ينشد فنّ السياسات الحقّ؛ وإنّني السياسي الوحيد الذي أمارسها. وبعدُ، بما أنّني أبصر ذلك فإنني عندما أنطق كلماتي فلا أتفوه بها مع أيِّ تصور لنيل حَظْوَة، بل أتطلّع إلى ما هو الأفضل وليس إلى ما يكون أكثر مسرّة، ولا قصد لديّ لاستعمال تلك الفنون والنعم التي توصي بها. ولن أمتلك أيَّ شيء لأقوله في محكمة عدل. يمكن أنّك ستجادل معي، كما تحاورت مع بولس. سأحاكم تماماً كما سيُحاكم طبيب في محكمة أطفالٍ صغار عند إتّهام طاهٍ له. ماذا سيجيب في موقع كهذا، إذا ما اتهمه شخص ما، قائلاً، (يا أولادي، لقد فعل لكم هذا الإنسان أشياء شرّيرة عديدة. إنّه سببُ موتكم، خاصّة الشباب منكم، مقطّعكم وحارقكم ومجوّعكم حتى الموت وخانقكم، حتى لا تعودون تعرفون ما ستفعلون. إنّه أعطاكم الجرعات الأمرّ، وأجبركم على أن تجوعوا وتعطشوا. كم يكون ذلك غير مشابه لنوعيّات اللحوم والحلويّات التي عليها أولمتكم!). ماذا تفترض الطبيب آنئذ. هل ستفترض أنّه سيكون قادراً على الإجابة عندما يجد نفسه في ورطة كهذه؟ وإذا أراد أن يخبّر الحقيقة يمكنه القول فقط، (يا أولادي، إنّني فعلت كل هذه الأشياء، من أجل صحتكم). أو لن ترتفع حينئذ، جلبة مصمّة للآذان من المحلّفين تشبه ذلك؟ كيف يمكن أن يتعالى صراخهم!

كاليكلس: أجرؤ قول ذلك.

سقراط: ألن يكون في ضياع كلّيّ للإجابة؟

كاليكلس: إنّه سيكون بالتأكيد.

سقراط: وسأعامل أنا أيضاً بالطريقة عينها، كما أعرف جيداً، إذا أُحضرت أمام المحكمة. لأنّني لن أكون قادراً أن أتلو على الشعب الملذّات التي حصّلتها

لهم، والتي، مع أنّني لست مستعدّاً لأن أحسد لا المدبِّرين ولا المتمتعين بها منهم، وهي محسوبة من قِبَلِهم أنّها المنافع والفوائد. وإذا قال أيّ شخص إنّني أفسد الرجال الشبّان، وأربك عقولهم، أو إنّني أتكلّم سوءاً عن الرجال المسنّين، وأستعمل كلمات نابية تجاههم، سواء بالسرّ أو العلن، فإنّها غير ذات نفع لي، كما يمكنني فعل ذلك بحقّ: (إنّ كل هذا الذي أقول هو لسبب خيركم، بقصد منفعتكم، يا قضاتي، وليس لأيّ شيء آخر) وبناء على ذلك ليس هناك من إخبارٍ لِمَا سيحصل لي.

كاليكلس: وهل تعتقد، يا سقراط، أنّ كل شيء سيكون على ما يرام مع إنسان يواجه هذه الحالة، ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه؟

سقراط: نعم، يا كاليكلس، إذا كان لديه ذلك الدفاع، الذي كما اعترفت أنت غالباً أنّه عليه أن يمتلك ـ إذا كان ذلك دفاعه الخاص، ولم يقل أو يفعل أيّ شيء خطأً قط، لا فيما يختص بالآلهة أو الرجال. ولقد اعترفنا بهذا تكراراً أنّه الدفاع الأقوى. وإذا استطاع أيّ شخص أن يدينني لعدم قدرتي على الدفاع عن نفسي أو عن الآخرين طبقاً لهذا المنوال، عليّ أن أحمرّ خجلاً، سواء أُدنت أمام كثيرين، أو أمام قلّة، أو وحيداً بنفسي؛ وإذا مُتُّ من افتقاري للقدرة لفعل هكذا، سيحزنني ذلك حقّاً. لكنّني إذا مُتُّ لأنّني لا أمتلك قوى المداهنة أو علم الكلام، فأنا متأكّد يقيناً أنّك لن تجدني متذمّراً من الموت، فإن أي إنسان ليس غبياً ولا جباناً مطلقاً يخاف الموت نفسه، بل يخاف من فعل الخطأ، وَلأَنْ تذهب إلى العالم السفلي ولديك روح ملأى بالظلم لهو أردأ من كل الشرور وآخرها. وأحبّ أن أخبرك قصّة، إذا لم يكن لديك اعتراض، أحبّ أن أتلوها عليك في برهان لِمَا أقول.

كاليكلس: حسناً تماماً؛ انتهِ بالقصة، كما انتهيت بكلّ شيء آخر.

سقراط: إستمع، إذن، كما يقول ساردو القصص، إستمع إلى قصّة جميلة جداً،

هي التي أجرؤ القول إنّه يمكنك أن تكون مستعدّاً لأن تعتبرها كأنّها وهم فقط، لكنها -كما أعتقدها قصّة حقيقية؛ وما أنا ذاهب لأقوله، أقدمّه كالحقيقة. أخبرنا هوميروس(٣٣) كيف قسّم زيوس وبوسايدون وبلوتو الأمبراطوريّة التي ورثوها من أبيهم. وُجِدَ قانون في أيّام كرونوس يخصّ قَدَرَ الإنسان، الذي قد كان دائماً، وسيدوم في السماء ـ وذلك أنّ الذي قد عاش كل حياته في العدل والقداسة، سيذهب عند وفاته إلى الجزر المباركة، ويسكن هناك في سعادة كاملة لا وصول للشرّ إليها. لكنّ الذي عاش بظلم وكفر سيذهب إلى السّجن مكان أخذ الثأر والعقاب، الذي يدعى الجحيم. ولقد أُعطي الحكم في زمن كرونوس، وحتى في وقت متأخر تماماً أثناء حكم زيوس، أُعطيَ في اليوم عينه تماماً الذي كان الرجال سيموتون فيه. كان القضاة أحياء، وكذلك الرجال؛ وكانت العاقبة أنّ حالات الموت كانت مقرّرة بخطأ. أتى حينئذ بلوتو ومتسلّمو السلطة من الجزر المباركة إلى زيوس، وقالو إنّ الأرواح وجدت طريقها إلى الأماكن المغلوطة. قال زيوس: « سأضع حداً لهذا؛ لقد أُعطيت القرارات الخاطئة، لأنّ الأشخاص كانوا قد ارتدوا أثوابهم قبل المحكمة، لأنّهم كانوا أحياء؛ وهناك العديد الذين امتلكوا الأرواح الشرّيرة، تجهزوا بأجسام جميلة، أو تغلّفوا في الثروة أو المنزلة المتوارثة، وعندما قدم يوم الحساب، أتى شاهدون كثيرو العدد وشهدوا بالنّيابة عنهم أنّهم عاشوا بصلاح. تخوّف القضاة منهم، وكانوا هم أنفسهم يرتدون أثوابهم عندما أصدروا الحكم. لقد تداخلت عيونهم وآذانهم وأجسامهم كلها كقناع أمام أرواحهم الخاصة. إنّ كل هذا كان عائقاً لهم، أثواب القضاة وأثواب المتقاضين على حدّ سواء. سأجرّد الرجال في المقام الأول، لهذا السبب، من معرفة الموت قبل وقوعه، تلك المعرفة التي يمتلكونها في الوقت الحاضر. لقد تسلّم بروميثيوس أوامري الآن ليأخذ منهم هذه القوة التي

لديهم. في المقام الثاني، سيُعرّى جميعهم تماماً قبل أن يُحاكموا، لأنّهم سيحاكمون عند موتهم؛ وسيكون القضاة عراة أيضاً، لتقول إنّهم، موتى - وسيخرق من هو بروح معرّاة إلى الأرواح المعرّاة الأخرى كما هي بعد الموت بدون إنذار، محرومة من أقربائها جميعاً، وتاركة لباس بسالتها منثوراً فوق الأرض - سيكون الحكم عادلاً، سالكاً في هذا النّهج. إنّني عرفت كلّ شيء عن هذا الموضوع قبل أيّ واحد منكم، وعيّنت أبناءً من خاصتي ليكونوا القضاة، إثنين من آسيا، ماينوس ورادامانثوس، وواحداً من أوروبا. وسأعطي لماينوس مركز الصدارة، وسيكون هو محكمة استئناف، في حالة إذا ساور أحدهما أيّ شك: سيكون الحكم عادلاً فيما يخص رحلة الرّجال الأخيرة قدر الإمكان ».

إنّني أستخلص الاستنتاجات التالية، يا كاليكلس، من هذه القصة التي سمعتها والتي أؤمن بها: سيكون الموت، إذا كنت محقّاً، إنفصال شيئين عن بعضهما بعضاً في المقام الأوّل، وهما الروح والجسم؛ ولا شيء آخر. ويحتفظ كلّ منهُما بعد الانفصال، بما كان عليه وهو حيّ، مع تغيير ضئيل؛ ويستبقي الجسم العادة عينها، وتكون نتائج المعالجَة أو الحادثة كلّها ظاهرة فيه بوضوح. كمثال، أنّ من كان رجلاً طويلاً وهو حيّ، بالطبيعة أو التدريب أو كليهما، سيبقى كما كان بعد موته، وسيبقى الرجل السمين سميناً، وهكذا دواليك. والرجل المتوفي، الذي كان لديه رغبة ليمتلك شَعراً منساباً، سيمتلك شَعراً منساباً. وإذا كان نصّاباً عديم القيمة، ويحمل على جسمه آثار الضربات، كآثار من السوط أو من عقاب جسديّ آخر عندما كان على قيد الحياة، يمكنك أن ترى الشيء نفسه في الجسد الميّت. وإذا كانت أطرافه مكسورة أو مشوّهة عندما كان حيّاً، فسيكون المظهر عينه مرئيّاً في الميِّتِ. وفي كلمة، مهما كانت عادة الجسم أثناء

الحياة ستكون جليّة بعد الموت، إمّا على وجه الكمال، أو في مقياس كبير ولوقت محدَّد. ويجب أن أتصوَّر أن يكون هذا حقيقياً للروح على حد سواء، يا كاليكلس، عندما تكون الروح منزوعة من الجسد، فإنّ كل شيء فيه يُوضع مكشوفاً للمشاهدة - كلّ سماته الطبيعيّة وكل صفاته المميِّزة التي اكتسبها في كلٍّ من نشاطاته المتباينة. وعندما أتوا إلى القاضي، فإنّ أولئك الذين أتوا إلى رادامانثوس من آسيا، أوقفهم وعاينهم واحداً واحداً بنزاهة إلى حد بعيد، غير عارف لمن تكون الروح. يمكنه غالباً أن يضع يديه على روح ملك ما أو عاهل كالملك العظيم، ولا يتبيَّن فيها سلامة، بل روحاً موسومة بالسّوط، مملوءة بآثار شهادات الزّور والجرائم، التي لَطَّخها بها كلُّ عملٍ من أعمالها، وكل الأرواح معوجَّة بالزيف والاحتيال، وبدون استقامة، لأنّ الإنسان عاش بدون الحقيقة. إنسان كهذا رآهُ رادامانثوس، ممتلئاً بكلّ تشوّه وبحالة عدم التناسب التي سبّبها الخروج على الأعراف والقوانين وسبّبها الترف والسفاهة والفجور، لهذا أرسله بحقارة إلى سجنه، حيث سيقاسي هناك العقاب الذي يستحقّ.

وبعدُ، فإنّ الدور المناسب للعقاب ككل يكون مزدوجاً: فمن عُوقِبَ بشكل مستقيم يجب إمّا أن يصبح أفضل ويستفيد من عقابه، أو يجب أن يكون عِبرةً لرفاقه، كي يمكنهم رؤية ما قاسى، ويخشون أن يعانوا شبه ذلك، ويصبحون أفضل. أمّا أولئك الذين تحسّنوا عندما عُوقِبوا من قِبَل الآلهة والرجال، فهم أولئك الذين تكون ذنوبهم قابلة للشفاء؛ وقد تحسّنوا بالألم والمعاناة، كما في هذا العالم هكذا في العالم الآخر أيضاً؛ إذ ليس هناك أي طريق آخر يُستطاع بواسطته تخليصهم من شرورهم. لكنّ أولئك الذين كانوا مذنبين بأسوأ الجرائم، ولا يمكن شفاؤهم بسببها، فقد جُعِلوا أمثلة. وبما أنّهم غير قابلين للشفاء، فلم يحصلوا على الخير لأنفسهم. غير أنّ

الآخرين حصلوا على الخير عندما رأوهم متحملين، للأبد، المعاناة الأكثر فظاعة وألماً وخوفاً كجزاء لذنوبهم - هناك هم، معلّقون في سجن بيت العالم السّفلي كنماذج صحيحة، وكمشهد ملفت للنظر وإنذار لكلّ الرجال غير الأتقياء الذين يأتون إلى هناك. وسيكون آرتشيلوس بينهم، كما أؤكّد بكل ثقة، إذا ما قد أعطى بولس تقريراً حقيقيّاً عنه، وكذلك أيّ مستبد آخر شبيه به. كما أعتقد، فإنّ أكثر هذه الأمثلة المخيفة، أُخِذت من طبقة المستبدين والملوك والحكّام والرجال العامين، لأنّهم هم مرتكبو أعظم وأكثر الجرائم شرّاً بسبب امتلاكهم القوة. ويشهد هوميروس بحقيقة هذا؛ إنهُمْ الملوك والحكام، الذين وصفهم دائماً كمقاسي عقاب أبديٍّ في العالم السفلي. هكذا كان تانتالوس وسيسيفوس وتيتيوس. لكن لا أحد وصف ثيرساتيس أبداً، أو أيّ شخص خاص ممّن كان وغداً كمقاسٍ للعقاب الدائم، أو غير قابل للشفاء. لأنّه لم يكن في قدرته أن يرتكب أبشع الجرائم، كما أعتقد، وكان لذلك أسعد من هؤلاء الذين امتلكوا القوة. لا، يا كاليكلس، إنّ الرجال الأشرار أنفسهم يأتون من طبقة هؤلاء الذين يمتلكون السلطة(٣٤). وفوق ذلك فإن في تلك الطبقة، يمكن أن ينشأ رجال أخيار بحقّ، وعندما ينشأون فهم جديرون بكل إعجاب؛ لأنّه حيث توجد القوة العظمى لتفعل الضرر، لتحيا ولتموت بعدل يكون شيئاً صعباً، ويُثنى على ذلك بدرجة كبيرة، وهناك قلّة ممّن تصل إلى هذا. لقد وُجد رجال أخيار وحقيقيون كهؤلاء، على كل حال، في أثينا وفي الدول الأخرى. وأعتقد أنّه سيكون من الآن فصاعداًرجال لامعون في هذه الفضيلة، فضيلة إتمام ائتمانهم القويم؛ وهناك واحد شهير فوق هيلاس كلها، إنّه أريستايدس بن ليسيماخوس. غير أنّ الرجال العظام، يا صديقي، هم فاسدون أيضاً بشكل عامّ.

وكما كنت قائلاً، فإنّ رادامانثوس، عندما يتسلّم روحاً من النوع الشرير،

لا يعرف أيّ شيء عنه، لا من هو، ولا من هم آباؤه؛ يعرف أنّه أمسك بوغد فقط. ومبصراً هذا، يدمغه كقابل للشفاء أو غير قابل له، ثم يرسله بعيداً إلى الجحيم، حيث يذهب ويتلقّى مكافأته المناسبة، أو ينظر بإعجاب إلى روح شخص عادل عاش في التُّقى والصدق؛ يمكن أنّه قد كان إنساناً خاصّاً أو لم يكن. وينبغي أن أقول، يا كاليكلس، من المحتمل جداً أنّه قد كان فيلسوفاً أنهَى عمله الخاص به، ولم يزعج نفسه بأعمال الرّجال الآخرين في حياته، فإن رادامانثوس أرسله إلى الجزر المباركة. وفعل آيكوس الشيء عينه؛ وكان لدى كليهما صولجانات، وقاضوا الجميع؛ لكنّ مانيوس فقط كان لديه صولجان ذهبي وجلس هناك مراقباً، كما أعلن أوديسيوس في هوميروس(٣٥) أنه رآه: «ممسكاً صولجاناً ذهبياً، مانحاً القوانين إلى المتوفّين». إنّني الآن، يا كاليكلس، مقتنع بحقيقة هذه الأشياء، وأتأمّل مليّاً كيف سأقدِّم روحي كاملة وغير دنسة أمام القاضي في ذلك اليوم، متنازلاً عن الأمجاد، التي يتوق العالم لها. إنّني أرغب أن أعرف الحقيقة فقط، وأن أحيا صالحاً قدر إمكاني، وعندما أتوفّى، أتوفّى صالحاً حسب استطاعتي. وأنّني أحضُّ كلّ الرجال الآخرين أن يفعلوا الشيء عينه، وإلى أقصى قوّتي. وعوضاً عن حضّك لي لأسلك طريقاً آخر، أنصحك أيضاً أن تشرع في طريق الحياة هذا، وأن تنازل في هذه الحرب، والتي أُثبِتُ أنّها أهمّ من كل نزاع أرضيّ آخر. وإنّني أردُّ على لومك لي، وأقول إنّك لن تكون قادراً على الدفاع عن نفسك يوم الحساب والامتحان، الذي تكلّمت عنه، عندما يأتي عليك؛ ستقف أمام القاضي، ابن آيجينا، وعندما يمسكك بقبضته بإحكام ويحملك بعيداً، ستنذهل وسيدور رأسك دوراناً، كما يدور رأسي تماماً في محاكم هذا العالم، ومن المحتمل أن يلكمك واحد ما على الأذنين، ويرميك بكل نوع من أنواع الإهانة.

يمكن أن يظهر لك هذا أنّه فقط حكاية زوجة مُسنّة، تحتقرها. ويمكن أن

يكون هناك سبب لإزدرائك بهكذا قصّة، إذا أمكننا أن نجد أيّ شيء أفضل وأصدق بالبحث. لكنك ترى الآن أنّك وبولس وجورجياس، الذين هم أعقل ثلاثة يونانيين في أيّامنا، ليسوا بقادرين أن يبيّنوا أننا يجب أن نحيا أيّ حياة سوى هذه، التي ستفيدنا في العالم التالي كما ستفيدنا هنا بكلّ تأكيد. ومن كل ما قد قيل، لا يبقى أيّ شيء غير مزعزع إلا القول إنّه يجب تجنُّبُ فعلِ الظلم أكثر من مقاساته، وإنّ صدق الفضيلة وليس مظهرها هو ما ينبغي اتّباعه فوق كلّ الأشياء، كما في الحياة العامّة كذلك في الحياة الخاصّة؛ وأنّ الإنسان عندما يفعل الأذى في أي اعتبار، تجب معاقبته، لأنّ الشيء التالي الأفضل للإنسان كونه عادلاً هو أنّه ينبغي أن يصبح عادلاً بالتصحيح والعقاب. يلزمه أن يتجنّب أيضاً كلّ نفاق عن نفسه كما عن الآخرين، عن القلة أو عن الكثرة. ويجب عليه أن يستخدم علم الكلام، ويلزم أن يفعل كل أعماله على الدوام بنّيةٍ إلى العدل خالصة.

إتبعني إذن، وسأهديك حيث ستكون سعيداً في الحياة وبعد الوفاة، كما تبيّن المحاورة. ولا تُعِرِ انتباهاً إذا ما استخفّ بك شخص كأنّك غبيٌّ، وأهانك، إذا ما كان يمتلك عقلاً، دعه يضربك، وكن مبتهجاً حقيقيًا، ولا تهمّك اللطمة التحقيريّة، لأنّك لن تصل لأيٍّ أذى أبداً في ممارسة الفضيلة إذا كنت إنساناً خيّراً وصادقاً حقاً. وعند ممارستنا الفضيلة معاً، سننكبُّ على علم السياسة، إذا ما بدا ذلك مرغوباً فيه، أو سننصح بشأن أيّ شيء آخر يمكن أن يظهر لنا خيّراً، لأنّنا سنكون قادرين على أن نقاضي أفضل آنئذ. أمّا في حالتنا الحاضرة كتلك التي تكون واضحة الآن، سيكون معيباً لنا أن نمنح أنفسنا مظاهر عظمة وكأنّنا ذوو أهمية ما، لأنّنا نغيّر أفكارنا دائماً حتى في المواضيع الأكثر أهميّة. إنّنا هكذا جهلة بشكل مطلق! دعنا عندئذ، نأخذ محاورتنا الحديثة العهد كدليلنا، والتي قد كشفت لنا أن أفضل طرق الحياة

هو أن تمارس العدل وكل فضيلة في الحياة وبعد الموت. دعنا نسلك هذا الطريق؛ ونحضُّ كل الرجال على أن يسلكوه، وليس الطريق الذي تثق والذي فيه تنصحني لأن أتبعك؛ لأنّ الطريق ذاك، يا كاليكلس، لا يستحقّ أيّة قيمة.

محاورة كارمايديس

الإعتدال والعفة

أفكار المحاورة الرئيسيّة

يسأل سقراط، الشابَّ الجميل كارمايديس، الذي هو أكثر أبناء الجنس البشري اعتدالاً، يسأله، ما هو الاعتدال؟ ويجيبه، أنّ الاعتدال هو نوع من الهدوء. لكنّ الاعتدال يكون نبيلاً وصالحاً، يا كارمايديس، والهدوء في عدّة، أو في أكثر الحالات لا يكون هكذا صالحاً كالسرعة في التمارين الرياضية، والعَدْو، وما شابه فماذا ستقول عندئذ؟ إنّني أعرّف الاعتدال، يا سقراط، بالقول إنّه الحشمة أو التواضع. لكن هذا التعريف يوضع جانباً، يا كارمايديس، بتقرير سوفسطائي لهوميروس، من أنّ الاعتدال يكون جيّداً مثلماً يكون نبيلاً، ويقول إنّ الاحتشام ليس صالحاً للرّجل المحتاج. لكنّني، يا سقراط، أمتلك تعريفاً جديداً للاعتدال، أعتقد أنّني سمعته من شخص ما، فأقول إنّ الاعتدال هو أن يعمل كلّ شخص بعمله الخاصّ. لكنّ العامل اليدوي الذي يصنع الحذاء لغيره يمكنه أن يكون معتدلاً، ومع ذلك فهو لا يقوم بعمله الخاص وغير ذلك كثير. وتعريف كهذا للاعتدال سيتعارض مع تقسيم العمل الموجود في كل دولة معتدلة أو حسنة التنظيم. فكيف يمكنك أن توضح هذا اللّغز؟

وهنا يأتي كريشياس ليدافع عن تعريفه هذا بقوله إنّ في التعريف تحريفاً، ويميّز بين (الإنجاز) و(العمل). وما التعريف، يا سقراط، سوى « أنّ أولئك الذين ينجزون عملهم الخاص هم المعتدلون، وليس أولئك الذين يفعلون ». وبكلمات أسهل

أقول إنّ الاعتدال هو إنجاز الأعمال الصالحة. لكن، يا سقراط، بما أنّك نقضت هذا التعريف للاعتدال بعد وقت قصير، فإنّني سأسحبه وأقول مجدّداً، إنّ الاعتدال هو معرفة النفس، فماذا تقول؟ لكن، يا كريشياس، أليست كلُّ العلوم تمتلك موضوعاً؟ كمثال، العدد يكون موضوع علم الحساب، الصحّة موضوع علم الطبّ، فما هو موضوع الاعتدال أو الحكمة؟ إنّ الاعتدال أو الحكمة هي معرفة الإنسان ما يعرفه وما لا يعرفه، يا سقراط. لكنّ هذا التعريف مناقض لقياس التمثيل، يا كريشياس، فليس هناك رؤية للرّؤية، بل أشياء مرئية فقط، ولا حبّ للحبّ بل حبّ الأشياء المرئية فقط، وهناك أمثلة عديدة كهذه؛ فكيف يمكن أن يكون هناك معرفة للمعرفة؟ إنّ ذلك الذي يكون أكبر سنّاً، أثقل، أو أخفّ، يكون أكبر سنّاً، أثقل، وأخفّ، من شيء ما آخر، وليس من نفسه. ويبدو هذا أنّه حقيقي عن كل النظريات النسبيّة ـ إنّ الهدف النسبيّ يكون خارجاً عنها؛ على كل حال فإنّه يمكنها أن تمتلك نسبة لأنفسها في شكل ذلك الهدف، سواء أوجدت حالات للنسبة المنعكسة أوْ لاَ، وسواء يكون ذلك النوع من المعرفة الذي ندعوه اعتدالاً من هذه الطبيعة المنعكسة، فهذا لا يزال متروكاً لعالمٍ بالماورائيات عظيم كي يقرره. لكن حتى إذا عرفت المعرفة نفسها، فكيف يمكن للمعرفة التي تعرف أن تدلّ ضمناً على المعرفة التي لا تعرف؟ بجانب ذلك، فإنّ المعرفة هي فكرة تجريديّة فقط، ولن تخبرنا عن أيّ موضوع محدَّد، كالطبّ مثلاً، البناء، وما شابه. يمكنها أن تخبرنا أننا نعرف أو أن رجالاً آخرين يعرفون شيئاً ما، لكنها لا تستطيع أن تخبرنا عما لا نعرف أبداً.

وإذا اعترفنا بأنّ هناك معرفة لما نعرف وما لا نعرف، وهي التي ستكون قاعدة وقياساً لكلّ الأشياء، يبقى أنّه لن يكون خير في هذا، والمعرفة التي يمنحها الاعتدال يجب أن تكون النوع الذي يهبنا الخير؛ لأنّ الاعتدال خير، يا كريشياس. غير أنّ هذه المعرفة العالميّة لا تميل لسعادتنا وخيرنا. إنّ نوع المعرفة الوحيد الذي يجلب لنا السعادة هو معرفة الخير والشرّ.

ويجيب كريشياس على ما قاله سقراط، أنّ علم أو معرفة الخير والشرّ، وكل العلوم الأخرى هي منظّمة بالعلم الأسمى أو معرفة المعرفة.

وهنا يبدأ سقراط مرّة ثانية بفصل المجرّد عن الملموس، ويسأل كريشياس كيف تُفضي هذه المعرفة إلى السعادة في الطريقة المحددة عينها التي يساعد علم الطبّ فيها على إحداث الصحة؟

لكنّنا بعد أن قدّمنا كلّ هذه التعريفات، التي تكون غير مقبولة في الحقيقة، فنحن لا نزال بعيدين جدّاً عن أن نؤكّد طبيعة الاعتدال، الذي اكتشفه كارمايديس سابقاً، وما عليه إلاّ أن يرتاح لذلك في المعرفة وهو أنّه بقدر ما يكون أكثر اعتدالاً يكون أكثر سعادة.

محاورة كارمايديس

الاعتدال والعفة

أشخاص المحاورة

سقراط، وهو القاصّ كارمايديس
تشايرافون كريشياس

المشهد: معهد المصارعة في طورياس، قرب معبد باسيل.

[عدنا مساء البارحة من مدينة بوتيدايا(٣٦)، حيث يتمركز الجيش، وبما أنّني كنت بعيداً لفترة ليست قصيرة، فكّرت أنّه يجب أن أذهب وأبحث عن أترابي القدامى. لذلك ذهبت إلى معهد المصارعة في طورياس، حيث مكانه العالي مقابل معبد باسيل، ووجدت هناك عدداً من الأشخاص، الذين أعرف أكثرهم، لكن ليس جميعهم. كانت زيارتي غير متوقعة، وعندما رأوني آتياً حيّوني من بعيد قبل أن أدخل ومن كل جانب؛ وأما تشايرافون، الذي يتصرّف كرجل مجنون على الدوام، فقفز من بينهم وركض نحوي، آخذاً بيديَّ قائلاً: كيف نجوت من المعركة، يا سقراط؟ (معركة دارت رحاها في بوتيدايا بعد وصولنا ليس بوقت بعيد، والتي وصلت أخبارها لتوّها إلى أثينا)] أجبته: في هذه اللحظة كما تراني الآن.

تشايرافون: وصل إلى أثينا تقرير يفيد بأنّ المعركة كانت عنيفة جدّاً، وقد سقط فيها العديد ممن نعرفهم.

سقراط: ذلك، ليس بعيداً من الحقيقة.

تشايرافون: أظنّ، أنّك كنت موجوداً.

سقراط: نعم، لقد كنت هناك.

تشايرافون: إجلس هنا إذن، وأخبرني كامل القصّة، التي سمعناها ناقصة فقط لحدّ الآن.

بعد أن قال ذلك، قادني إلى مكان بجوار كريشياس بن كالايسكروس، وعندما جلست وحييّته وبقية الجالسين، رويت لهم الأخبار عن الجيش، وأجبت على أسئلتهم العديدة.

بعدئذ، وبعد أن اكتفوا من هذا، أخذت بدوري أجهّز تساؤلات عن شؤون داخليّة - عن حالة الفلسفة في الوقت الحاضر، وعن الشباب. سألته ما إذا كان أحدٌ منهم رائعاً في الحكمة والجمال، أو في كليهما. ألقى كريشياس نظرة على الباب ورأى بعض الشباب يدخلون، يجادل بعضُهم بعضاً بصوت عال، ويتبعهم جمهور من الناس. عن الجمال، يا سقراط، قال تشايرافون، أتصوّر أنّك ستكون قريباً قادراً أن تشكّل حُكماً، لأنّ أولئك الداخلين لتوّهم الآن هم الحرس المتقدِّم ومحبو الجمال العظيم لهذا الزمن، كما يتصوّر أنه يكون، ويُتوقع ألا يكون هو نفسه بعيداً عن هذا.

سقراط: من هو، ومن يكون أبوه؟

تشايرافون: إسمه، كارمايديس، وهو ابن عمي كلوكون: إنّني أعتقد بالأحرى أنّك تعرفه أنت أيضاً، مع أنّه لم يكن قد كَبُر بعدُ وقت رحيلك.

سقراط: إنّني أعرفه بالتأكيد، فهو كان مدهشاً، حتّى عندما كان لا يزال طفلاً، وعليَّ أن أتصوّر أنّه يجب أن يكون رجلاً شابّاً تقريباً بهذا الوقت.

تشايرافون: سترى خلال لحظة لأيِّ سنٍ وصل وكيف هو.

ما كاد يتفوّه بكلمته حتى دخل كارمايديس.

سقراط: أنت تعرف الآن، يا صديقي، أنّني لست جيّداً في فنّ القياس، وأشبه في

حضور الجميل خطّاً قياسياً بدون علامات؛ لأنّ كل الأشخاص الشبّان تقريباً يبدون أنّهم جميلون في عيني. لكنّني أعترف أنّني كنت مندهشاً تماماً، في تلك اللحظة التي رأيته فيها، بجماله وقوامه، ويظهر أنّ كل الموجودين كانوا متيّمين به؛ وسيطرت الدهشة والارتباكِ عندما دخل؛ وتبعته فرقة من المحبّين تسير خلفه. لم يكن مستغرباً أن يتأثر الرجال البالغون كما تأثرنا بهذه الطريقة، لكّني راقبت الأولاد ورأيت أنهم، جميعاً نزولاً إلى أصغرهم تماماً، استداروا ونظروا إليه، كما لو كان تمثالاً.

استدعاني تشايرافون وقال: ماذا تعتقد بالإنسان الشابّ، يا سقراط؟ ألا يمتلك وجهاً جميلاً؟

سقراط: الأكثر جمالاً.

تشايرافون: لكنّك لن تفكّر بوجهه، إذا ما استطعت رؤية شكله عارياً. إنّه كامل بكلّ تأكيد.

ووافق جميعهم على هذا.

سقراط: بالآلهة، أيّ مثال للجمال والكمال يكون، إذا ما امتلك هو إضافة طفيفة واحدة أخرى فقط!

كريشياس: ما هي؟

سقراط: إذا كان لديه روح نبيلة؛ وكونه من بيتك، يا كريشياس، نتوقّع أن يمتلك ذلك.

كريشياس: إنّه جميل وخيّر في الداخل، كما هو في الخارج.

سقراط: إذن، قبل أن نرى جسده، ألا يجب أن نسأله أن يتعرّى ويرينا روحه؟ وأنّه بالتأكيد لفي العُمُر الذي سيحب فيه أن يتكلم.

كريشياس: سيفعل ذلك، وأستطيع أن أخبرك أنّه فيلسوف حقّاً بشكل مسبق، وهو شاعر معتبر أيضاً، ليس برأيه الخاصّ فقط، بل برأي الآخرين كذلك.

سقراط: إنّ ذلك امتياز، يا عزيزي كريشياس، كان في عائلتك لزمن مضى، وورثته عن صولون. لكن لماذا لا تستدعيه بنفسك وتقدّمه إليّ؟ لأنّه حتى إذا كان أفتى ممّا هو، فلن يكون هناك أيّة عدم لياقة في تكلّمه معنا أمامك، يا حارسه وابن عمه.

كريشياس: حسناً جدّاً، سأستدعيه إذن. واستدار إلى أحد الحاضرين قائلاً: إستدع كارمايديس، وأخبره أنّي أريده أن يأتي ويرى طبيباً من أجل المرض الذي حدّثني عنه أول من أمسِ، وأضافَ يخاطبني قائلاً: إنّه كان يشتكي مؤخراً من وجع رأسه عندما يستيقظ في الصباح؛ لِمَ لا تجعله يعتقد الآن أنّك تعرف علاجاً لوجع الرّأس؟

سقراط: لِمَ لا، إذا ما كان سيأتي فقط.

كريشياس: إنّه سيأتي بكلّ تأكيد.

سقراط: لذلك فهو أتى كما أُمِر. متعةٌ كبيرةٌ غمرت كلّ شخص حينما اندفع بكلّ ما يملك من قوّة كي يجلس بمحاذاة جاره، قريباً من كارمايديس، إلى أن وجب أن يقف الواحد في طرفي الصفّ الواحد وأن يتدحرج الآخر على جنبه نتيجة الجلَبَة، وأتى كارمايديس وجلس بين كريشياس وبيني، لكنّني، يا صديقي، أبتدأت أشعر بالحرَج؛ وتلاشى اعتقادي السابق الجسور في قوّتي من التحادث معه بشكل طبيعي. وعندما أخبره كريشياس أنّني الشخص الذي لديه العلاج، نظر إليّ بشكل لا يوصف، وتظاهر كما لو أنّه يسألني سؤالاً. وتجمهر حولنا كلّ الناس في معهد المصارعة، والتقطت منظراً في تلك اللحظة، يا صديقي الصالح، في داخل ردائه وأصبت بالاحتراق، لم أستطع بعدئذ أن أُحِدّ من مشاعري. إنّني فكرت كيف فهم سيدياس طبيعة الحب جيّداً، عندما أنذر في حديثه، عن الشاب الجميل، أنذر شخصاً ما (كي لا تحضر صغار الغزلان على مرأى من الأسد خشية أن يفترسها) فأنا شعرت

آنّني كنت مغلوباً بنوعٍ من شهيّة حيوان وحشيّ. لكن رغماً عن ذلك، عندما سألني إن كنت أعرف علاجاً لوجع الرأس، أجبته، بجهد، آنّني أعرف.

كارمايديس: وما هو؟

سقراط: إنّه نوع من ورقة شجر، يجب أن تصاحبها تعويذة، وإذا ما ردّد شخص ما التعويذة في الوقت عينه الذي يستعمل فيه العلاج، سيشفى من وجع رأسه، لكن بدون التعويذة هذه فورقة الشجر ستكون دونما جدوى.

كارمايديس: إنّني سأكتب التعويذة من كلامك الذي تمليه.

سقراط: برضاي؟ أو بدونه؟

كارمايديس: برضاك، يا سقراط، (ضاحكاً).

سقراط: جيّد جداً، هكذا فأنت تعرف إسمي، أليس كذلك؟

كارمايديس: عليّ أن أعرفك، فهناك مقدار كبير قيل عنك بين رفاقي؛ وأنا أتذكّر أنني رأيتك هنا برفقة كريشياس عندما كنت طفلاً.

سقراط: إنّني مسرور إذ أجد آنّك تتذكّرني، فأنا سأشعر آنّني الآن أكثر في بيتي وسأكون قادراً بشكل أفضل أن أشرح طبيعة التعويذة، التي كنت استصعب شرحها في السابق. لأنّ التعويذة ستفعل أكثر، يا كارمايديس، من معالجة وجع الرأس فقط. أجرؤ على القول إنّك سمعت الأطبّاء اللامعين يقولون للمريض الذي يأتي إليهم بعيون سيّئة، إنّهم لا يقدرون أن يعدّوا لشفاء عينيه بنفسها لكن إذا ما كان يود شفاء عينيه، فيجب أن يعالج رأسه، أيضاً؛ ويقولون مرة ثانية أنّ التفكير في شفاء الرأس فقط، ولبس بقية الجسم أيضاً، هو قمّة الغباء. ومحاورين بهذه الطريقة فهم يطبّقون حميّتهم على الجسم كله، ويحاولون أن يعالجوا ويشفوا الكلّ والجزء معاً. ألم تلاحظ أبداً أنّ هذا هو ما يقولونه؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: وهم محقّون، وهل ستوافق معهم؟

كارمايديس: نعم، يجب أن أوافق بالتأكيد.

سقراط: طمأنتني أجوبته الموافِقَة، وابتدأت أستعيد ثقتي بدرجات، وعادت إليّ حرارتي الطبيعيّة، قلت: هكذا، يا كارمايديس، تكون طبيعة التعويذة التي تعلّمتها أثناء خدمتي في الجيش من أحد أطبّاء الملك التراقي زامولكسيس، الذي قيل إنّه قادر حتى أن يهب الخلود. أخبرني هذا التراقي أنّ الأطباء اليونانيين محقون تماماً في أفكارهم تلك، وبقدر ما هم يعتقدون، تلك الأفكار التي قد ذكرتها لتوّي؛ لكن ملكنا زامولكسيس، أضاف هو، والذي يكون إلهاً أيضاً، يقول ما هو أبعد: « فكما أنّك يجب أن لا تحاول أن تشفي العينين بدون الرأس، أو الرأس بدون الجسد، لذلك فما عليك أن تحاول أن تشفي الجسد بدون الروح ». وهذا يقول هو « يكون السبب: لماذا لا يكون علاج الأمراض المتعددة معروفاً للأطباء الهيلينيين، لأنّهم يهملون الكلّ، الذي يجب أن يُدرس أيضاً؛ لأنّه لا يمكن للجزء أن يكون جيّداً ما لم يكن الكلّ جيّداً » إنّ كل الخيرات والشرور، سواء أكانت في الجسم أو في الإنسان ككلّ، تنشأ، كما يعلن هو، في الروح، وتفيض من هناك كما لو كانت من الجسم إلى العينين. ولذلك إذا وجب أن يسلم الرأس والجسم من الأمراض، فما عليك إلاّ أنّ تبدأ بشفاء الروح؛ إنّ ذلك هو الشيء الرئيسيّ والضروريّ. وشفاء الروح، يا عزيزي الشابّ، يجب أن يتأثر باستعمال تعاويذ محدّدة، وتلك التعاويذ هي كلمات جيّدة نوعاً؛ وبواسطتها يُغرس الاعتدال في الروح، وحيث يأتي الاعتدال ويبقى، فهناك تُمنح الصحّة بسرعة، ليس للرأس فقط، بل للجسم كله. وعندما علّمني العلاج والتعويذة أضاف: « لا تدع أيَّ شخص يقنعك بأن يشفي رأسه، حتى يسلّمك روحه كي تُعالج بالتعويذة بادىء ذي بدء. لأنّ هذا، قال، هو الخطأ الكبير ليومنا

هذا في علاج المخلوقات الإنسانيّة، ذلك أنّ الرجال يحاولون أن يكونوا أطباء للصحّة والاعتدال بشكل منفصل. وخطر هو عليّ بشكل صارم أن لا أدع أيّ شخص، مهما كان غنيّاً أو نبيلاً أو جميلاً، أن يقنعني كي أعطيه العلاج، بدون التعويذة ». وبعدُ، فلقد أقسمت وما عليّ إلاّ الاحتفاظ بقَسَمي، ولذلك إذا كنت ستسمح لي أن أستخدم التعويذة التراقيّة لروحك أوّلاً، كما وجّه الغريب، وسأتقدّم فيما بعد لأستخدم العلاج لرأسك وإلاّ فإنّني لا أعرف ما أفعل بك، يا عزيزي كارمايديس.

عندما سمع كريشياس هذا قال: سيكون وجع الرأس مباركاً لابن عمّي، خاصة إذا ألزمه هذا الألم لأن يحسّن عقله. مع ذلك لا أستطيع أن أخبرك، يا سقراط، أنّ كارمايديس ليس متفوّقاً على أقرانه بجماله فقط، بل أيضاً في تلك النوعيّة أيضاً التي تقول إنّ لديها التعويذة، الاعتدال، أليس كذلك؟

سقراط: نعم.

كريشياس: دعني أخبرك إذن أنّه الأكثر اعتدالاً من الرجال الشبّان في أيامنا هذه، وفي سِنّه ليس أقلّ أهميّة لأحدٍ منهم في أيّة نوعيّة.

سقراط: حقّاً، يا كارمايديس، أعتقد أنّ عليك أن تتفوّق على الآخرين في كل النوعيّات الجيدة؛ لأنّني إذا لم أكن مخطئاً، فلا أحد من الحاضرين يستطيع أن يعيّن بيتين اثنين بسهولة، سيتوقع من اتحادهما إنتاج نوعية أفضل وأنبل من الاثنين اللذين قد تحدَّرت منهما. هناك بيت أبيك المتحدّر من كريشياس بن دروبيداس، الذي كانت عائلته قد احتفلت بإحياء وتمجيد ذكرى الشاعر، صولون، وعدة شعراء آخرين شهيرين في الجمال والفضيلة وكل النجاحات السّامية الأخرى؛ وكذلك فبيت أمّك مميّز بشكل مماثل، لأنّ خالك، بيريلامبس، مشهور أبداً إذ لم يوجد أطول منه في القامة وأعلى منه

في الجمال في بلاد فارس وفي حضرة الملك العظيم، أو في أيّ مكان من القارّة الآسيوية وفي كل الأمكنة التي ذهب لها كسفير. إنّ العائلة كلها ليست أقلّ أهميّةٍ ولو بشكل طفيف من العائلات الأخرى. بما أنّ لديك أسلاف كهؤلاء فما عليك إلاّ أن تكون الأول في كل شيء. ويا إبن كلوكون اللطيف، إنّ شكلك الخارجي ليس بإهانة لأيٍّ منها. إذا أضفت الاعتدال إلى الجمال، وإذا كنت في النواحي الأخرى، ما أعلنه كريشياس أنك كذلك، حينئذ، يا عزيزي كارمايديس، فمباركٌ الإبن الذي حملته أمّك. وهنا تكمن النقطة الرئيسيّة. فما دمت، كما صرّح هو، تمتلك هذه الهبة للاعتدال مسبقاً، وأنّك معتدل بما في الكفاية، ففي تلك الحالة أنت لست بحاجة لأيّة تعويذات، سواء كانت لزامولكسيس أو لأباريس الهيبوريين، ويمكنني لذلك أن أدعك تحوز علاج الرأس في الحال. لكنك إذ لم تكن قد اكتسبت هذه النوعية حتى الآن، فينبغي عليّ أن أستخدم التعويذة قبل أن أعطيك الدواء. أخبرني لذلك، من فضلك، إذا ما كنت تعترف بحقيقة ما قد قاله كريشياس: هل لديك هذه النوعية الجديدة للاعتدال أم لا؟

إحمَرَّ وجه كارمايديس خجلاً، وزاد تورّدُ الوجه جمالَه. إنّ الاحتشام يليق بالشابّ؛ وحينئذ أعطى الجواب الرشيق الذي لم يستطع أن يجيب به حالاً بحقّ، ولا بنعم أوْ لاَ، على السؤال الذي قد سألته، لأنّه قال: إذا أكّدت أنّي لست بمعتدل، سيكوّن ذلك شيئاً غريباً لأنّ أقول ما هو ضدي، وعليّ أن أكذب لكريشياس حينها أيضاً ولآخرين عديدين (طبقاً له) يعتقدون أنّني معتدل. لكن، في الناحية الأخرى، إذا قلت إنّني كذلك، فسأثني على نفسي، وهذا سيكون سلوكاً سيئاً؛ ولذلك فأنا لا أعرف كيف أجيبك.

سقراط: تلك إجابة طبيعية، يا كارمايديس، وأعتقد أنّ عليّ وعليك أن نتحقّق معاً

ما إذا كنت تمتلك هذه النوعيّة التي أسأل عنها، أو أنك لا تمتلكها؛ وحينئذ لن تكون مُلزَماً أن تقول ما لا تحبّه، ولا أنا سيكون لدي طلب لمساعدة الدواء. لذلك، إذا تفضلّت، سأتقاسم التحقيق وإيّاك، لكنّني لن أُلحّ عليك إذا ما أردت ذلك.

كارمايديس: لا شيء أحبّ إليّ من ذلك، وفيما يختصّ بي يمكنك أن تتقدّم في الطريق الذي تعتقده أفضل.

سقراط: أعتقد، أنّ الأفضل أن نطرح السؤال بهذه الطريقة: إذا سكن الاعتدال فيك، عليك أن تحوز رأياً عنه؛ عليه أن يعطي تصريحاً عن طبيعته ونوعيّاته، وهذا يجعلك قادراً أن تشكّل فكرة عنه. أليس ذلك صحيحاً؟

كارمايديس: نعم، أعتقد أنّ ذلك صحيح.

سقراط: أنت تعرف لغتك الوطنيّة، ولذلك يمكن أن تكون قادراً أيضاً على التعبير عن رأيك.

كارمايديس: لربّما.

سقراط: حتّى تتمكّن إذن من تشكيل تخمين، سواء أكان فيك اعتدال ساكن فيك أو لاَ، أخبرني، ما هو الاعتدال، في رأيك؟

تردّد في البداية، ولم يكن على استعداد للإجابة. قال بعدئذ أنّه ظن أنّ الاعتدال كان عمل كلّ شيء بنظام وهدوء، كمثال: السيّر في الشوارع، والحديث، وحقّاً القيام بكلّ شيء بتلك الطريقة. بكلمة، عليّ أن أجيب أنّ الاعتدال هو نوع من الهدوء، في رأيي.

سقراط: هل أنت محقّ، يا كارمايديس؟ لا شكّ في أن البعض سيؤكّد أن الهدوء يكون معتدلاً؛ لكن دعنا نرى إن كان في هذا الرأي شيء حقيقي؛ وأخبرني أوّلاً إذا ما كنت ستعترف أنّ الاعتدال هو نوع من النبل والخير؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: لكن أيّهما أفضل عندما تكون في حضرة الكاتب، أن تكتب الأحرف بسرعة أو بهدوء؟

كارمايديس: بسرعة.

سقراط: ولتقرأ بسرعة أو ببطء؟

كارمايديس: بسرعة مرّة ثانية.

سقراط: وفي لعب القيثار، أو المصارعة، السرعة أو الحدّة هما أفضل بكثير من الهدوء والبطء؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: ويثبُتُ الشيء عينه في الملاكمة وفي المباراة الرياضيّة.

كارمايديس: بالتأكيد.

سقراط: وفي القفز والرّكض وفي التمارين الجسديّة بشكل عامّ، فإنّ الأعمال المؤدّاة بسرعة وبخفّة الحركة هي جيدة ونبيلة، والمؤدّاة ببطء وهدوء هي سيّئة وبشعة؟

كارمايديس: يبدو هكذا.

سقراط: إذن، في كل الأعمال الجسديّة، فإن خفة الحركة والسرعة الأعظم، هما الأنبل والأفضل وليس الهدوء؟

كارمايديس: نعم، بدون ريب.

سقراط: وهل الاعتدال جيّد؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: إذن، بخصوص الجسم، ليس الهدوء، بل السرعة ستكون الأكثر اعتدالاً، إذا كان الاعتدال جيّداً؟

كارمايديس: على ما يظهر.

سقراط: مرة ثانية، أيّهما الأفضل: السهولة في العلم، أو الصعوبة فيه؟

كارمايديس: السهولة.

سقراط: نعم، والسهولة في العلم هي التعلّم بسرعة، والصعوبة فيه هي التعلّم بهدوء وبطء؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: مرّة أخرى، أيُّهما أفضل، أن تستدعي إلى العقل وتتذكّر بسرعة وسهولة، أو بهدوء وبطء؟

كارمايديس: الأوّل.

سقراط: أوليست المهارة سرعة للروح، وهي ليست هدوءاً؟

كارمايديس: حقاً.

سقراط: أليس أفضل إذن أن نفهم ما قيل، سواء أكان في سيّد الكَتَبة أو سيّد الموسيقى أو في أيّ مكان آخر، وأن لا نكون هادئين قدر الإمكان، بل سريعين قدر استطاعتنا؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: وأبعد من ذلك، ففي البحث أو مباحثة الروح، لا يُعتقَدُ أنّ الأهدأ، كما أتخيّل، الذي يُشاور ويكتشف بصعوبة، جديرٌ بالثناء، بل الذي يفعل ذلك بسهولة وسرعة أكثر؟

كارمايديس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: حسناً إذن، فإنّ في كلّ الذي يخصّ الروح والجسم كليهما، تكون السرعة والنشاط، أفضل من البطء والهدوء بشكل واضح؟

كارمايديس: من المحتمل.

سقراط: ليس الاعتدال هدوءاً إذن، وليست الحياة المعتدلة هدوءاً ـ بالتأكيد ليس حسب هذا الرأي؛ لأنّ الحياة المعتدلة يُعترَفُ أنّها الحياة الخيّرة. ومن الشيئين الاثنين فإن واحداً يكون صحيحاً ـ إما أبداً، أو نادراً جدّاً تظهر الأعمال

الهادئة أنّها أفضل من السريعة وذات الحركة الخفيفة. وافترض على أحسن حال أنّه يوجد في الأعمال الأنبل العديد من الأعمال الهادئة مثلما يوجد منها كالسريعة والمتحمّسة؛ يبقى، حتى إذا منحنا نحن هذا، يبقى أنّ الاعتدال لن يكون مفعولاً بهدوء أكثر من القيام به بسرعة ونشاط، إمّا في السير أو الحديث أو في أيٍّ شيء آخر؛ ولن تكون الحياة الهادئة أكثر اعتدالاً من الصاخبة، مشاهدين أنّ الاعتدال قد صنّفناه بين الأشياء الخيّرة والنبيلة، ولقد أُظهِرَ أنّ السريع جيّد كالبطيء.

كارمايديس: أعتقد أنّك محقّ، يا سقراط.

سقراط: مرّة ثانية إذن، يا كارمايديس، ركّز اهتمامك بقرب أكثر وانظر في داخلك؛ وتأمّل مليّاً التأثير الذي يمتلكهُ الاعتدال على نفسك، وطبيعة ذلك يجب أن يكون لديها هذا التأثير. أمعن النظر في كل هذا واخبرني بصدق وشجاعة، ما هو الاعتدال؟

بعد لحظة تأمّل، بذل جهداً رُجوليّاً حقيقيّاً، قال: رأيي، يا سقراط، أنّ الاعتدال يجعل الإنسان حييّاً أو متواضعاً، وأنّ الاعتدال هو الشيء عينه كالتواضع.

سقراط: جيّد جداً، أوَلم تعترف لتوّك الآن، أنّ الاعتدال نبي؟

كارمايديس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: ولذلك فإن الرجال المعتدلين هم رجال أخيار؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: أويستطيع أن يكون خيّراً ذلك الذي لا يجعل الرجال أخياراً؟

كارمايديس: لا بالتأكيد.

سقراط: وستستنتج أنّ الاعتدال ليس نبيلاً فقط، بل جيّد أيضاً؟

كارمايديس: ذلك هو رأيي.

سقراط: حسناً، لكنّك ستتّفق مع هوميروس بدون ريب عندما يقول: « التواضع ليس جيّداً للإنسان المحتاج »؟

كارمايديس: نعم، إنّني أتفق معه.

سقراط: أفترض إذن أنّ الاعتدال يكون ولا يكون جيداً؟

كارمايديس: على ما يبدو.

سقراط: لكنّ الاعتدال، الذي وجوده يجعل الرّجال أخياراً فقط، وليس أشراراً، هو جيد على الدوام؟

كارمايديس: يظهر أنّ ذلك كما تقول.

سقراط: ونستنتج إذن أنّ الاعتدال لا يمكن أن يكون تواضعاً، إذا كان الاعتدال جيداً، وإذا كان التواضع سيّئاً بقدر ما هو جيد؟

كارمايديس: يظهر لي كلّ ذلك، يا سقراط، أنّه حقيقة؛ لكنّني أحبّ أن أعرف ماذا تفكر بشأن تعريف آخر للاعتدال، الذي تذكّرت لتوّي أنّني سمعته من شخص ما، « الاعتدال هو القيام بعملنا الخاص ». تأمّل مليّاً من فضلك إذا كان محقّاً من أكّد ذلك.

سقراط: يا لك من ولدٍ خبيث! هذا ما أخبرك إيّاه كريشياس، أو فيلسوف آخر.

كريشياس: شخص آخر ما إذن، لأنّني لم أفعل ذلك بالتأكيد.

كارمايديس: لكن ما الفرق، ممّن سمعت هذا؟

سقراط: لا فرق على الإطلاق، لأنّ النقطة الرئيسيّة ليست من قال الكلمات، بل ما إذا كانت حقيقيّة أوْ لا.

كارمايديس: إنّك محقّ هنا، يا سقراط.

سقراط: لتكن متأكّداً، عليّ أن أكون مندهشاً مع ذلك إذا كنّا قادرين أن نكتشف حقيقتها أو زيفها؛ لأنّها نوعٌ من الأحجيّة.

كارمايديس: ما الذي جعلك تعتقد ذلك؟

سقراط: لأنّ من تفوّه بها يبدو لي أنّه عنى شيئاً واحداً وقال آخر. هل يُعتبَر المدرِّس، كمثال، كأنّه لا يفعل شيئاً عندما يكتب أو يقرأ؟

كارمايديس: عليّ أن أفكّر على الأصحّ أنّه كانَ فاعلاً شيئاً.

سقراط: وهلِ المدرِّس يكتب أو يقرأ، أو يعلّمكم أيّها الأولادُ لتكتبوا وتقرأوا اسمه الخاص فقط، أو هل كتبتم أسماء أعدائِكم كما أسماؤكم الخاصّة وأسماء أصدقائِكم؟

كارمايديس: بقدر ما قمنا بأحدها كذلك قمنا بالآخر.

سقراط: وهل كان أيّ شيء متطفِّلاً أو مفرِطاً في هذا؟

كارمايديس: لا بالتأكيد.

سقراط: ومع ذلك فلقد فعلت ما ليس عملك الخاصّ، وعمل أيِّ شيء يكون مفعولاً بالفنّ أيّاً كان ـ تأتي كلّ تلك الأشياء تحت مقدمة الفعل بوضوح؟

كارمايديس: بدون ريب.

سقراط: وهل تعتقد أنّ دولة ستكون منظمة جيداً بقانونٍ يُجبر كلَّ شخص أن يحيك ويغسل معطفه الخاص، وأن يصنع حذاءَه الخاص وقارورته ومكشطة الجلد الخاصتين، وكذلك أدواته الأخرى على هذه القاعدة، وهي أن يعمل كلّ شخص وينجز ما لَهُ، ويمتنع عن إنجاز ما ليس له؟

كارمايديس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: لكنّ الدولة المعتدلة ستكون دولة منظمة جداً.

كارمايديس: طبعاً.

سقراط: لن يكون الاعتدال إذن، قيام الإنسان بعمله الخاصّ؛ ليس في هذه الطريقة على الأقل، أو فعل أشياء من هذا النوع؟

كارمايديس: يبدو هكذا.

سقراط: إذن، كما كنت قائلاً لتوّي، إنّ مَنْ أعلن أنّ الاعتدال هو قيام الإنسان

بعمله الخاص فإنّما كان يُضمِر معنىً ما؛ لأنّني لا أعتقد أنّه من الغباء بحيث يقصد هذا. أكان غبياً من أخبرك، يا كارمايديس؟

كارمايديس: لا، أعتقد أنّه إنسان عاقل جداً.

سقراط: إنّني متأكّدَ تماماً عندئذ أنّه وضع مسبقاً تعريفه هكذا كلُغز، ظانّاً أن لا أحد سيكتشف بسهولة معنى الكلمات: « قائم بعمله الخاص ».

كارمايديس: أجرؤ على القول.

سقراط: وما معنى رجلٍ قائم بعمله الخاص؟

كارمايديس: حقاً، لا أستطيع الإجابة؛ ولا ينبغي أن أتعجّب إذا كان الرجل نفسه الذي استعمل هذه العبارة لم يفهم ما عنى، ثم ضحك بخلسة ونظر إلى كريشياس.

[لقد كان كريشياس يظهر قلقاً، لأنّه شعر أنّه كان لديه سمعة كي يُسندها مع كارمايديس وبقية الرفاق. لقد نجح في كبح جماحه، مع ذلك؛ لكن الآن لم يستطع أن يصبر أكثر من ذلك، وإنّني المقتنع من الشك الذي ساورني آنذاك، ذلك أنّ كارمايديس سمع من كريشياس هذا الجواب عن الاعتدال. وكارمايديس، الذي لم يُرد أن يدافع عن نفسه، بل أن يجعل كريشياس يدافع عنه، وحاول استثارته، ولقد واصل كارمايديس الإشارة في أنّ كريشياس قد نُقِض، ولذلك فإنّ كريشياس كان غاضباً، وبدا ميّالاً لأن يتخاصم معه، كما اعتقدت؛ مثلما يمكن لشاعرٍ أن يتخاصم مع الممثل الذي أفسد قصائده عند ترتيلها]، وهكذا نظر بقسوة إليه وقال؟

هل تتصوّر، يا كارمايديس، بما أنك لم تفهم المعنى لهذا التعريف للاعتدال أنّ مؤلفه لم يفهم المعنى لكلماته الخاصة بشكل مماثل؟

سقراط: لماذا، يا كريشياس الأكثر روعة، ففي عمره ليس من المستغرب أن يفهم بصعوبة؛ لكنك أنت أكبر منه سنّاً، وحصّلتَ دراسة جيدة، يمكن الافتراض

أنك تعرف معناها جيّداً ولذلك، إذ وافقت وقبلت تعريفه للاعتدال، أُفضِّل أن نحاور معك بالأحرى وليس معه حول صحّة أو زيف هذا التعريف.

كريشياس: أوافق بالكامل، وأقبل التعريف.

سقراط: جيّد جداً، وبعدُ دعني أكرّر السؤال. هل تعترف، كما كنت قائلاً لتوّي الآن، أنّ كلّ الحرفيّين ينجزون أو يفعلون شيئاً ما؟

كريشياس: إنّني أوافق.

سقراط: وهل هم ينجزون أو يقومون بعملهم الخاص فقط، أو ذلك عمل الآخرين أيضاً؟

كريشياس: الذي للآخرين أيضاً.

سقراط: وهل هم معتدلون، مع الأخذ بعين الاعتبار أنهم لا ينجزون أو يقومون بعملهم الخاص بهم فقط؟

كريشياس: لِمَ لا؟

سقراط: لا اعتراض من جهتي، لكن يمكن أن توجد صعوبة من ناحية الذي يقترح ما قاله كتعريف للاعتدال، (قيام الإنسان بعمله الخاص)، ويقول عندئذ إنّه لا يوجد سبب لما لا يجب أن يكون أولئك الذين يعملون عمل الآخرين معتدلين.

كارمايديس: كلاّ؛ هل اعترفت أنا في أيّ وقت أنّ أولئك الذي يعملون عمل الآخرين هم معتدلون؟ قلت أولئك الذي ينجزون، وليس أولئك الذي يفعلون.

سقراط: ماذا! هل تعني أنّ العمل والإنجاز ليسا الشيء عينه؟

كريشياس: ليس أكثر، من أنّ الصناعة والعمل هما الشيء نفسه؛ إنّني تعلّمت هذا القدر من هيسيود، الذي يقول إنّ « العمل ليس عاراً ». وبعدُ هل تتصوّر أنّه إذا عنى هو بالعمل والإنجاز هكذا كما كنت أنت واصفاً، فما كان عليه

- إلاّ أنّ يقول إنّه لا يوجد عيب فيها ـ كمثال، في صناعة الأحذية، أو في بيع السمك المجفّف، أو الجلوس في بيت الشهرة السيئة للاستئجار...؟ إنّ ذلك، يا سقراط، ليس مفترَضاً: لكنّني أتصوّره أنه ميّز الإنجاز عن العمل والفعل، وبينما تعترف أنّ إنجاز أيّ شيء يمكن أن يصبح عاراً بعض المرّات، عندما كانت الوظيفة غير شريفة، من أنّه قد فكّر أنّ وليس كما يتكلم الرجال؛ لكن كلمّا دخل المتعبد المعبد فالكلمة الأولى التي يسمعها هي (كن معتدلاً). إنّه يعبّر عن هذا، على كلّ حال، كنبيٍّ من نوع من الأحجية لأنّ (اعرف نفسك!) و(كن معتدلاً) هما الشيء عينه، كما أؤكّد، وكما تدل الكلمات ضمناً، ويمكن مع ذلك فهمها أنّها متباينة. والمتصوّفون الناجحون الذين أضافوا (ليس بالكثير أبداً) أو، (أعطِ العهد، والشرّ قريب) سيظهر أنّهم قد ميّزوها هكذا؛ لأنّهم تصوروا أنّ (اعرف نفسك!) كانت قطعة نصيحة منحها الله وليست تحيته للمتعبّدين في دخولهم الأوّلي؛ وهم كرّسوا نقوشهم الخاصّة بهم تحت فكرة أنّهم يقدرون أيضاً أن يمنحوا نماذج نصح بشكل متساوٍ. هل سأخبرك، يا سقراط، لماذا أقول كلّ هذا؟ إنّ هدفي هو أن أترك البحث السابق (الذي لا أعرف إذا ما كنت أنت أو أنا فيه أكثر حقّاً، لكن، لم نصل من خلاله إلى نتيجة واضحة، على كلّ حال)، ولأرفع شعاراً جديداً سأحاول أن أبرهن فيه، إذا أنكرته أنت، وهو أنّ الاعتدال هو معرفة النفس.

سقراط: نعم، يا كريشياس، إنّك تأتي إليّ كأنني أُصرّح أنّني أعرف عن الأسئلة التي أسأل، وكأنّني أستطيع، إذا عزمت فقط، أن أتّفق معك. في حين أنّ الحقيقة هي أنّني أتساءل وإياك عن الحقيقة التي تتقدّم من وقت إلى وقت، تماماً لأنني لا أعرف؛ وعندما أتحقّق من ذلك، فسأقول إن كنت اتفق معك أم لاَ. من فضلك إذن أعطني فرصةً كي أتأمّل ملياً.

كريشياس: تأمّل مليّاً.

سقراط: إنّني لمتأمّل، وأكتشف أنّ الاعتدال أو الحكمة، إذا كان نوعاً من المعرفة، يجب أن يكون عِلماً، وعلماً لشيء ما.

كريشياس: نعم، العلم عن نفس الإنسان.

سقراط: أليس الطبّ علم الصحّة؟

كريشياس: حقاً.

سقراط: وافترض أنّك سألتني ما هو نفع أو تأثير الطبّ، الذي هو علم الصحّة، عليَّ أن أجيب أنّ الطب ذو نفع عظيم جدّاً في تسبّب الصحة، الذي يكون تأثيراً ممتازاً، كما ستعترف.

كريشياس: مُنِحَت.

سقراط: وإذا ما سألتني ما هي نتيجة أو تأثير الفن المعماري، الذي هو علم البناء، فما عليَّ سوى الإجابة أنه بناء البيوت، وهكذا عن الفنون الأخرى، التي لديها كلها نتائج متباينة. وبعدُ، أريدك، يا كريشياس، أن تجيب على سؤال مماثل بشأن الاعتدال أو الحكمة، التي هي، طبقاً لك، العلم عن نفس الإنسان. وبما أنّك اعترفت بهذه النظرية أطلب منك أن تقول، أيّ عمل خيِّر جدير باسم العاقل، ينجزه الاعتدال أو الحكمة، الذي هو العلم عن نفس الإنسان؟ أجبني.

كريشياس: إنّ ذلك ليس الطريق الصحيح لمتابعة الحوار، يا سقراط، لأنّ الحكمة ليست كالعلوم الأخرى، أكثر من كونها تشبه بعضها بعضاً؛ غير أنّك تتقدّم في طرحها وكأنّها متشابهة، لذلك أخبرني، أيّة نتيجة تكون هناك للعقل الحسابي أو الهندسة، في المعنى عينه كما هو البيت نتيجة لفنّ البناء، أو الثوب لفنّ الحياكة، أو أيّ عمل آخر للفنون المتعددة الأخرى؟ أتقدر أن تريني أيّة نتيجة كهذه لها؟ إنّك لا تقدر.

سقراط: إنّ ذلك صحيح، لكن يبقى أنّني أستطيع أن أريك أن كلاً من هذه العلوم لديه موضوع مختلف عن العلم. علم فنّ العقل الحسابي، كمثال، أن يفعل بالأعداد المفردة والمزدوجة في نسبتها العددية لأنفسها ولبعضها بعضاً أليس ذلك صحيحاً؟

كريشياس: نعم.

سقراط: أليست الأعداد المفردة والمزدوجة الشيء عينه مع فنّ الحساب الآليّ؟

كريشياس: إنّها ليست كذلك.

سقراط: يمتلك فنّ الوزن، مرّة ثانية، عملاً بالخفيف والثقيل؛ لكنّ الوزن يكون شيئاً واحداً، والثقيل والخفيف غيراً منه هل تعترف بذلك؟

كريشياس: نعم.

سقراط: أريد أن أعرف الآن، ما هو ذلك الذي لا يكون حكمة، ولأيّة حكمة يكون العلم؟

كريشياس: إنّك واقع في الخطأ القديم تماماً، يا سقراط، وتأتي سائلاً في أيّ مكان تختلف الحكمة أو الاعتدال عن العلوم الأخرى وتحاول أن تكتشف بعدئذ الخصوصيّة التي تكون شبيهة بها؛ لكنّها لا تكون، لأنّ كلّ العلوم الأخرى تكون شيئاً آخر ما، وليس أنفسها؛ الحكمة وحدها هي علم العلوم الأخرى وعلم نفسها، ولهذا، كما أعتقد، فأنت مدرك جيداً فعلاً، وأنّك قائل فقط ما أنكرت أنّك فاعله الآن تماماً، محاولاً أن تنقضني، بدلاً من متابعة المحاورة.

سقراط: وماذا إذا كنت؟ كيف يمكنك أن تفكر أنّ لديّ أيّ حافز آخر في نقضك سوى ما يجب أن أمتلك من امتحان داخل نفسي؟ إنّ أيّ باعث سيكون مجرّد خوف للتوهّم بدون إدراك أنّني عرفت شيئاً ما كنت جاهله. وأؤكد كذلك في هذه اللحظة، أنّني أتعقّب المحاورة إكراماً لشخصي بشكل

رئيسي، ولربّما في درجة بها أيضاً لأجل أصدقائي الآخرين. أولن تقول أنت إنّ اكتشاف الأشياء كما هي بحقّ هو خير مشترك لكلّ الجنس البشري؟

كريشياس: نعم، بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: مبتهجاً إذن، يا سيّدي الحلو، وأعطِ رأيك في إجابة على السؤال الذي سألته، بدون اهتمام سواء أكان كريشياس أو سقراط هو الشخص المنقوض؛ لازم المحاورة، وأنظر ما سيأتي من النقض.

كريشياس: أعتقد أن ذلك معقول، وسأفعل ما تقول.

سقراط: أخبرني إذن، ماذا تعني بتأكيدك فيما تقوله عن الحكمة؟

كريشياس: أعني أنّ الحكمة هي العلم الوحيد الذي يكون علم نفسه كما يكون علم العلوم الأخرى.

سقراط: لكن علم العلم، سيكون أيضاً العلم لغياب العلم.

كريشياس: حقيقي تماماً.

سقراط: سيعرف الإنسان الحكيم أو المعتدل نفسه، وسيكون قادراً أن يختبر ما يعرف وما لا يعرف، وأن يرى ما يعرفه الآخرون ويعتقدون أنّهم يعرفون ويعرفون بحقّ؛ وما لا يعرفون، ويتوهّمون أنّهم يعرفون عندما لا يعرفون. لا شخص آخر سيكون قادراً على فعل هذا. وهذه هي الحكمة والاعتدال ومعرفة النفس ـ لأن يعرف الإنسان ما يعرف، وما لا يعرف. ذلك هو معناك؟

كريشياس: نعم.

سقراط: دعنا نبدأ مرة ثانية الآن إذن، بما أنّ المرّة الثالثة تجلب الحظ(٣٧)، ونسأل في المقام الأوّل، سواء يكون أو لا يكون محتمّلاً لشخص أن يعرف أنّه يعرف ما يعرفه، وأن لا يعرف ما لا يعرفه؛ وفي المقام الثاني، إذا ما كانت هكذا معرفة، ممكنة لأيّ نفع بشكل تامّ.

كريشياس: ذلك ما ينبغي علينا أن نتأمّله مليّاً.

سقراط: حسناً إذن، يا كريشياس، لنرى إذا كنتَ في موقع أفضل من موقعي، إنّني لفي حَرَج. هل سأخبرك طبيعته؟

كريشياس: بكلّ تأكيد.

سقراط: ألا يُساوي الذي قد قلته هذا: أنّه يجب أن يوجد علم مفرد واحد هو الذي يكون علماً كاملاً بنفسه وعلماً لكل العلوم الأخرى، وأنّ الشيء عينه هو أيضاً العلم لغياب العلم؟

كريشياس: نعم.

سقراط: لكن تأمّل كم هو شاذ هذا الافتراض، يا صديقي. ستكون هذه الاستحالة واضحة لك، في أيّة حالة متوازية.

كريشياس: كيف يكون ذلك؟ وفي أيّ الحالات تعني؟

سقراط: في حالات كهذه: أفترض أن هناك نوعاً من الرّؤيا التي ليست كالرؤية العادية، بل رؤيا لنفسها ولأنواع أخرى للرّؤيا، ولشوائبها، والتي لا ترى لوناً في المشاهدة، بل نفسها فقط، وأنواعاً فقط، وأنواعاً أخرى للرّؤيا. هل تعتقد أنّه يوجد هكذا نوع للرؤيا؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: أو أنّه يوجد نوع للسمع هو الذي لا يسمع صوتاً على الإطلاق، بل نفسه فقط وأنواعاً أخرى للسمع، أو لشوائبه؟

كريشياس: لا يوجد.

سقراط: أو خذ كل المعاني معاً. هل تتصوّر أنّ هناك معنىً يكون معنىً لنفسه وللمعاني الأخرى، لكنّه غير قادر على تصور أهداف المعاني؟

كريشياس: إنّني لا أعتقد.

سقراط: أيمكن أن توجد أيّة رغبة لا تكون لأيّ سرور، بل لنفسها ولكلّ الرغبات الأخرى؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: أوَ تستطيع أن تتصور رغبة لا ترغب في الخير، بل بنفسها فقط وبكلّ الرّغبات الأخرى.

كريشياس: عليّ أن أجيب، لا.

سقراط: وهل ستقول إن هناك حُبًا لا يكون حبّ الجمال، بل حبّ نفسه وللحبّ الآخر؟

كريشياس: عليّ ألا أقول ذلك.

سقراط: أو هل عرفت أبداً خوفاً يخاف نفسه أو التخوّفات الأخرى، لكن لا يخاف أحداً من أهداف الخوف؟

كريشياس: لم أعرف مطلقاً.

سقراط: أو أيّ رأي يكون رأياً لنفسه وللآراء الأخرى، ولا يمتلك رأياً عن مواضيع الرأي بشكل عام؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: لكنه يبدو، أنّنا نفترض علماً من هذا النوع، الذي، بما أنّه ليس لديه مسألة بشأن الموضوع، هو علمٌ لنفسه وللعلوم الأخرى؟

كريشياس: نعم، إنّ ذلك ما هو مؤكّد.

سقراط: إنّ تلك لغرابة إذا وُجد حقاً. ينبغي علينا أن لا ننكر على كل حال احتمال وجود علم كهذا لحد الآن، بل أن نواصل البحث عن وجوده.

كريشياس: إنّك محقّ تماماً.

سقراط: حسناً إذن، إنّ هذا العلم الذي نتكلّم عنه هو علم لشيء ما، وهو ذو طبيعة ليكون علماً لشيء ما؟

كريشياس: نعم.

سقراط: تماماً كذلك الذي هو أعظم يكون ذا طبيعة ليكون أعظم من شيء ما آخر؟

كريشياس: نعم.

سقراط: ويكون هذا الشيء الـ « ما » الآخر أقلّ، إذا كان الآخر متصوَّراً أنّه أكبر؟

كريشياس: لتكن متأكداً.

سقراط: وإذا استطعنا أن نجد شيئاً ما يكون أكبر من نفسه في الحال وأكبر من الأشياء الأخرى الكبيرة، لكن ليس أكبر من تلك الأشياء في مقارنة بالذي يكون الآخرون أكبر، سيمتلك ذلك الشيء آنئذ الخاصيّة لكونه أكبر وأقلّ من نفسه أيضاً؟

كريشياس: إنّ ذلك، يا سقراط، هو الاستنتاج المحتوم.

سقراط: أو إذا وُجد مضاعفاً ذلك الذي هو ضعف نفسه وضعف المضاعفات الأخرى، سيكون هو نفسه وهي ستكون أنصافاً لأنّ الضعف يكون متناسباً للنّصف؟

كريشياس: إنّ ذلك حقيقي.

سقراط: وذلك الذي يكون أكثر من نفسه سيكون أقلّ أيضاً، وذلك الذي يكون أثقل سيكون أخفّ أيضاً، وذلك الذي يكون أكبر سنّاً سيكون أفتى أيضاً. والشيء عينه للأشياء الأخرى؛ ذلك الذي له طبيعة متناسبة لنفسه سيستبقي الطبيعة لهدفه أيضاً. أعني لأقول، كمثال، إنّ السمع هو، كما تقول، ذو ضجّة أو صوت. أهل هذا حقيقيّ؟

كريشياس: نعم.

سقراط: إذا كان السمع يسمع نفسه أيضاً، يجب أن يسمع صوتاً؛ إذ لا توجد طريقة أخرى للسمع،

كريشياس: بالتأكيد.

سقراط: والبصر كذلك، يا صديقي الممتاز، إذا رأى نفسه، ينبغي أن يكون لديه لون، لأنّ البصر لا يمكنه أن يرى ذلك الذي لا لون له.

كريشياس: لا.

سقراط: هل تلاحظ، يا كريشياس، أنّ في الأمثلة المتعددة التي تم سردها، أنّ النظرية النسبيّة للنفس هي غير مقبولة جملة وتفصيلاً، وفي الحالات الأخرى جديرة بالثقة بالكاد ـ إنّها غير مقبولة، كمثال، في حالة الأجرام، الأعداد، وما شابه؟

كريشياس: حقيقي جداً.

سقراط: لكنْ في حالة السّمع والبصر، وفي قوّة الحركة الذاتيّة، وقوّة الحرارة الحارقة، وهكذا دواليك، فإنّ هذه النسبة للنفس، لن يصدّقها البعض، لكن ربّما صدّقها البعض الآخر. ويُحتاج لإنسان عظيم ما، يا صديقي، هو الذي سيقرّر لنا بإقناع إذا وُجد لا شيءٌ يمتلك خاصّيّة متأصّلة من النسبة للنفس، أو بالأحرى لشيء ما مغاير، أو لبعض الأشياء فقط وليس للأخرى؛ أو إذا كان العلم الذي يسمى حكمة أو اعتدالاً مُشتَمَلاً، في هذا النوع للأشياء ذات النفس النسبية، إذا وُجد هكذا نوع. إنّني لا أثق بقوّتي الخاصّة بالإجمال كي أقرّر هذه المسائل: ولست متأكّداً إذا أمكن لعلم كهذا أن يوجد بالاحتمال؛ وحتّى إذا وُجد بدون شكّ، فما عليّ الاعتراف به على أنّه حكمة أو اعتدال، حتى أقدر أن أرى إذا كان علم كهذا سيفعل لنا أيّ خير أوْ لا؛ لأنّ لديّ انطباعاً أنّ الاعتدال نافع وخيّر. ولذلك، يا ابن كالايشروس، بما أنّك تؤكّد أنّ الاعتدال أو الحكمة هي علم العلم، وأيضاً غياب العلم، فإنّني سأرجوك لتري الاحتمال في المقام الأوّل، كما قلت سابقاً، والمنفعة لعلم كهذا، في المقام الثاني؛ وحينئذ لربّما يمكنك أن تقنعني أنّك محقّ في نظريّتك عنَ الاعتدال.

سمعني كريشياس أقول هذا، ورأى أنّني كنت في حَرَج؛ وكما يلتقط الشخص عدوى التثاؤب عندما يتثاءب الآخر في حضوره، يظهر هو أنّه قد

سيق إلى صعوبة بصعوبتي. لكن بما أنّ لديه سمعة ليحافظ عليها، فلقد كان خجولاً ليعترف أمام الجماعة أنّه لا يستطيع الردّ على التحدّي أو أن يقرّر أمامهم السؤال قيد البحث؛ وخلق محاولة لا يمكن فهمها كي يخفي ارتباكه. ولكي تتمكّن المحاورة من التقدم، قلت له، حسناً إذن، يا كريشياس، دعنا نفترض، إذا أحببت، أنّ علم العلم هذا يكون ممكناً؛ وإذا ما كان هذا الافتراض صحيحاً أو خطأً يمكن بحثه فيما بعدُ. معترفين بإمكانيته التامّة، هل ستخبرني كيف يمكّننا علم كهذا أن نميّز ما نعرف وما لا نعرف، والذي يكون هو، كما كنا قائلين، معرفة النفس أو الحكمة؟ أليس هذا هو؟

كريشياس: نعم، يا سقراط، وأعتقد أنّ الباقي يتبع، لأنّ ذلك الذي يمتلك هذا العلم أو المعرفة التي تعرف نفسها سيصبح مثل المعرفة التي يمتلك، مشابهاً في الطريقة عينها للذي يمتلك سرعة سيكون سريعاً، والذي يمتلك جمالاً سيكون جميلاً، والذي يمتلك معرفة سيعرف. في الطريقة عينها فالذي لديه تلك المعرفة التي هي معرفة النفس، سيعرف نفسه.

سقراط: إنّني لا أشك، أنّ الإنسان سيعرف نفسه عندما يمتلك ذلك الذي يكون معرفة النفس. لكن ما الضرورة التي تكون هناك ولديه هذه، عليه أن يعرف ما يعرف وما لا يعرف؟

كريشياس: لأنّها، يا سقراط، هي الشيء عينه.

سقراط: محتمل جداً، لكنّني أخشى أن أبقى كما كنت على الدوام، لأنّني ما زلت أخفق في فهم كيف تكون معرفة ما تعرف وما لا تعرف الشيء عينه كمعرفة النفس.

كريشياس: ماذا تعني؟

سقراط: هذا ما أعني، إنّني سأعترف أنّ هناك علم العلم. أيستطيع هذا أن يفعل أكثر من تقرير أنّ واحداً من هذين الشيئين يكون والآخر لا يكون علماً أو معرفة؟

كريشياس: لا، أبداً.

سقراط: أيكون هو الشيء عينه كمعرفة أو الافتقار لمعرفة الصحّة حينئذ، أو الشيء عينه كمعرفة أو الافتقار لمعرفة العدل؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّ واحداً منها هو علم الطبّ، والآخر علم السياسات؛ حيث إنّ ذلك الذي نتكلّم عنه يكون معرفة نقيّة وبسيطة.

كريشياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وإذا امتلك الإنسان معرفة المعرفة فقط، بدون أيّة معرفة أبعد للصحة والعدل، فإنّ الاحتمال هو أنّه سيعرف أنّه يعرف شيئاً ما، ويمتلك معرفة محدّدة، في حالته الخاصة وفي تلك التي للآخرين كليهما.

كريشياس: حقاً.

سقراط: كيف ستعلمه هذه المعرفة أو العلم إذن أن يعرف ما يعرف؟ فهو يعرف الصحّة ليس من خلال أو بواسطة الحكمة أو الاعتدال بل من خلال فنّ الطبّ؛ وقد تعلّم هو التناسق الموسيقي من فنّ الموسيقى والبناء من فنّ البناء، ولم يتعلمهما من كلتا الحالتين من الحكمة او الاعتدال. وينطبق الشيء عينه على الأشياء الأخرى.

كريشياس: يبدو هكذا.

سقراط: كيف ستعلمه الحكمة، مُعتبَرةً كمعرفة المعرفة أو علم العلم فقط، كيف ستعلّمه دوماً أن يعرف الصحة، أو أن يعرف فنّ البناء؟

كريشياس: إنّه مستحيل.

سقراط: إذن فإنّ من يكون جاهلاً تلك الأشياء سيعرف أنّه يعرف فقط، لكن ليس الذي يعرف؟

كريشياس: حقاً.

سقراط: تبدو الحكمة عندئذ أو كونك حكيماً أنّها ليست معرفة الأشياء التي نعرف أو لا نعرف، بل المعرفة أنّنا نعرف أو لا نعرف فقط؟

كريشياس: ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: لن يكون قادراً آنئذ من يمتلك هذه المعرفة أن يُقرّ سواء أعرف المدّعي أو لم يعرف ذلك الذي يقول إنّه يعرف. هو يعرف فقط أنّه يمتلك معرفة من نوع ما؛ لكنّ الحكمة لن تريه ما هي المعرفة؟

كريشياس: يبدو ذلك.

سقراط: ولن يقدر المدّعي أن يميّز فنّ الطبّ من الطبيب الحقيقيّ، ولا أن يميّز بين أي أستاذ جامعيّ حقيقيّ أو زائف آخر يدّعي المعرفة. دعنا نتأمّل مليّاً المسألة في هذه الطريقة: إذا أراد أيّ إنسان عاقل أو أيّ رجل آخر أن يميّز الطبيب الحقيقي من الزائف، فكيف سيتقدّم؟ إنّه لن يتكلّم إليه عن علم الطبّ، لأنّنا كما كنا قائلين، الطبيب لا يفهم شيئاً سوى الصحّة والمرض.

كريشياس: صدقاً.

سقراط: لكن الطبيب لا يعرف شيئاً عن العلم، لأنّ هذا قد افتُرِضَ أنّه مجال الحكمة فقط.

كريشياس: حقاً.

سقراط: وأبعد من ذلك، بما أنّ علم الطبّ يكون علماً، علينا أن نستنتج أنّه لا يعرف أيّ شيء عن علم الطبّ.

كريشياس: بالضبط.

سقراط: يمكن أن يعرف الإنسان العاقل حقّاً أنّ الطبيب يمتلك نوعاً من العلم أو المعرفة؛ لكنّه عندما يريد أن يكتشف طبيعة هذا فإنّه سيسأل، ما هي قضيّة الموضوع؟ لأنّ العلوم المتعدّدة تميّز أنّها علوم ليس بالحقيقة المجرّدة، بل بطبيعة مواضيعها، أليس ذلك صحيحاً؟

كريشياس: صحيح تماماً.

سقراط: ويكون فنّ الطب متميّزاً عن العلوم الأخرى، لأنّه يمتلك موضوع الصحة والمرض؟

كريشياس: نعم.

سقراط: والذي سيبحث في طبيعة فن الطب يجب أن يختبرها في الصحة والمرض، اللذين هما مجال فنّ الطب، وليس في ما هو دخيل وفي غير حقله.

كريشياس: حقاً.

سقراط: وهو الذي يرغب أن يجري اختباراً عادلاً للطبيب كطبيب، سيختبره في الذي يتعلق بهذه الأشياء؟

كريشياس: إنّه سيفعل ذلك.

سقراط: إنّه سيتأمّل ملياً إذا ما كان الذي يقوله حقيقياً، وإذا ما كان الذي يفعله صواباً، فيما يتعلق بالصحّة والمرض.

كريشياس: إنّه سيفعل.

سقراط: لكن أيستطيع أيّ شخص أن يلاحق البحث فيهما كليهما ما لم يكن لديه معرفة فنّ الطب؟

كريشياس: إنّه لا يقدر.

سقراط: سيبدو أنْ لا أحد على الإطلاق يستطيع أن يمتلك هذه المعرفة ما عدا الطبيب؛ ولذلك ليس الإنسان العاقل هو الذي ينبغي أن يكون طبيباً كما يكون إنساناً عاقلاً.

كريشياس: حقيقي تماماً.

سقراط: إذا كانت الحكمة أو الاعتدال إذن، بالتأكيد، ليست أكثر من علم العلم وغياب العلم أو المعرفة، فلن يقدر أن يميّز الطبيب الذي يعرف ما يخصّ

صنعته من الطبيب الذي لا يعرف بل يتظاهر أو يظنّ أنّه يعرف، أو من أيّ مدَّعٍ لأيّ شيء على الإطلاق. الإنسان العاقل أو المعتدل، مثل أيّ فنّان آخر، سيعرف الإنسان من مهنته الخاصّة، ولا أحد آخر.

كريشياس: إنّ ذلك الجلي.

سقراط: لكن أيّ ربح، يا كريشياس، يكون هناك بعد الآن في الحكمة أو الاعتدال الباقي مع ذلك، إذا كانت هذه حكمة؟ إذا كان الإنسان العاقل، كما كنّا مُفترضيْن بادىء ذي بدء، إذا كان قادراً أن يميّز ما عرفه وما لم يعرفه، وأنّه عرف الواحد ولم يعرف الآخر، وأن يدرك قدرة عقليّة مماثلة للبصيرة في الآخرين، فسيكون هناك منفعة كبرى في كونك حكيماً بكل تأكيد؛ لأنّنا ينبغي أن لا نرتكب الخطأ آنئذ، وسنمرّ خلال الحياة مرشدين أنفسنا التي لا تخطىء وكذلك مرشدين أولئك الذين هم أدنى منّا. علينا أن لا نحاول فعل ما لا نعرف، بل علينا إيجاد أولئك الذي يعرفون، وأن نسلّم العمل لهم ونثق بهم. ولا يجب أن نسمح لأولئك الذين هم أدنى منّا أن يفعلوا أيّ شيء يُرجّح أنه لن يفعلوه جيّداً، وسيفعله جيّداً تماماً على الأصح أولئك الذين كانوا يمتلكون المعرفة. والبيت أو الدولة المنظّمة والمُدارة بهداية الحكمة، وكلّ شيء آخر العقل فيه هو السيّد، ستكون كلها منظّمة جيداً بكلّ تأكيد. فبهداية الحقيقة وإزالة الخطأ يجب أن يفعل الرجال بنبل وجودة في كل أعمالهم، وفعل الخير يعني السعادة. أليس هذا ما قلناه يا كريشياس، إنّه المنفعة الكبرى للحكمة ـ لتعرف ما يكون معروفاً وما لا يكون معروفاً لنا؟

كريشياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وتتصوّر أنت الآن، أنّ علماً كهذا ليس موجوداً في أيّ مكان.

كريشياس: إنّني أتصوّر.

سقراط: أيمكننا أن نفترض الحكمة إذن، إذا سلّطنا عليها هذا النور الجديد كمعرفة

المعرفة والجهل، أنّها تمتلك هذه الأفضليّة. إن من يحوز معرفة كهذه سيتعلّم بسهولة أكثر أيّ شيء يتعلمه، وأنّ كل شيء سيكون أصفى له. فبالإضافة إلى الأغراض المتعدّدة للمعرفة، فهو يرى العلم، وهذا سيجعله أفضل قدرة على اختبار المعرفة التي يحوزها غيره والتي يعرفها بنفسه؛ في حين أنّ المحقّق الذي يكون بدون هذه المعرفة يُفترَض به أن يمتلك بصيرة أضعف وأقلّ تأثيراً؟ أليست تلك، يا صديقي، هي المنافع الحقيقية التي سنربحها من الحكمة؟ أوَلسنا باحثين وناشدين في إثر شيء ما أكثر من الذي يوجد فيها؟

كريشياس: يمكن أن تكون..

سقراط: لربّما تكون، ولربّما قد كنا محقّقين بدون هدف مرّة ثانية؛ كما أنا منقادٌ لأستنتج، لأنّني ألاحظ أنّه إذا كانت هذه حكمة، فستلي ذلك عواقب غريبة ما. وإذا أحببت، تعال نفترض الاحتمال لعلم العلم هذا، وأن لا نرفض السّماح بذلك، كما اقترحنا في الأصل أنّ الحكمة هي معرفة ما نعرف وما لا نعرف. دعنا نتأمّل بقرب أكثر بعد افتراضنا كلّ هذا، يا كريشياس، إذا ما كانت حكمة كهذه ستجلب لنا خيراً كثيراً، لأنّني أعتقد أنّنا كنّا مخطئين في الافتراض، كما كنّا قائلين لتوّنا الآن، إنّ حكمة كهذه تنظّم بيت الحكومة أو الدولة ستكون ذات نفع كبير.

كريشياس: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا، لقد كنّا مستعدين لأبعد حدّ أن نعترف بالمنافع الكثيرة التي سيحصل عليها الجنس البشري من قيام كلّ منهم على انفراد بعمل الأشياء التي يعرفها، تاركاً الأشياء التي يجهلها لمن يجيد القيام بها أفضل.

كريشياس: ألسنا محقّين في إعلان هذا التصريح؟

سقراط: لا أعتقد ذلك.

كريشياس: ما أغرب ذلك تماماً، يا سقراط!

سقراط: هناك، إنّني أتّفق معك على نحو أكثر تأكيداً؛ وكنت أعتقد شيئاً كهذا لتوّي الآن عندما قلت إنّ هذه النتائج الغريبة ستلي، وإنّني كنت خائفاً من أنّنا لم نكن على الطريق السويّ؛ إذ مهما يمكننا أن نكون متأكّدين أنّ هذه هي الحكمة، فإنّني لا أستطيع أن أستخلص أيّ خير يفعله لنا نوع هذا الشيء بالتأكيد.

كريشياس: ماذا تعني؟ أتمنّى لو استطعت أن تجعلني أفهم ما تعنيه.

سقراط: أجرؤ على القول إنّ ما أقوله ما هو إلاّ سفاسف، ومع ذلك إذا ما خالج الإنسان أيّ شعور في الذي يكون مستحِقّاً نحو نفسه، فهو لا يستطيع أن يترك الفكرة التي تراوده تمر بدون اهتمام ودون فحص.

كريشياس: إنّني أحبّ ذلك.

سقراط: إسمع، إذن حلمي الخاص بي، سواء أكان آتياً من خلال البوق أو البوّابة العاجيّة، فإنّني لا أستطيع إخبار ذلك. هذا هو الحلم: دعنا نفترض أنّ الحكمة هي كما كنا قد عرّفناها الآن، وأنّها هيمنة مطلقة علينا. سيكون كلُّ عمل منجزاً حينئذ طبقاً لفنون العلوم، ولا أحد يدّعي أن يكون مرشداً عندما لا يكون، ولا يتظاهر أيّ طبيب أو قائد عسكري أو أيّ شخص آخر أن يعرف القضايا التي يجهلها، في أنّهُ سيخدعنا أو يتملّص منّا؛ وأن صحّتنا ستتحسّن، وأنّ أماننا في البحر، وأيضاً في المعركة سيكون مؤكّداً؛ ومعاطفنا وأحذيتنا وكل أدواتنا وآلاتنا الأخرى ستُصنع ببراعة، لأنّ العمال سيكونون صالحين وحقيقيين. نعم، وإذا سرّك ذلك، يمكنك أن تفترض أن النبوءة ستكون معرفة حقيقية بالمستقبل، وستكون تحت سيطرة الحكمة، التي ستمنع المخادعين وتنصّب الأنبياء الحقيقيين مكانهم ككاشفي المستقبل. وبعدُ فإنّني أوافق تماماً أنّ الجنس البشري، مزوّداً هكذا، سيحيا ويعمل طبقاً للمعرفة، لأنّ الحكمة ستحرس وتمنع الجهل من إقحام نفسه في عملنا. لكنّنا إذا ما

عملنا طبقاً للمعرفة سنفعل حسناً ونكون سعداء، يا عزيزي كريشياس. إنّها نقطة رئيسية لم نكن قادرين أن نحدّدها حتى الآن.

كريشياس: مع ذلك، فأنا أعتقد أنك، إذا تخلّيت أنت عن المعرفة، ستجد تاج السعادة في أيّ شيء آخر، أعتقد أنّك ستجدها بالكاد.

سقراط: حسناً، أجبني على سؤال صغير واحد فقط، هو: ما هي هذه المعرفة؟ هل تعني أنّها معرفة صناعة الأحذية؟

كريشياس: لا قدّر الله.

سقراط: أو العمل في النحاس الأصفر؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: أو في الصوف، أو الخشب، أو في أيّ شيء من ذلك النوع؟

كريشياس: لا، لا أعتقد.

سقراط: قد أقلعنا إذن عن التعريف أنّ مَنْ سيحيا طبقاً للمعرفة يكون سعيداً، لأنّ هؤلاء سيحيون طبقاً للمعرفة، ومع ذلك فلست بسامحٍ لهم أن يكونوا سعداء. لكنّني أعتقد أنّك تعني أن تقتصر السعادة على أولئك الذين يحيون طبقاً للمعرفة في شيء خاصّ ما، هكذا مثال كالنبيّ الذي يعرف المستقبل، كما كنت قائلاً، فهل تتكلم أنت عنه أو عن شخص آخر؟

كريشياس: نعم، إنّني أعنيه، لكنّ هناك آخرين غيره كذلك.

سقراط: مَنْ؟ بوضوح إنّه الشخص الذي يعرف الماضي والحاضر كما يعرف المستقبل، ولا يجهل أيّ شيء. دعنا نفترض وجودَ شخصٍ كهذا، وإذا وُجِد فستجيز أنه الأكثر معرفة من كل الرجال الأحياء.

كريشياس: إنّه كذلك بكلّ تأكيد.

سقراط: أحبّ أن أعرف شيئاً واحداً أكثر مع ذلك: أيّ أنواع المعرفة المختلفة سيجعله سعيداً؟ أو أنّها كلها تجعله سعيداً بالتساوي؟

كريشياس: ليس كلّها بالتساوي.

سقراط: لكن أيّها يميل إلى جعله سعيداً أكثر؟ معرفة لعبة الداما؟

كريشياس: أفكار سخيفة: لعبة الداما حقّاً!

سقراط: أو الحسابات الآلية؟

كريشياس: لا.

سقراط: أو الصحة؟

كريشياس: تلك أقرب إلى الحقيقة.

سقراط: وتلك المعرفة التي تكون الأقرب من الجميع، هي معرفة ماذا؟

كريشياس: المعرفة التي يُميّز بها الخير والشرّ.

سقراط: يا وغدا إنّك حملتني دائريّاً في دائرة، وخبّأت عنّي الحقيقة كل هذا الوقت وهي أنّها الحياة طبقاً للمعرفة ليست هي التي تجعل الإنسان سعيداً ويعمل بصدق، حتى إذا كانت معرفة كل العلوم، بل هو علم واحد فقط، ذلك الذي للخير والشرّ. ودعني أسألك، يا كريشياس، إذا ما سلبت هذا العلم من الآخرين، ألن يمنح فنّ الطبّ الصحة بشكل متساوٍ؛ أولن تُنتج صناعة الأحذية أحذية بشكل متساوٍ، وكذلك فنّ حياكة الثياب؟ ـ وما إذا كان فنّ المرشد لا ينقذ أرواحنا في البحر بشكل متساوٍ، وفنّ القائد العسكري في الحرب؟

كريشياس: على حد سواء.

سقراط: ومع ذلك، يا عزيزي كريشياس، لن يُنجز أيٌّ واحد من هذه الأشياء ويكون نافعاً، إذا كان علم الخير معدوماً.

كريشياس: حقّاً.

سقراط: لكن يبدو أنّ العلم ليس حكمة أو اعتدالاً، بل هو علم ذو منفعة إنسانية؛

ليس علماً لعلوم أخرى، أو للجهل، بل علم للخير والشر. إذا كان هذا ذا منفعة، فيجب عندئذ أن تكون الحكمة أو الاعتدال شيئاً آخر.

كريشياس: ولماذا لا تكون الحكمة أو الاعتدال ذات منفعة؟ إذ مهما سلّمنا بأنّ الحكمة هي علم العلوم، وتمتلك سيطرة على العلوم الأخرى، فهي ستحوز بالتأكيد هذا العلم الخاصّ للخير تحت رقابتها، وستفيدنا بهذه الطريقة.

سقراط: وهل ستعطي الحكمة صحّة؟ أليس هذا تأثير فنّ الطب بالأصحّ؟ أو هل تعمل الحكمة عمل أيٍّ من الفنون الأخرى؟ ألا ينجز كلٌّ منها عمله الخاصّ به؟ ألم نؤكّد منذ زمن طويل أنّ الحكمة هي فقط معرفة المعرفة والجهل، ولا شيء آخر؟

كريشياس: يبدو هكذا.

سقراط: لن تكون الحكمة منتجة الصحة إذن؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: وجدنا أنّ الصحة اختصّت بفنّ مختلف؟

كريشياس: نعم.

سقراط: ولا تعطي الحكمة منفعة، يا صديقي الصالح؛ لأنّ ذلك عزوناه لتوّنا مرّة ثانية لفنّ آخر الآن.

كريشياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: كيف تستطيع الحكمة أن تكون ذات منفعة حينئذ، عندما لا تنتج منفعة؟

كريشياس: إنها لا تستطيع على ما يبدو، يا سقراط.

سقراط: أنت ترى عندئذ، يا كريشياس، أنّني لم أكن بعيداً عن الخطأ مخافة. أنّني لم أكن باعثاً أيّ تساؤل منطقيّ عن الحكمة؛ إنّني كنت محقّاً تماماً في التقليل من شأن نفسي، لأنّ ذلك الذي أعترف به أنّه الأفضل من كل الأشياء لن يبدو لنا أبداً أنّه عديم القيمة، إذا قد كنت صالحاً لأيّ شيء في تحقيق ما. لكنّني هُزمت الآن بالكليّة، وأخفقت في أن أكتشف ما هو ذلك

الذي أعطاه المشرّع هذا الاسم للاعتدال أو الحكمة. ومع ذلك فلقد أدّينا اعترافات كثيرة وعديدة مِنَ التي يُستطاع منحها بعدل؛ فنحن اعترفنا أنّه وُجد علمُ عِلم، مع أنّ المحاورة قالت لا، واحتجّت ضدنا؛ واعترفنا أبعد من ذلك، وهو أنّ هذا العلم عرف أعمال العلوم الأخرى (وهذا ما كذّبته المحاورة مع ذلك)، لأنّنا أردنا أن نبيّن أنّ الإنسان العاقل امتلك معرفة ما عرفه وما لم يعرفه. إنّنا قدّمنا هذه الاعترافات بسخاء، ولم نعتبر أبداً حتّى الاستحالة، أنّ الإنسان يعرف في نوع من الطريقة كتلك التي لا يعرف على الإطلاق؛ وطبقاً لاعترافاتك فإنّ الإنسان هذا عرف ذلك الذي لم يعرف ـ كما أعتقد، أن لا شيء يمكن أن يكون أكثر لا عقلانيّة من ذلك. ومع هذا، وبعد أن وجدتنا المحاورة هكذا بسطاء وصالحين بالطبيعة، بقيت غير قادرة أن تكتشف الحقيقة، لكنّها سخرت منّا لدرجة كبيرة، وبرهنت بوقاحة عدم فائدة الاعتدال أو الحكمة إذا وُصِفت بحقّ بتحديد كهذا الذي صرفنا كلّ هذا الوقت في البحث فيه وفي صياغته معاً: الذي كانت نتيجته، بقدر ما يتعلّق بي، أنّها نتيجة تستحقّ الرثاء. لكنّني متأسف جداً لأجلك يا كارمايديس، ـ بما أنّ لديك جمال كهذا وحكمة كهذه واعتدال روح، من أنّنا لن نحقق ربحاً ولا خيراً في الحياة من حكمتك واعتدالك. وإنّني لأشدّ حزناً بشأن السحر كهذا الذي تعلمته بألم كثير، ولفائدة قليلة كتلك، هذا السحر الذي تعلمته من التراقيين، كي أنتج شيئاً لا يستحقّ أيّ شيء. أعتقد أنّ هناك خطأً حقاً، وينبغي أنّني كنت محقّقاً سيئاً، فأنا أعتقد أنّ الحكمة أو الاعتدال، هي خير عظيم بحق؛ وأنّك لسعيد، يا كارمايديس، إذا امتلكتها. إفحص نفسك لهذا السبب وانظر إذا كانت لديك هذه الهبة وتستطيع أن تفعل بدون التعويذة، لأنّك إذا استطعت، فما عليّ إلاّ نُصحك في أن تعتبرني غبيّاً بكلّ بساطة لست بقادرٍ أن أعقل أيّ شيء أبداً؛ وأؤكد للباقين أنّكم إذا كنتم أكثر حكمة واعتدالاً، فستكونون أكثر سعادة.

كارمايديس: إنّني متأكّد، يا سقراط، من أنّني لا أعرف سواء أكنت امتلك أو لا

أمتلك هذه الهبة للحكمة والاعتدال؛ إذ كيف يمكنني أن أعرف إذا كنت، أحوز شيئاً، لم تقدر أنت وكريشياس، كما تقول، أن تكتشفا طبيعته؟ مع ذلك فأنا لا أصدّقك تماماً، وإنّني متأكّد، يا سقراط، أنّني لست بحاجة للتعويذة. وبقدر ما يعنيني، فأنا مستعدّ لأكون مسحوراً بك يومياً، حتى تقول إنني امتلكت كفاية من ذلك.

كريشياس: جيّد جداً، يا كارمايديس، إذا فعلت هذا سيكون لديَّ برهان عن اعتدالك، ذلك إذا سمحت لنفسك أن تكون مسحوراً بسقراط، وأن لا تهجره أبداً لا في الكبيرة ولا الصغيرة.

كارمايديس: يمكنك أن تعتمد علي اتّباعي له وعدم هجره، إذا كنت، يا من أعتبره حارسي، أنت تأمرني، وسأكون مخطئاً جدّاً، إذا لم أُطِعك.

كريشياس: وإنّني لآمرك.

كارمايديس: سأفعل كما تقول إذن، وأبدأ فعله هذا اليوم بالتحديد.

سقراط: يا أسياد، ما هذا الذي تتآمرون بشأنه؟

كارمايديس: لسنا متآمرين، بل تآمرنا من قبلُ.

سقراط: وهل أنتم على وشك أن تستخدموا العنف، حتّى بدون إعطائي حقّ اللجوء للحكمة؟

كارمايديس: نعم، إنّني سأستعمل العنف، بما أنّه يأمرني؛ ولذلك فالأفضل لك أن تتأمّل ملياً بالذي سنفعله.

سقراط: لكنّ وقت التأمل مضى، وعندما تعزم على أيّ شيء، وأنت في مزاج العنف، فإنّك لا تُقاوم.

كارمايديس: لا تقاومني إذن.

سقراط: إنّني لن أقاومك.

محاورة ليسيس

الصداقة

افكار المحاورة الرئيسيّة

تحتوي المحاورة على محادثتين اثنتين تبدوان وكأنّ لا صلة لإحداهما بالأخرى. المحادثة الأولى بين سقراط وليسيس في غياب مينيكسينوس الذي ذهب ليأخذ دوره في التضحية. يسأل سقراط ليسيس إذا ما كان أبوه وأمه يحبانه كثيراً؟ لتكن متأكّداً يا سقراط، إنّهما يفعلان. إذن فهما يسمحان لك أن تفعل ما تحبّ. طبعاً لا، فالعبد له الحريّة في فعل ما يريده أكثر مني. كيف ذلك، يا ليسيس؟ السبب، يا سقراط، هو أنّني لست كبيراً بما فيه الكفاية. لا، إنّني أعتقد أنّ هذا ليس هو السبب الرئيسي، بل السبب هو أنّك لا تمتلك معرفة لتفعل كل ذلك، وهذا يؤدّي إلى استنتاج أنّ كلّ الناس سيثقون بالإنسان فيما يعرف، لكن ليس فيما لا يعرف، لأنّه لن يكون مفيداً لهم إذا كان لا يعرف، وبالتالي لن يفعل الخير. ولا أحد سيحبّه إذا لم يفعل الخير. ويقدر هو فعل الخير لهم بالمعرفة ليس إلاّ، وبما أنّه لا يمتلك المعرفة الآن، فلا يمكنه أن يدرك المعرفة بهذا الوقت.

يقرأ سقراط الدرس إلى هيبوثايلس بهذا الأسلوب، وهو محب ليسيس، يقرأه فيما يخصّ نسق المحادثة التي عليه أن يوجهها إلى حبيبه.

بعد عودة مينيكسينوس، يوجّه سقراط له سؤالاً، بطلب من ليسيس: ما هي الصداقة؟ أنت يا مينيكسينوس، الذي تمتلك صديقاً بشكل مسبق، أتقدر أن تخبرني ما هو سرٌ هذه النعمة العظيمة، والتي أتوق لأجدها في شخص كهذا؟

أحبّ أن أسألك، عندما يحب الإنسان إنساناً آخر، أيّهما يكون الصديق، أهو الذي يُحِبّ أو الذي يُحَبّ؟ أو أنّ كليهما يكون الصديق؟

لقد تحوّلوا من أُولى هذه الافتراضات إلى الثانية، ومن الثانية إلى الثالثة، ولم يقدر سقراط ولا الشابان كلاهما أن يقتنعوا بأيٍّ من هذه الافتراضات ولا بجميعها. واستدار سقراط إلى الشعراء الذي يؤكدون أنّ الله يجلب الشبيه إلى شبيهه (هوميروس)، وإلى الفلاسفة (ايمبادوكلوس) الذي يثبت أيضاً أن الشبيه صديق للشبيه. لكنّ الأشرار، يا مينيكسينوس، ليسوا أصدقاء، لأنّهم لا يشبهون حتى أنفسهم، ويبقى شبه بعضهم لبعضٍ أقلّ. والأخيار لا يحتاج بعضهم لبعض، ولذلك لا يعتني بعضهم ببعض. علاوة على ذلك هناك آخرون ممّن يقولون إنّ الشبيه يكون سبب الكراهية، واللاشبيه سبب الحب والصداقة؛ وهم يوردون ما قاله الشعراء والفلاسفة في دعم لعقيدتهم هذه. ويقول هيسيود: « إنّ الخزّاف يحسد الخزّاف، والشاعر يحسد الشاعر ». ويخبرنا الأطباء الحاذقون أن الرطب صديق الجاف والبارد صديق الحار » وما شابه. لكنّهم لا يستطيعون تأكيد كلا الرأيين، لأنّ العادل سيكون صديقاً للظالم عندئذ، والخيّر صديقاً للشرّير.

وهكذا نصل إلى استنتاج أنّ الشبيه لا يكون صديقاً للشبيه، ولا اللاّشبيه للاّشبيه؛ ولهذا، فإنّ الخيّر ليس صديقاً للخيّر، ولا الشرّير للشرّير، ولا الخيّر للشرّير، ولا الشرّير للخيّر، ولا يبقى سوى اللاّمبالي، الذي لا يكون خيّراً ولا شرّيراً، فهل ينبغي أن يكون هو الصديق لكنه لا يكون صديقاً للاّمبالي لأنّ ذلك سيكون « الشبيه صديق الشبيه » بل هو سيكون صديقاً للخيّر، أو على الأصح للجميل.

لكن لماذا يجب أن يمتلك اللاّمبالي هذا الرّباط بالجميل والخيّر؟ هناك حالات سيكون رباط كهذا رباطاً طبيعياً أثناءها. لنفترض أنّ اللاّمبالي هو الجسم الإنساني، وأنّه يرغب في التخلص من شرّ ما، كالمرض مثلاً، الذي يكون ضرورياً لكنه يحدث له « إذ لو كان الشرّ ضرورياً فسينقطع الجسم عن أن يكون لامبالياً،

وسيصبح شرّاً » وسيصبح اللاّمبالي صديقاً للخيِّر في هكذا حالة في سبيل التخلّص من الشرّ. يقف الفيلسوف أو محبّ الحكمة في هذا المركز الوسط (اللامبالاة): إنّه ليس حكيماً، ومع ذلك فهو ليس عكس هذا، بل إنّه يمتلك الجهل متعلقاً به بشكل طارىء، وهو يتلهف للحكمة كشفاء من الشر.

بعد أن تلقّينا هذا الشرح وكأنّه نصر عظيم، يبدأ عدم رضا جديد عمّا قلناه ليأخذ مكانه في عقل سقراط: ألا يجب أن تكون الصداقة لأجل غاية ما أبعد، وما يمكن أن يكون هذا السبب النهائي أو الغاية للصداقة غيراً من الخير؟ لكنّنا نرغب الخير كعلاج للشرّ فقط، ولذلك فإذا لم يكن هناك شرٌ فلن تكون هناك صداقة. علينا أن نستنبط شرحاً ماآخر غير ذلك. ألا يمكن أن تكون الصداقة المثاليّة الحقّة حيث يكون السبب الأوّل؟

نعترف بأنّ المسألة لم تُحلّ، والأصدقاء الثلاثة سقراط، ليسيس، مينيكسينوس، ما زالوا غير قادرين أن يجدوا التعريف المناسب للصداقة، بعد كل الافتراضات التي قدّموها أثناء المحاورة.

محاورة ليسيس

الصداقة

أشخاص المحاورة

سقراط: الذي هو القاصّ ليسيس
مينيكسينوس كتاسيبوس
هيبوثايلس

المشهد: قاعة للمحادثات العامّة بُنيت جديداً خارج أسوار أثينا.

[كنت ذاهباً من الأكاديميّة رأساً إلى قاعة المناقشات العامّة بالطريق الخارجي، القريب تحت السور. عندما وصلت بوّابة المدينة الخلفيّة، التي هي بجانب نافورة بانوبس، صادفت هيبوثايلس بن هيرونيموس، وكتاسيبوس من مقاطعة باينيا، وجماعة من الشبّان الذين كانوا واقفين معه. عندما رآني هيبوثايلس مقترباً، سألني من أين أتيت وإلى أين أنت ذاهب].

سقراط: إنّني ذاهبٌ، من الأكاديمية رأساً إلى قاعة المناقشات العامّة.

هيبوثايلس: تعالَ إلينا رأساً، واستدرْ من هنا؛ يمكنك أن تفعل ذلك أيضاً.

سقراط: من أنت، وإلى أين سآتي أنا؟

[إلى هنا، قال هو: مبيّناً لي مكاناً مسوّراً وباباً مفتوحاً فوق السور في الاتجاه المضادّ. هذا هو المكان حيث سنتقابل جميعاً. ونحن جماعة طيّبون].

سقراط: وما هو هذا المكان، وأيّ نوع من التسلية لديك؟

هيبوثايلس: إنّها قاعة بنيت جديداً، والتسلية هي محادثة بشكل عام، وستلقى كلّ ترحيب فيها.

سقراط: شكراً، ومن هو معلّمك؟

هيبوثايلس: إنّه صديقك القديم والمعجب بك، ميكوس.

سقراط: حقاً، إنّه أستاذٌ جامعيٌ جدٌ لامع.

هيبوثايلس: هل تشعر بالميل، لتذهب معي وتراهم؟

سقراط: نعم، لكنّني سأحب أن أعرف بادىء ذي بدء، ما المتوقّع منّي، ومن هو المفضَّل بينكم؟

هيبوثايلس: بعض الأشخاص لديهم واحد مفضَّل، يا سقراط، بينما يفضِّل بعضهم شخصاً آخر.

سقراط: ومن هو المفضَّل عندك؟ أخبرني ذلك، يا هيبوثايلس.

[إحمَّر وجهه خجلاً لهذا السؤال؛ وقلت له، أوه، يا هيبوثايلس، يا ابن هيرونيموس! إنّك لست بحاجة لأن تقول أنّك واقع ولست واقعاً في الحب؛ الاعتراف جدٌ مبكِّر، فأنا أرى إنّك لست واقعاً في الحبّ فقط بل أنّك ذهبت بعيداً في حبك بشكل مسبق. غير ذكيّ وغير عمليّ كما أكون، لكنّ الآلهة وهبتني قوة كشف المحقّ وحبيبه بسرعة.

عند ذلك احمَّر خجلاً أكثر وأكثر.

قال كتاسيبوس: أحبّ أن أراك خَجِلاً، يا هيبوثايلس، ومتردِّداً في إخبار سقراط عن الإسم؛ لماذا؟ إذا كان هو معك ولو لوقت قصير جداً، فستضايقه حتّى الموت بالتحدّث بشأن لا شيء آخر سواه، حقّاً يا سقراط، إنه أصمّ آذننا وأوقف سمعها بالتحدّث عن ليسيس؛ وإذا كان هو منتشياً قليلاً، فهناك أرجحية لأن تثار مشاعرنا، معتقداً أنّنا نحمل اسم ليسيس، إنّ حديثه، كما هو سيّىء يمكن أن يكون أسوأ؛ لكنّه عندما يغمرنا بقصائده

ونثره، فإنّها لا تطاق، ويصبح أسلوبه عندما يغنيها لحبيبه أكثر سوءاً. إنّ لديه صوتاً مروّعاً بحقّ، ونحن مجبرون أن نصبر عليه؛ وبما أنّك سألته رأساً الآن، فإنّ وجهه يحمرُّ خجلاً].

سقراط: أفترض، أنّ ليسيس هذا شابّ تماماً؛ لأنّ الإسم لا يذكرني بأيّ شخص.

كتاسيبوس: لماذا، إن أباه رجل جدُّ معروف، وهو معروفٌ كابن أبيه، ولا يُدعى الآن باسمه الخاصّ بشكل عام؛ لكن، بالرّغم من أنك لا تعرف اسمه، فإنّني متأكّد أنّك ينبغي أن تعرف وجهه، لأنّ هذا كافٍ لأن تميّزه.

سقراط: لكن أخبرني ابن من هو.

كتاسيبوس: إنه ابن ديموقريطس الأكبر، من مقاطعة آيكسون.

سقراط: آه، يا هيبوثايلس، أيُّ حب نبيل وبريء قد وجدت! إنّني أرغب أن تساندني بالعرض الذي قد قدَّمته لبقية الجماعة، وسأكون قادراً حينئذ أن أحكم إذا ما كان يجب أن يقوله المحبوب عن حبيبه، إمّا للشابّ نفسه أو للآخرين.

هيبوثايلس: لا، يا سقراط، أنت لا تعلق أيّة أهمية على ما قاله كتاسيبوس بالتأكيد.

سقراط: هل تعني، أنّك تتبرأ من حبّ الشخص الذي يقول إنّك تحبّه؟

هيبوثايلس: لا؛ لكنّني أنكر أنّني أعددت نثراً أو كتبت مقطوعات شعرية له.

كتاسيبوس: إنّه ليس بعقله الصحيح، إنّه يتكلم هراء، وهو مجنون على نحوٍ مطبق.

سقراط: أوه، يا هيبوثايلس، أنا لا أريد أن أسمع أيّ مقطع شعري أو أغانٍ نظمتها في تكريم شخصك المفضّل؛ لكنّني أرغب أن أعرف مرماها، كي يمكنني أن أحكم على أسلوبك في الدُّنُوّ من حبيبك.

هيبوثايلس: إن كتاسيبوس لقادرٌ أن يخبرك، فإذا كان صوت كلماتي، كما يجزم، يرنّ في أذنيه دائماً، فينبغي أن يكون لديه معرفة دقيقة جدّاً بها وتذكّر لها.

كتاسيبوس: نعم، حقّاً، إنّني أعرفها جيّداً أيضاً، والقصة مضحكةٌ تماماً؛ بالرّغم من

أنه حبيب، والأكثر وفاء في الحب، فهو ليس لديه أيّ شخص خاصّ ليتكلّم عنه إلى محبوبه الذي يمكن لطفل أن يقوله. وبعدُ أليس هذا مضحكاً؟ هو يستطيع أن يتكلم عن الذي تحتفل به المدينة بكاملها، عن غِنى ديموقريطس، وليسيس، إبن الجدّ، وعن كل أسلاف الشابّ الآخرين، عن مجموعة خيلهم، وانتصاراتهم في الألعاب البيثيائيّة، وفي البرزخ، وفي نيميا بالعربة وسباق الخيل - تلك هي القصص التي ينظم ويردِّد، وحتّى قصص لم تقع منذ ما قبل التاريخ. إنّه نظم أوّل من أمسِ فقط، القصيدة التي وصف فيه طرب هيرقل، مُخبراً كيف أنه بالنسبة لقرابته بعائلته قد استقبله سلف ليسيس بحفاوة؛ لأنّ سلفه مولود من زيوس من بنت مؤسِّس المقاطعة، وتلك هي نوعية القصص للزوجات المسنّات التي يغنّيها ويرتّلها لنا، ويجبرنا أن نستمع له.

سقراط: عندما سمعت هذا، قلت: أوه، يا هيبوثايلس المضحك! كيف يمكنك أن تؤلف وتغنّي أناشيد في تكريم نفسك قبل أن تنتصر؟

هيبوثايلس: لكن أغانيّ ومقاطعي الشعرية، ليست في تكريم نفسي، يا سقراط.

سقراط: ألا تعتقد ذلك؟

هيبوثايلس: ماذا تعني؟

سقراط: بالتأكيد الأكثر، إنّ تلك الأغنيات هي كلّها لتكريمك الخاصّ؛ لأنك إذا ربحت حبيباً جميلاً، فإن أحاديثك وأغنياتك ستكون تمجيداً لك، ويمكن اعتبارها بحقّ كأغانٍ وثناءات منظومة في تكريم نفسك التي ربحت واستولت على حبيبٍ كهذا. لكن إذا قلت منك بسرعة، فأكثر ما تثني عليه، ستبدو أكثر سخرية لفقدك أفضل وأجمل النّعم هذه. ولذلك فالحبيب العاقل لا يثني على محبوبه إلى أن يربحه، لأنّه يخشى ممّا سيأتي. هناك خطر آخر أيضاً: عندما يثني أو يعظِّم أيّ شخص الجميل، فإنّهم سيمتلئون بالنفس المتكبّرة والعظمة الفارغة. هل توافقني.

هيبوثايلس: نعم.

سقراط: وبقدر ما هم فارغو العظمة، بقدر ما يصعب الإمساك بهم؟

هيبوثايلس: بالطبع.

سقراط: ماذا سنقول عن الصيّاد الذي يخيف الحيوانات ويبعدها، ويجعل الإمساك بفريسته أكثر صعوبة؟

هيبوثايلس: إنّه سيكون صيّاداً سيّئاً بدون شك.

سقراط: نعم؛ ولتغيظ الحبيب بدلاً من تهدئته بالكلمات والأغاني، سيظهر ذلك افتقاراً كبيراً للفنّ. هل توافق؟

هيبوثايلس: نعم.

سقراط: وتأمّل مليّاً الآن، يا هيبوثايلس، وانظر إذا ما كنت مذنباً بكلّ تلك الأخطاء في كتابة قصائدك، فأنا أستطيع الافتراض بصعوبة أنّك ستؤكد أنّ الذي يؤذي نفسه بأشعاره هو شاعر جيّد؟

هيبوثايلس: لا بالتأكيد، إنّ شاعراً كهذا سيكون غبيّاً. وهذا هو السبب الذي جعلني أتشاور معك، يا سقراط. وسأكون مسروراً لأية نصيحة أبعد يمكن أن تقدّمها. هل ستخبرني بأيّة كلمات أو أفعال يمكن لإنسان أن يصبح محبّاً لحبيبه؟

سقراط: ليس سهلاً تقرير ذلك، لكنّك إذا مكّنتني من التحادث معه، بدلاً من الغناء والترتيل في الإلقاء الذي يتّهمونك به.

هيبوثايلس: لا صعوبة في ذلك. إذا ما ذهبت وكتاسيبوس إلى معهد المصارعة وجلست وحدّثت مَنْ هناك، أعتقد أنّه سيأتي طوعاً إليك. فهو مولع جداً بالاستماع، يا سقراط. وبما أنّ هذا هو إحتفال هيرمايا، فإنّ الرجال الشبّان والأولاد هم معاً جميعاً. وهو سيأتي بكلّ تأكيد. لكنّه إذا لم يأتِ من نفسه، دع كتاسيبوس يناديه؛ لأنّه يعرفه جيداً. وأن ابن عمه مينيكسينوس هو صديق ليسيس الكبير.

سقراط: ذلك سيكون الطريق.

[وعلى ذلك وجّهت كتاسيبوس إلى معهد المصارعة وتبعنا الباقون.
وجدنا عند دخولنا أنّ الفتيان كانوا يضحُّون لتوّهم، وكان الاحتفال في نهايته تقريباً. كانوا كُلهم في أفضل تنظيم، وكانت ألعاب النرد جارية بينهم. أكثرهم كان في المحكمة الخارجيّة يسلّون أنفسهم؛ غير أنّ بعضهم كان في زاوية المعهد يلعبون ببعض أرقام النرد المفردة والمزدوجة، التي يأخذونها من سلال صغيرة مصنوعة من الخيزران. كان هناك حلقة من المتفرّجين ومن بينهم ليسيس. وكان يقف هو مع الفتيان والشبان الآخرين مزيناً رأسه بإكليل، ويعطي انطباعاً رائعاً، وليس النّظر في تنشئته اللطيفة أقلّ جدارة بالثناء من جماله. تركناهم وصعدنا إلى الجهة المقابلة للغرفة، حيث وجدنا مكاناً هادئاً، جلسنا وبدأنا الحديث حينئذ. هذا ممّا جذب ليسيس، الذي استدار نحونا لينظر إلينا على الدوام. إنّه كان يريد أن يأتي إلينا بكلّ وضوح. تردّد زمناً، ولم تكن لديه الشجاعة ليأتي وحيداً؛ لكن صديقه مينيكسينوس دخل فيما بعد من المحكمة إلى معهد المصارعة، في حين استمرّ في لعبته، عندها رأى كتاسيبوس وأنا متقدِّمَيْن لأخذ أماكننا؛ تقدّم ليسيس عندما رآه ثم تبعه وجلس بجانبه؛ وانضمّ الفتيان إليهما. كذلك فعل هيبوثايلس أيضاً، عندما رأى الجمهور واقفاً بجانبنا، أتى ووقف خلفهم، حيث ظن أنّه سيكون في منأى عن رؤيا ليسيس له، خشية أن يغضبه؛ وهناك وقف وأصغى].

استدرت أنا إلى مينيكسينوس وقلت له: يا ابن ديموفون، أيّها الشابان أيّ منكما هو الأكبر سنّاً؟

مينيكسينوس: تلك هي مسألة موضع جدل بيننا.

سقراط: وأيّكما الأنبل؟ أتلك هي موضع جدل بينكما كذلك؟

مينيكسينوس: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل تتجادلان أيّكما الأجمل أيضاً؟

لهذا ضحك الفتيان.

سقراط: إنّني لن أسأل أيّ منكما الأغنى، فإنكما صديقان، أليس كذلك؟

أجاب: بكل تأكيد.

سقراط: ويمتلك الأصدقاء كلّ شيء مشتركاً. هكذا فإنّ أحدكما لا يستطيع أن يكون أغنى من الآخر، إذا قلتما إنّكما صديقان بحق.

[وافقا على ذلك. كنت على وشك أن أسألها أيّهما الأعدل وأيّهما الأعقل؛ غير أن مينيكسينوس استُدعي من قبل شخص أتى وقال إنّ مدرّب الألعاب الرياضية يريد أن يراه. إفترضتُ أنّه سيقوم بتقديم تضحية، لذلك ذهب، وسألتُ أنا ليسيس بعض الأسئلة. قلت له: أجروٌ القول، يا ليسيس إن أباك وأمّك يحبّانك كثيراً جداً].

ليسيس: بكلّ تأكيد.

سقراط: وسيرغبان في أن تكون سعيداً قدر الإمكان؟

ليسيس: نعم.

سقراط: وهل تعتقد أن أيّ شخص يكون سعيداً وهو في حالة العبد، ولا يقدر أن يفعل ما يريد؟

ليسيس: ينبغي أن لا أعتقد ذلك حقاً.

سقراط: وإذا أحبّك أبواك، ورغبا في أن تكون سعيداً فذلك واضح تماماً أنّهما متشوقان ليزيدا سعادتك.

ليسيس: بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل يسمحان لك أن تفعل ما تحبّه، ولا يلومانك أو يعوقانك عن فعل ما ترغب؟

ليسيس: نعم، حقّاً، يا سقراط؛ هناك أشياء عديدة كثيرة يعوقانني عن فعلها.

سقراط: ماذا تعني؟ هل هما يريدانك أن تكون سعيداً، ويعوقانك مع ذلك عن فعل ما تحب؟ كمثال، إذا أردت أن تركب إحدى عربات أبيك، وتمسك الأعِنَّة في السّباق، فهل يرفضان السّماح لك بأن تفعل ذلك، ويمنعانك؟

ليسيس: إنّهما لن يسمحا لي بفعل ذلك، بكلّ تأكيد.

سقراط: لمن سيسمحان بفعل ذلك إذن؟

ليسيس: هناك سائق العربة، الذي يدفع أبي له ليتولّى قيادتها.

سقراط: وهل هم يثقون بالأجير أكثر منك لتفعل ما تحبّه بالأحصنة؟ وهل هم يدفعون له لهذا أيضاً؟

ليسيس: إنّهم يفعلون ذلك.

سقراط: لكنّني أجرؤ على القول إنّك تمسك بالسّوط وتوجّه عربة البغل إذا أحببت؛ ـ سيسمحون بذلك؟

ليسيس: يسمحون لي! إنهم لن يفعلوا حقاً.

سقراط: ألا يمكن لواحد آخر أن يستعمل السّوط للبغال إذن؟

ليسيس: بلى، البغّال.

سقراط: وهل هو عبد أو إنسان حرّ؟

ليسيس: إنّه عبد.

سقراط: وهل هم يولون قيمة للعبد أكثر منك وأنت ابنُهُم؟ وهل هم يأتمنون العبد على ملكيتهم بدلاً منك؟ ويسمحون له أن يفعل ما يحبّه، في حين يمنعونك؟ أجبني الآن، هل أنت سيّد نفسك، أو أنهم لا يسمحون أن تكون كذلك؟

ليسيس: لا، طبعاً فهم لا يسمحون لي بذلك.

سقراط: هل لديك سيّد إذن؟

ليسيس: نعم، معلّمي، إنّه هناك.

سقراط: وهل هو عبد؟

ليسيس: لتكن متأكداً، إنّه عبدنا.

سقراط: إن هذا شيء غريب، بدون ريب، أنّ الإنسان الحرّ يحكمه عبد وماذا يفعل هو معك؟

ليسيس: إنّه يأخذني إلى معلّمي.

سقراط: لا تعني أنتَ أن أساتذتك يحكمون عليك؟

ليسيس: إنّهم يفعلون طبعاً.

سقراط: يجب عليّ أن أقول عندئذ إن أباك يكون مسروراً ليبتليك بعدة حكام وأسياد. لكنك على أيّة حال عندما تذهب لأمّك في البيت، فهي تدعك تسلك طريقتك الخاصّة، ولا تتدخّل بسعادتك؛ فصوفها، أو قطع القماش التي تحيكها، هي تحت تصرّفك. إنّني متأكد من أنّها لن تمنعك من ملامسة مغزلها الخشبي، أو مشط آلة الصوف، أو أيّاً من أدوات الغزل التي تخصّها.

ليسيس: لا، يا سقراط، (ضاحكاً)؛ إنّها لا تمنعني فقط، بل إنّني سأُضربُ إذا ما لامست واحدة منها.

سقراط: حسناً، إنّ هذا مذهل، وهل تصرّفت تصرّفاً سيئاً مع أبيك أو أمك في أي وقت؟

ليسيس: لا، حقاً.

سقراط: لكن لِمَ هما متلهّفان هكذا بفظاعة ليمنعاك من أن تكون سعيداً، وتفعل ما تحب؟ - جاعلينك اليوم كله خاضعاً للآخرين! وفي كلمة، لا يسمحان لك أن تفعل أيّ شيء ترغبه. وهكذا لا تحصل على أيّ خير، كما يبدو، من ممتلكاتهما الكثيرة، التي هي تحت سيطرة أيّ شخص ما عداك، وهما ليس لديهما أيّ انتفاع بشخصك الجميل، الذي قد رعاه واعتنى به

الآخرون؛ في حين أنّك، يا ليسيس، لست سيّداً لأيِّ شخص، ولا تقدر أن تفعل الذي ترغبه؟

ليسيس: لماذا، يا سقراط، فالسبب هو أنّيَ لم تكتمل سنّي بعد.

سقراط: إنّني أشك أن يكون ذلك هو السبب الحقيقي، لأنّني أتصوّر أنّ أباك ديموقريطس، وأمك يسمحان لك أن تفعل أشياء ما مسبقاً، ولا ينتظران حتّى تكتمل سنّك. كمثال، إذا أرادا أن يُقرأ شيءٌ أو يُكتب، أفترض أنّك أنت، ستكون أوّلَ شخص في البيت يُوضع لهذا العمل الشاقّ.

ليسيس: حقيقي تماماً.

سقراط: ويُسمح لك أن تكتب أو تقرأ الأحرف في أيّ ترتيب يسرّك، أو أن تأخذ القيثار وتشدّ أو ترخي أيّا من الخيطان وتلعب عليها بأصابعك أو تعزف بالريشة، كما تُسرُّ بالضبط، ولن يتدخّل معك أبوك ولا أمك.

ليسيس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: ما هو السبب الذي يمكن أن يكون إذن، يا ليسيس؟ لماذا يسمحان لك أن تفعل هذا الشيء وليس الآخر؟

ليسيس: أفترض، لأنّني أفهم هذا الشيء، ولا أفهم الآخر.

سقراط: نعم، يا فتاي العزيز، ليس السبب إذن لأيّ نقص في السنين، بل لنقص في المعرفة؛ وفي اليوم المحدَّد عندما يعتقد أبوك أنّك أعقل منه فسيسلمك نفسه وممتلكاته في الحال.

ليسيس: أتوقّع هكذا.

سقراط: نعم، وجارك أيضاً، ألن يتقيّد بالقاعدة عينها التي راقبها أبوك؟ حالما يكون مقتنعاً أنّك تعرف أكثر ممّا يعرف عن إدارة شؤون العائلة، فهل سيستمرّ في تولّي شؤونها بنفسه، أو أنّه سيعهد لك بها؟

ليسيس: أعتقد أنّه سيعهد بها لي.

سقراط: أولن يعهد لك الشعب الأثيني أيضاً بشؤونه، عندما يرى أنّك تمتلك الحكمة الكافية لإدارتها؟

ليسيس: نعم.

سقراط: وأوه! دعني أضع حالة أخرى. هناك الملك العظيم، ولديه ابن أكبر، وهو ملك آسيا؛ ـ أفترض أنني أذهب وإيّاك إليه ونرسّخ في قناعته أنّنا طبّاخان أفضل من ابنه، ألن يعهد لنا بامتياز صناعة الشورباء وأن نضع أيّ شيء نحبه في قِدْرِ الشورباء أثنار طهوه، بدلاً من ابنه؟

ليسيس: سيعهد لنا، بكلّ وضوح.

سقراط: وسيكون مسموحاً لنا أنّ نرش الملح بملء اليد، في حين لن يُسمح لابنه أن يضع حتّى مقدار ما تلتقط إصبعاه؟

ليسيس: طبعاً.

سقراط: أو افترض أنّ الإبن ذو عينين رديئتين، هل سيسمح هَوَ له، أم لا، أن يلمس عينيه اللتين تخصانه إذا اعتقد أنّه لا يحوز معرفة فنّ الطبّ؟

ليسيس: إنّه لن يسمح له.

سقراط: مع أنه، إذا افترض أنّنا نمتلك معرفة فنّ الطب، فسيسمح لنا أن نفعل ما نحبّ معه ـ حتى أن نفتح عينيه كليّة ونذري الرماد عليهما، لأنّه افترض أنّنا نعرف العلاج الصحيح.

ليسيس: ذلك حقيقي.

سقراط: وسيعهد لنا بكلّ شيء نبدو فيه بالنسبة له أعقل من نفسه أو ابنه؟

ليسيس: طبعاً، يا سقراط.

سقراط: هذا ما يظهر بوضوح، يا عزيزي ليسيس، في الأشياء التي نعرف أنّ كل شخص سيثق بنا فيها: الهيلينيون والبربر، الرجال والنساء؛ يمكننا أن نفعل ما يسرّنا بشأنها، ولا أحد سيتدخّل معنا إذا ما استطاع. سنكون أحراراً وأسياد

الآخرين؛ وستكون هذه الأشياء لنا بحقّ، لأنّنا سنكون منتفعين بها. لكن في الأشياء التي لا نفهمها، لا أحد سيثق بنا لأن نفعل ما يبدو خيراً لنا ـ سيمنعوننا بقدر ما يستطيعون؛ ليس الأغراب فقط، بل الأب والأم، وحتى أقرب أقربائنا إذا وُجِد منهم أحد، وسنكون مُخْضَعِين في هذه المسائل للآخرين؛ ولن تكون هذه الأشياء خاصة بنا. لأننا لن ننتفع بها. هل توافق؟

ليسيس: إنّني أوافق.

سقراط: وهل سنكون أصدقاء للآخرين، وهل سيحبّنا أيّ شخص آخر، بسبب الأشياء التي لا ننفعهم بها؟

ليسيس: لا بالتأكيد.

سقراط: لا يحبنا آباؤنا إذن، ولا يحب أيٌّ شخص أيَّ شخص آخر، إذا كان غير مجدٍ له؟

ليسيس: لا يبدو ذلك.

سقراط: ولذلك، يا ولدي، إذا أصبحت عاقلاً، فكلّ الرجال سيصبحون أصدقاءك ورفاقك؛ لأنّك ستصبح نافعاً وخيّراً. لكنك إذا لم تكن عاقلاً، فلا أبوك، ولا أمّك، ولا رفاقك، ولا أيّ شخص آخر سيكونون أصدقاءك. وفي المسائل التي لم يمتلك الواحد فيها معرفة لحدّ الآن، هل يحقّ له أن يدّعي امتلاك المعرفة؟

ليسيس: إنّ ذلك مستحيل.

سقراط: وأنت، يا ليسيس، إذا احتجت معلماً، فإنّك لم تبلغ المعرفة لحدّ الآن؟

ليسيس: حقاً.

سقراط: ولذلك فلست مغروراً، بما أنّك لا تمتلك المعرفة التي ستغرك؟

ليسيس: أعتقد أن لا، حقاً، يا سقراط.

سقراط: [عندما سمعته يقول هذا، استدرت إلى هيبوثايلس، وكنت على وشك

أن أرتكب خطأ، لأنّني كنت سأقول له: تلك هي الطريقة، يا هيبوثايلس، التي عليك أن تتكلّم بها إلى محبوبك، مُخضِعةً وخافِضَةً، وليس كما أنت فاعل، نافِخَه كبرياءً ومُفسِده. لكنّني رأيت أنّه كان في ضيق شديد واضطّراب لِمَا قد قِيل، وتذكّرت أنّه، بالرّغم من وجوده في الجوار، لم يرغب في أن يراه ليسيس. غير أنّني أحجمت عن هذا القول بعد دقيقة من التفكير.

رجع مينيكسينوس خلال هذا الوقت وجلس في مكانه بجانب ليسيس. وهمس ليسيس في أُذني سرّاً بأسلوب طفوليّ ودود، كي لا يسمع مينيكسينوس: أخبِرْ مينيكسينوس، يا سقراط، ما كنت قد أخبرتني إيّاه].

سقراط: أفضل أن تخبره بنفسك، يا ليسيس، لأنّني متأكّد أنّك كنت حاضراً.

ليسيس: بالتأكيد.

سقراط: حاول أن تتذكّر الكلمات إذن، وكن دقيقاً قدر الإمكان في ترديدها له، وإذا نسيت أيّ شيء، إسألني مرّة ثانية في وقت قادم عندما تراني.

ليسيس: سأكون متأكّداً أنّني سأفعل هذا، يا سقراط؛ لكن أخبره شيئاً جديداً، ودعني أستمع حتى يحين الوقت وأذهب إلى البيت.

سقراط: إنّني لا أستطيع أن أرفض بالتأكيد، بما أنّك تسألني، لكن مينيكسينوس، كما تعرف، مُولَع بالشجار، ولذلك عليك أن تأتي لإنقاذي إذا حاول أن يضايقني.

ليسيس: نعم، حقاً، إنه مولع بالشجار تماماً، وذلك هو السبب الذي من أجله أريدك أن تحاوره.

سقراط: كي يمكنني أن أجعل نفسي غبيّاً.

ليسيس: لا، حقّاً؛ لكنّني أريدك أن تضع له حدّاً.

سقراط: تلك ليست مسألة سهلة، لأنّه شخص رهيب ـ تلميذ كتاسيبوس، وهناك كتاسيبوس نفسه: ألا تراه؟

ليسيس: لا تشغل بالك، يا سقراط، إبدأ التّحاور معه من فضلك.
سقراط: حسناً، أفترض أنّ عليّ أن أبدأ ذلك.

[إشتكى كتاسيبوس عند هذا من أنّنا كنا نتكلم في السرّ، ونحتفظ بالمأدبة لأنفسنا].

سقراط: إنّني سأكون سعيداً، لأدعك تشاطرنا البحث، هنا ليسيس الذي لا يفهم شيئاً ما ممّا قلته، ويريدني أن أسأل مينيكسينوس، الذي من المحتمل أنّه يعرف.

كتاسيبوس: ولِمَ لا تسأله؟

سقراط: حسناً جداً، إنّني سأفعل؛ وهل ستجيب، يا مينيكسينوس؟ لكنّني يجب أن أخبرك باديء ذي بدء، أنّني واحد وضع قلبه فوق ممتلكات محددة منذ وقت طفولته فصاعداً. كل الناس لهم رغباتهم: يرغب بعضهم الأحصنة، ويرغب الآخرون اقتناء الكلاب؛ ويُغرم بعضهم بالذّهب، وآخرون بالشرف، أما أنا فليس لديَّ أيّة رغبة جامحة لأيٍّ من هذه الأشياء، غير أنّ لديَّ هياماً بالأصدقاء، وسأمتلك صديقاً صالحاً بالأحرى، بدلاً من حيازتي على أفضل ديكٍ وطائر سمّانٍ في العالم. إنّني سأذهب حتى أبعد من ذلك، وأقول على أفضل حصانٍ أو كلب. أجل، بكلب مصر، إنّني سأفضّل صديقاً حقيقياً على كل ذهب داريوس بدرجة كبيرة، وحتّى على داريوس نفسه. إنّني محبّ للأصدقاء بهذا القدر، وعندما أراك وليسيس، في سنّكما المبكر، هكذا حائزين على هذا الكنز باكراً، هو لك، وأنت له، فإنّني أدهش وأظنّكما سعداء، ويغلب عليَّ أنّني بعيد جدّاً عن عمل إنجاز مشابه، حتى أنّني لا أعرف بأيّة طريقة يُكتسب الصديق. لكن هذا هو ما أريد أن أسألكما عنه بالتحديد، لأنّكما تمتلكان الخبرة. أخبرني إذن، عندما يحب الشخص الآخر، أيكون المحبّ أو الحبيب هو الصديق؛ أو يمكن لكليهما أن يكون الصديق؟

كتاسيبوس: إنّ عليّ أنّ أعتقد أنَّ كلاً منهما، يمكن أن يكون الصديق لكلّ منهما.

سقراط: هل تعني، أنّه عندما يحب أحدهما الآخر، فهما صديقان مشتركان؟

كتاسيبوس: نعم، ذلك هو ما أعنيه.

سقراط: لكن ماذا إذا لم يكن المحبّ محبوباً بالمقابل؟ وهذه حالة جدّ محتملة.

كتاسيبوس: نعم.

سقراط: أو حتّى لربّما يكون مكروهاً منه؟ لأنّ هذا يحدث بعض المرّات للمحبين في علاقتهم بأحبّائهم، لا شيء يمكنه أن يتجاوز حبّهم؛ ومع ذلك فهم يتصوّرون إمّا أنّهم غير محبوبين بالمقابل، أو حتّى أنّهم مكروهون، أليس ذلك صحيحاً؟

كتاسيبوس: نعم، صحيح تماماً.

سقراط: في تلك الحالة، أحدهما يحب، والآخر يكون محبوباً؟

كتاسيبوس: نعم.

سقراط: أيّهما يكون صديق الآخر عندئذ؟ هل المحبّ هو صديق المحبوب، سواء أكان هو محبوباً أو مكروهاً بالمقابل؛ أو أنّ المحبوب هو الصديق. أو أنّه لا توجد صداقة في كلا الجانبين على الإطلاق؛ ما لم يحبّ كل منهما الآخر؟

كتاسيبوس: أعتقد أنّ تلك هي الحالة.

سقراط: إنّ هذه الفكرة إذن، لا تطابق فكرتنا السابقة. نحن قلنا إنّهما كليهما كانا صديقين، إذا أحبَّ الواحد فقط؛ لكن الآن، ما لم يحب كلاهما، فلا يكون أحدهما صديقاً.

كتاسيبوس: يظهر ذلك أنّه هكذا.

سقراط: إذن لا محِبّ بالمقابل يكون محبوباً من المحبوب؟

كتاسيبوس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: إذن، ليسوا هم محبيّ الأحصنة، أولئك الذين لا تحبّهم الأحصنة بالمقابل؛

ولا محبي طيور السمّان، ولا الكلاب، ولا النبيذ، ولا التمارين الرياضيّة، التي ليس لديها إعادة للحبّ. لا، ولا للحكمة، ما لم تحبّهما الحكمة بالمقابل. أو هل سنقول إنّها تحبّهم بالرغم من أنّهم غير محبوبين من قِبَل أصدقائهم؛ وأنّ الشاعر الذي يغنّي كان مخطئاً: « سعيد الإنسان الذي يكون أطفاله أعزاء عنده، والأحصنة التي لها حافر مفرد، وكلاب المطاردة، والغريب القادم من أرضٍ أخرى »؟

كتاسيبوس: لا أعتقد أنه مخطىء.

سقراط: هل تعتقد أنّه كان محقّاً؟

ليسيس: نعم.

سقراط: الاستنتاج، يا مينيكسينوس، إذن، هو أنّ الذي يكون محبوباً، سواء كان كارهاً أو محبّاً، يمكن أن يكون عزيزاً للمحِبّ له: كمثال، الأطفال الصغار جدّاً، صغار كي يحبّوا كذلك، أو حتى ليكرهوا أباهم وأمّهم عند معاقبتهما لهم، إنّهم لا يكونون أعزّ لهم قطّ من الوقت الذي يكرهونهم أثناءه.

مينيكسينوس: أعتقد أنّ ما تقوله حقيقيّ.

سقراط: وإنّ هكذا، ليس المحبّ، بل المحبوب، هو الصديق أو الشخص العزيز؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: والشخص المكروه، وليس الكاره، هو العدو؟

مينيكسينوس: يبدو ذلك.

سقراط: عديد من الرجال إذن هم محبوبون من قِبَل أعدائهم، وهم الأُصدقاء لأعدائهم والأعداء لأصدقائهم، مشاهدين ذلك أنّ المحبوب وليس الحبيب هو الصديق. مع ذلك كم يكون مضحكاً أو حتّى مستحيلاً هذا التناقض حقّاً، يا صديقي العزيز، كون الإنسان عدوّاً لصديقه وصديقاً لعدوه.

مينيكسينوس: يبدو أنّ ما تقوله، يا سقراط، حقيقيّ.

سقراط: لكن إذا لا يكون هذا، فالمحبّ سيكون الصديق لذلك الذي يُحبّ؟
مينيكسينوس: يبدو ذلك.
سقراط: وسيكون العدوّ الشخص المكروه وليس الكاره؟
مينيكسينوس: بالتأكيد.
سقراط: حسناً إذن، يجب أن نصل للاستنتاج عينه ونعترف في هذا كما اعترفنا في الحالة السابقة، أنّ الإنسان يمكن أن يكون صديق الشخص الذي لا يكون صديقه أو الذي يمكن أن يكون عدوّه، عندما يحبّ ذلك الذي لا يحبه أو حتى الذي يكرهه. ويمكن أن يكون عدوّ الشخص الذي ليس عدوه، ويكون حتى صديقه. كمثال، عندما يكره ذلك الذي لا يكرهه، أو حتّى الذي يحبه.
مينيكسينوس: يظهر ذلك أنه حقيقي.
سقراط: لكن إذا لم يكن المحبّ صديقاً، ولا المحبوب صديقاً، ولا أولئك الذين يحبون ويكونون محبوبين، فماذا سنقول نحن؟ مَنْ الذين سنسمّيهم أصدقاء بعضهم لبعض؟ هل هناك آخرون غير أولئك؟
مينيكسينوس: إنّني لا أستطيع أن أفكر بغير أولئك حقاً، يا سقراط.
سقراط: لكن، أوه يا مينيكسينوس! ألا يمكن أن نكون مخطئين تماماً في مسار بحثنا؟
ليسيس: إنّني متأكّد أنّنا قد كنّا مخطئين، يا سقراط.
[واحمرّ وجهه خجلاً عندما تكلّم. يظهر أنّ الكلمات تخرج من شفتيه تلقائياً، لأنّ المحاورة سلبت تفكيره بالكامل. لم يكن هناك أيّ خطأ في ذلك بل ظهر على هيئته المصغية حين كان يستمع.
سررت بالاهتمام الذي أبداه ليسيس، وأردت أن أعطي مينيكسينوس قسطاً من الراحة، لذلك استدرت نحوه وقلت: أعتقد يا ليسيس، أنّ ما تقوله حقّ،

وأنّنا إذا كنا محقّين في مسار بحثنا، فما علينا أن نندهش قطّ كما نكون الآن، دعنا لا نتقدم أبعد من هذا الاتجاه « لأنّ الطريق يصبح صعباً على ما يبدو »، بل أن نسلك المَمر الآخر الذي استدرنا نحوه، ونقتفي طريق الشعراء؛ لأنهم في طريقةٍ ما آباؤنا ومرشدونا في الحكمة، ويثيرون مطالبة سامية جداً في حسابهم عن جوهر الصداقة؛ الله نفسه، يقولون هم، يخلق الأصدقاء ويجذبهم بعضهم نحو بعض. ويعبِّرون عن هذا، إذا لم أكن مخطئاً بالكلمات الآتية: « الله يجذب الشبيه إلى شبيهه على الدوام » ويجعلهم هكذا متعارفين. إنّني أجرؤ على القول إنّك سمعت هذا المقطع الشعري].

ليسيس: نعم، إنّني سمعته.

سقراط: أو لَمْ تقرأ كتابات الرجال الحكماء أيضاً الذين يقولون الشيء عينه، إنّ الشبيه يجب أن يحبّ شبيهه؟ إنّهم الذين يجادلون ويكتبون بشأن طبيعة الكون.

ليسيس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وهل هم محقّون في قولهم هذا؟

ليسيس: لربّما ذلك.

سقراط: لربّما النصف، أو الكل بالاحتمال، هم محقّون إذا أدركنا ما عنوا بالضبط، لأنّ أكثر ما يجب أن يفعله الرجل الشرّير مع الرجل الشرّير، وأكثر ما يُجلبُ إلى اتصال قريب منه، أكثر ما سيكون متوقعاً أن يكون في خصام معه، لأنّه يؤذيه. والمؤذِي والمؤذَى لا يمكنهما أن يكونا صديقين، أليس هذا صحيحاً؟

ليسيس: نعم.

سقراط: لا يكون نصف القول حقيقياً إذن، إذا كان الخبيثان يشبه بعضهما بعضاً؟

ليسيس: إنّ ذلك لصحيح.

سقراط: لكن معنى القول هو، كما أتصوّر، أنّ الأخيار يشبه بعضهم بعضاً، وأصدقاء بعضهم بعضاً. وأنّ الأشرار، كما يقال غالباً، لا يكونون في وحدة مع بعضهم أو مع أنفسهم؛ لأنّهم انفعاليون وقلقون. وأيُّ شيء يكون على خلاف أو خصام مع نفسه يستطيع أن يكون متشابهاً بصعوبة ولذلك صَدوقٌ لأي شيء آخر، ألا توافق؟

ليسيس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: إذن، يا صديقي، أولئك الذين يقولون إنّ المتشابه يكون صديقاً للمتشابه يعنون ليعلموا، إذا فهمتهم بصواب، أنّ الإنسان الصالح يكون الصديق للإنسان الصالح، وله فقط؛ لكن ذلك الرجل الشرّير لا يمكنه الوصول لأيّة صداقة حقيقية أبداً لاَ مَعَ الإنسان الصالح ولا مع الفرد الشرّير. هل توافق؟

[هزّ ليسيس رأسه دليل الموافقة].

سقراط: نعرف نحن كيف سنجيب على السؤال عندئذ: « مَن هم الأصدقاء؟ » لأنّ المحاورة تعلن أنّ الأخيار هم الأصدقاء.

ليسيس: نعم، إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: نعم، ومع ذلك فأنا لست مقتنعاً تماماً بهذا السؤال. إكراماً للسماء دعني أواجه ما أتوقّع. لأفترض أنّ الشبيه، بقدر ما يكون شبيهاً، يكون صديقاً للشبيه، ونافعاً له. أوْ دَعني أجرّب بالأصحّ طريقة ما لطرح المسألة: أيستطيع الشبيه أن يفعل أيّ خير أو أذى للشبيه الذي لا يقدر أن يفعله لنفسه، أو أن يعاني أيّ شيء من شبيهه الذي لن يقاسيه من نفسه؟ وإذا ما كان يمكن لكل منهما أن يكون ذا نفع للآخر، كيف يمكنهما أن يشعرا بأيّة مودة بعضهما لبعض؟

ليسيس: إنّهما لا يقدران.

سقراط: وهل يمكن أن يكون عزيزاً عليك، ذلك الذي لا تشعر بأية مودّة نحوه؟

ليسيس: لا بالتأكيد.

سقراط: لا يكون الشبيه صديقاً للشبيه إذن بقدر ما يكون شبيهاً؛ لكن ربّما يكون الخيِّر بقدر ما يكون هو خيِّراً؟

ليسيس: لربّما.

سقراط: لكن ألن يكون الخيِّر مرة ثانية عندئذ، بقدر ما هو خيِّر، ألن يكون كافياً لنفسه؟ إنّه سيكون بكلّ تأكيد. والذي يكون كافياً لا يريد شيئاً - إنّ ذلك معنيٌّ ضمناً في كلمة كافٍ.

ليسيس: طبعاً لا.

سقراط: الذي لا يريد شيئاً لن يشعر بحاجة لأيٍّ شيء؟

ليسيس: إنّه لن يشعر.

سقراط: ولا يمكنه أن يحبّ ذلك الذي لا يُكنُّ له أيّة عاطفة؟

ليسيس: إنّه لا يستطيع.

سقراط: الذي لا يحبّ لا يكون محبّاً أو صديقاً؟

ليسيس: لا بوضوح.

سقراط: أيّ مكانٍ هناك إذن لأيّة صداقة بين الرجال الأخيار على الإطلاق، إذا لا يشعرون عند غيابهم بفقد بعضهم بعضاً (لأنّهم حتى عندما يكونون كافين لأنفسهم منفردين)، وحين حضورهم لا يمتلكون أيّ نفع بعضهم لبعض؟ كيف يستطيع هكذا أشخاص أن يقدِّر بعضهم بعضاً على الدوام؟

ليسيس: لا يقدرون.

سقراط: ولا يمكنهم أن يكونوا أصدقاء، ما لم يقدِّر بعضهم بعضاً؟

ليسيس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لكن أنظر الآن، يا ليسيس، أين نكون مخطئين في كل هذا - ألسنا على الطريق الخطأ؟

ليسيس: كيف ذلك؟

سقراط: لقد سمعت شخصاً يقول، كما أتذكّر ذلك تماماً، إنّ الشبيه هو العدوّ الأكبر للشبيه، الصالح للصالح. نعم، واقتبس هو كلاماً من مرجع لهيسيود. الذي يقول: « الخزافون يتشاجرون مع الخزّافين، الشاعر مع الشاعر، المتسوّلون مع المتسوّلين ». وأكد ذلك عن كلّ الأشياء الأخرى، بأسلوب مماثل: أنّ من الضرورة أن يكون الأكثر تشابهاً فيما بينهم، هم الأكثر امتلاءً بالحسد والشقاق، والكره بعضهم لبعض، والأكثر لا تشابهاً بالصداقة، لأنّ الإنسان الفقير هو مجبرٌ أن يكون صديق الغنيّ، ويحتاج الضعيف لمساعدة القويّ، والإنسان المريض للطبيب؛ وكل شخص جاهل يشعر بعطف تجاه الذي يعرفه ويحبه. وواصل هو القول حقّاً، حتى بأكثر تأثيراً، إنّ فكرة الصداقة الموجودة بين المتشابهين ليست الحقيقة، بل هي عكس الحقيقة بكلّ تأكيد، وأنّ الأكثر تضادّاً، هو الأكثر صَدُوقاً. كمثال، الجافّ يشتاق للرطب، البارد للحارّ، المر للحلو، الحادُّ للمنثلم، الخالي للملآن، وهكذا عن كل الأشياء الأخرى؛ لأنّ التضادّ هو غذاء التضادّ في حين أنّ الشبيه لا يحصل على منفعة من شبيهه. وافتكرت أنّ الذي قال هذا كان رجلاً ذكيّاً، لقد تكلّم جيداً. فماذا تقولون أيها الرفاق الباقون؟

مينيكسينوس: عليّ أن أقول، عند السماع الأوّل لهذه الكلمات، إنّه كان محقاً.

سقراط: ينبغي أن نقول حينئذ إنّ الصداقة الأعظم هي للمضادّات.

مينيكسينوس: بالضبط.

سقراط: حسناً، يا مينيكسينوس، أليس ذلك جواباً بالغ السخافة؟ أولن يفرح محبّوا الخصام العالمون بكلّ شيء لنشوة الانتصار علينا، ويسألون ما إذا كانت الصداقة هي المضادّ للخصام بالتأكيد؟ وبماذا نجيبهم؟ ألاّ ينبغي أن نعترف بأنّهم يتكلمون الحقيقة.

مينيكسينوس: يجب أن نعترف بذلك.

سقراط: أيكون العدو عندئذ (سيتابعون هم السؤال) صديق الصديق، أو أنّ الصديق هو صديق العدوّ؟

مينيكسينوس: لا هذا ولا ذاك.

سقراط: مرّة ثانية، أيكون إنساناً عادلاً مَنْ هو صديق الظالم، أو المعتدل للمفرط، أو الخيِّر للشرير؟

مينيكسينوس: إنّني لا أرى كيف يكون ذلك محتملاً.

سقراط: ومع ذلك، إذا انتشرت الصداقة في المضادّات، يجب أن تكون تلك المتضادات أصدقاء.

مينيكسينوس: يجب أن لا تكون.

سقراط: لا الشبيه والشبيه ولا اللاّمتشابه واللاّمتشابه هم أصدقاء إذن؟

مينيكسينوس: إنّني أفترض ذلك.

سقراط: دعنا نسأل سؤالاً أبعد من ذلك: ألا يمكن أن تكون كل تلك الأفكار عن الصداقة مغلوطة؟ لكن ألا يمكن أن يكون ذلك الذي ليس خيِّراً ولا شرّيراً باقياً في بعض الحالات كونه الصديق للخيِّر؟

مينيكسينوس: ماذا تعني؟

يسقراط: لماذا بحقّ؟ الحقيقة هي أنّني لا أعرف؛ غير أنْ رأسي مصاب بالدوار بألغاز المحاورة، ولذلك فأنا أجازف الحدس، أنّ « الجميل هو الصديق »، كما يقول المثل القديم. الجمال يكون شيئاً ناعماً، طريّاً، زلقاً بدون ريب، ولذلك فهو ذو طبيعة تنسلُّ من خلال أيدينا بسهولة وتفلت منّا. حسناً إنّني أؤكّد أنّ الخير هو الجميل، هل ستوافق على ذلك؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: إنّني أقول إذن، كنوع من الوحي، إنّ ما لا يكون خيِّراً ولا شرّيراً هو

الصديق للجميل والخيّر، وأنا سأخبرك كيف حصلت على هذا الوحي. إنّني أفترض وجود ثلاثة أنواع: الخيّر، الشرّير، وذلك الذي لا يكون خيّراً ولا شرّيراً. ستوافق على ذلك، أليس كذلك؟

مينيكسينوس: بلى، إنّني أوافق.

سقراط: ولا يكون الخيّر الصديق للخيّر، ولا الشرّير للشرّير، ولا الخيّر للشرّير. لقد استُبعِدَت هذه الخيارات بالمحاورة السابقة؛ ولذلك، إذا وُجد هكذا شيء كالصداقة أو الحب على الإطلاق، يجب أن نستنتج أنّ ذلك الذي لا يكون خيّراً ولا شريراً ينبغي أن يكون الصديق، إما للخيّر، وإما لذلك الذي لا يكون خيّراً ولا شرّيراً، لأنّه لا شيء يمكنه أن يكون صديقاً للشرّير.

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: لكن لا يستطيع الشبيه أن يكون صديقاً للشبيه، كما قلنا لتوّنا؟

مينيكسينوس: يبدو أن لا.

سقراط: يتبع أنّ ذلك الذي لا يكون خيّراً ولا شرّيراً هو الصديق للخيّر فقط، وللخير وحده.

مينيكسينوس: يمكن افتراض ذلك أنّه شيء أكيد.

سقراط: أولاً يبدو ذلك يُهدي للطريق الصحيح؟ لاحظ تماماً، أنّ الجسم الذي يكون سليماً لا يحتاج لمساعدة طبيّة ولا لأيّة مساعدة أخرى، بل إنّ لديه ما هو بحاجة إليه؛ والإنسان المعافى لا يمتلك أيّة محبّة للطبيب، لأنه سليم.

مينيكسينوس: لا يمتلك أيّاً منها؟

سقراط: غير أن المريض يحبه، لأنه مريض؟

مينيكسينوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: والمرض شرّ، وفنّ الطب شيء جيّد ونافع؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: لكنّ الجسم الإنساني، معتبراً كجسم، لا يكون صالحاً ولا صالحاً؟

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: والجسم مُجبر بسبب المرض كي يتودَّد وينشيء صداقة مع فنّ الطب؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: إذن إنَّ ذلك الذي لا يكون صالحاً ولا صالحاً يصبح صديق الصالح، بسبب وجود الشر؟

مينيكسينوس: يمكننا استخلاص ذلك.

سقراط: ويجب أن يكون قد حدث هذا بوضوح قبل أن يصبح شرّاً من خلال وجود الشرّ فيه. عندما يكون قد أصبح طالحاً مرة، لا يمكنه أن يرغب وأن يحب الخير بعد الآن؛ لأنّنا كما كنا قائلين، لا يمكن للشرّير أن يكون صديقاً للخيِّر.

مينيكسينوس: مستحيل.

سقراط: أبعد من ذلك، يجب أنْ ألاحظ أنَّ موادّ ما تكون مستوعبةً بأشياء أخرى عندما تكون هذه الأخرى موجودة فيها، ويوجد بعضٌ لا يمكن استيعابُه، خذ، كمثال، حالة اللّون الذي يوضع على مادة أخرى؛ يكون اللون موجوداً فيها حينئذ.

مينيكسينوس: جيد جداً.

سقراط: في هكذا وقت، أيكون الشيء عينه الذي يكون مطليّاً باللون عينه كالطلاء الذي هو عليه حقاً.

مينيكسينوس: ماذا تعني؟

سقراط: هذا ما أعنيه: افترض أنّني رحت أغطي أقفالك السمراء بالرصاص الأبيض، فهل ستكون هي بيضاء حقاً، أو ستظهر أنّها بيضاء فقط.

مينيكسينوس: ستظهر أنها بيضاء فقط.

سقراط: وسيكون الأبيض موجوداً فيها مع ذلك؟

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: لكنّ ذلك لن يجعلها الأكثر بياضاً على الإطلاق؛ وبدون مقاومة وجود البياض فيها، لن تكون بيضاء أكثر منها سوداء؟

مينيكسينوس: لا.

سقراط: لكن عندما يغرس الهرم البياض فيها، فإنّها تصبح متشابهة، وتكون بيضاء لوجود البياض.

مينيكسينوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: أريد أن أعرف الآن إذا كانت المادّة متشابهة في كل الحالات بوجود مادة أخرى؛ أو يجب أن يكون الحضور على غرار نوع غريب؟

مينيكسينوس: الآخر.

سقراط: إذن، فذلك الذي لا يكون صالحاً ولا صالحاً يمكن أن يكون في الحضور للشرّ، لكن ليس شرّاً لحدّ الآن، أو يمكن أنّه قد أصبح شرّاً سابقاً؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وعندما يكون أيّ شيء في الحضور للشر، ليس كونه شرّاً لحد الآن، إنّ حضور الشرّ في هذا المعنى يبرز رغبة الخيّر في ذلك الشيء؛ لكن الحضور الذي ينشىء شيئاً طالحاً حقاً، يأخذ الرغبة وصداقة الخيّر بعيداً؛ لأنّ ذلك الذي لم يكن، لمرة، لا خيّراً ولا شريراً قد أصبح شرّيراً، وكان الخيّر مفترضاً أنّه لا يمتلك صداقة مع الشرير؟

مينيكسينوس: لا يملك أيّاً منها.

سقراط: ولذلك نقول نحن إنّ أولئك الذين هم عقلاء مسبقاً، سواء كانوا آلهة أو رجالاً، ليسوا محبي الحكمة بعد الآن. ولا يستطيعون أن يكونوا محبّي الحكمة الذين هم جهلاء لبقائهم كونهم أشراراً، إذ لا شخص شرّيراً أو

جاهلاً هو محب للحكمة. يبقى هناك أولئك الذين يعانون من شرّ الجهل، غير أنّهم ليسوا محجّرين في جهلهم لحدّ الآن أو خالين من الفهم، وهم باقون مدركين أنّهم لا يعرفون مالا يعرفون. ولذلك فأولئك الذين لا يكونون أخياراً ولا أشراراً لحد الآن هم محبو الحكمة؛ لأنّنا، كما قد رأينا مسبقاً، لا يكون الشبيه صديقاً للأشبيه، ولا الشبيه للشبيه، أتتذكّر ذلك؟

[أجاب مينيكسينوس وليسيس بكلمة: نعم].

سقراط: وهكذا، يا ليسيس ومينيكسينوس، نحن اكتشفنا طبيعة الصداقة ـ لا يمكن وجود شك فيها. الصداقة هي حب ذلك الذي لا يكون خيّراً ولا شرّيراً، عندما يملك في الحضور الذي للشرّ، ذلك الذي يكون خيّراً إمّا في الرّوح، في الجسم، أو في أيّة طريقة أخرى.

[وافق كلاهما وصدّقا ذلك كليّة، وابتهجتُ للحظة وكنت مقتنعاً كالصياد الممسك تماماً بالفريسة التي وقعت بين يديه. لكن الشكّ الأكثر، غير المحسوب قابلني عندئذ، وشعرت أن الاستنتاج كان غير صحيح. إنّني تأمّلت، وقلت، يا للحسرة! يا ليسيس ومينيكسينوس، أنا أخشى أنّنا أمسكنا خيالاً فقط].

مينيكسينوس: لِمَ تقول ذلك؟

سقراط: إنّني خائف من أنّ محاورتنا بشأن الصداقة، برهنت وجود مدّعين مثل بعضٍ من الرجال.

مينيكسينوس: ماذا تعني؟

سقراط: حسناً، أنظر في المسألة بتلك الطريقة: الصديق يكون صديقاً لشخص ما؛ ألا يكون هو؟

مينيكسينوس: إنّه يكون بالتأكيد.

سقراط: ألاَ يمتلك هو دافعاً وهدفاً في كونه صديقاً، أو أنّه لا يمتلك باعثاً وقصداً؟

مينيكسينوس: إنّه يمتلك حافزاً وهدفاً.

سقراط: أو يكون الهدف الذي يجعله صديقاً، عزيزاً له، أو لا يكون عزيزاً ولا بغيضاً له؟

مينيكسينوس: إنّني لا أتبعك تماماً.

سقراط: لا أعجب لذلك، لكن لربّما إذا وضعت المسألة بطريقة أخرى، فإنّك سوف تقدر على متابعتي، وسيكون معناي أوضح لنفسي. وكما كنت قائلاً لتوّي الآن، فإنّ الإنسان المريض، هو صديق الطبيب. أليس كذلك؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وإنّه صديق الطبيب بسبب المرض، وبقصد الصحة؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وإنّ المرض شرّ؟

مينيكسينوس: بدون ريب.

سقراط: وماذا عن الصحة؟ أتكون هي خيراً أو شراً، أوليس كلاهما؟

مينيكسينوس: إنها خير.

سقراط: وأعتقد أننا كنا قائلين، إنّ الجسم كونه لا خيراً ولا شرّاً، بسبب المرض، فكأنّك تقول بسبب الشرّ، فالجسم هو صديق للدواء، والدواء يكون خيراً. ودَخَل الدواء في هذه الصداقة لغرض الصحة، والصحة هي خير.

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: أوَ تكون الصحّة صديقاً، أوليست بصديق؟

مينيكسينوس: إنّها صديق.

سقراط: والمرض عدو؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ ذلك الذي لا يكون خيراً ولا شرّاً هو صديق الخيْر بسبب الشرّ والكراهية، وبقصد الخير والصداقة.

مينيكسينوس: يبدو هكذا.

سقراط: إذن فإنّ الصديق هو صديق الصديق، بقصد الصديق وبسبب العدوّ؟

مينيكسينوس: إنّ ذلك مستخلص.

سقراط: حسناً جدّاً، دعونا نهتم في هذه النقطة الرئيسيّة يا أولادي إذن، وأن نكون يقظين ضدّ التضليل. إنّني سأتغاضى عن الصعوبة من أنّ الصديق هو صديق الصّديق، ولذلك الشبيه للشبيه، والتي قد أعلنّاها أنّها مستحيلة. لكن كي لا يمكن لهذا التقرير الجديد أن يخدعنا، دعنا نختبر نقطة رئيسيّة أخرى بانتباه: إنّ الدواء، كما قلنا، هو صديق أو عزيز لنا، بغرض الصحة؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وأنّ الصحة هي عزيزة أيضاً؟

مينيكسينوس: بالتأكيد.

سقراط: وإذا كانت عزيزة، فعزيزة بغرض شيء ما إذن؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: ويجب أن يكون هذا الهدف عزيزاً أيضاً بكل تأكيد، كما دلّت ضمناً اعترافاتنا السابقة؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: ويتطلب ذلك الشيء العزيز شيئاً ما عزيزاً آخر؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: لكن ألا يجب إمّا أن نستمرّ في هذا الطريق عندئذ تخور قوانا، أو أن نصل إلى سبب رئيسي ما للصداقة أو المودة التي لا تكون قادرة أن تكون معزوّة لأيّ شيء آخر، لأجل ذلك الذي تكون كل الأشياء الأخرى عزيزة له، كما نؤكّد.

مينيكسينوس: ينبغي علينا ذلك.

سقراط: خوفي هو أن كل تلك الأشياء الأخرى، التي كما نقول، هي عزيزة لأجل الأشياء الأخرى، ليست سوى أوهام وخداع فقط، لكن حيث يكون ذلك السبب الأوّل، فهناك توجد الصداقة المثالية. دعني أضع المسألة هكذا: إفترض حالة الكنز كبير (يمكن أن يكون هذا ولداً، الذي هو أكثر نفاسة عند أبيه من كلّ كنوزه الأخرى)؛ ألا يقدّر الأب، الذي يقدّر إبنه فوق كل الأشياء الأخرى، ألا يقدّر الأشياء الأخرى من أجل ابنه؟ إنّني أعني، كمثال، إذا عرف الأب أنّ ابنه قد شرب السّم، وفكّر الأب أنّ النبيذ يمكن أن ينقذه، فإنّه سيقدّر النبيذ؟

مينيكسينوس: طبعاً.

سقراط: ويقدّر الوعاء الذي يحتوي النبيذ أيضاً؟

مينيكسينوس: بالتأكيد.

سقراط: أوَلاَ يقدّر هو لذلك القياسات الثلاثة للنبيذ، أو الإناء الأرضي الذي يحتويها، بالتساوي مع ابنه؟ ألاَ تكون هذه بالأحرى الحالة الحقيقية للوضع؟ إنّ كل قلقه لا يمتلك أيّ اعتبار للوسائل التي يقدّمها من أجل الهدف، بل إلى الهدف الذي من أجله تجهّز هذه الوسائل. ومع أنّه يمكننا غالباً القول إنّ الذهب والفضة لها التقدير العالي منا، فذلك ليس صحيحاً، لأنّ هناك هدفاً أبعد من ذلك، مهما يمكن أن يكن ذلك الهدف، الذي نقدّره نحن أكثر من الجميع، والذي لأجله نكتسب الذهب وكل ممتلكاتنا الأخرى ألست محقاً؟

مينيكسينوس: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: أوَلاَ يمكن قول الشيء نفسه عن الصديق؟ إنّ كل الذي يكون عزيزاً علينا فقط لأجل شيء ما آخر هو قول غير مناسب ليكون عزيزاً، لكنّ العزيز بحق هو ذلك الذي تنتهي فيه كلّ هذه المسمّاة صداقات عزيزة؟

مينيكسينوس: يظهر ذلك أنّه حقيقي.

سقراط: إذن فذلك الذي يكون عزيزاً بحق لا يكون عزيزاً لأجل شيء ما آخر يكون عزيزاً؟

مينيكسينوس: صدقاً.

سقراط: إذن فلقد وفينا بالغرض بالمفهوم القائل إنّ ذلك الذي يكون عزيزاً، يكون هكذا على حساب شيء ما آخر يكون عزيزاً. وبعدُ أيجب أن نقبل بذلك أنَّ الخيِّر يكون العزيز؟

مينيكسينوس: أعتقد هكذا.

سقراط: حسناً إذن، أيكون الخيِّر محبوباً بسبب الشرّ؟ دعني أطرح الحالة بهذه الطريقة: إفترض أنّه يبقى من المجموعات الثلاث، الخيِّر، الشرّير، وذلك الذي ليس خيِّراً ولا شريراً، يبقى الخيِّر والمحايد فقط، وأنّ الشرّ أقصي بعيداً، ولم يؤثّر على الروح أو الجسم بأيّة طريقة، ولا أبداً على الإطلاق على ذلك النوع من الأشياء التي، كما نقول، ليست خيراً ولا شرّاً في أنفسها؛ - وهل سيكون الخير بذي نفع، أو غيراً من عدم نفعه لنا؟ إذ لو لم يكن هناك أي شيء ليؤذينا بعد اليوم، فلسنا بحاجة لأي شيء يفعل لنا خيراً. سيكون مرئياً آنئذ بوضوح أننا لم نفعل سوى حب ورغبة الخير بسبب الشر، وكعلاج للشر، الذي كان المرض؛ لكن إذا لم يكن هناك مرض، فلا حاجة للعلاج. أيكون ذلك صحيحاً عن طبيعة أنَّ الخير يكون محبوباً من قبلنا بسبب الشر المركّز بين الاثنين، وأنه لا يوجد أي نفع في الخير من أجله الخاص؟

مينيكسينوس: يبدو أنّه كذلك.

سقراط: إذن فالسبب النهائي للصداقة الذي تلتقي فيه كل الصداقات الأخرى، أعني أولئك الذي يكونون أعزاء نسبياً وإكراماً لأجل شيء ما آخر، هو غيرٌ وذو طبيعة مختلفة عنها. إنها تسمى عزيزة بسبب عزيز آخر أو صديق. لكن

مع الصديق الحقيقي أو العزيز، فالحّالة هي العكس تماماً؛ لأن ذلك مُبرهن أنه عزيز بسبب المكروه، وإذا كان المكروه بعيداً فلن يكون عزيزاً بعد اليوم.

مينيكسينوس: حقيقي تماماً. على أيّة حال ليست إذا بقيت وجهة نظرنا الحاضرة معمولاً بها.

سقراط: لكن أوه! هل ستخبرني، ما إذا كان الشرّ ليفنى، فهل سنجوع بعد اليوم، أو نعطش بعد اليوم، أو تكون لدينا أيّة رغبة مماثلة؟ أو هل يمكننا الافتراض أنّ الجوع سيبقى طالما بقي الرجال والحيوانات، لكن ليس ليؤذي؟ وينطبق الشيء ذاته على العطش والرغبات الأخرى. إنّها ستبقى، لكنّها لن تكون شرّيرة لأنّ الشرّ قد أُبيد؟ أو هل سأقول على الأصح، أن تسأل ما سيكون كلاهما حينئذ أو ما لا يكون هو شيء مضحك. ومن الذي يعرف ذلك؟ إنّنا نعرف هذا، إنّ في حالتنا الحاضرة يمكن للجوع أن يؤذينا، ويمكن أن ينفعنا أيضاً. أليس ذلك صحيحاً؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: ويمكن أن يكون العطش أو أيّة رغبة مماثلة في أسلوب مماثل، يمكن أن يكون ذا فائدة وغير مفيد لنا بعض المرات، وبعض المرات لا هذا ولا ذاك؟

مينيكسينوس: لتكن متأكّداً.

سقراط: لكن أيوجد أيّ سبب لفناء ذلك الذي لا يكون شرّاً، بسبب أنّ الشرّ يفنى؟

مينيكسينوس: لا سبب ذلك.

سقراط: إذن، حتى إذا فُني الشرّ، ستبقى الرغبات التي لا تكون خيراً ولا شرّاً؟

مينيكسينوس: يبدو هكذا.

سقراط: أوّلاً يجب أن يحب الإنسان ذلك الذي يرغب ويتشوق له؟

مينيكسينوس: يجب عليه.

سقراط: إذن، حتى إذا فُني الشرّ، فإنه يمكن بقاء بعض الأشياء العزيزة؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: لكنّ ليس إذا كان الشرّ سبب الصداقة: لأنّ في تلك الحالة لا شيء سيكون الصديق لأيّ شيء آخر بعد تدمير الشرّ. فالنتيجة لا يمكن أن تبقى حيث يكون السبب مُدمَّراً.

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: ولقد اعترفنا مسبقاً أنّ الصديق يحبّ شيئاً ما، وذلك لسبب؟ ورأينا وقت إدخال الاعتراف أنّ لا الخيّر ولا الشرّير يحبّان الخير بسبب الشرّ؟

مينيكسينوس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكنّ وجهة نظرنا قد تغيّرت الآن، ونتصوّر أنّه يجب أن يوجد سبب ما آخر للصداقة؟

مينيكسينوس: إنّني أفترض ذلك.

سقراط: ألا يمكن أن تكون الحقيقة على الأصحّ، كما كنا قائلين لتوّنا الآن، أنّ الرغبة هي سبب الصداقة؛ لأنّ ذلك الذي يرغب يكون عزيزاً لذلك الذي هو مرغوب في وقت رغبته به؟ أوَلاَ يمكن أنّ تكون النظرية الأخرى قد قصة طويلة عن لا شيء؟

مينيكسينوس: محتمل بما فيه الكفاية.

سقراط: لكن بالتأكيد، فالذي يرغب، يرغب ما هو بحاجة له؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وما هو بحاجة إليه يكون عزيزاً عليه؟

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: ويكون هو بحاجة لما هو محروم منه؟

مينيكسينوس: بالتأكيد.

سقراط: سيبدو الحبّ والرغبة والصداقة عندئذ أشياء طبيعية ومتجانسة. هكذا هو الاستنتاج، يا ليسيس ومينيكسينوس.

[وافقا كلاهما على ذلك].

سقراط: إذا كنتما أنتما صديقين إذن، يجب أن تمتلكا الطبائع التي تكون متشابهة بعضهما ببعض؟

قال كلاهما: بالتأكيد.

سقراط: وإنّني أقول، يا ولديّ، إنّ الإنسان الذي يحب أو يرغب الآخر لم يكن أبداً ليحبّ أو يرغب أو يشتاق له إذا لم يكن لهما طبائع متشابهة بطريقة ما، إمّا في الروح، أو في الأخلاق، أو في الأساليب، أو في الشكل.

مينيكسينوس: نعم، نعم. غير أنّ ليسيس كان صامتاً.

سقراط: نستنتج إذن، أنّ ما هو ذو طبيعة متشابهة تجب محبتّه.

مينيكسينوس: يتبع هذا.

سقراط: المحبّ إذن، الذي يكون صادقاً وليس مزيّفاً، يجب أن يكون محبوباً بالضررورة.

[وافق ليسيس ومينيكسينوس ببطء. وتبدّل هيبوثايلس إلى كلّ نوع من أنواع الألوان من جرّاء سروره الشديد.

قصدت هنا أن أراجع المحاورة، قلت: هل نقدر نحن أن نشير إلى أيّ فرق بين الشيء المتجانس والشبيه؟ لأنه إذا أمكن ذلك، أعتقد حينئذ، يا ليسيس ومينيكسينوس، أنّه يمكن أن يوجد معنى ما في محاورتنا بشأن الصداقة. لكن إذا كان المتجانس هو الشبيه فقط، كيف ستتخلصان من المحاورة الأخرى، من عدم نفع الشبيه للشبيه بقدر ما هما شبيهان؟ (فلكي تجيزا أنّ عديم النفع يكون عزيزاً، سيكون هذا مضحكاً). إفترضا إذن، أنّنا نوافق على أن نميّز بين المتجانس والمتشابه ـ لربما يمكن إجازة ذلك، في ثَمَلِ المحاورة].

مينيكسينوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وهل سنقول علاوة على ذلك أنّ الخيِّر هو المتجانس، والشرير هو اللامتجانس نحو كل شخص؟ أو- مرّة ثانية إنّ الشر هو المتجانس نحو الشرير، والخيِّر نحو الخيِّر، وذلك الذي ليس خيِّراً ولا شرّيراً، نحو ذلك الذي ليس بخيِّر ولا شرّير؟

[وافقا معاً على الخيار الأخير].

سقراط: لقد وقعنا يا ولديَّ، مرّة ثانية إذن، في الخطأ القديم المطروح؛ لأنّ الظالم سيكون الصديق للظالم، والسّيء للسّيِّء، بالقدر تماماً الذي سيكون الخيِّر فيه صديقاً للخيِّر؟

مينيكسينوس وليسيس: حقاً.

سقراط: لكنّ ذلك كان موقفنا أيضاً والذي قد دحضناه مسبقاً، كما ستذكران.

مينيكسينوس وليسيس: إنّنا نتذكر.

سقراط: ما العمل إذن؟ أو بالأصحّ أيوجد أيّ شيء ليتّم فعله؟ إنّني أستطيع فقط أن ألخّص المحاورات، مثل الرجال الحكماء الذين يحاورون في المحاكم وأقول: إذا لم يكن المحبوب، ولا المحب، لا الشبيه، ولا غير الشبيه، لا الخيِّر ولا المتجانس، ولا أيٌّ آخر ممّن تكلمنا عنه - لأنّه وُجد هكذا عددٌ منهم لا أستطيع أن أتذكره كله - إذا أيّا من هؤلاء لا يكون الصديق، فإنّني لا أعرف ما هو الباقي لنقوله.

[كنت ذاهباً هنا لأخذ آراء بعض الأشخاص المسنّين، عندما قاطعنا عن الكلام حرّاس ليسيس ومينيكسينوس، الذين أتو إلينا كجنيّين بالوصاية، مُحضرين معهم أخوة الولدين، وقد أمروهما بالذهاب إلى البيت، لأن النهار كاد أن ينتهي، حاولنا والمتفرجين أن ندفع بهم خارجاً بادىء ذي بدء، وبما أنهم لم يعيروا اهتماماً لذلك، بل بدأوا الصراخ فيما بعد بلسانهم اليوناني

الغريب وكانوا غاضبين، ورحت أنادي الولدين ـ ظهر لنا أنّهما قد أكثرا من الشراب في الخمارة، ومن أجل ذلك كان قيادهما صعباً ـ ثم أفسحنا لهما في المجال كي يذهبا على نحو لائق وأنهينا الاجتماع.

قلت للولدين كلمات قليلة، على أيّة حال، عند انصرافهما: أوه يا مينيكسينوس وليسيس، كم أنتما مضحكان أيّها الولدان، وأنا، الرجل المسنّ، الذي جازفت لأصنّف نفسي معكما، من أن نتصور أنفسنا كأصدقاء. هذا ما سيذهب ويقوله الناس الذي أصغوا لمحاورتنا. ولم نتمكن من أن نكتشف ما هو الصّديق حتى الآن!

محاورة لاخيس

الشجاعة

افكار المحاورة الرئيسيّة.

ليسيماخوس بن آريستايدس العادل، وميليسياس بن ثيوسيدايدس، رجلان مسنَّان، يريدان برغبة قوية أن يعلّما ولديهما حسب أفضل أسلوب متبّع، أفضل من التعليم الّذي تلقيّاه هما، والذي يتلقاه بقية شباب أثينا.

رافقهما نيخياس ولاخيس بطلب منهما ليروا رجلاً إسمه ستاسيلوس المحارب بالسلاح الثقيل. سأل الرجلان القائدين العسكريين (نيخياس ولاخيس) إذا ما كانا لينصحاهما بتعليم ولديهما التدريب في هذا المجال. وكان نيخياس ولاخيس على استعداد تام ليعطيا رأيهما بشأن هذا الموضوع، لكنهما اقترحا استدعاء سقراط ليأخذ دوراً في هذه الاستشارة. وسقراط لا يعرف ليسيماخوس، لكنّ الأخير تذكر أنّه ابن صديقه سافرونيسكوس، الذي كان على اتفاق دائم معه حتى لحظاته الأخيرة. ونيخياس يعرف سقراط، الذي قدَّم إليه دايمون الممتاز، الموسيقي والسوفسطائي، كمعلّم لابنه، وكذلك يعرفه لاخيس، الذي كان شاهداً على سلوكه البطولي في معركة ديليوم. وبما أنّ سقراط أصغر سنّاً من نيخياس ولاخيس، يفضِّل أن يتأخّر في إعطاء رأيه حتى يبدياه هما أولاً. ويفضل نيخياس، العالِمُ بالتكتيك الحربي، الفنّ الجديد كثيراً جداً. وهذا الفنّ يصفه بالألعاب الرياضية الحربيّة، فهو نافع عند تشكيل الصفوف، وهو أكثر نفعاً عند تفرقها؛ يخلق فائدة عامة في الدراسة العسكرية، ويضيف إلى الجندي المظهر في حقله بشكل عظيم. أما لاخيس، المقاتل القوي، فيرتئي أن هذا الفنّ ليس معرفة، ولا يمكن أن يكون له

أيّة قيمة، لأنّ اللاقيدايميون، أولئك الأسياد في الفن هذا، أهملوه. إنّ خبرته الخاصة في الخدمة الفعليّة علمته أنّ هؤلاء المدّعين غير نافعين ومضحكون. لقد رأى هو هذا الرجل ستاسيلوس يقدّم عرضاً على ظهر باخرة، وكان هذا قد عرّضه للسخرية عندما فقد سلاحه الذي كان يحمله وبالتالي من رآه ضحك عليه. إن امتلاك هذا الفن سيجعل الجبان متسرّعاً، ويعرّض الشجاع، إذا ما صادف أن زلّت به قدمه، سيعرضه إلى تعليقات مثيرة للاستياء. وبعدُ دعنا نأخذ استشارة سقراط، وإذا ما كان الرأيان اللذان طرحناهما يختلفان، كي يقرّر.

لم يرغب سقراط في أن يقرر ذلك برأي الأكثرية ويقول: في مسائل خطرة كهذه مثل تعليم أطفال الأصدقاء، فإنه سيستشير الشخص الحاذق الذي كان لديه أسياد، والذي قدّم براهين لمهارته هذه. وليس هو الذي يستطيع ذلك، لأنّه لم يكن قادراً أن يدفع للسوفسطائيين من أجل تعليمه، ولم يمتلك الذكاء الحاد كي ينجز أو يكتشف أيّ شيء، غير أنّ نيخياس ولاخيس هما أكبر سنّاً منه وأغنى، وهو سيثق بهما بشكل تام، إذا لم يُعارضا ذلك تماماً.

يقترح ليسيماخوس أن يعهد بالمحاورة إلى الطرف الأفتى في المجموعة، وبما أنه مسنّ، ويمتلك ذاكرة سيئة، فإنّه يلتمس إلى سقراط بكل جديّة كي يبقى - في إظهار ذلك، كما يقول نيخياس، ما أقلّ ما يعرفه الإنسان، والذي لن يذهب بكلّ تأكيد قبل أن يستجوب سقراط المجموعة الموجودة بدقّة بشأن حيواتهم الأفضل. نيخياس قد أُخضع لهكذا عمليّة؛ وأما لاخيس فهو على استعداد بكلّ تأكيد ليتعلّم من سقراط، لأنّ أعماله، في الطراز الدوريني الحقيقي، تتناسب مع كلماته.

يواصل سقراط القول: يمكننا أن نسأل من هم معلمونا، لكن طريقة أفضل وأكثر كمالاً لاختبار القضية علينا أن نلج فيها، ومن ثمّ نسأل، (ما هي الفضيلة). أو بالأحرى، لنقصر التساؤل على ذلك الجزء من الفضيلة الذي يختص باستعمال السلاح، ونسأل، (ما هي الشجاعة)؟. يعتقد لاخيس أنّه يعرف ذلك ويقول: إنّ

الشجاع هو من يثبت في موقعه عند حدوث المعركة. لكن بعض الأمم، يا لاخيس، تحارب بفرسان يمتطون ظهور الخيل على غرار أسلوب آينياس في هوميروس، أو كما حارب الإسبارطيون المدججون بالسلاح الثقيل في معركة بلاطايا. وسقراط، يريد تعريفاً أكثر شمولية، ليس فقط للشجاعة الحربية، بل للشجاعة على مختلف أنواعها، والتي جُرِّبت وسط الملذات والآلام. ويجيب لاخيس أنّ هذه الشجاعة العاليّة هي الصبر، نعم، يا لاخيس، لكن الشجاعة هي شيء جيد. والصبر المجرّد يمكن أن يكون مؤذياً وضاراً، لذلك يجب أن يضاف عنصر الذكاء إليه. لكن، مرّة ثانية، فإنّ الصبر الذكيّ عندئذ يمكن أن يكون غالباً أكثر شجاعة من الذكاء، الشرّير أكثر من الخيّر، فكيف يمكن لهذا التناقض أن يُحلّ؟

ومع أن أعمال سقراط ولاخيس شجاعة، فهما لم يوضعا (في أسلوب الدوريان) بالكلمات والأعمال؛ لأنّ كلماتهم كلها مشوشة، مع أنّ أعمالهم هي شجاعة. يبقى أنه يجب عليهما أن (يصبرا) في المحاورة بشأن الصبر. إنّ لاخيس مستعدّ لذلك تماماً، وهو متأكد أنّه يعرف ما هي الشجاعة، إذا ما استطاع أن يخبر ذلك فقط.

ويناشدان هنا نيخياس كي يتدخل. ويعرّف نيخياس الشجاعة بكلمات سمعها من سقراط نفسه الذي قال في زمن مضى « إنّ الشجاعة هي الذكاء ». يسخر لاخيس من هذا التعريف. وسقراط يتساءَل: « أيّ نوع من الذكاء؟ ». ويجيبه نيخياس: « إنّها ذكاء من نوع مخيف ». لكن، يا نيخياس، كل إنسان يعرف الأشياء التي تخيف في فنّه الخاص. لا، يا سقراط، إنّهم لا يفعلون. يمكنهم أن يتنبأوا عن النتائج، لكنهم لا يستطيعون أن يخبروا إذا ما كانت هي رهيبة بحقّ. الإنسان الشجاع يمكنه أن يخبر ذلك فقط. ويستنتج لاخيس أنّ الإنسان الشجاع إما أن يكون كاهناً أو إلهاً.

مرة ثانية، يتكلم نيخياس بطريقته المعتادة، وهي أنّ الشجاعة يجب أنكارها في

الحيوانات والأطفال لأنّهم لا يعرفون الخطر. ويُردُّ نيخياس إلى طريق الصواب بعد استعماله اللغة لتثبيت آرائه بالطريقة العكسيّة، لكن في درجة ما مُلطفاً بمجاملةٍ لشجاعته الخاصة. يبقى أنّه لا يريد أن يرى رجل دولة وقائداً حربياً ساقطاً إلى سوفسطائية من هذا النوع.

ويستأنف سقراط الحوار بقوله، لقد عرّفت الشجاعة بأنّها ذكاء أو معرفة المرعب؛ والشجاعة ليست كل الفضيلة، بل هي واحدة من الفضائل، ويكون المرعب في المستقبل، ولذلك فمعرفة المرعب هي معرفة المستقبل. لكن لا يمكن وجود معرفة عن مستقبل الخير أو الشر منفصلة عن معرفة الخير والشر للماضي أو الحاضر؛ ذلك لنقول، عن كلّ الخير والشرّ. لذلك فإنّ الشجاعة هي معرفة الخير والشرّ بشكل عام. لكنّ مَنْ يمتلك المعرفة عن الخير والشرّ بشكل عام، يجب ألاّ يمتلك شجاعة فقط، بل اعتدالاً، عدلاً، وكل فضيلة أخرى أيضاً.

وهكذا، فإنّ فضيلة بمفردها ستكون الشيء عينه ككلّ الفضائل.

وبعد كل ما قد قيل فإن الجنرالين وسقراط، بطل معركة ديليوم، لا يزالون في جهلهم عن طبيعة الفضيلة، وما عليهم إلاّ أن يذهبوا إلى المدرسة مرّة ثانية، كذلك الأولاد، الرجال المسنّون، والجميع.

محاورة لاخيس

الشجاعة

أشخاص المحاورة

ليسيماخوس: إبن أريستايدس

ميليسياس: إبن ثيوسيدايدس

وولداهما : نيخياس ، لاخيس

سقراط

ليسيماخوس: إنّكما قد رأيتما العرض القتالي للإنسان بعدُّته الحربيّة، يا نيخياس ولاخيس، لكنّنا لم نخبركما حينها السبب لماذا سألناكما صديقي ميليسياس وأنا لتذهبا معاً وترياه. أعتقد أنّه يجب علينا بالمقابل أن نعترف، ماذا كان هذا، وأن لا يكون لدينا أيّ تحفظ معكما بكل تأكيد. سخر البعض من فكرة استشارة الآخرين تحديداً، وعندما يُسألون فلن يقولوا ما يفكرون به. إنّهم يخمنون في رغبات الشخص الذي يسألهم، ويجيبونه طبقاً لذلك، وليس طبق ما يرونه. غير أنّه كما نعرف نحن من أنكم قضاة صالحون، وستقولون ما تفكرون به بالضبط، فلقد اخترناكم كي تعطونا نصائحكم. إنّ المسألة التي أُعِدُّ بشأنها كلّ هذه المقدمة هي كما يلي: ميليسياس وأنا يمتلك كلّ منا صبيّاً؛ ذلك ابنه ويسمى ثيوسيدايدس، على اسم جده؛ وهذا إبني، الذي يدعى باسم جده أريستايدس أيضاً، إي إسم أبي. وبعدُ، فنحن مصمّمان على أن نولي الاهتمام الأكبر بالشابين، ولن ندعهما كأكثرية

الآباء، يفعلان ما يسرهما عندما يشبّان عنِ الطوق، بل إنّنا نقصد أن نبدأ حالاً ونفعل أقصى ما نستطيع لهما. وبما أنّنا نعرف أنّ لديكم أبناء، فنحن اعتقدنا أنّكم أكثر الرجال احتمالاً في ملازمة تدريبهم وتحسينهم، وإذا ما نَدَرَ وفكرتم بهذا الموضوع، يمكن أن نذكّركم أنّه ينبغي عليكم فعل ذلك، وسندعوكم لتساعدونا في إتمام هذا الواجب المشترك. سأخبركما، يا نيخياس ولاخيس، حتى في مجازفة كوني مملاً، كيف وصلنا لنفكّر بهذا. إنّني أعيش وميليسياس معاً، ويعيش معنا ولدانا؛ وكلانا يتحدث مع الصبيّين غالباً عن المآثر النبيلة العديدة التي أبداها آباؤنا في الحرب والسلم، وفي إدارة شؤون الحلفاء، وتلك التي للمدن؛ لكن ليس لدى أحدنا أيّ من المآثر الخاصة التي يستطيع إبرازها. الحقيقة هي أنّنا خجلون من هذه المقارنة كونها مرئية من قِبَلهم ونحن نلوم آباءَنا لتركنا نفسد في أيّام شبابنا، بينما كانوا هم منهمكين بشؤون الآخرين. ونحن نحث أولادنا على كل هذا، مشيرين عليهم أنّهم لن ينشأوا على مبادىء الشرف إذا تمرّدوا ولم يقاسوا الآلام؛ غير أنّهم إذا تجرعوا الآلام، لربّما يمكنهم أن يصبحوا جديرين بالأسماء التي يحملون. هم، من جانبهم، يَعِدُون بأن يستجيبوا لرغباتنا. واهتمامنا هو أن نكتشف أيّة دراسات أو ملاحقات تُعتبرُ أكثر تحسيناً لهم. امتدح شخص ما لنا فنّ الحرب في الأعتدة القتاليّة، التي يرى أنّها إنجاز ممتازٌ على الإنسان الشابّ أن يتعلّمه، وأثنى على الرجل الذي رأيت عرضه لتوّك، وأخبرنا أن نذهب ونراه، وقرّرنا نحن الذهاب وفعل ذلك، وأن نجلبكم لترافقونا وتروا المشهد؛ قاصدين في الوقت عينه أن نطلب نصيحتكم، وإذا ما رغبتم، لتشاركونا في مخطّطنا لتعليم أولادنا. تلك هي المسألة التي أردنا أن نبحثها معكم، ونحن نأمل في أنكم سوف تعطونا رأيكم بشأن فنّ القتال بالعدّة الحربيّة، أو بشأن أيّة دراسات أو ملاحقات ستنصحون أو لا تنصحون بها

للرجل الشابّ، وستخبروننا إذا ما كنتم ستحبّون الانضمام لاقتراحنا هذا.

نيخياس: بقدر ما يخصني بشأن هذا الموضوع، يا ليسيماخوس وميليسياس، فإنني أستحسن اقتراحكما، وسأنضم لكما بكل سرور، وأعتقد أنّك، يا لاخيس، ستكون مسروراً بشكل متساوٍ.

لاخيس: بكل تأكيد، يا نيخياس؛ وإنّني أوافق على الملاحظة التي أبداها ليسيماخوس بشأن أبيه وأب ميليسياس، والتي ليست ملائمة لهما فقط، بل لنا كذلك، ولكلّ شخص منهمك بالشؤون العامة. كما يقول هو، فهؤلاء الأشخاص عرضة لأن يهملوا ولا يبالوا بأطفالهم وبمشاكلهم الخاصّة كذلك. هناك حقيقة كبيرة في ملاحظتك تلك، يا ليسيماخوس، لكن لِمَ لا تستشير صديقنا سقراط، بجانب استشارتك لنا، بشأن تعليم الشباب؟ إنّه يشاركك الهدف عينه، وهو يمضي وقته على الدوام في الأماكن حيث يحصل الشباب على أيّة دراسة أو ملاحقة نبيلة، كتلك التي تتعقّبون.

ليسيماخوس: لماذا، يا لاخيس، هل لازم سقراط القضايا من هذا النوع على الدوام؟

لاخيس: بالتأكيد، يا ليسيماخوس.

نيخياس: إنّ لديّ وسائل المعرفة عن ذلك كالتي يمتلكها لاخيس تماماً؛ فسقراط قد أمدّني مؤخراً بمعلّم للموسيقى كي يعلّم ولدي، - دايمون، تلميذ أغاثوكلس، الذي يعتبر الإنسان الأكثر براعة بكل طريقة، كما أنّه موسيقي بارع، ورفيق ذو قيمة لا تقدّر للرجال الشباب في سنّهم.

ليسيماخوس: إن أولئك الذين بلغوا ما بلغتُ من الحياة، يا سقراط ونيخياس ولاخيس، يتأخّرون عن مصاحبة الشباب، لأنهم محتجزون في البيت بسبب التقدم في السنّ؛ لكنك، أوه يا ابن سوفرونيسكوس ستدع زملاءك الشباب يحصلون على المنفعة من أيّة نصيحة تقدر على إسدائها. إضافة إلى ذلك،

فإنّ لديّ مطلباً عندك بما أنني صديقٌ قديم لأبيك؛ فأنا وهو كنا رفيقين وصديقين دائماً، ولم يكن بيننا أيّ تباين أبداً إلى حين وفاته؛ والآن فلقد عاودتني الذكرى، عند ذكر اسمك، لقد سمعت هؤلاء الصبيان يُحادِثُ بعضهم بعضاً في البيت، ويتكلمون غالباً عن سقراط بعبارات المديح البالغة؛ لكنّني لم أفكّر قط أن أسألهم سؤالاً إذا ما كان إبن سوفرونيسكوس الشخص الذي عنوا. أخبروني، يا أولادي، إذا كان هذا هو السقراط الذي تتكلّون عنه غالباً؟

الولد: بالتأكيد، يا أبي، إنّه هو.

ليسيماخوس: إنني ليسرّني أن أسمع، يا سقراط، أنّك تحافظ على إسم أبيك، الذي كان إنساناً أكثر امتيازاً؛ وأبتهج علاوة على ذلك بسبب تجدّد علاقاتنا العائلية.

لاخيس: حقّاً، يا ليسيماخوس، عليك أن لا تتخلى عنه قطّ؛ فأنا أستطيع أن أؤكد لك أنّني قد رأيته، ليس محافظاً على اسم أبيه فقط، بل على إسم بلاده أيضاً. إنّه كان رفيقي في التراجع عن ديليوم، وأستطيع أن أخبرك أنّه لو كان الآخرون مثلهُ فقط فشرف بلادنا سيكون مؤيَّداً على الدوام، والهزيمة الكبرى لم تقع قط.

ليسيماخوس: إنّ هذا الثناء جدير بك حقّاً، يا سقراط، والممنوع كما هو بشاهدٍ مخوّل لكل ثقة ولهكذا نوعيّات كتلك التي ينسبونها لك. دعني أخبرك عن السرور الذي أشعر به لسماعي عن شهرتك؛ وآمل في أنّك، ستعتبرني كواحد من أصدقائك الحميمين. كان عليك أن تزورنا منذ وقت طويل، وتجعل نفسك كأنّك في بيتك معنا؛ لكن الآن، ومن هذا اليوم فصاعداً، بما أنّنا قد وجدنا بعضنا بعضاً أخيراً، إفعل كما أقول: تعالَ وصادقني، وصادق هؤلاء الرجال الشباب، كي يمكنك وصحبك الاستمرار كأصدقائي. أتوقّع

منك أن تفعل هكذا، وسأجازف في وقت لاحق كي أذكّرك بواجبك. لكنْ، ماذا تقولون كلّكم عن المسألة التي بدأنا في التكلم عنها: فنّ القتال في العتاد الحربيّ؟ أيكون ذلك مراساً يمكن للصبيان أن يتدربوا عليه بشكل نافع؟

سقراط: إنّني سأحاول أن أنصحك، يا ليسيماخوس، بقدر ما أستطيع في هذه المسألة، وفي كل طريقة أيضاً ستستجيب لرغباتك؛ لكن بما أنّني أفتى ولست بذي خبرة، أعتقد أنّ من واجبي بكل تأكيد أن أسمع لما سيقوله الأكبر مني سنّاً، ولأن أتعلّم منهم، وإذا ما كان لديَّ أيّ شيء لأضيف، يمكنني حينئذ أن أجازف وأبدي رأيي وأعطي نصيحتي لهم كما لك. إفترض، يا نيخياس، أن يبدأ أحدكم أو الآخر.

نيخياس: ليس لديَّ أيّ اعتراض، يا سقراط؛ ورأيي أنّ اكتساب هذا الفنّ مفيد للرجال الشبان في عدة طرائق. إنّه نافع لهم. وبدلاً من التسلية المفضلة لساعات فراغهم يجب أن يكون لديهم فنّ يهدف إلى تحسين صحتهم الجسديّة. ليس هناك ألعاب جسديّة يمكن أن تكون أفضل أو أصعب ممارسة؛ وهذا، وفنّ ركوب الخيل هما الأكثر مناسبة للرجال الأحرار من بين كل الفنون؛ لأنّ مَنْ يتدرب هكذا على استعمال الأسلحة هم الأشخاص الوحيدون كونهم مدربين على المبارزة التي نحن مشغولون بالحديث عنها، وبالإنجازات التي تحتاجها. إضافة إلى ذلك ففي المعركة الحقيقية، عندما يجب عليك أن تحارب في صفٍّ مع عدد من الجنود الآخرين، فإنّ اكتساباً كهذا سيكون له بعض النفع، وسيؤدي خدمة أعظم حيثما تتشتّت الصفوف وعليك أن تحارب بمفردك، إمّا في المطاردة، عندما تهاجم شخصاً ما يدافع عن نفسه، أو في القتال، حينما تكون مدافعاً عن نفسك ضدّ من يهاجمك. إنّ من يمتلك هذا الفنّ لن يحيق به أيّ أذى على يدي شخص بمفرده بكلّ

تأكيد، أو لربّما على يدي عدة أشخاص؛ وسيكون لديه أفضلية كبرى في كل حالة. إضافة إلى ذلك، إن هذا النوع من البراعة يدفع الإنسان كي يحب دروساً نبيلة أخرى؛ لأنه كي تتعلم الترتيب المناسب للجيش، الذي هو نتيجة للدرس: وعندما يتعلم هو هذا، وينبعث طموحه لمرّة واحدة، فإنّه سيواصل التعليم التامّ لفنّ القيادة في الجيش. ليس هناك صعوبة في رؤية أنّ المعرفة والتمرين للفنون العسكرية الأخرى سيكون مشرّفاً وذا قيمة للإنسان؛ ويمكن لهذا الدرس أن يمثّل بدايتها. دعني أضيف أفضليّة أخرى له، التي هي ليست طفيفة على الإطلاق، إن هذا العلم سيجعل أي إنسان أكثر جسارة وتصميماً بمقدار كبير في ساحة النزال. وإنّني لن أزدري من ذكر، ما يمكن أن يظنه البعض مسألة صغيرة، إنه سيكون لديه مظهر أكثر تأثيراً في الوقت الصحيح؛ ذلك كي تقول في الوقت عندما سيرمي مظهره الرعب في قلوب أعدائه. رأيي عندئذ، يا ليسيماخوس، هو كما أقول، إنّ الشباب يجب أن يثقفوا في هذا الفنّ، وللأسباب التي قدّمتها، لكن لاخيس يمكنه أن يبدي رأياً مختلفاً؛ وإنّني سأكون مبتهجاً جداً لأسمع ما سيقوله.

لاخيس: لا أحب أن أؤكّد، يا نيخياس، أنّه لا يجب تعلم أيّ نوع من أنواع المعرفة؛ لأن كل المعارف تبدو جيدة. وإذا كان استعمال السلاح نوعاً حقيقياً للمعرفة، كما يثبت أساتذة هذا الفن، وإذا كان هذا هو كما يصف نيخياس، فعندها يجب أن يُعلّم؛ لكن إن لا، وإذا كان أولئك الذين يدّعون أن يعلموه هم مخادعون فقط، أو إذا كان هو معرفة، لكنه ليس معرفة لنوع ذي قيمة، فما هي فائدة تعليمه عندئذ؟ إنني أقول هذا، لأنّني أعتقد أنه إذا كان ذا قيمة حقة، فسيكون اللاقيداييون الذين اكتشفوا هذا الفن، والذين أمضوا حياتهم في التعليم والتمرين على تلك الفنون التي أعطتهم أفضليّة على الأمم الأخرى في الحرب؛ وحتى إذا لم يحوزوا ذلك، يبقى أنّ هؤلاء

الاساتذة للفن لا يمكنهم أم يخفقوا في اكتشاف أن كل الهيلينيين واللاقيدايميونيين لديهم الاهتمام الأدبر في قضايا كهذه، وأن سيّد الفنّ الذي كان مُمجداً بينهم سيكون من أن يخلق حظّه بين الأمم الأخرى، تماماً كما سيفعل شاعر المأساة الذي يتوهم أنّه يستطيع أن يكتب قصيدة مأساويّة ولا يباشر بعرضها في الدول خارج أتيكا، بل يندفع من هنا رأساً، ويعرضها في أثينا؛ وهذا شيء طبيعي، في حين أنني أتصور أن هؤلاء المقاتلين في العدّة الحربيّة يعتبرون لاقيدايمونيا كمقاطعة مقدسة لا تُنتهك حرماتها، والتي لا يمكن أن يطؤوها حتى برؤوس أقدامهم؛ بل يدورون حولها في الدول المجاورة، وبشكل خاص في تلك التي ستعترف بأنفسها أنها ليست من الدرجة الأولى في فنون الحرب على الإطلاق. أضف إلى ذلك، يا ليسيماخوس، أنني واجهت عدداً غير قليل من هؤلاء الأسياد في الخدمة الفعلية، واستنتجت مقدار حجمهم، الذي أتمكن من إعطائك إيّاه حالاً؛ إذ لا أحد من هؤلاء الأسياد المبارزين قد تميز في الحرب قطّ. لقد وُجد هناك نوع من الشيء المقدّر عنهم: في حين أنّه قد كان في كل الفنون الأخرى الرجال ذوو الشأن الذين مارسوا الفنّ، يبدو هؤلاء أنّهم المستثنون غير المحظوظين. كمثال، ستيسيلوس هذا بالتحديد، الذي شاهدناه أنت وأنا عارضاً ذلك أمام الجماهير وباعثاً هكذا مهنة كبيرة لقواه الجسديّة، كان لديّ فرصة أفضل لرؤيته في وقت آخر مقدّماً عرضاً حقيقيّاً في معركة فعليّة تلقائياً من نفسه. إنّه كان جنديّاً من جنود البحريّة على ظهر باخرة هاجمت مركباً للنقل، وكان مسلّحاً بسلاح حربي، نصفه حربة، ونصفه الآخر منجل؛ السلاح الذي معه كان سلاحاً فرديّاً كحامله. لكي نختصر القصّة ما استطعنا، سأخبركم ما حدث لهذا الاختراع الجدير بالملاحظة للحربة والمنجل فقط. بينما كان هو يحارب، علّق المنجل في حبال السفينة الأخرى، وانغرز

فيها بسرعة؛ شدَّهُ بقوة لكنه كان غير قادر أن يخرج من الحبال سلاحه. كانت السفينتان تمران بالقرب من بعضهما بعضاً. ركض هو أوّلاً على طول سفينته ممسكاً بالحربة؛ لكن بما أنّ الباخرة الأخرى كانت بجانب سفينته جذبته خلفها عندما كان ممسكاً بالمنجل، ثم تركه ينزلق بين يديه حتى استبقى على نهاية المقبض فقط. صفّق الموجودون في باخرة النقل من فرحهم، وضحكوا على شكله الذي يدعو للسخرية؛ وعندما رماه شخص ما بحجر من باخرة النقل، سقط على ظهر السفينة ومن ثمّ على قدميه، أفلتت قبضته الممسِكة بحربة المنجل، فانفجر البحارة الموجودون على سفينته ذات المجاذيف الثلاثة، انفجروا بالضحك أيضاً؛ لم يقدروا أن يمسِكوا أنفسهم عن الضحك عندما رأوا سلاحه يلوح في الهواء، مدلىً من باخرة النقل. وبعدُ فإنني لا أنكر أنّه يمكن أن يُوجد شيء في فنّ كهذا كما يؤكد نيخياس. غير أنّني سأشرح لكم خبرتي في هذا المجال، وكما قلت في البدء، سواء كان هذا فنّاً هو الذي تكون أفضليته جدّ طفيفة، أو لم يكن فنّاً على الإطلاق بل حيلة فقط، ففي الحالتين إنّ مكسباً كهذا لا يستحق الامتلاك أبداً. إن رأيي هو أنه إذا كان أستاذ هذا الفن جباناً، فإنّه سيصبح متهوّراً بالأحرى، وستُكتشف شخصيته بوضوح أكثر فقط؛ وإذا كان هو شجاعاً، وأخفق ولو بشكل قليل في ذلك، فإنّ الرجال الآخرين سيقفون له بالمرصاد، وسيطعنون به بشكل كبير؛ لأنّه يوجد حسد لهكذا متظاهرين، وما لم يكن الرجل متفوّقاً في بسالته الحربيّة، فلا يمكنه أن يفلت من الازدراء، إذا قال إنّه يحوز هذا النوع من البراعة. هذا هو حكمي، يا ليسيماخوس، على دراسة هذا الفنّ؛ لكن كما قلت في البداية، إسأل سقراط، ولا تدعه يذهب ما لم يعطِك رأيه بشأن هذا الموضوع.

ليسيماخوس: إنّني ذاهب لأسألك أن تسدي هذا المعروف، يا سقراط؛ لأنّه الأكثر

ضرورة، ولأنّ المستشارَيْن الإثنين لا يتفقان، ويبقيان بحاجة للشخصِ الذي سيتوصل إلى حلّ بينهما بشكل ما. إن اتفقا، فهما لن يكونا بحاجة إلى وسيط. لكن بما أنّ لاخيس اختار طريقاً ونيخياس اختار آخر، فإنّني أحبّ أن أسمع مع أيٍّ من صديقينا تتفق.

سقراط: لماذا، يا ليسيماخوس، هل أنت ذاهب لتقبل رأي الأكثرية؟

ليسيماخوس: نعم يا سقراط؛ وهل سأفعل أيّ شيء آخر؟

سقراط: وهل ستفعل هكذا أيضاً، يا ميليسيوس؟ إذا عزمت أن تعلِّم التمارين الرياضية لإبنك، هل ستتبع نصيحة الأكثرية منّا، أو رأي الذي قد دُرِّب ومُرِّن تحت قيادة سيِّدٍ بارع؟

ميليسياس: الآخر، يا سقراط؛ بما أنّه سيكون معقولاً بكلّ تأكيد.

سقراط: إنّ صوته سيكون ذا قيمة أكثر من صوتنا نحن الأربعة جميعاً.

ميليسيوس: من المفترض أن يكون ذلك.

سقراط: ولهذا السبب، كما أتصوّر، إنّ القرار الصحيح يرتكز على المعرفة وليس على الأعداد الغفيرة؟

ميليسيوس: لتكن متأكّداً.

سقراط: الآن كذلك، إذن، ألا يجب أن نسأل قبل الكل إذا ما كان يوجد أيٌّ منا الخبير في ذلك الذي نتشاور بشأنه؟ إذا وُجد دعنا نأخذ نصيحته، مع كونه واحداً فقط، ولا يهمّنا الباقي؛ وإذا لم يوجد، دعنا نبحث عن مشورة إضافيّة. أيكون هذا شيئاً ضئيلاً تمتلكه وليسيماخوس تحت الخطر؟ ألست أنت مجازفاً بأعظم ممتلكاتك؟ لأنّ الأطفال هم ثروتك؛ وعلى تحوّلهم أخياراً أو أشراراً يتحوّل النظام كلّه لبيت آبائهم.

ميليسيوس: إنّ ذلك لحقيقة.

سقراط: نحتاج لعناية كبيرة إذن، في هذا المضمار؟

ميليسيوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: إفترض، كما كنت قائلاً لتوي، آنّنا اعتبرنا أو أردنا أن نعتبر ذلك، وهو أيُّنا يمتلك المعرفة الأفضل عن الألعاب الرياضية. ألا يجب أن نختار من تعلّم ومارس الفنّ، وكان لديه أساتذة صالحون؟

ميليسيوس: أعتقد أنّه يجب ذلك.

سقراط: لكن ألن ينشأ سؤال هناك سابق بشأن طبيعة الفنّ الذي نريد أن نجد أساتذةً له؟

ميليسيوس: إنّني لا أفهم.

سقراط: دعني أحاول أن أجعل معناي أفصح عندئذ. إنّني لا أعتقد آنّنا قررنا لحد الآن ما هو ذلك الذي نستشير بشأنه، عندما نسأل أيُّنا يكون أو لا يكون بارعاً في الفن، أو أنّ لديه أو ليس لديه أساتذة للفنّ.

نيخياس: لماذا، يا سقراط، أليس السؤال هو إذا ما كان يجب أو لا يجب أن يتعلّم الرجال الشباب فنّ الحرب بالعدّة الحربية؟

سقراط: نعم، يا نيخياس؛ لكنّ هناك سؤالاً سابقاً، يمكنني أن أصوره بهذه الطريقة: عندما يفكر شخص في استعمال الدواء للعيون، هل ستقول إنّه يستشير بشأن الدواء أو بشأن العيون؟

نيخياس: بشأن العيون.

سقراط: وعندما يفكر إذا ما كان سيضع لجاماً على الحصان وفي أيّ وقت، فإنّه يفكر بالحصان وليس باللّجام؟

نيخياس: حقاً.

سقراط: وفي كلمة، عندما يفكر بأيّ شيء لأجل شيء ما آخر، فهو يفكر في الغاية وليس في الوسائل؟

نيخياس: بدون ريب.

سقراط: وعندما تستدعي مستشاراً، عليك أن ترى ما إذا كان هو بارعاً أيضاً في إنجاز الغاية التي تمتلكها في الفكر؟

نيخياس: الأكثر حقيقة.

سقراط: ولدينا في الفكر حاضراً معرفة ما، غايتها روح الشباب؟

نيخياس: نعم.

سقراط: ويجب أن نتحقّق إذا كان أيٌّ منا بارعاً أو ناجحاً في معاملة الروح، وأيٌّ منا كان لديه أساتذة صالحون؟

لاخيس: حسناً، لكن، يا سقراط؛ ألم تلاحظ أن بعض الأشخاص الذين لم يكن لديهم أساتذة هم أكثر براعة من أولئك الذين لديهم أساتذة، وفي بعض الأشياء؟

سقراط: نعم، يا لاخيس، إنّني لاحظت ذلك؛ لكنك لن تكون مستعداً جداً لتثق بهم إذا ادّعوا أنّهم أسياد في فنّهم، ما لم يتمكنوا من إظهار براعتهم أو امتيازهم في عمل واحد أو أكثر من ذلك.

لاخيس: إنّ ذلك لحقيقة.

سقراط: ولذلك، يا لاخيس ونيخياس، كما سأل ليسيماخوس وميليسياس نصيحتنا بشأن ولديهما، من قلقهما ليحسّنوا عقليهما، سنخبرهم نحن كذلك أيضاً، إذا استطعنا، أيُّ الأساتذة الذين نعرف كانوا رجال استحقاق ومدربين ذوي خبرة في عقول الشباب بالمقام الأوّل، ونعلّم عندئذ أنفسنا أيضاً. لكن إذا قال أيٌّ منّا أنّه لم يكن لديه أساتذة بل لديه أعمال خاصة به كي يريها، عندها ينبغي أن يعيّن لهم أيٌّ من الاثنيين أو الغرباء، العبيد أو الأحرار، قد تمّ الاعتراف من قِبَلهم أنّه حسّنهم بشكل عام. لكن إذا لم نتمكن من أن نظهر لا الأساتذة ولا الأعمال، فيجب أن نخبرهم حينها أن يبحثوا عن ناصحين آخرين؛ علينا أن لا نخاطر بإفساد أطفال الأصدقاء، ونتيجة لذلك،

جالبين التهمة الأكثر هولاً التي يمكن إحضارها ضد أيّ شخص من قِبَل أولئك الأقرين له. لكن بما يخصّني، يا ليسيماخوس وميليسياس، فإنني أوّل من يعترف بأنه لم يكن لدي معلم لفن الفضيلة قط؛ مع أنّني رغبت في سنّ شبابي المبكر دائماً أن يكون لديّ واحد. لكنني لا أملك مالاً لأعطيه للسوفسطائيين، الذين هم فقط أساتذة التحسين الخلقي، ولم أكن قادراً حتى هذا اليوم لأن اكتشف الفن بنفسي، مع أنّه ينبغي أن لا أندهش إذا ما تعلّمه أو اكتشفه نيخياس ولاخيس؛ فهما أغنى مني كثيراً، ويمكن لذلك أنّهما قد تعلماه من الآخرين، وهما أكبر مني سناً كذلك، وهكذا فهما كان لديهما وقت أطول ليخلقا الاكتشاف. وإنني ألاحظ وأعتقد حقاً أنهما قادران ليعلّما إنساناً؛ لأنهما ما لم يكونا واثقين من معرفتهما الخاصة، فلن يتكلما هكذا أبداً بدون أيّ تردد عن الملاحظات للملاحقات التي هي نافعة أو مؤذية للإنسان الشابّ. إنّني أضع ثقتي فيهما مَعاً؛ لكنّني أندهش كي أجد أنّهما متباينان أحدهما عن الآخر. لذلك، يا ليسيماخوس، يجب عليك أن تحتجزني كما يقترح لاخيس، وإنّني ألتمس منك بالمقابل وبكل جدية وأنصحك أن تحتجز لاخيس ونيخياس، وأن تستنطقهما أريدك أن تقول لهما: سقراط يؤكد أنّه لا علم له بالمسألة ـ إنّه غير قادر أن يعتمد على أيٍّ منكما أنّه يقول الحقيقة؛ وليس هو مكتشفاً ولا طالباً لأيِّ شيء من هذا النوع. لكنّكما، يا لاخيس ونيخياس، عليكما أن تخبرانا من هو المعلّم الأكثر حذاقة الذي عرفتموه على الدوام؛ وسواء إذا اخترعتما الفنّ بنفسيكما، أو تعلمتماه من الغير؛ وإذا تعلمتماه، فمن كان أساتذتكما المحترمون، ومن كان أخوانهم في الفنّ؛ وحينئذ، إذا كنتما أنتما منشغلين كثيراً جدّاً في السياسات لتعلمونا بأنفسكما، دعونا نذهب إليهم، نحمل لهم الهدايا، أو أن نهتم بذلك وإياهم، أو أن نقوم بالاثنين معاً، على أمل أنه يمكن حضهم على إبداء الرعاية لأطفالنا

وأطفالكما؛ وآنئذ فهم لن يكبروا ليكونوا عديمي القيمة، وأصبحوا تحت رعايتكم أخياراً ونبلاء؟ لأنّها إذا كانت هذه هي محاولتكما الأولى في التعليم، ويُحتمل أن يُوجد هناك خطر من محاولتكما الاختبار ليس على جثة عبدٍ كاريني، بل على ولديكما اللذين يخصانكما أو على أولاد أصدقائكما، وكما يقول المثل، (إكسر الإناء الكبير في تعلمك لصناعة القدور). أخبرنا إذن، ما هي المؤهلات التي تدَّعيان أو لا تدَّعيان. إجعلهما يخبرانك ذلك، يا ليسيماخوس، ولا تدعهما يغادران المكان.

ليسيماخوس: إنّني أصادق على كلمات سقراط كثيراً جداً، يا أصدقائي؛ لكنّكما، يا نيخياس ولاخيس، ينبغي أن تقرّرا إذا ما كنتما ستسألان، وتعطيان إيضاحاً بشأن مسائل من هذا النوع، إنّني وميليسياس سنكون سعيدين كثيراً لنسمع جوابكما على الأسئلة التي يسألها سقراط، إذا ما أردتما ذلك: فأنا سأبدأ بالقول إنّنا قبلناكما في استشاراتنا لأنّنا اعتقدنا أنّكما لازمتما الموضوع بدون شك، بخاصة لأنكما تمتلكان أطفالاً، كما نحن، والذين هم في سنّ تؤهّلهم لبداية التعليم تقريباً. حسناً إذن، إذا كان لديكما أيّ اعتراض، إفترضا أنّكما ستأخذان سقراط شريكاً؛ واسألوا بعضكم بعضاً أسئلة أنتما وهما؛ لأنّه كما قال هو وبجمال، إنّنا نتداول بشأن اختصاصاتنا الأكثر أهميّة. آمل أنكما ستريانها مناسبة كي تستجيبا لمطالبنا.

نيخياس: إنّني أرى بوضوح جداً، يا ليسيماخوس، أنّك عرفت أبا سقراط فقط، ولم يكن لكما معرفة بسقراط نفسه: على الأقل، كان بإمكانكما أن تعرفاه عندما كان طفلاً، ويُحتمل أنّكما قد قابلتماه بين أترابه في صحبة أبيه، حين تقديمه للأضاحي أو في اجتماع آخر. إنّكما أظهرتما بوضوح أنّكما لم تعرفاه عندما بلغ سن الرجولة.

ليسيماخوس: لِمَ تقول ذلك، يا نيخياس؟

نيخياس: لأنّكما تبدوان أنّكما لم تكونا على عِلم، أنّ أيّ شخص يقرب من سقراط ويدخل في مناقشة معه هو عرضة للانجرار في محاورة، وأيّ موضوع يمكن أن يبدأ به، فسيُحمل به دائرياً وبشكل متواصل، حتى يجد نفسه أخيراً أنه مُلزمٌ أن يعطي حساباً عن حياته الماضية والحاضرة كليهما؛ وعندما يُربَك لمرة واحدة، فسقراط لن يدعه يذهب ما لم يغربله بشكل كامل وتامّ. وبعدُ فإنّني معتاد لطرائقه هذه؛ وأعرف أنه سيفعل ما أقوله بكلّ تأكيد، وإنّني سأكون أنا مَن يعاني ذلك أيضاً؛ إنّني مولع بمحادثته، يا ليسيماخوس، وأعتقد أن لا ضرر في التذكير بأيّ شيء غير صحيح، نفعله نحن أو فعلناه سابقاً: إنّ الذي لا يهرب من التأنيب سيراعي انتباهاً أكثر لحياته المستقبلية كما يقول صولون، سَيَوَدُّ ويرغب أنّ يتعلم طالما يحيا، وأن لا يعتقد أنّ التقدّم في السنّ يجلب الحكمة بنفسه. وفيما يخصّني، فذلك ليس بشيء غريب ولا غير سارّ كي يستجوبني سقراط، حقاً، لقد كنت متأكّداً طيلة الوقت من أنّه حيث كان سقراط، سيكون موضوع المناقشة نحن وليس أولادنا. ولذلك أقول، إنّني على أتمّ استعداد كي أتحادث معه بأسلوبه الخاصّ؛ لكن من الأفضل أن تسألا صديقنا لاخيس ما يمكن أن يكون شعوره.

لاخيس: لديَّ شعور واحد ليس إلا، يا نيخياس، أو (هل سأقول؟) شعوران، بشأن المحادثات. سيعتقد البعض، أنّني محبّ، ويمكن أن يشاهدني الآخرون أنّني أكره البحث؛ لأنّني عندما أسمع إنساناً يبحث في الفضيلة، أو في نوع آخر من أنواع الحكمة، يكون إنساناً حقيقياً ويستحق موضوعه. فأكون مبتهجاً فوق كل التوقّعات، وأقارن الإنسان وكلماته، وأسجّل التناسق والتطابق فيها. وأعتبر هكذا شخصاً أنّه موسيقار حقيقي، متناغم بأجمل توافق موسيقي من ذلك الذي للقيثار، أو لأية آلة موسيقية سارّة أخرى؛ فهو

يمتلك بحقّ تناسق الكلمات والمآثر منظّمة في حياته الخاصة، ليس في الصيغة الآيونيّة، أو الفريجيّة، أو حتى في الصيغة الليدية، بل في الصيغة الهيلينية الحقة، التي هي الدوريّة، وليس بأيّة صيغة أخرى. يجعلني هكذا شخص ممتلئاً حبوراً برنّة صوته، وعندما أسمعه يُعتقد أنّني محبٌّ للبحث، ومشتاق هكذا كي أشرب كلماته. لكنّ الإنسان الذي لا تتفق أعماله مع كلماته هو شيء مزعج لي؛ وأفضل ألا يتكلم فإنني أزداد كرها له كثيراً، وأبين حينئذ أنّني أكره المحادثة. لكن فيما يخص سقراط، ليس لدي معرفة بكلماته، لكن كما يبدو لي، فلقد كان لدي خبرة بمآثره منذ القدم؛ وتُظهر مآثره أنّه مؤهّل للمشاعر النبيلة، ولكامل الحرية في الكلام. وإذا تطابقت كلماته، فسأوافقه الرأي واحد معه عندئذ، وسأبتهج إذا ما استنطقني هكذا إنسان، كما يكون هو، ولن أتضايق في التعلّم منه؛ إنّني أتفق مع صولون أيضاً، (من أنني سأجاهد وأكبر في السنّ، متعلماً أشياء عديدة). لكن يجب أن يسمح لي لأضيف (من الخيِّر فقط). ينبغي أن يسمح لي سقراط أن يكون المعلّم نفسه إنساناً خيِّراً مثله، أو أنّني سأكون تلميذاً بليداً وكارها للعلم والتعليم: لكن إذا كان المعلّم شاباً على الأصح، أو إذا لم يشتهر لحد الآن - إنّ أيّ شيء من ذلك النوع لا يدخل ضمن حسابي. لذلك، يا سقراط، أدعوك لتعلّمني وتدحضني بالقدر الذي تحبّ، وأن تتعلّم مني أيضاً أيّ شيء اعرفه. هكذا هو الرأي السامي الذي أبديه نحوك منذ ذلك اليوم الذي كنت رفيقاً لي في أشدّ خطر، وأعطيت برهاناً عن بسالتك كتلك التي يقدر أن يبديها الإنسان ذو الجدارة فقط. لذلك، قل ما تشاؤه، ولا يهمّك الفرق في أعمارنا.

سقراط: لا أستطيع القول من أنّ أيّاً منكم يبدي نفوراً ليشترك في المشورة وينصح معي.

ليسيماخوس: لكن هذا هو عملنا المناسب؛ وهو عملك كما هو عملنا، فأنا

أحسبك كواحد منا. خذ مكاني من فضلك إذن، واكتشف من نيخياس ولاخيس ما نريد أن نعرف، لأجل الشباب، وتحدث وتشاور معي: فأنا متقدم في السنّ. وذاكرتي سيئة، ولا أتذكّر الأسئلة التي أعزم أن أسألها، أو الأجوبة عليها. وإذا ما وُجِد هناك أيّ استطراد فأنا أفتقد السلك الذي ينظّم أجزاء المناقشة. وسنعمل ميليسياس وأنا بناءً على استنتاجاتكم.

سقراط: دعنا، يا نيخياس ولاخيس، نستجيب لالتماس ليسيماخوس وميليسياس. لن يكون هناك أذىً في سؤال أنفسنا السؤال الذي تمّ طرحه علينا منذ فترة وجيزة: (من قد كان معلمونا في هذا النوع من التدريب، أو من قد جَعَلَنا أفضل ممّا كان هو؟) لكن سيحضرنا أسلوب آخر لاستمرار التساؤل إلى النقطة عينها بشكل متساوٍ، ولربّما اقتربنا بذلك من المبادىء الأولى. لأنّنا إذا عرفنا أنّ الإضافة لشيء ما ستحسن شيئاً آخر، ونكون بقادرين أن نخلق الإضافة، حينئذ، ينبغي أن نعرف بوضوح كيف يكون ذلك الذي ننصْح به يمكن أن يكون أفضل وأكثر سهولة للحصول عليه، لربّما أنتم لا تعرفون ما أعني. دعوني عندئذ أجعل معناي أوضح بهذه الطريقة. إفترض أنّنا نعرف أنّ إضافة البصر يجعل العيون التي تمتلك هذه الهبة أفضل، ويكون قادراً أيضاً أن ينقل البصر للعيون، نعرف نحن طبيعة البصر حينئذ بوضوح، وعلينا أن نكون قادرين لأن ننصح كيف يمكن لهبة البصر هذه أن تُنالَ أفضل وبسهولة أكثر؛ لكنّنا إذا لم نعرف ما هو البصر، وما هو العلم، فما علينا ولا يمكننا أن نكون بناصحين صالحين تماماً لا بشأن العيون أو الآذان، أو بشأن أفضل أسلوب لإعطاء البصر أو السمع لها.

لاخيس: إن ذلك حقيقي، يا سقراط.

سقراط: أليس صديقانا، يا لاخيس، في هذه اللحظة بالذات يدعواننا لنتأمل ملياً في أيّة طريقة يمكن لهبة الفضيلة أن تُنقل إلى ولديهما لتحسين عقليهما؟

لاخيس: حقيقي تماماً.

سقراط: ألا يجب أن نعرف أوّلاً طبيعة الفضيلة ما دام الأمر كذلك؟ إذ كيف نستطيع أن ننصح أيَّ شخص عن أفضل أسلوب للحصول على شيء ما نجهل طبيعته بالكامل؟

لاخيس: لا أعتقد أنّنا نقدر، يا سقراط.

سقراط: عندئذ نقول نحن، يا لاخيس، إنّنا نعرف طبيعة الفضيلة.

لاخيس: نعم.

سقراط: وذلك الذي نعرفه يجب أن نكون قادرين لأن نخبر عنه بالتأكيد؟

لاخيس: بدون ريب.

سقراط: لن نكون مُلزمين، يا صديقي، عن التساؤل بشأن الفضيلة بكاملها، لأنّ ذلك يمكن أن يكون أكثر ممّا نستطيع إنجازه؛ دعنا نعتبر بادىء ذي بدء إذا كان لدينا معرفة كافية عن جزء واحد؛ بالاستسفار سيكون أسهل علينا بشكل محتمل.

لاخيس: دعنا نفعل كما ترغب، يا سقراط.

سقراط: أيٌّ من أجزاء الفضيلة سوف نختار ما دام الأمر كذلك؟ ألا يجب أن نختار ذلك الذي يُفترض أنّ فنّ القتال في العدَّة الحربية يؤدِّي إليه؟ أو لاَ يُفتكر ذلك الجزء أنّه الشجاعة بشكل عام؟

لاخيس: نعم، بكل تأكيد.

سقراط: إفترض أنّنا شرعنا عندئذ وقبل كل شيء، يا لاخيس، في أن نعيِّن طبيعة الشجاعة، ونتقدم في المقام الثاني لنتساءل كيف يمكن للرجال الشباب أن يحصلوا على هذه النوعيّة بمساعدة الدراسات والملاحقات. أخبرني، إذا تمكنت، ما هي الشجاعة؟

لاخيس: إنّني لا أرى صعوبة في الإجابة حقّاً،يا سقراط؛ إنّه لرجلٌ شجاعٌ مَن لا

يولّي الأدبار، بل يبقى في موقعه ويحارب أعداءه. ليس هناك أيّ خطأ بشأن ذلك.

سقراط: جيد جداً، يا لاخيس؛ ومع ذلك فأنا أخاف من أنّني لم أوضح نفسي بشكل واضح؛ ولذلك فلقد أجبت ليس على السؤال الذي قصدت أن أسأله، بل على سؤال آخر.

لاخيس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: سأحاول إيضاح ذلك؛ إنّك ستسمّي رجلاً شجاعاً مَن يبقى في موقعه، ويحارب العدوّ؟

لاخيس، سأفعل بكل تأكيد.

سقراط: وهذا ما سأفعله أنا؛ لكن ماذا ستقول عن إنسان آخر، يحارب متنقّلاً، بدلاً من بقائه في مكانه؟

لاخيس: كيف يتنقل؟

سقراط: لماذا، كما يقال أنّ السكيثيان يحاربون، متنقلين كما يحاربون متعقّبين العدو؛ وكما يقول هوميروس فيّ الثناء على أحصنة آينياس، من أنّها تعرف « كيف تكرّ على الأعداء وتفرّ هنا وهناك ». وهو أبدى مديحاً على آينياس نفسه. كان لديه معرفة بالخوف أو الفرار، ويسميه « مستنبطاً للخوف أو الفرار ».

لاخيس: نعم، يا سقراط، وهناك يكون هوميروس محقّاً: فهو كان يتكلم عن العربات، كما كنت تتكلم أنت عن الخيّالة السكيثيين؛ وبعدُ فإنّ الجنود الخيالة لديهم تلك الطريقة للحرب، لكن الرجل المسلّح بالسلاح الثقيل يحارب، كما أقول أنا، باقياً في صفّه.

سقراط: ومع ذلك، يا لاخيس، ينبغي أن تستثني اللاقيدايميين في بلاتييا، الذين واجهوا الدروع الفارسيّة الخفيفة، وقيل إنّهم لم يكونوا مستعدين لمواجهتها

ومحاربة لابسيها، ولذلك هربوا؛ لكن عندما تحطمت الصفوف الفارسيَّة، فهمُ استداروا عليها كالجنود الخيالة، وحققوا النصر في معركة بلاتيبا.

لاخيس: إنّ ذلك حقيقي.

سقراط: كان ذلك معناي عندما قلت إنّني كنت الملام في وضع السؤال بشكل سيّىء، وأنّ ذلك كان السبب في إجابتك على نحو رديء. فأنا ما أردت أن أسألك عن شجاعة الجنود المسلحين بالسلاح الثقيل فقط، بل عن شجاعة جنود الخيالة وكل نمط آخر للجند؛ وليس عن الذي يكون شجاعاً في الحرب فقط، بل للذي يكون شجاعاً في أهوال حرب البحار، والذين هم شجعان في المرض، أو في الفقر، أو في علم السياسات مرّة ثانية؛ وليس للذين هم شجعان ضدّ الألم أو الخوف، بل هم جبارون في نضالهم ضدّ الرغبات والملذّات، إمّا ثابتين في صفوفهم أو عندما يستديرون على أعدائهم. هذا النوع من الشجاعة موجود، أليس كذلك، يا لاخيس؟

لاخيس: بكلّ تأكيد، يا سقراط.

سقراط: وبعدُ فإنّ كل هؤلاء هم شجعان، لكن بعضهم يمتلك شجاعة في الملذّات، وبعضهم في الألم، وبعضهم في الرغبات وبعضهم في الخوف: ويكون بعضهم جبناء تحت الحالات عينها، كما ينبغي أن نتصوّر.

لاخيس: حقيقي تماماً.

سقراط: إني سألت عن الشجاعة والجبن بشكل عام، وسأبدأ بالشجاعة، وأسأل مرّة ثانية، ماذا تكون تلك النوعية المشتركة، التي هي الشيء عينه في كل هذه الحالات. وأيّها تدعى شجاعة؟ هل تعرف ما أعنيه الآن؟

لاخيس: ليس بشكل جيّد.

سقراط: أعني هكذا: كما أنّه يمكنني أن أسأل ما هي تلك النوعية التي تدعى

سرعة، والتي توجد في الركض، في لعب القيثار، في الكلام، في العلم، وفي عدة أعمال أخرى مشابهة، أو بالأحرى النوعية التي نمتلكها في كلّ عمل على وجه التقريب التي هي جديرة بالذكر عن السّاعديْن، السّاقيْن، الفم، الصوت، العقل؛ ـ ألاَ يجب أن تُستخدم عبارة السرعة لها كلها؟

لاخيس: حقيقي تماماً.

سقراط: وافترض أنّه سيسألني شخص ما: ما هي النوعية المشتركة، يا سقراط، التي تسميها سرعة، في كل هذه النشاطات؟ عليَّ أن أقول إنّها النوعية التي تُنجِزُ كثيراً في وقت قصير ـ سواء في الركض، الكلام، أو في أيّ نوعٍ آخر من أنواع العمل.

لاخيس: إنّك ستكون محقاً تماماً.

سقراط: وبعد، يا لاخيس، هل تحاول وتخبرني بأسلوب مماثل، ما هي تلك النوعيّة المشتركة التي تدعى شجاعة، والتي تشتمل على كل الاستعمالات المتنوعة للعبارة عندما تُستخدم للسرور والألم كليهما، وفي كل تلك الحالات التي كنت مشيراً إليها لتوّي؟

لاخيس: عليَّ أن أقول إنّ الشجاعة هي نوع من القدرة على الصبر للروح، إذا ما كنت لأتكلّم عن الطبيعة العاميّة التي تعمُّها جميعاً.

سقراط: لكنّ ذلك ما يجب علينا فعله إذا ما كنّا لنجيب على سؤالنا الخاص. ومع ذلك فإنّني لا أستطيع أن أقول إنَّ كل نوع من الصبر يكون، في رأيي، ليُحسب شجاعة. إستمع للسبب: إنّني متأكد، يا لاخيس، من أنّك ستعتبر الشجاعة لتكون نوعيّة جد نبيلة.

لاخيس: الأكثر نبلاً، بدون ريب.

سقراط: وستقول أنت إنّ الصبر الحكيم يكون خيّراً ونبيلاً أيضاً؟

لاخيس: نبيل جداً.

سقراط: وماذا ستقول عن الصبر الغبيّ؟ ألا يُعتبر ذلك، على الجانب الآخر، كشرٍّ وأذية؟

لاخيس: صدقاً.

سقراط: أو يَكون شيئاً نبيلاً ذلك الذي هو شرير ومؤذٍ؟

لاخيس: عليَّ أن لا أقول ذلك، يا سقراط.

سقراط: لن تعترف إذن أنّ ذلك النوع من الصبر هو شجاعة ـ إنّه ليس نبيلاً، بل إنّ الشجاعة هي النبيلة؟

لاخيس: إنّك لمحق.

سقراط: إذن، طبقاً لك، الصبر الحكيم فقط يكون شجاعة؟

لاخيس: يبدو هكذا.

سقراط: لكن كما للصفة (حكيم)، ـ حكيم في ماذا؟ هل هو في كل الأشياء صغيرة كانت أو كبيرة؟ كمثال، إذا أظهر إنسان نوعية للصبر في إنفاق ماله بتعقّل، عارفاً أنّه سيكتسب أكثر في النهاية بعد إنفاقه، فهل ستسمي ذلك شجاعة؟

لاخيس: لا، بكل تأكيد.

سقراط: أو، كمثال، إذا كان إنسان طبيباً، وإذا تعرّض ولده، أو بعض مرضاه، للالتهاب الرئوي، ويستعطف إذا أمكن السماح له ليأكل أو يشرب شيئاً ما، وأمّا الآخر فهو غير مرن ويرفض ذلك، أتكون هذه شجاعة؟

لاخيس: لا؛ تلك ليست شجاعة على الإطلاق، بأكثر من الأخرى.

سقراط: خذ حالة الشخص الذي يصبر في الحرب، مرة ثانية، وهو على استعداد كي يحارب، ويحسب ويعرف بتعقل أنّ الآخرين سيساعدونه، وأنّه سيكون هناك رجال قلّة وغير ذوي أهميّة ضده أقل ممّا يوجد معه؛ وافترض أنّه يمتلك أفضلية في موقعه، ـ هل ستقول عن رجل كهذا الذي يصبر بكلّ

هذه الحكمة والاستعداد، إنّه هو أو إنسان ما آخر في الجيش المقابل الذي يكون في الحالات المضادة لتلك، ويصبر مع ذلك ويبقى في موقعه، هل ستقول إنه هو الشجاع؟

لاخيس: عليّ أن أقول، إن الآخر، يا سقراط، كان الأشجع.

سقراط: لكن هذا يكون بالتأكيد، صبراً غبيّاً بالمقارنة مع الآخر؟

لاخيس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: ستقول حينئذ إنّ الذي يكون في معركة على متون الخيل يصبر، ولديه معرفة عن الفروسية، ستقول عنه إنّه ليس شجاعاً كهذا الذي يصبر، وليس لديه هكذا معرفة؟

لاخيس: عليّ أن أقول ذلك.

سقراط: والذي يصبر، ولديه معرفة عن استعمال المقلاع، أو القوس، أو أيّ فنّ آخر، أليس شجاعاً كالذي يصبر، وليس لديه هكذا معرفة؟

لاخيس: حقاً.

سقراط: والذي يهبط في بئر، ويغوص، ويتحمل في هذا أو في أيّ عمل مماثل، وليس لديه براعة في الغطس أو فيما شابه، يكون أكثر شجاعة من أولئك الذين يمتلكون هذه البراعة، كما ستقول؟

لاخيس: لماذا، يا سقراط، وأي شيء آخر يمكن أن يقوله إنسان؟

سقراط: لا شيء إن كان ذلك هو ما يعتقده.

لاخيس: لكنّ ذلك هو ما أعتقد.

سقراط: ومع ذلك فالرجال الذين يواجهون هكذا مخاطر ويصبرون هم أغبياء، يا لاخيس، بالمقارنة مع أولئك الذين يفعلون الأشيّاء عينها، ولديهم الحذق في علمها.

لاخيس: إنّ ذلك لحقيقة.

سقراط: لكنّ الشجاعة والصبر الغبي ظهرا قبلاً ليكونا سافلَيْن وضارَّين لنا؟

لاخيس: حقيقي تماماً.

سقراط: في حين كانت الشجاعة، كما عرّفناها، نوعية نبيلة.

لاخيس: صدقاً.

سقراط: وبعدُ فنحن نقول عكس ذلك، وهو أن الصبر الغبي، الذي كان يُحمل على أنه عار هو شجاعة.

لاخيس: هكذا نحن.

سقراط: وهل نحن محقون في هكذا قول؟

لاخيس: حقاً، يا سقراط، إنّني متأكّد من أنّنا لسنا على حق.

سقراط: إذن طبقاً لتقريرك، فأنا وأنت، يا لاخيس، لسنا منسجمَين مع الأسلوب الدوري، الذي هو تناسق للكلمات والمآثر؛ لأن مآثرنا لا تتطابق مع كلماتنا. أيّ شخص رآنا في العمل سيقول إنّه كانت لدينا شجاعة، لكن ليس كما أتصوّر. سيقول عنا ذلك الشخص الذي سَمِعَنا متكلمين عن الشجاعة الآن بالتحديد.

لاخيس: إن ذلك هو الأكثر حقيقة.

سقراط: وهل تكون حالتنا هذه مقنعة؟

لاخيس: العكس تماماً.

سقراط: إفترض أنّنا نعترف، على كل حال، بالمبدأ الذي نتكلم فيه لمدى محدّد؟

لاخيس: لأيِّ مدى وأيّ مبدأ تعني؟

سقراط: مبدأ الصبر، إذا وافقت، فنحن يجب أن نصبر ونثابر في التحقيق، ولن تسخر الشجاعة منّا آنئذ لجبننا في البحث عن الشجاعة، التي يمكن أن تكون بعد كل ذلك صبراً على نحو متكرّر.

لاخيس: إنّني جاهز للاستمرار، يا سقراط، ومع ذلك فأنا غير معتاد على أبحاث

من هذا النوع. لكنّ روح المناقشة قد انبعثت فيّ بما قد قيل؛ وإنّني لحزينٌ جدّاً بكوني غير قادر هكذا أن أعبّر عن معناي. فأنا أتوهّم أنّني أعرف طبيعةَ الشجاعة، لكنّها قد أفلتت منّي بطريقة أو بأخرى، وأنا لا أقدر أن أمسك بها أو أُخبر عن طبيعتها.

سقراط: لكن، يا صديقي، ألا ينبغي على الرياضي الجيّد أن يتبع الدرب، وأن لا يستسلم؟

لاخيس: يجب عليه، بدون ريب.

سقراط: هل سندعو نيخياس لينضمّ إلينا إذن؟ يمكنه أن يكون أفضل منا في الرياضة، فماذا تقول؟

لاخيس: عليَّ أن أحب ذلك.

سقراط: تعال إذن، يا نيخياس، وافعل ما تقدر عليه لتساعد أصدقاءك الذين تتقاذفهم أمواج المحاورة، وهم في النزاع الأخير؛ أنت ترى نهايتنا، ويمكنك أن تنقذنا وأن توطّد رأيك الخاص، إذا ما أخبرتنا ما تفكر به عن الشجاعة.

نيخياس: كنت أعتقد، يا سقراط، أنّكما لم تعرّفا الشجاعة بالطريقة الصحيحة؛ فأنت نسيت قولاً ممتازاً سمعته أنا من شفتيك.

سقراط: ما هو، يا نيخياس؟

نيخياس: إنّني سمعتك تقول غالباً، أنّ « كل إنسان يكون خيّراً في ذلك الذي يكون فيه حكيماً، وشرّيراً في ذلك الذي يكون فيه غير حكيم ».

سقراط: إنّ ذلك حقيقي، يا نيخياس.

نيخياس: ولذلك فإذا ما كان الإنسان الشجاع خيّراً، فهو حكيم كذلك.

سقراط: هل تسمعه، يا لاخيس؟

لاخيس: نعم، إنّني أسمعه، غير أنني لا أفهمه جيداً.

سقراط: أعتقد أنّني أفهمه أنا؛ ويظهر لي أنه يعني أنّ الشجاعة هي نوع من الحكمة.

لاخيس: أيّ نوع من الحكمة، يا سقراط.

سقراط: إن ذلك لسؤال يجب أن تسأله لنيخياس نفسه.

لاخيس: نعم.

سقراط: أخبرني إذن، يا نيخياس، أيّ نوع من الحكمة تعتقد أن الشجاعة تكون؛ فأنت لا تعني بالتأكيد الحكمة التي تؤدّي العزف على الناي؟

نيخياس: لا بالتأكيد.

سقراط: ولا الحكمة التي تؤدّي العزف على القيثار؟

نيخياس: لا.

سقراط: لكن ما هي هذه المعرفة، وعن ماذا؟

نيخياس: أعتقد أنك تطرح السؤال عليه بشكل جيّد تماماً، يا سقراط؛ وأنا سأرغب منه أن يقول ما هي طبيعة هذه المعرفة أو الحكمة.

نيخياس: أعني، يا لاخيس، أنّ الشجاعة هي المعرفة عن ذلك الذي يوحي بالخوف أو الثقة في الحرب، أو في أيّ شيء.

لاخيس: كيف يتكلّم هو بغرابة، يا سقراط؟

سقراط: لماذا تقول هكذا، يا لاخيس؟

لاخيس: لماذا، لأنّ الشجاعة هي شيء واحد بكل تأكيد، والحكمة شيء آخر.

سقراط: إنّ ذلك ما ينفيه نيخياس تماماً.

لاخيس: نعم، ذلك ما ينفيه هو؛ هناك حيث يكون هو أحمق لهذا الحدّ.

سقراط: إفترض، يا لاخيس، أن نعلّمه بدلاً من أن نشتمه.

نيخياس: بكلّ تأكيد، يا سقراط؛ لكن بما أنّه برهن أنّه يتكلم سفاسفاً، فلاخيس يريد أن يقول إنّني قد فعلت الشيء ذاته.

لاخيس: جيّد جداً، يا نيخياس؛ وأنت تتكلّم سفاسف، كما سأكافح لأبيّن ذلك. دعني أسألك سؤالاً: ألا يعرف الأطباء خطر الأمراض، أو أن

الشجعان يعرفونها؟ أو هل يكون الأطبّاء كما هم الشجعان والشيء عينه؟

نيخياس: ليس ذلك على الإطلاق.

لاخيس: ليس أكثر من المزارعين الذين يعرفون الأخطار الزراعيّة، أو من رجال الحرف الآخرين، الذين لديهم معرفة عن ذلك الذي يوحي لهم بالخوف أو الثقة في فنونهم الخاصة، ومع ذلك لا يكونون الأكثر لذلك بمثقال ذرّة.

سقراط: ماذا تعتقد بمحاورة لاخيس، يا نيخياس؟ يظهر لي أنّه يقول شيئاً ما ذا أهميّة.

نيخياس: نعم، إنه يقول شيئاً ما، لكنّه ليس بقول حقيقيّ.

سقراط: كيف ذلك؟

نيخياس: لماذا، لأنّه يعتقد أنّ معرفة الطبيب عن المرض تمتد إلى ما وراء طبيعة الصحّة والمرض. لكنّ الطبيب في الحقيقة لا يعرف أكثر من هذا؛ هل تتصور، يا لاخيس، أنه يعرف ما إذا كانت الصحّة أو المرض هما الأكثر رهبة للإنسان؟ ألم يكن الأفضل لرجال عدّة أن ينهضوا من فراش المرض؟ إنني أرغب أن أعرف إذا ما كنت تعتقد أن الحياة هي أفضل من الموت على الدوام. أليس الموت غالباً أفضل الاثنين؟

لاخيس: نعم، إنّه هكذا في رأيي بدون ريب.

نيخياس: وهل تعتقد أن الأشياء ذاتها هي مرعبة لأولئك الذين من الأفضل لهم أن يموتوا، ولأولئك الذين أفضل لهم الحياة؟

لاخيس: لا بالتأكيد.

نيخياس: وهل تفترض أنّ الطبيب يعرف هذا، أو يعرفه أيّ اختصاصي آخر حقّاً، ما عدا الانسان الذي يكون بارعاً في أسباب الخوف والأمل؟ وهو الذي أسمّيه أنا شجاعاً.

سقراط: هل يعرف معنا، يا لاخيس؟

لاخيس: نعم؛ إنّني أفترض ذلك، ففي طريقة كلامه، يكون الرجال الكهنة هم الشجعان، ومَنْ سوى واحدهم يستطيع أن يعرف لمن يكون الموت أو الحياة أفضل؟ ومع ذلك، يا نيخياس، هل ستسمح لي بالقول إنك أنت نفسك كاهن، أو هل تكون أنت لا كاهناً ولا شجاعاً؟

نيخياس: ماذا! هل تعني أنّ الكاهن يجب أن يعرف الأسس للشعور بالثقة والاطمئنان والحرب؟

لاخيس: إنّني أفعل حقاً. من يعرف سواه؟

نيخياس: عليَّ أن أقول أكثر على الأصحّ إنه هو الذي عنه أتكلم؛ لأنّ الكاهن ينبغي أن يعرف علامات الأشياء فقط تلك التي تكون على وشك أن تأتي وتمرّ، سواء تكون هي موتاً أو مرضاً، أو فقدان الملكيّة، أو النصر، أو الهزيمة في الحرب أو في نوع من أنواع المبارزة؛ لكن سواء أكانت المعاناة أو عدمها الأفضل للإنسان في هذه الأشياء، فذلك سؤال ليس أكثر للكاهن كي يقرره من أي شخص آخر.

لاخيس: إنّني لا أستطيع أن أفهم ما الذي يرمي إليه نيخياس، يا سقراط، لأنّه يصوِّر الشجاع كأنه ليس بكاهن، ولا بطبيب، ولا بأيّة شخصية أخرى؛ إلاّ إذا عنى أنّ الشجاع هو إله. رأيي أنّه لا يحب أن يعترف بأمانة أنّه يتكلم سفاسف، بل أنه يرتبك فوق وتحت كي يخفي الصعوبة التي أوقع نفسه بها. أنت وأنا، يا سقراط، يمكن أنّنا مارسنا اضطراباً مماثلاً لتوِّنا الآن، إذا ما أردنا في قولنا هذا أن نتجنب ظهور التناقض فقط. وإذا قد كنا محاورين في محكمة قانون فيمكن أن يكون هناك سبب في فعلٍ كهذا؛ لكن لماذا يجب أن يزخرف هو نفسه بكلمات باطلة كهذه في مقابلة أصدقائه؟

سقراط: أتفق وإياكِ تماماً، يا لاخيس، أنّه لا ينبغي أن يفعل ذلك. لكن لربّما يكون نيخياس جادّاً، وأنّه لم يتكلم من أجل الكلام فقط. دعنا نسأله كي يوضح

ما يعنيه تماماً، وإذا ما كان لديه مبرر إلى جانبه فسوف نتفق معه؛ وإلاّ فسنعلّمه.

لاخيس: هل ستسأله، يا سقراط، إذا أردت؛ أعتقد أنّني سألته بما فيه الكفاية.

سقراط: إنّني لا أرى مانعاً من سؤاله؛ وسيكون مردود سؤالي لكلينا.

لاخيس: جيد جداً.

سقراط: أخبرني إذن، يا نيخياس، أو أخبرنا على الأصحّ، لأنّني ولاخيس شريكان في المحاورة، هل تعني أنّ الشجاعة هي المعرفة بأسس الاطمئنان والخوف؟

نيخياس: إنّني أفعل.

سقراط: ولا يمتلك كل إنسان هذه المعرفة؛ وهي ليست لدى الطبيب ولا الكاهن، وهما لن يكونا شجعاناً ما لم ينالاها ـ ذلك ما قلته؟

نيخياس: إنّني فعلت.

سقراط: إذن فهذا لا يكون شيئاً يعرفه كل من يزرع الأرض بالتأكيد، كما يقول المثل، ولذلك لا يمكنه أن يكون شجاعة.

نيخياس: لا أعتقد ذلك.

سقراط: لا بوضوح، يا نيخياس؛ حتّى ولا من يزرع أرض كروميون سيُدعى شجاعاً حسب زعمك. وأقول هذا ليس كمزحة، بل لأنّني اعتقدت أنّ من يصدّق على عقيدتك لا يستطيع منع أيّ حيوان وحشيّ في أن يكون شجاعاً، ما لم يعترف هو أنّ أسداً أو ببراً، أو لربّما خنزيراً بريّاً، لديه هكذا درجة من الحكمة في أن يعرف أشياء لا يعرفها سوى عدد قليل من المخلوقات الإنسانية بسبب صعوبتها. إنّ من يقبل برأيك عن الشجاعة، يجب أن يؤكّد أنّ أسداً لا يكون ميّالاً للشجاعة بالطبيعة أكثر من الأيّل، ولا الثّور أكثر من القرد.

لاخيس: ممتاز، يا سقراط؛ إنّ ذلك جيد بحق، بناء على كلماتي. وإنّني آمل،

يا نيخياس، في أنّك ستخبرني إذا ما تعني بحق أنّ تلك الحيوانات التي نعترف كلّنا أنّها شجاعة هي أعقل من الجنس البشري في الحقيقة؛ أو إذا ما ستكون لديك الشجاعة، في وجه الرأي العالمي، لإنكار شجاعتها.

نيخياس: لماذا، يا لاخيس فأنا لا أصف الحيوانات كشجاعة أو أيّة مخلوقات أخرى ليس لديها خوف من الأخطار لأنّها تفتقر إلى الفهم، بل كغير خائفة وحمقاء فقط. هل ستتخيّل أنّه ينبغي عليّ أن أسمّي كلّ الأطفال الصغار شجعاناً، الذين لا يخافون أيّ خطر لأنهم لا يفهمون؟ ليس هناك فرق، في طريقة تفكيري، بين عدم الخوف والشجاعة. إنّني أرى أنّ الشجاعة المتأمّلة هي نوعيّة يمتلكها القلائل جدّاً، لكنّ ذلك التهوّر والجسارة، وعدم الخوف الذي لا يمتلك تبصّراً، هي نوعيّات مشتركة تحديداً يمتلكها عدّة رجال، عدّة نساء، عدّة أطفال، وعدد من الحيوانات. وأنت، والرجال بشكل عام، يُسمّون بالاصطلاح أعمالاً (شجاعة) هي التي أدعوها أنا تهوّراً. إن أعمالي الشجاعة هي أعمالي الحكيمة.

لاخيس: أنظر، يا سقراط، كيف يزخرف نفسه بالكلمات بشكل رائع، كما يعتقد هو، في حين أنّه يحاول أن يجرّد من شرف الشجاعة أولئك الذين يعترف العالم بأجمعه أنهم شجعان.

نيخياس: لست أنت، يا لاخيس، لا تكن منزعجاً لذلك، إنّني على استعداد تامّ لأقول عنك، وعن لاماخوس وأثينيين آخرين عدّة أيضاً، أنّكم حكماء كونكم شجعاناً.

لاخيس: أستطيع أن أجيبك على ذلك؛ لكنّني لا أريدك أن ترمي بفمي من أنني آيكسوني متغطرس.

سقراط: لا تجبه، يا لاخيس؛ أتخيّل بالأحرى أنّك غير مدرك المصدر الذي استقى منه حكمته. إنّه حصل على هذا من صديقي دايمون، دايمون هو على اتّصال

دائم بيروديكوس، الذي يُعتبر الأفضل من كل السوفسطائيين في تحليل معاني الكلمات من هذا النوع.

لاخيس: نعم، يا سقراط؛ إنّ فحص الجمالات هذه هو وظيفة مناسبة للسوفسطائي أكثر بكثير من مناسبتها لرجل الدولة العظيم الذي تختاره المدينة ليشرف على شؤونها.

سقراط: نعم، يا صديقي الحلو؛ لكنّ الشؤون الكبيرة والعقول العظيمة تسلك نهجاً معيّناً كليّة بشكل مناسب. وأعتقد أن نيخياس يستحقّ أن نرى ما يفكّر به عندما يحدّد الشجاعة هكذا.

لاخيس: أنظر بنفسك إذن، يا سقراط.

سقراط: ذلك ما أنا ذاهب لأفعله، يا صديقي العزيز. لا تفترض، على كل حال، أنني سأدعك خارج الشراكة؛ فأنا سأتوقّع منك أن تستعمل عقلك، وأن تنضَمّ إليّ في تأمّل السؤال مليّاً.

لاخيس: إنّني سأفعل إذا اعتقدت أنت أنّه يجب عليّ فعل ذلك.

سقراط: نعم، إنّني أفعل؛ لكنّني يجب أن أستعطفك، يا نيخياس، لتبدأ مرّة ثانية. تتذكر أنت أننا اعتبرنا الشجاعة جزءاً من الفضيلة بشكل أساسي.

نيخياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وأنت قلت بنفسك أنّها كانت جزءاً؛ وأنّ أجزاء أخرى وُجدت، وهي التي إذا أُخذت معاً تسمى فضيلة.

نيخياس: بالتأكيد.

سقراط: هل تتّفق معي بشأن الأجزاء؟ فأنا أقول إنّ العدل، الاعتدال، وما شابه هي كلها أجزاء من الفضيلة كما الشجاعة. ألن تقولَ أنت الشيء عينه كذلك؟

نيخياس: بدون ريب.

سقراط: حسناً إذن، اتفقنا لهذا الحدّ. وبعدُ دعنا نتقدم خطوة أخرى الآن، ونحاول

الوصول إلى اتفاق آخر بشأن المخيف والمتفائل: إنّني لا أريدك أن تفكر شيئاً ما ونفكر نحن تفكيراً آخر. إسمح لي أن أخبرك رأينا إذن، وإذا ما كنت مخطئاً فستضعنا على الطريق الصحيح: في رأينا أنّ المخيف والمتفائل هما الأشياء التي تخلق ولا تخلق خوفاً، والخوف لا يكون عن الحاضر ولا عن الماضي، بل عن شرّ مستقبليّ ومتوقع. ألا توافق على هذا، يا لاخيس؟

لاخيس: نعم، يا سقراط، أوافق بشكل تامّ.

سقراط: تلك هي وجهة نظرنا، يا نيخياس؛ إنّ الأشياء المرعبة، كما ينبغي أن أقول، هي شرور مستقبليّة؛ والتفاؤلات هي الخيرات أو ليست الشرور التي تكون مستقبليّة. هل تتّفق معي أم لا؟

نيخياس: إنّني أتّفق معك.

سقراط: وتدعو المعرفة بهذه الأشياء شجاعة؟

نيخياس: بالضبط.

سقراط: وبعدُ دعني أرى إذا ما كنت تتّفق معي ومع لاخيس في النقطة الرئيسيّة الأخرى.

نيخياس: ما هي تلك؟

سقراط: إنّني سأخبرك. لدينا كلانا فكرة وهي أنه لا توجد معرفة واحدة أو علم للماضي، وأخرى للحاضر، وثالثة ما يمكن أن تكون أفضل للمستقبل؛ بل إنّه يوجد عن الثلاثة كلها علم واحد فقط: كمثال، هناك علم واحد للطبّ الذي يختص بالإشراف على الصحة في كلّ الأوقات بشكل متساوٍ، في الحاضر، الماضي، وفي المستقبل؛ وهناك علم واحد للزراعة في أسلوب مماثل، يختص بإنتاج الأرض في كل الأوقات. كما للفنّ العسكري، ستكون أنت شاهدي بنفسك من أنّه يحتاط للمستقبل كما يحتاط للحاضر، وأنّ القائد العسكري يطالب ليكون السيّد وليس الخادم للمتكهّن، لأنّه يعرف أفضل ما

يحدث أو أنّه على وشك أن يحدث في الحرب: وبناءً على ذلك يضع القانون المتكهّن دون القائد العسكري وليس العكس. ألست محقّاً في قولي هذا، يا لاخيس؟

لاخيس: محقّ تماماً.

سقراط: وهل تعترف أنت، أنّ العلم عينه لديه فهم عن الأشياء عينها، سواء للمستقبل أو الحاضر، أو الماضي؟

نيخياس: .نعم، حقّاً، يا سقراط؛ ذلك هو رأيي.

سقراط: والشجاعة كما تقول، يا صديقي، هي معرفة عن المخيف والمتفائل؟

نيخياس: نعم.

سقراط: واعترفنا أنّ المخيف والمتفائل هما خيران مستقبليان وشرّان مستقبليّان؟

نيخياس: حقاً.

سقراط: وعلى العلم عينه أن يسري على الأشياء عينها في المستقبل أو في أيّ وقت؟

نيخياس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: إذن فالشجاعة هي علم ما لا يختص بالمخيف والمتفائل فقط، فهما مستقبليان؛ لا تختصّ الشجاعة بالخير والشرّ المستقبليّ فقط، مثل العلوم الأخرى، بل بالحاضر والماضي، وبأيّ وقت؟

نيخياس: ذلك حقيقي، كما أفترض.

سقراط: يتضمّن الجواب الذي أعطيته إذن، يا نيخياس، جزءاً ثالثاً للشجاعة؛ غير أنّ سؤالنا يمتد إلى مجمل طبيعة الشجاعة؛ وطبقاً لوجهة نظرك، ذلك يكون طبقاً لوجهة نظرك الحاضرة، فالشجاعة ليست المعرفة بالمخيف والمتفائل فقط، بل يبدو أنّها تشمل كلّ خير وكلّ شرّ بدون رجوع إلى الزمن تقريباً، ماذا تقول لذلك التغيير في تقريرك؟

نيخياس: إنّني أوافق، يا سقراط.

سقراط: لكن عندئذ، يا صديقي، إذا عرف الإنسان كلَّ الخيرات وكلّ الشرور، وكيف تُحدث وقد أحدثت وستُحدث، ألن يكون هو إنساناً كاملاً، ولن يكون في عَوَزٍ لأيّة فضيلة، سواء أكانت عدلاً أو اعتدالاً أو تقوى؟ إنّه سيكون القادر الوحيد ليُميِّز بين ما سيُخاف منه، وبين ما لا يُخاف منه (سواء أكان خارقاً للطبيعة أو طبيعياً). وسيتّخذ الاحتياطات المناسبة ليضمن أنّ كل شيء هو على ما يرام؛ لأنّه سيعرف كيف يتعامل بشكل جيّد مع الآلهة ومع الرجال.

نيخياس: أعتقد، يا سقراط، أنّ هناك مقداراً كبيراً من الحقيقة فيما تقول.

سقراط: لكنّ الشجاعة طبقاً لتعريفك الجديد هذا، يا نيخياس، ستكون كلّ الفضيلة حينئذ، بدلاً من كونها جزءاً للفضيلة فقط؟

نيخياس: ستبدو هكذا.

سقراط: لكنّنا قلنا إنّ الشجاعة هي واحدة من أجزاء الفضيلة؟

نيخياس: نعم، ذلك ما قد قلناه.

سقراط: وذلك مناقض لوجهة نظرنا الحاضرة؟

نيخياس: يبدو أنّ هذه هي الحالة.

سقراط: إذن، يا نيخياس، لم نكتشف ما هي الشجاعة؟

نيخياس: لا يبدو أننا فعلنا.

لاخيس: ومع ذلك، يا صديقي نيخياس، أتصوّر أنّك قد قمت بالاكتشاف، عندما ازدريت هكذا بالأجوبة التي أعطيتها لسقراط، وكان لديَّ آمال كبيرة جداً في أنّك قد اهتديت إليها بحكمة دايمون.

نيخياس: إنّني أتصور، يا لاخيس، أنّك لا تفكّر بأيّ شيء عن عرض جهلك لطبيعة الشجاعة، بل تبحث فقط لترى إذا ما قمت أنا بعرض مماثل؛ وإذا ما

كان كلانا جاهلاً بالأشياء التي يجب أن يعرفها أيّ انسان يحترم نفسه. إنّني أفترض بأنّ ذلك لن يكون له أيّة عاقبة. إنّك تظهر لي كبقيّة العالم بكلّ تأكيد ناظراً في جارك وليس في نفسك. إنَّ لي رأياً في أنَّ ما قد قيل عن الموضوع الذي بحثناه هو كافٍ؛ وإذا كانت المعالجة غير وافية بأيّة طريقة، فيمكن أن تُصحَّح من الآن فصاعداً بمساعدة دايمون، الذي تفكر أنّك تسخر منه مع أنّك لم ترهُ قط، وتسخر بالآخرين كذلك. وعندما أقتنع أنا، فإنّني سأنقل لك قناعتي بكلّ حريّة، لأنّني أعتقد أنّك في حاجة ملحّة للمعرفة.

لاخيس: إنك فيلسوف يا نيخياس، وأنا أدرك ذلك تماماً ومع هذا فإنّني أنصح ليسيماخوس وميليسياس أن لا يتخذاك وإياي كمستشارَين بشأن تعليم ولديهما؛ لكن كما قلت، بادىء ذي بدء، عليهما أن يسألا سقراط وأن لا يدعاه يذهب، وإذا كان أولادي مسنّين بما فيه الكفاية، فإنّني سأفعل الشيء عينه.

نيخياس: على ذلك أنا أوافق، إذا ما كان سقراط مستعدّاً ليأخذهم تحت رعايته. إنّني لن أرغب بأيّ شخص آخر معلّماً لنيكارتوس. غير أنّني ألاحظ كلّما ذكرت المسألة له فهو ينصحني بمعلم آخر ما ويرفض أن يقوم بذلك بنفسه. لربّما يمكن أن يكون أكثر استعداداً ليستمع إليك، يا ليسيماخوس.

ليسيماخوس: يجب عليه، يا نيخياس؛ لأنّني سأفعل له أشياء لن أفعلها لأيّ شخص آخر بكلّ تأكيد. فماذا تقول، يا سقراط ـ هل ستستجيب لذلك؟ وهل أنت على استعداد لتقدّم مساعدة في تحسين الشباب؟

سقراط: حقّاً، يا ليسيماخوس، إنّني سأكون مخطئاً جدّاً في أن أرفض ولا أساعد في تحسين أيِّ شخص. وإذا أظهرتُ في هذه المحادثة أنّني امتلكت معرفة لم تكن لدى نيخياس ولاخيس، فأنا أعترف عندئذ أنّك ستكون محقّاً في

دعوتي لأقوم بهذا الواجب؛ لكن بما أنّنا جميعاً في الإرتباك عينه، فلِمَ سيُفضّل واحدنا على الآخر؟ أعتقد بكلّ تأكيد أن لا أحد ينبغي أن يفعل ذلك؛ وتحت هذه الحالات، إسمح لي أن أقدّم لك نصيحة (وهذه لا يجب أن تتعدّانا). إنّني أثبتُّ، يا أصدقائي، أنّه ينبغي على كلٍّ واحد منّا أن يبحث عن أفضل معلّم يستطيع إيجاده، لأنفسنا أوّلاً الذين نحن بحاجة كبرى لشخص كهذا، وبعدئذ للشباب، بدون اعتبارٍ لأيّة نفقات أو أيّ شيء. لكنّني لا أستطيع أن أنصح بأن نبقى كما نحن. وإذا سخر أيّ شخص منّا لذهابنا إلى المدرسة في هذه السنّ، فإنّني سأقتبس لهم مرجعاً من هوميروس الذي يقول أنّ « التواضع ليس جيّداً لإنسان محتاج » دعنا إذن، بدون اعتبار لِما يمكن أن يقال عنّا، نهتمّ بتعلّمنا الخاصّ وكذلك بتعليم الشباب معاً.

ليسيماخوس: إنّني أحبّ اقتراحك، يا سقراط. وبما أنّني الأكثر تقدّماً في السنّ، فأنا الأكثر شوقاً لأذهب إلى المدرسة مع الأولاد. دعني ألتمس منك خدمة: تعالَ إلى بيتي غداً عند الفجر، وسنسدي النصح بشأن هذه القضايا. أمّا في الوقت الحاضر، فدعنا نضع نهاية للمحادثة.

سقراط: إنّني سآتي إليك غداً، يا ليسيماخوس، كما تقترح، إن شاء الله.

الهوامش

(١) ثياتيتوس (ص ١١٣)

(٢) السوفسطائي (ص ١٢٨)

(٣) الجمهوريّة (ص ١٢٩)

(٤) المقصّر للنسيج الصوفي بالنقع والإحماء (ص ١٥٠) «المعرّب».

(٥) محاورة فيدروس ومحاورة فيليبوس.

(٦) رجل الدولة

(٧) الالياذة

(٨) بارمنيدس

(٩) أو، [مع أنها لا توجد في الروح أية رذيلة أخرى إلاّ هذه].

(١٠) ثياتيتوس

(١١) إلهة الحب والجمال عند الاغريق.

(١٢) أو (الحقيقي). يجب أن يولد هذا التعبير الثاني في العقل في كل مكان من المحاورة الآتية.

(١٣) يمكن أن تشير هذه العبارة لذلك الذي يكون حقيقياً في المعنى الأعلى، أو إلى الحقيقة بمجملها.

(١٤) ببساطة، يجب أن تخص شخصاً ما أو شيئاً ما. لا عبارة تقنيّة للموضوع تقع هنا. « المعرّب».

(١٥) هناك تمثيليّة غير مترجمة باسم (بولس) التي تعني (مهراً) « المعرّب ».

(١٦) الجمهوريّة

(١٧) الجمهوريّة

(١٨) مقتطفات بورا

(١٩) مقتطفات انتيبود

أنحاء الجسم.

(٢٥) الجمهوريَّة

(٢٦) الجمهوريَّة

(٢٧) النواميس

(٢٨) الجمهوريَّة

(٢٩) الجمهوريَّة

(٣٠) محاورة المأدبة

(٣١) بروتاغوراس

(٣٢) ميشيا، بلاد غابرة في شمال غرب الأناضول.

(٣٣) الالياذة

(٣٤) الجمهوريَّة

(٣٥) الاوديسي

(٣٦) مدينة في مقدونيا الغابرة.

(٣٧) حرفياً « الفنجان الثالث لزيوس المخلِّص » في اشارة الى عادة يونانية خلال الولائم. « المعرِّب ».

